# موسوعة

# المدن العربية

إعداد

م / صبحي سليمان

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م

مكتبة الإيمان بالمنصورة

ت: ٢٢٥٧٨٨٢

# مُقَدِّمَة

عظيم حقاً هذا الوطن الذي يجمع بين حناياه هذا الكم الهائل من الحضارات والعراقات... عظيم حقاً هذا الوطن الذي يجمع شتات العرب كُلهم في بوتقة واحدة؛ وصهرهم معاً حتى صاروا جنساً واحداً لا تستطيع التفرقة بينه... فلا فرق بين غنيهم وفقيرهم؛ ولا فرق بين أبيضهم وأسودهم...

إنه الوطن العربي العريق الذي جمعنا ووعانا ففهمنا وفهمناه؛ وأحبنا وأحببناه؛ وما إن نما وازدهر حتى نمت معه ثقافتنا؛ وحضارتنا؛ ونشأت مُدن مُتعددة في بُلدانه العامرة؛ وتزينت هذه المُدن بعلم العرب وثقافتهم فصارت منارات للعلم يغترف منها القريب والبعيد... إنها مُدن أنارت الكون أيام كان غارقاً في ظُلمات التخلف والجهل... إنها المُدن العربية التي ربت أجيالاً مُتلاحقة صاروا أسوداً غزوا العالم وطوعوه لحضارتنا العربية العامرة...

ولكن بعدما تناثرت حضارتنا؛ وغزا الضباع أرض السباع؛ صارت حضارتنا شيئاً قديماً؛ فالعمالقة صاروا أقزاماً؛ والجنود الكواسر صاروا قططاً أليفة تفعل بهم الحضارات الهزيلة ما يشاءون... ومن أجل الرجوع إلى أمجادنا العظيمة التي افتقدناها سطرت تلك الموسوعة لتروا عراقة مُدننا العربية؛ وكي تتعرفوا على شمائل رجال لن تروهم إلا في أوطاننا العامرة... فهذه المُدن بالرغم من ضآلتها هذه الأيام إلا أنه قد آن الأوان كي يفيق العملاق العربي من مرقده؛ ويصرخ في وجه الظالمين... أنا العربي الأصيل... قف مكانك... لا تعلو قدرك...

وأخيراً أتمنى أن يستفيد بهذا الكتاب كُل قارئ؛ وأن يُفيد به الآخرين... هدانا الله وإياكم إلى الصراط المستقيم... آمين.

**مع تحياتي**
**م / صبحي سليمان**

# جمهورية مصر العربية




مصر تلك الأم الرؤوم التي حباها الله بميزات كثيرة من موقعها الجُغرافي الذي يربط بين كثير من الدول؛ وهوائها العليل؛ وآثارها العريقة التي تجذب السائحين من كُل مكان؛ فهي أرض الكنانة؛ ومقبرة الغُزاة على مر العصور؛ وستظل حضارتها إن شاء الله تمد العالم بنور العلم والمعرفة.

وتقع مصر في شمال أفريقيا على البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر؛ ومساحتها ١٠٠١٤٥٠ كيلو متراً مربعاً؛ وطول الشواطئ الموجودة بها حوالي ٢٤٥٠ كيلو متراً. وأخفض نقطة بها هي مُنخفض القطارة؛ حيث ينخفض بمقدار ١٣٣م تحت سطح البحر. أما أعلى نقطة بها فهي منطقة جبل كاترين؛ حيث يرتفع ٢٦٢٩م من سطح البحر؛ واللغة الرسمية هي العربية؛ واللُغات المحكية هي الفرنسية والإنجليزية؛ والعُملة هي الجنيه المصري.

ومصر دولة عربيّة مُستقلّة؛ وهي عضو مُؤسّس في الجامعة العربية؛ وعاصمتها القاهرة؛ وأهمّ مُدنها الإسكندرية؛ والجيزة؛ وبورسعيد؛ والسّويس؛ وأسيوط؛ والإسماعيليّة؛ وأسوان؛ وطنطا؛ والزّقازيق.

ومُعظم الأراضي المصرية عبارة عن صحراء مُترامية الأطراف في الجنوب والغرب والشّرق؛ باستثناء الوادي الذي يجري فيه نهر النّيل؛ والدلتا التّي يُكوّنها في شمال البلاد في فرع دُمياط في الشّرق ورشيد في الغرب؛ وهي من أخصب الأراضي قاطبةً؛ وبمصر مناطق جبلية منتشرة هنا وهناك؛ حيث يوجد جبل كاترين والذي يرتفع ٢٦٣٧م في جنوب سيناء؛ وسلسلة جبلية في الشّرق على طول البحر الأحمر؛ وأعلاها قمّة جبل شايب ٢١٨٧م؛ وهضبة الجلف الكبير؛ وجبل العوينات الموجود أقصى الجنوب الغربي.

وأهمّ صحارى مصر الصّحراء الغربية؛ وهي الصحراء الفاصلة بين مصر وليبيا؛

ومساحتها ٦٨١,٠٠٠ كيلو متر مربّع؛ والصّحراء الشّرقية؛ وتنتهي عند البحر الأحمر إلى الشّرق من مجرى النيل؛ أمّا الأولى فهي عبارة عن هضبةٍ واسعةٍ تمتدّ غرب النّيل حتّى الحدود اللّيبية؛ وفيها العديد من الأودية الجافّة؛ والمُنخفضات والواحات؛ وأهمّها مُنخفض القطارة شرق سيوة؛ ويبلغ مدى انخفاضه عن مستوى البحر ١٣٤ متراً.

وأمّا الصحراء الثّانية فهيّ الصّحراء الشّرقية؛ وهي عبارة عن هضبةٍ واسعةٍ تتخلّلها جبالٌ عاليةٌ جرانيتيّةٌ تُشرف على البحر الأحمر؛ وإلى الشّمال الشّرقي من البلاد تقع شبه جزيرة سيناء؛ وهي صحراء رمليّة؛ وتمتدّ إلى الشّرق من خليج السّويس؛ وإذا ما ذكرنا أنهار البلاد؛ فلا يُذكر إلاّ نهر النّيل العظيم؛ وهو النّهر الأوحد في البلاد؛ وهو دائم الجريان؛ ويخترقها من الجنوب إلى الشّمال؛ ويصبّ في فرعيّ رشيد ودُمياط على ساحل البحر المتوسّط مُكوّناً دلتا النّيل؛ وتتفرّع منه عدِّة قنواتٍ تروي وتسقي أجزاء كثيرةٍ من البلاد.

وقديماً خضعت مصر لحكم الرومان؛ فالعرب؛ فالأتراك؛ وفي عام ١٨٠٥م حكمت أسرة محمد علي باشا البلاد؛ واحتلّها الإنجليز فثار الشعب على الاحتلال وقامت ثورة أحمد عُرابي عام ١٨٨٢م؛ وظلّ الحُكم ملكياً حتى جاء عام ١٩٥٢م؛ فقامت الثّورة المصريّة بقيادة محمد نجيب؛ ثُم خلفه جمال عبد النّاصر الذي تولّى رئاسة البلاد بعد إعلانه الجمهوريّة المصرية؛ ثُم الجمهورية العربية المُتّحدة مع سوريا؛ وتمّ الانفصال عنها بعد ذلك عام ١٩٦١ م؛ وتولّى الحُكم بعد وفاة عبد الناصر أنور السّادات الذي اُغتيل عام ١٩٨١م؛ وبعده جاء الرّئيس محمد حسني مبارك خلفاً له؛ وهو ما زال يحكم إلى الآن.

ومُناخُ مصر صحراوي حارّ جداً في الجنوب؛ ومُعتدل متوسطيّ على ساحل البحر الأبيض المتوسّط؛ والأمطار شبه نادرة في أقاصي الصّعيد؛ أمّا الرّياح فهي خماسينية تحمل الغُبار باستثناء القسم الشّمالي حيث الرّياح والأمطار الموسميّة والمتوسّطية؛ وتتحسّن إنتاجية الزّراعة المصرية بصورةٍ مُنتظمةٍ؛ وبما أنّ الأمطار في مصر قليلة فإنّ ١٠٠ % من الـ ٢,٥٩ مليون هكتار التّي تُمثّل الأراضي المزروعة هي في الواقع أراضٍ مرويّة؛ ولكن دخلت بعض الزراعات الحديثة في الزراعة كطريقة الري بالتنقيط؛ وهي شائعة في الأراضي المُستصلحة التي تجود فيها زراعة الفواكه والخضراوات؛ أما بالنسبة للأرض السمراء التي تروى من النيل والترع المجاورة له فإن أهمّ الزّراعات التي تجود فيها الأرز والقطن والذّرة والقمح والحمضيّات والبصل وقصب السّكر والفول والبطاطس؛ وتُربّى

فيها الماشية (أغنام؛ وأبقار؛ وجِمال؛ وماعز؛ وحمير؛ ودجاج؛ وبط)؛ وفيها مصائد للأسماك.

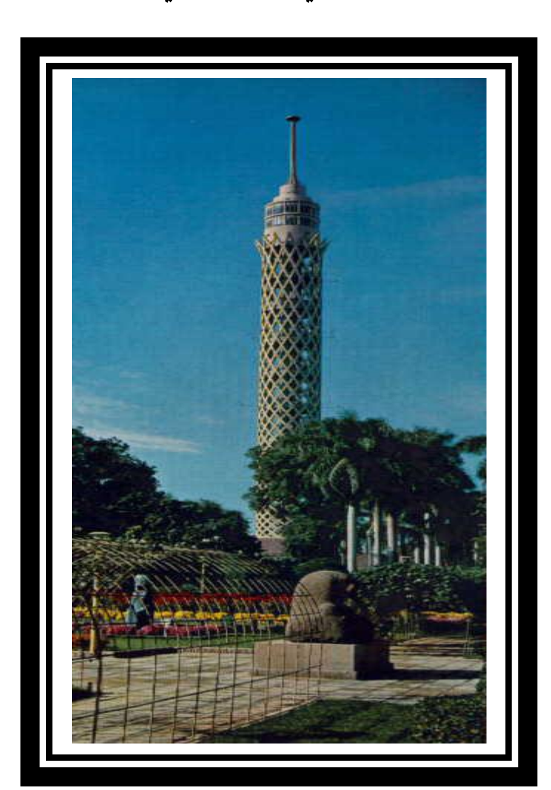
ويوجد بمصر كمية كبيرة من الطّاقة؛ وفيها مناجم للحديد والفوسفات والكروم والرصاص والزّنك. وأهمّ مواردها البترول؛ والغاز الطبيعي؛ والكهرباء؛ والرمل؛ والمنجنيز؛ والملح. وتسعى مصر جاهدة لتحقّيق التّوازن في الميزان الصّناعي؛ فهي تسعى لتحقيق ذلك عن طريق تخصيص المُؤسّسات التّابعة للدولة؛ وبإقامة مصانع لتجميع السّيارات؛ وهي تُنشئ مصانع متعددة في مجال النّفط؛ والنّسيج (القُطنيّات)؛ والألمنيوم؛ والمُنتجات الغذائية؛ هذا بالإضافة إلى التّبغ والتّعدين والأسلحة والذّخائر والأدوات الكهربائية على اختلافها؛ ويعتمد اقتصاد مصر على النّفط وقطاع الخدمات والسّياحة؛ فهي من جهةٍ تمنحُ شركات النّفط الأجنبيّة حقّ التّنقيب في أراضيها؛ حيث تجدُ هذه الشّركات نفطاً وغازاً طبيعياً؛ ومن جهةٍ ثانيةٍ تنجحُ في تأمين ٥٧ % من النّاتج القومي الإجمالي في قطاع الخدمات؛ ويُعتبَر هذا الرّقم نسبةً عاليةً جداً؛ وأهمّ ما في مصر آثارها الفرعونيّة؛ وأشهرها الآثار والمعابد الموجودة بمدينة الأقصر؛ والأهرامات الموجودة بالجيزة. وأصبحت القاهرة حالياً مدينةً حديثةً شديدة التّضخم سُكانياً؛ بالإضافة إلى ناطحات السّحاب والسّير الكثيف والقطارات تحت الأرض (المترو)؛ وتجري استثماراتٌ على شاطئ البحر الأحمر لجذب السُياح لينعموا بالعطلة في فصل الشّتاء.

وبمصر أعظم شريان مائيّ بَحريّ بالعالم وهو قناة السّويس التّي تربط البحر الأحمر بالمتوسّط؛ وأنشأت مصر خطاً للأنابيب مُوازياً للقناة لنقل النّفط؛ وهي تُنافس حاملات النّفط العملاقة التّي تمرّ حول رأس الرّجاء الصّالح؛ وتجدر الإشارة إلى أنّ مصر تُعاني مشكلةً هامةً على الصّعيد البيئي تتمثّل في تلوّث النّيل الذي يُعد أهم مصدر للمياه العذبة بالدولة؛ وتسعى الدولة جاهدة لحل هذه المُشكلة.

* * * * *

# القاهـرة

القاهرة هي العاصمة الرسمية لجمهورية مصر العربيـة؛ كمـا أنهـا تُعـد أحـد المراكـز الرئيسـة للحيـاة الدينيـة والثقافيـة والسياسـية في العـالمين العربـي والإسـلامي؛ وشـيدت القـاهرة مُنـذ أكثـر مـن ألـف عـام على ضفتي النيل في الموقع الذي يمتد فيـه جبـل المقطـم حتـى يبلـغ النهـر؛ ويعـود تـاريخ مدينة القاهرة إلى الفـتح الإسـلامي لمصـر على يد عمرو بن العاص عـام ٢١ هــ / ٦٤٢م؛ واقتنـع عمـرو بـن العـاص أن الإسكندرية لا يمكـن أن تسـتمر عاصـمة لمصر؛ ذلك أنها تقع على البحـر المتوسـط ومواجهة للروم مباشـرة؛ وإذا حـدث أي هجوم على مصر سـتقع العاصـمة في يـد الروم وبذلك تقع الـبلاد كلـها؛ لـذا قـرر بناء عاصمة جديدة خـلاف الإسـكندرية؛ فأسس عمرو بن العـاص مدينـة القـاهرة في المكان الفسيح الـذي يقـع إلى الشـمال من حصن بابليون حيث عسكرت قـوات



المُسلمين للمرة الأولى وأسماها الفسطاط؛ واختار لها عمرو رأس دلتـا النيـل وهـو موقـع لـه أهميته من الناحية العُمرانية والحربية وبذلك تكون الفسـطاط في مـأمن مـن هجمـات العدو؛ وتكون في الوقت نفسـه قريبـة مـن الأراضـي الزراعيـة مما يسـهل وصـول المُؤن لسكانها؛ وللجنود المحاربين بها؛ وراعى عمـرو بـن العـاص في اختيـاره لموقـع المدينـة أن يكون لها جانب يُمكن أن يَطرد فيه اتساعها وهو الجهة الشمالية الشرقية الـتي بنيـت فيهـا مدينة العسكر والقطائع والقاهرة فيما بعد؛ وعندما انتقلت الخلافة لـبني العبـاس؛ أسسـوا حاضرة أخرى جديدة لدولتهم الناشئة إلى الشمال الشرقي من الفسطاط؛ في مكان عُـرف في صدر الإسلام باسم الحمراء القُصوى؛ وفي ذلك المكان أقام العباسيون دورهم واتخـذوا مسكنهم؛ وبنى صالح بن علي دار الإمارة وثكنات الجُنـد؛ ثُـم شـيّد الفضـل بـن صـالح العسكر في وسط المدينة؛ وبمـرور الأيـام اتصـلت العسـكر بالفسـطاط وأصـبحت مدينـة

كبيرة؛ وقد ظل أمراء مصر يُقيمون في دار الإمارة في العسكر.

وعندما قامت الدولة الطولونية وجد أحمد بن طولون أن الفُسطاط ضاقت بساكنيها؛ فأسس مدينة القطائع عام ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م؛ وأقام في وسطها مسجداً جامعاً سُمي باسمه؛ وتُعتبر مدينة القطائع أول مدينة ملوكية أنشئت في وادي النيل في العهد الإسلامي؛ إذ كانت مقراً للحاكم مُستقلة استقلالاً تاماً؛ ولا تربطها بالحاكم العباسي ببغداد غير التبعة الدينية؛ وقد تأثر أحمد بن طولون عند تأسيسه للعاصمة الجديدة بتخطيط مدينة سامراء التي نشأ فيها قبل مجيئه إلى مصر؛ فقد كانت كُل منهما مقسمة إلى خطط أو قطائع؛ وتضم كل واحدة منهما جماعة من السُكان؛ وتربط بينهم رابطة الجنس أو العمل؛ ومن ثم أصبح اسم القطائع علماً على مدينة ابن طولون؛ وقد كان هذا الاسم يُطلق في سامراء على كل أحياء المدينة؛ فيما عدا القصور الملكية؛ ثُم قام الفاطميون بالاستيلاء على مصر وأسس جوهر الصقلي قائد جيوش الحاكم الفاطمي المُعز لدين الله مدينة القاهرة عام ٣٥٩ هـ / ٩٧٠م؛ وبعد استيلائه على مصر بعام واحد بنى حولها سوراً على شكل مُربع؛ وكانت مساحة الأرض التي حددها السور تبلغ ٣٤٠ فداناً؛ وفي وسط هذه المساحة؛ بنى جوهر الصقلي قصراً كبيراً بلغت مساحته ٧٠ فداناً؛ وجعل خمسة وثلاثين فداناً للبُستان الكافوري؛ ومثل هذه المساحة للميادين؛ والباقي وزعت مساحته على الفرق العسكرية.

وأنشأ جوهر الصقلي مسجداً بالقُرب من قصر الحاكم عند الجهة الغربية من ميدان باب الشعرية؛ ولم يكن قصد جوهر الصقلي من إنشائه مدينة القاهرة في بادئ الأمر أن تكون قاعدة أو داراً للحكم؛ بل لتكون سكناً للحاكم؛ وحرمه؛ وجنده؛ وخواصه؛ فنشأت القاهرة مدينة متواضعة للدولة الفاطمية الناشئة؛ واستمرت حيناً بعد قيامها مدينة ملكية عسكرية تشمل على قصور الحكام ومساكن الأمراء ودواوين الحكومة وخزائن المال والسلاح؛ ثُم أصبحت بعد إنشائها بأربع سنوات؛ أي في عام ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م عاصمة للدولة الفاطمية؛ وانتقل المُعز وأسرته من المغرب واتخذ مصر موطناً له؛ ولم يكن لقاطني مصر أن يدخلوا المدينة الملكية إلا بعد أن يُؤذن لهم؛ وكان مفوضو الدولة الأجنبية الذين يحضرون الحفلات الرسمية يترجلون عن جيادهم ويسيرون نحو القصر بين صفين من الجنود على النحو المتبع في البلاط البيزنطي؛ وسرعان ما اتسعت المدينة الناشئة ونمت نمواً ملحوظاً وتبوأت مكانتها المرموقة في ظل الحكام الفاطميين واتصلت مبانيها بمباني الفسطاط؛ وصارتا تُؤلفان معاً أكبر المدن الإسلامية في العصور الوسطي.

وتميزت القاهرة مُنذ إنشائها بجمال مبانيها؛ فقد تناوب حكام الفاطميين والأيوبيين والمماليك على تعميرها فكانت على أحسن ما يكون؛ وكان النيل آنذاك يحدها غرباً؛ وكان مجراه حتى عام ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩م يمر من فم الخليج إلى شارع نوبار إلى أن يلتقي بشارع الشيخ ريحان حالياً؛ ثُم ينعطف شرقاً نحو شارع عماد الدين حيث تنتهي حدود القاهرة عند قرية أم دنين؛ التي كانت تقع عند موقع جامع أولاد عنان.

وكان ثغر النيل في ميدان رمسيس مُحاطاً بالمصانع والترسانات التي بُنيت فيها أساطيل المُعز لدين الله وصلاح الدين الأيوبي والتي قضى بها على الصليبيين؛ وكان النهر يمر بعد ذلك بمحطة سكة الحديد الحالية؛ ثُم بالشرابية ومنية السيرج إلى مبدأ ترعة الإسماعيلية؛ ونشأت شُبرا على شكل جزيرة تراكمت حول مركب غرقت في الثغر في عهد الدولة الفاطمية؛ وكان اسمها الفيل؛ فسُميت جزيرة الفيل؛ وزُرعت فيها البساتين؛ وتردد عليها الأمراء والمماليك للتنزه في روضتها ولممارسة الرماية وغيرها من أنواع الرياضة؛ أما بولاق فقد نشأت في عهد الفاطميين ثم امتدت فيما بعد حتى بركة الفيل؛ كما ظهرت أرض اللوق في عهد الفاطميين والأيوبيين نتيجة لطرح البحر؛ واسمها معناه الأرض اللينة؛ حتى عهد الملك الصالح نجم الدين الأيوبي كان هناك ساحل على الخليج استعمله السقاءون؛ وكان يُسمى باب الخرق الذي حُرّف إلى باب الخلق؛ والخرق هي الأرض التي تخترقها الرياح؛ وكان الموسكي في ذلك العهد قنطرة على الخليج أنشأها الأمير عز الدين موسك في عام ٥٨٤ هـ / ١١٨٩م في عهد السُلطان صلاح الدين؛ كما قام حي السيدة زينب حول جسر شيده الظاهر بيبرس على الخليج وعُرف بقناطر السباع نسبة إلى رنك بيبرس الذي كان يُمثل سبعاً؛ أما حي الحسينية فقد أنشأته جماعة من الأشراف قدموا من الحجاز وبنوا المدابغ؛ وصنعوا الطعام المُسمى الطائفي نسبة إلى الطائف بالحجاز.



كانت القاهرة دائبة النشاط في التوسع والبناء في عهد الفاطميين والمماليك؛ وقد اجتهد صلاح الدين كثيراً في تعميرها وبنى قلعة الجبل (المُسماة الآن قلعة صلاح الدين الأيوبي)؛ وسور القاهرة

الممتد إلى أثر النبي؛ كما أنشأ البيمارستان الناصري أو الصلاحي نسبة إليه؛ أما الملك الظاهر بيبرس فقد عمّر الجامع الكبير خارج الحسينية وكان فيه مساحة يلعب فيها المماليك لعبة القبق؛ وجدد الملك الظاهر جامع الأزهر وأعاد فيه الخطبة وأنشأ ضيعة على فم وادي العباسية سماها الظاهرية.

وأكثر ما يُميز القاهرة ذلك الكم الهائل من الآثار الإسلامية؛ ومن هذه الآثار سور جوهر الصقلي الذي أنشأه مع إنشاء المدينة؛ ولكن تهدم هذا السور بعد إنشائه بثمانين عاماً؛ ولم يكن للقاهرة سور في أول عهد المستنصر؛ لذا كان أول عمل قام به بدر الجمالي وزير الحاكم المستنصر؛ هو تحصين القاهرة ضد الغزوات الخارجية وضد ثورات الجند الداخلية؛ فأحاطها بسور عام ٤٨٠ هـ / ١٠٨٨م؛ وحدود سور بدر الجمالي اعتماداً على البقايا التي لا تزال تحتل مكانها الأصلي؛ هي الأبواب الثلاثة المشهورة بالقاهرة؛ وهي باب النصر؛ وباب الفتوح في الشمال؛ وباب زويلة في الجنوب؛ وهي تُعد من أروع الأمثلة للاستحكامات الحربية في العصور الوسطى؛ ويُعتبر باب الفتوح خير مثال على ذلك حيث يتكون من بُرجين مُستديرين مُصممين إلى ثُلثيهما؛ أما الثُلث العلوي فيحتوي على غُرف للجند وفتحات لرمي السهام؛ ويتوسط البُرجين مدخل معقود تعلوه فتحة تُصب منها السوائل الكاوية على العدو المُقتحم.

وتُعدّ قلعة الجبل أول امتداد كبير خارج السور الفاطمي؛ فقد بدأ صلاح الدين في بنائها عام ٥٧٢ هـ / ١١٧٦م؛ ولم يكن هدفه تقوية المدينة ولكن ليتخذه مكاناً يلجأ إليه؛ وكانت قلعة الجبل تتزود بمياه النيل عن طريق قناطر ترجع في حالتها الراهنة إلى زمن سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الذي قام في عام ٧١٢ هـ / ١٣١٢م ببناء أربع سواقٍ على النيل بغرض رفع المياه إلى مستوى القناطر التي تمد القلعة بالمياه؛ وفي عام ٧٤١ هـ / ١٣٤١م أدمج فيها بقايا سور صلاح الدين الذي صُمم ليضم (خرائب) الفسطاط؛ وقد تم ترميم وتمديد هذه القناطر مرات متكررة في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي؛ وعلى الأخص في فترة سلطنة قايتباي وقنصوه الغوري الذي ترجع إليه على الأرجح خزان توزيع المياه المعروف بـ (السبع سواقي) الموجود على النيل.

وهُناك قلعة أخرى ضاعت كل معالمها اليوم؛ كانت قد هُدمت ثم أُعيد بناؤها أكثر من مرة خلال عصر المماليك وهي المعروفة بقلعة الروضة التي شيدها الملك الصالح نجم الدين أيوب؛ وانتشر بالقاهرة عدد كبير من الحدائق لكن معظمها لا وجود له اليوم

بسبب التزايد العمراني الكبير؛ فمن حدائق القاهرة الشهيرة حديقة قصر محمد علي باشا الكبير بشبرا الخيمة التي أُنشئت على النمط التركي وكانت تضم أندر النباتات في العالم؛ وكذلك حديقة الفردوس بالجزيرة؛ وهناك حديقة الأزبكية التي لم تحظ حديقة في مصر كلها بالاهتمام الذي حظيت به؛ وقد اقتطع جزء كبير منها وأقيم فيه ميدان الأوبرا المعروف بميدان إبراهيم باشا؛ وظلت حديقة الأزبكية تتباهى بجمالها مُنذ إعادة تجميلها عام ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨م حتى تعرضت لضياع أكثر من ثلثي مساحتها بسبب المشروعات التعميرية؛ وعلى مسطحات الحديقة الخضراء أُقيمت مباني سنترال الأوبرا ومسرح الأزبكية ومسرح العرائس ومبنى نادى السلاح ومبنى شُرطة النجدة.

ومن الحدائق الشهيرة أيضاً حدائق الأورمان بالجيزة التي أنشئت في عام ١٨٧٥م؛ وكانت تتبع قصر الجيزة وتسلمتها وزارة الزراعة عام ١٩١٧ م؛ وكانت تُعرف بحديقة الأمير حسين كمال وتُحيط بقصره؛ وتُوجد فيها مجموعة نادرة وقيّمة من أشجار الفيكس والبابمو ومجموعات من النباتات المائية والصبار؛ وتضم الحديقة بُحيرة صناعية جميلة تربط شاطئيها قنطرة بديعية صُنعت من جذوع وسيقان الأشجار.

وانتشرت أيضاً بالقاهرة البيمارستانات؛ فقد كانت عمليات الاستشفاء من الأمور التي شغلت بال حُكام المماليك على فترة حُكمهم التاريخية؛ ومن أجل ذلك حرصوا على إنشاء البيمارستانات وتزويدها بكل الأدوات والأدوية التي تتطلبها؛ ويُعد بيمارستان قلاوون أحد البيمارستانات القليلة التي ما زالت آثارها قائمة؛ ويعود السبب في إنشاء هذا البيمارستان إلى نذر من الأمير قلاوون أحد أمراء نور الدين زنكي؛ وكان قد أصابه مرض وهو في دمشق عام ١٢٧٦م؛ فوجد بعض الأدوية في بيمارستان نور الدين الدمشقي؛ وبعد أن شفي نذر أن يُقيم مثله في القاهرة؛ ولمَّا تولى البلاد أوفى بوعده فأقام هذا البيمارستان الذي عُرف باسمه واختار له موقعاً قريباً من موقع القصر الغربي الفاطمي؛ وقد ظل هذا البيمارستان مُستخدماً حتى عام ١٨٥٦م حيث اقتصر استخدامه على مرضى العقول.

واشتهرت القاهرة على مر العصور بالعديد من المساجد؛ فهي أول مدينة دخلها الإسلام في إفريقيا؛ وكان الاهتمام المُتزايد بإنشاء المساجد فيها لدرجة أنه أطلق عليها مدينة الألف مئذنة؛ وقد خلّف الملوك والأمراء الذين تعاقبوا على حُكم مصر العديد من المساجد التي ما يزال الكثير منها موجوداً حتى الآن.

من المعالم الأثرية المُهمة في القاهرة أيضاً مسجد عمرو بن العاص الذي بناه بعد انتهائه من تأسيس مدينة الفسطاط؛ وأقام في وسطها جامعه العتيق؛ وكان في بادئ الأمر بسيطاً يتألف من بيت للصلاة يشغل مساحة صغيرة؛ وكان سقفه مطاطاً جداً؛ ولا صحن له ولا مئذنة؛ وما زال الولاة والحُكام يتناولونه بالإضافة والتجديد على مر السنين حتى اتسعت أرجاؤه أضعاف الجامع العتيق الذي لم يبق منه سوى قطعة الأرض التي شيد عليها؛ فقد زيد فيه وأعيد بناؤه ستة عشر مرة أولها زيادة مسلمة بن مخلد الأنصاري عام ٦٧٣م فأضاف إليه أربع مآذن تعد أقدم مآذن الإسلام؛ وآخر زيادة فيه كانت تلك التي قام بها مُراد بك عام ١٧٩٨م؛ وفي هذه الزيادة بُنيت عقود رواق القبلة في غير موضعها الأصلي؛ فجاءت عمودية على حائط القبلة؛ وكانت في الأصل موازية له؛ والجامع يتوسطه صحن تُحيط به الأروقة من جهاته الأربع؛ وتهدم منها الرواقان البحري والقبلي؛ ولم يبق منها إلا آثار الأعمدة؛ ومع هذا فقد احتفظ جامع عمرو ببعض العناصر المعمارية التي ترجع إلى أصوله الأولى التي نجدها في شبابيكه الجصية.

ومن المساجد الأثرية المُهمة الباقية أيضاً مسجد أحمد بن طولون وهو من أكبر مساجد العالم الإسلامي التي شُيدت في مُنتصف القرن الثالث للهجرة / التاسع الميلادي؛ إذ تبلغ مساحته مع الزيادة أي الفضاء الذي يحيط به من جميع جهاته عدا جهة القبلة ستة أفدنة ونصف الفدان؛ وهو مُشيّد فوق الربوة الصخرية المعروفة بجبل يشكر في الطرف الجنوبي لمدينة القطائع؛ وهو من الجوامع المعلقة؛ إذ يُصعد إلى أبوابه بدرجات دائرية الشكل.

ومن المعالم الأثرية والحضارية الباقية أيضاً الجامع الأزهر ويرجع تاريخ بنائه إلى عام ٣٥٩ - ٣٦١ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٢م؛ وقد أمر ببنائه المُعز لدين الله الفاطمي؛ وشُيد على طراز قريب من طراز جامع ابن طولون؛ ويُعد هذا المسجد من أهم معالم الفاطميين الباقية حتى اليوم؛ وأول عمل فني معماري أقامه الفاطميون في مصر؛ ولا يزال قائماً حتى اليوم.

ويقع الأزهر في الجنوب الشرقي من قاهرة المعز؛ على مقربة من القصر الكبير الذي كان موجوداً حينذاك بين حي الديلم وحي الترك في الجنوب؛ وقد زاد كثير من الحكام الفاطميين في بناء هذا المسجد وأُعيد تجديد أجزاء كثيرة منه خلال القرون الماضية؛ كما أضيفت إليه زيادات عدة؛ مما جعل معرفة التخطيط الأصلي للجامع من الأمور الصعبة؛ وإذا كان الجامع لا يزال يحتفظ ببقية من النقوش والكتابات الكوفية والعقود الفارسية

التي تُعد من مُميزات العمارة الفاطمية؛ فإن كُل أجزائه الحالية هي من عصور مُتأخرة؛ وقد كان المسجد يتألف من صحن تُحيط به أروقة؛ ولم يبق من الجامع الأصلي سوى قسم صغير؛ وأصبح الأزهر موضع إعادة تنظيم وترميم وإضافات من جانب أغلب كبار حُكام القاهرة مُنذ الحافظ حتى قايتباي الذي أضاف إليه محراباً ومئذنة وكذلك بوابة.

كما أضاف إليه السُلطان الغوري مئذنة ثانية؛ وعندما أضاف قايتباي بوابة المزينين أصبحت المدرستان الطيبرسية والأقبغاوية المجاورتان للجامع ضمن مجموع مباني الجامع؛ علماً بأن البوابة الحالية ترجع إلى العصر العثماني وتنسب إلى عبد الرحمن كتخدا الذي أضاف الكثير إلى مساحة الجامع في ذلك العصر.

وتتمتع القاهرة بالعديد من الحمامات؛ ويذكر أن أول من بنى الحمامات في القاهرة العزيز بالله نزار بن مُعز الدين؛ ومن أشهر حمامات القاهرة القديمة حمام الملاطيلي؛ وأقيم بشارع مرجوش بالقرب من جامع الغمري؛ وحمام المقاصيص الذي يقع بأول عطفة المقاصيص؛ وقد صار هذا الحمام حماماً لدار الوزير المأمون بن البطائحي؛ وكذلك حمام قلاوون الذي يقع في شارع النحاسين؛ ويُعرف أيضاً بحمام المارستان المنصوري.

كما ضمت القاهرة منذ إنشائها العديد من الأسواق؛ إلا أن أغلبها شُيد في نهاية العهد المملوكي؛ وكانت هذه الأسواق تُثير إعجاب التُجار الأجانب بسبب أنشطتها وثرائها؛ ومن أشهر هذه الأسواق سوق خان الخليلي وهو على هيئة قصر مهيب متسع للغاية مبني من الحجر المشذب؛ ويرتفع ثلاث طبقات؛ كما تُوجد في الأدوار السُفلى حوانيت تُحيط بميدان مُربع الشكل يقع في الوسط؛ وفي مواجهتها يوجد صف من العقود المُتكررة المرفوعة على أعمدة رائعة الجمال والمحيطة بها من جميع الجهات؛ وفي هذا المكان يعقد التجار صفقاتهم.

أما الميدان الذي في الوسط فإنه يُستخدم كإطار لبيع البضائع بالمزاد؛ ولعقد صفقات البيع والشراء بالجملة؛ وليس مسموحاً بالإقامة في هذا المكان إلا للتجار ذوي السُمعة الطيبة.

ومن الأسواق الشهيرة الأخرى سوق الفحامين وهو مقر لتجار الفحم البسطاء مُنذ أمد بعيد؛ ومع ذلك ظل مُحتفظاً بهذا الاسم بالرغم من تحويله لمقر لتجار المنسوجات الموسرين؛ وهُناك سوق باب الفتوح وهو في داخل باب الفتوح وبه محلات الجزارين؛ والخضريين؛ والفحامين؛ وعُرفت القاهرة مُنذ تأسيسها بمكانتها العلمية المتميزة؛ فموقعها

كحلقة وصل بين المشرق الإسلامي والمغرب الإسلامي جعل منها مركزاً هاماً.

تميزت القاهرة أيضاً بوجود العديد من المدارس ففي عهد الدولة الفاطمية أنشأ الوزير الكردي ابن السلار الذي كان يعمل في خدمة الدولة مدرسة ابن السلار؛ وقد أُنشئت هذه المدرسة عام ١١٥٢م؛ وكان يقوم على إدارتها إمام عظيم من أئمة المُسلمين؛ وعالم كبير من عُلماء الحديث هو الحافظ السِلفي؛ وفي عام ١١٧١م أنشأ صلاح الدين مدرستين قامت إحداهما على آثار دار تُسمى دار المعونة؛ وكان يحبس فيها من يُراد حبسه؛ فهدمها صلاح الدين وبناها مدرسة للشافعية؛ وقد عُرفت هذه المدرسة باسم المدرسة الناصرية نسبة إلى الملك الناصر صلاح الدين؛ أما المدرسة الثانية؛ فقد كانت للمالكية؛ وسُميت باسم المدرسة القمحية نسبة إلى القمح الذي كانت تحصل عليه من ضيعة بجهة الفيوم وقفها صلاح الدين على هذه المدرسة التي عُرفت كذلك بدار الغزل؛ وبعد سقوط الحكم الفاطمي زاد صلاح الدين على المدرستين السابقتين ثلاث مدارس أخرى هي: مدرسة للفقهاء الحنفية وهي المدرسة السيوفية؛ ومدرسة بجوار الإمام الشافعي؛ وأخرى بجوار المشهد الحسيني.

استمر سلاطين الدولة الأيوبية في بناء المدارس؛ فكانت هناك المدرسة الكاملية (دار الحديث)؛ وهي المدرسة التي أنشأها السلطان الملك الكامل محمد الأيوبي؛ وتُعتبر الدار الثانية في الترتيب بين الدور التي تخصصت في الشرق الإسلامي لدراسة الحديث؛ أما الدار الأولى فهي التي بناها نور الدين زنكي بدمشق؛ وهناك المدرسة الصالحية التي بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب عام ١٢٤٢م؛ وكانت أشبه شيء بجامعة كُبرى ذات كُليات أربع تختص كُل واحدة منها بمذهب من المذاهب الأربعة المعروفة؛ وكانت هُناك المدرسة الفاضلية نسبة إلى القاضي الفاضل؛ وبناها عام ١١٨٥م؛ ولهذه المدرسة شُهرة في التاريخ؛ ومرجع ذلك إلى المكتبة العظيمة التي ألحقها القاضي الفاضل بها وجمع فيها من كُتب العصر الفاطمي وحده مائة ألف مُجلد؛ وكذلك مدرسة الظاهر بيبرس التي أسسها عام ١٢٦٢م وزودها بمكتبة هائلة؛ وجعلها تعنى بسائر العلوم؛ ووقف عليها أوقافاً عظيمة؛ وأسس الظاهر مدرسته هذه على نمط المدارس الأيوبية ولم يكتف بها؛ بل بنى بجوارها مكتباً لتعليم القراءة والكتابة ليتامى أبناء المُسلمين.

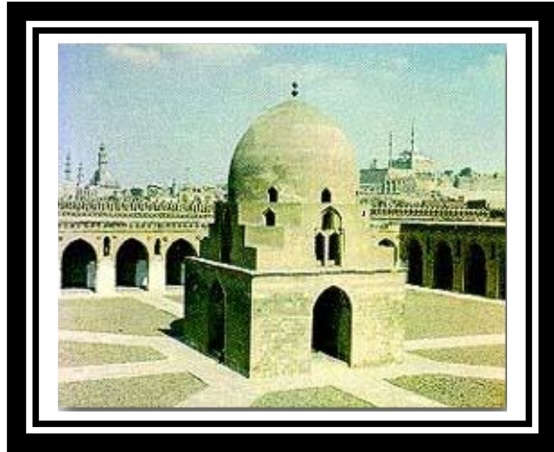


ولعل أهم المراكز العلمية شُهرة بالقاهرة كان دار الحكمة التي أمر الحاكم بأمر الله الفاطمي بإنشائها عام ١٠٠٥م؛ حيث أراد لها أن تكون أفضل من بيت الحكمة الذي ببغداد؛ وقد زود الحاكم هذه الدار بمكتبة عُرفت باسم دار العلم وحُملت إليها الكُتب من خزائن القصور ومن مصادر مُتعددة؛ فكانت فيها كُتب نفيسة ومخطوطات نادرة في الدين والآداب والعلوم بفروعها المُتعددة؛ كما أمدها الحاكم بأمر الله بكل مستلزمات النساخين من أقلام ومحابر وورق؛ وأقيم لها قوام وخدام وفراشون وغيرهم؛ وكانت دار الحكمة تزخر دائما بالفُقهاء والقُراء والنُحاة والفلكيين والأطباء.

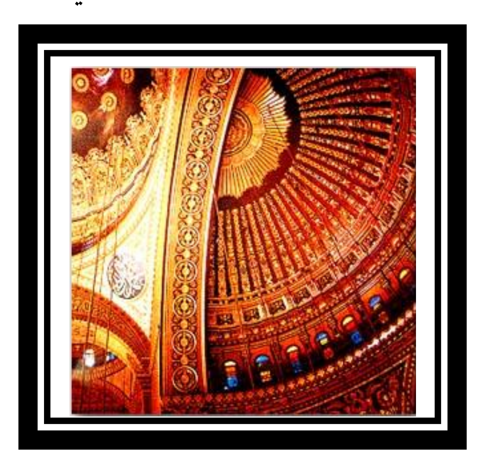
وظلت دار العلم مفتوحة ينتفع الجمهور بما فيها من الكتب إلى عام ١١٢٣م حيث أمر الوزير الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي بإغلاقها بسبب خلافات بين رجالها؛ على أن فترة إغلاق دار العلم لم يطل أمدها؛ فقد أعادها الحاكم بأمر الله إلى ما كانت عليه.

واشتهر من أبناء القاهرة عُلماء أجلاء في مُختلف العلوم؛ ففي العلوم الشرعية اشتهر الإمام الشافعي صاحب أحد أكبر المذاهب الفقهية عند أهل العلم؛ وسعد بن ليث بن عبد الرحمن الفهمي الفقيه إمام أهل مصر في عصره؛ وأبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم مُؤرخ من أهل العلم بالحديث؛ ومن علماء اللغة اشتهر جلال الدين السيوطي وكان من علماء اللغة والشريعة؛ وألف في الفقه والتفسير وعلوم القرآن والحديث؛ ومحمد ابن جلال الدين مكرم بن نجيب الدين المعروف بابن منظور صاحب معجم لسان العرب؛ وأبو الفضل محمد بن عبد الرازق الزبيدي صاحب مُعجم تاج العروس؛ ومن المُؤرخين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي؛ وأبو محمد عبد الله بن يُوسف الأنصاري الشهير بابن هشام؛ كما اشتهر من الأطباء داود الأنطاكي وهو صيدلاني وطبيب ولد في أنطاكية بسورية واستقر في القاهرة؛ وموفق الدين أبو نصر عدنان بن نصر بن منصور الشهير بابن العين الزربي الطبيب وعالم النجوم والرياضيات والمنطق؛ وأبو المنصور عبد الله بن الشيخ السديد وكان عالماً بصناعة الطب خبيراً بأصولها وفروعها.

كما اشتهر فيها من الرياضيين أبو علي الحسن بن الهيثم عالم الفيزياء والبصريات والرياضيات وكان مولده البصرة ثم هاجر إلى القاهرة وعاش فيها؛ ومن الفلكيين أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن يونس؛ ومن الكيمائيين علي بن محمد أيدمر الجلدكي وكان قد تنقل بين مصر ودمشق وألف بعض كتبه في القاهرة والبعض الآخر في دمشق(١).



ومن أشهر آثار القاهرة مسجد ابن طولون؛ وقد قام أحمد بن طولون ببنائه عام ثمانمائة وتسعة وسبعين ميلادية؛ ويقع في حي السيدة زينب بالقاهرة؛ وكان الخليفة العباسي في بغداد قد أرسل أحمد بن طولون ليتولى إمارة مصر؛ وما إن وصل حتى قام ببناء هذا الجامع؛ كما يُعتبر أقدم وأكبر مسجد في مصر كلها؛ كما يحتوي على العديد من الصفات الخاصة؛ والتي لا تتوافر إلا فيه؛ وذلك مثل السُلم الحلزوني الخارجي للمئذنة (الوحيدة من نوعها في مصر)؛ كما يتميز هذا المسجد ببساطة تصميمه؛ حيث يتكون من صحن مفتوح وبه نافورة في الوسط؛ ويُحيط بهذا الصحن أربعة أروقة أكبرها هو رواق القبلة؛ والمسجد مُشيد على الطراز العباسي.



هُناك أيضاً جامع مُميز ولا يقل روعة عن جامع ابن طولون وهو جامع محمد علي؛ والذي يقع في القاهرة؛ وصَمَمه اليوناني يوسف بوشناق؛ وتم بناؤه بأمر من محمد علي باشا حاكم مصر ومُؤسس آخر أسرة ملكية حكَمَتْ مصر؛ وتم البدء في بنائه عام ألفٍ وثمانمائة وثلاثين ميلادية وتم الانتهاء منه عام ألفٍ وثمانمائة وسبعة وخمسين ميلادية؛ وهو

---

(١) صنفتها منظمة اليونسكو مدينة تراثية عالمية عام ١٩٨١م.

مُشيد على الطراز العثماني؛ يحتوي المسجد على قبر محمد علي؛ وهو معروف بمسجد المرمر بسبب كثرة استخدام حجر المرمر في بنائه؛ كما يبلغ طول مئذنته حوالي مائتين وسبعين قدماً؛ ومن ساحته يستطيع الزائرون مُشاهدة منظر رائع للمدينة حتى أهرمات الجيزة؛ وقُبة المسجد مبنية على الطراز العثماني أيضاً ويبلغ ارتفاعها مائة وسبعين قدماً؛ والحاجز الموجود في الجنوب الغربي يُتيح منظراً رائعاً لمسجدي السُلطان حسن وابن طولون وللقاهرة نفسها؛ ويُعد هذا المسجد مزاراً معروفاً للسُياح.

لكن إذا تكلمنا عن السياحة وحُب السُياح لأكثر المناطق الأثرية بالقاهرة؛ فإن أهرامات الجيزة تأتي في الصدارة؛ ولذلك تُعتبر من أكثر الأماكن شُهرة بمصر كلها؛ بل في العالم أجمع؛ وذلك لما تتمتع به من شُهرة عالمية.

وتقع الأهرامات في مدينة الجيزة المجاورة للقاهرة؛ ولكنها لا تبعد عن القاهرة سوى عشر دقائق فقط؛ ذلك لأنه لا يوجد فرق بين مُحافظة الجيزة ومحافظة القاهرة فإنهما يمتزجان معاً ولا يفصل بينهما سوى نهر النيل؛ ويربط بين المحافظتين عدد هائل من الكباري الكبيرة والمُنتشرة بالقاهرة؛ كما تحتوي منطقة الأهرامات على أشهر تمثال بالعالم وهو تمثال أبى الهول؛ والذي بناه الفراعنة ببراعة فائقة؛ كما أنه بُني على شكل فريد من نوعه؛ وذلك لأن رأسه رأس إنسان؛ ولكن باقي جسده جسد أسد؛ وهذا الأمر يرمز إلى قوة الفراعنة؛ وذلك لأنهم يرمزون للرأس إلى أنهم أذكياء؛ ولكن قوتهم كقوة الأسد.

وأهرامات الجيزة من أبدع ما قام به الفراعنة على مر العصور؛ كما يأتي السُّياح من كُل أرجاء الأرض ليُشاهدوا هذا الإبداع الأثري الذي عاش لأكثر من سبعة آلاف عام.

* * * * *

# الإسكندرية

هي مركز مُهم من مراكز الثّقافة والسياحة والتّجارة والزّراعة والصناعة بجمهورية مصر العربية؛ كما تنتشرُ فيها المصانع العديدة التي تُنتجُ مُختلف الأنواع من السّلع الاستهلاكية الغذائية والزّراعية والتعدينيّة والكهربائية؛ وهي ثاني أكبر مُدن جمهورية مصر العربية بعد القاهرة العاصمة؛ وهي من أعظم موانئ البحر الأبيض المتوسّط على الساحل الإفريقي؛ كما تقع على خط عرض ٣١ ° شمالاً وهي بين مدينتي رشيد شرقاً ومرسى مطروح غرباً؛ كما تمرّ بها السكك الحديدية الآتية من القاهرة فطَنْطَا لتصلها بالسلّوم على الحدود المصرية اللّيبية.

ووضع الإسكندر الأكبر حجر أساس المدينة العالمية عام ٣٣١ قبل الميلاد وأوكل مُهمة تخطيطها إلى دينوكراتيس البارع في الهندسة؛ والذي قام بتخطيط المدينة مثل رُقعة من الشطرنج بحيث تكون شوارعها مُستقيمة من الشمال إلى الجنوب؛ وتقطعها شوارع مُستقيمة من الشرق إلى الغرب والعكس صحيح؛ وبين هذه الشوارع شارعان كبيران أحدهما من الشمال إلى الجنوب؛ وأغلب هذه الدراسات تُؤكد أنه شارع النبي دانيال الحالي؛ والثاني من الشرق إلى الغرب هو طريق كانوب القديم أو طريق أبو قير حديثاً؛ أو طريق الحُرية ثُم طريق جمال عبد الناصر؛ والشارع الأول الذي يحمل اسم النبي دانيال الآن شارع صغير مُريح به مجموعة من الآثار الرومانية مثل حمامات كوم الدكة القريبة؛ أو صهريج مسجد النبي دانيال؛ أو آثار البرديسي الواقعة بشارع البرديسي المجاور لسيدي عبد الرزاق الوفائي المُقابل للنبي دانيال؛ وسُمي هذا الشارع بذلك الاسم نسبة للشيخ محمد بن دانيال الموصلي أحد شيوخ المذهب الشافعي الذي قدم إلى الإسكندرية في نهاية القرن الثامن الهجري واتخذ مسجد الإسكندر (هكذا كان اسم المسجد) مكاناً له يُلقي فيه دروسه حتى تُوفي عام ٨١٠ هـ؛ فحمل المسجد اسمه؛ وقامت العديد من الحفريات لكشف وجود قبر الإسكندر تحت هذا الجامع؛ ولكن للأسف لم يثبت صحتها؛ أما تحور الاسم إلى النبي دانيال فربما لقرب المكان من حي العطارين حيث تجارة اليهود والجاليات الأجنبية؛ والأغلب أن الحس الشعبي لا يُفرق مع الوقت بين ولي ونبي.

وأحيطت الإسكندرية القديمة بسور كبير زال واندثر مع الأيام؛ وهذا السور وقف أمامه أنطيوخوس الرابع ملك سوريا حين أراد غزو مصر عام ١٧٠ – ١٦٨ قبل الميلاد؛ ولم يدخل الإسكندرية؛ لكن الذي دخلها كان دقلديانوس الإمبراطور الروماني الشهير

الذي تفنن في تعذيب المسيحيين والذي سُمي عصره بعصر الشُهداء؛ وبإحدى مذابحه بدأ التقويم القبطي؛ فلقد استطاع دقلديانوس دخول الإسكندرية التي كانت قد أعلنت الثورة عليه وخلعته من حُكم روما؛ وأعلنت قائد ثورتها لوكيس دوميتيوس إمبراطوراً.

ووقف دقلديانوس ثمانية أشهر أمام السور بين عامي ٢٦٥ إلى ٢٦٦ ميلادية؛ ثُم نجح في دخول المدينة وحولها إلى حمامات دماء؛ وبعد أن استقرت الأوضاع لدقلديانوس ورفع عنهم جزية القمح التي كانوا مُضطرين لدفعها إلى روما قام السكندريون بتخليد ذكرى دقلديانوس الرهيب بإقامة نُصب تذكاري من أجمل ما حفظته لنا المدينة من آثار ألا وهو عمود السواري الذي يقف شامخاً على ربوة السيرابيوم بكوم الشقافة أو برقودة القديمة؛ أو كرموز الحالية.

والموقع الذي أقيم فوقه عمود السواري كان في نفس الهضبة معبد السيرابيوم الذي أسماه العرب قصر الإسكندرية؛ وكان عمود السواري يتوسط أربعمائة عمود ترفع القصر الذي تهدم؛ والأعمدة نفسها حملها الجنود أيام صلاح الدين الأيوبي وألقوا بها في البحر لتحصين الإسكندرية؛ والآن من يغطس في الميناء الشرقي بالإسكندرية يرى هذه الأعمدة الغارقة.

وكان طولها في بدايتها خمسة كيلو مترات وعرضها حوالي الكيلو متر والنصف؛ وبالنسبة لطولها فقد ازداد مع الزمن؛ أما عرضها فلم يزدد كثيراً بسبب بُحيرة مريوط التي تضغط على جنوبها؛ وبحيرة إدكو؛ والصحراء.

ومن أهم أسباب ازدهار الإسكندرية قديماً وجود فنار الإسكندرية الشهير والذي يُعد إحدى عجائب الدُنيا السبع القديمة؛ والذي شيده المُهندس سوستراتوس بن ديكسيانس في عهد بطليموس الأول لينتهي منه في عهد بطليموس فيلادلفوس حوالي عام ٢٨٠ ق. م.؛ كما كان الفنار يرتفع ١٣٥ متراً فوق سطح البحر؛ وكان يهدي السفن إلى الميناء. وكان أيضاً يُستخدم في صرف سفن الأعداء بالمرايا الضخمة التي تعكس حزماً من أشعة الشمس مركزة عند اللزوم؛ ولقد أباد الزلزال الفنار العجيب.

والسبب الثاني المُهم لازدهار الإسكندرية قديماً كان وجود ترعة من المياه العذبة هي ترعة (شيدا)؛ ومكانها الآن سوق شيديا لابد؛ أو على الأقل مكان جزء منها؛ وكانت الترعة تربط بين النيل والميناء أي بين الإسكندرية وأعماق القارة الإفريقية؛ ولكن اندثرت الترعة؛ واضمحل شأن الإسكندرية؛ واحتاجت إلى ترعة أخرى في العصر

الحديث شيدها محمد علي باشا؛ وهذه الترعة حملت اسم أحد أبنائه حيث سُميت بترعة المحمودية؛ وأدت هذه الترعة إلى ازدهار الإسكندرية في العصر الحديث؛ فلقد مضى زمن طويل على الإسكندرية وهي مقطوعة الصلة بالقاهرة؛ وإبان العصر التركي والمملوكي كانت قلعة قايتباي التي أقيمت مكان الفنار القديم تُستخدم كسجن ومنفى للخصوم؛ وصدرت أوامر محمد علي باشا ببدء حفر الترعة عام ١٢٣٣ هـ / ١٨١٩م؛ وأن تُعمق حتى تجري فيها المياه صيفاً وشتاءً؛ وأمر حُكام الجهات بجمع الفلاحين للعمل (والكلام هُنا للجبرتي) فكانوا يربطونهم قطارات بالحبال وينزلون بهم من المراكب؛ ومات الكثيرون منهم من البرد والتعب؛ وكُل من سقط أهالوا عليه تُراب الحفر.

وانتهى العُمال من حفر الترعة عام ١٨٤٠م؛ وبلغ سُكان الإسكندرية ستين ألفاً؛ وفي عام ١٨٤٨ م بلغوا مائة وثلاثة وأربعين ألفاً؛ ومن هذا الإحصاء تعرف ما الذي أضافته الترعة للمدينة التي تسلمها محمد علي باشا وسُكانها لا يزيدون على الثمانية آلاف.

وقديماً كانت المساحة المُطلة على الميناء الكبير هي حي القصور الملكية المُمتدة حتى السلسلة؛ وفي هذا الحي الملكي شُيدت أروع معالم العاصمة؛ وإلى جانب القصور شُيدت الحدائق والنافورات والمتاحف ودار الحكمة ومعبد بوسايدون إله البحار؛ ومعبد قيصرون ابن كيلوباترا؛ وفي هذا الحي الملكي شُيدت أيضاً مكتبة الإسكندرية الشهيرة؛ ودار القضاء؛ و(البانيون) ذلك التل الكبير الذي أقامه أهل الإسكندرية تكريماً للإله (بان) بحيث يطل من يقف فوقه على المدينة كُلها؛ وبقايا هذا التل هي ما يُعرف بكوم الدكة الآن؛ وهي تلك التي نصب عليها نابليون مدافعه؛ والتي كان على سفحها مُعسكرات قوات (بلوك النظام) قبل الثورة؛ ينطلقون منها لمقاومة المُظاهرات.

حي كوم الدكة هو الحد الفاصل بين الشمال والجنوب؛ فبعده يترامى الجنوب بأحيائه الفقيرة كُلها مُمتدة حتى كرموز؛ وتمتد بالطول تماماً كالإسكندرية؛ لتشمل مينا البصل وباب الكلاسة والقباري حتى المكس الآن بعد أن طالت المدينة واتصلت بالصحراء في الغرب حتى منطقة العامرية؛ وبالزراعة في الشرق حتى منطقة أبي قير؛ وكُما امتد الجنوب إثر زحف أبناء الريف امتد الشمال إثر ازدياد الأجانب في الإسكندرية مُنذ تولي محمد علي باشا حُكم مصر؛ وبعدما ازدهرت المدينة وزاد عدد سكانها قال علي مبارك في الخطط: -

– عندما كثر الإفرنج والأغراب في مدينة الإسكندرية واستوطنوها واستحوذوا على كثير من الفضاء الذي كان بداخل المدينة وضواحيها رغبوا في سُكنى الرمل وهي قرية شرقي المدينة بينها وبين أبي قير؛ وأكثروا من شراء الأملاك لقلة ثمن الأرض آن ذاك.

ويقول أيضاً: في آخر زمن المرحوم سعيد باشا بدأ الناس في سكن جهة الرمل خارج المناطق العسكرية؛ فاتسعت المدينة وكثر سُكانها حتى بلغ عددهم عام ١٨٧٢ م ٢١٢٠٤٣ شخص؛ من ضمنها ٤٧٣١٦ من الأغراب من ملل مُختلفة (أي أجانب).

ونجد أن أسماء المحطات والشوارع في الشمال والجنوب تُريك إلى أي مدى كانت الإسكندرية مدينة العالم الحقيقة ابتداءً من (اكوس) إلى (سوتر) و(شوش) و(ستانلي) و(فيكتوريا) و(كامب شيزار) وغيرها من أسماء الشوارع المنتشرة هنا وهناك بالإسكندرية؛ وبصفة خاصة منطقة كرموز؛ والتي تُعد أصل الإسكندرية حيث تجد على رأس كُل شارع لافتة تحمل اسمه اليوناني القديم؛ ثم اسمه العربي الحديث.

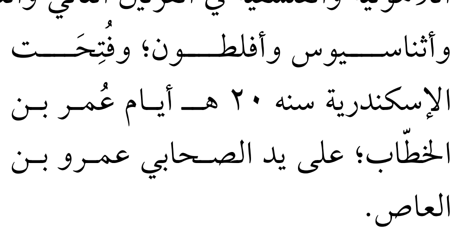
وأهم الصناعات القائمة بالإسكندرية هذه الأيام صناعة الغزل والنّسيج؛ والصناعات الكيميائية؛ وتكرير النفط؛ والأسمدة؛ والمُنظفّات والمُبيدات؛ وصناعة الأسمنت؛ والعطور؛ والأدوية؛ والزّجاج؛ والورق؛ والصّابون؛ والأسلحة؛ والذخائر؛ واستخراج الزيوت؛ وصناعة مواد البناء والطباعة؛ والخزف؛ والبورسلين؛ والبلاط والمفروشات؛ وبها الصّناعات التّحويلية؛ كصناعة البرّادات والغسّالات والجرارات الزّراعية.



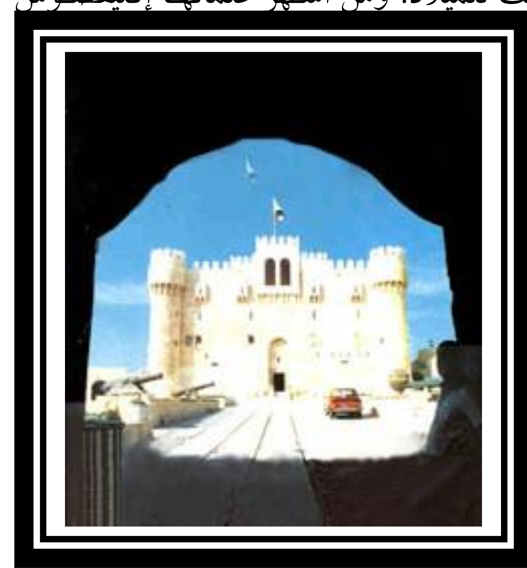
وهي مركز سياحي مُهم يقصده السُياح والمُتنزّهون من أنحاء العالم كافّةً؛ وأهمّ معالمها السياحية مُتحف الأسماك الحيّة؛ والعديد من الآثار الرّومانية والعربية والإسلاميّة؛ وهي منارة العلم والتّخصص بجامعاتها ومعاهدها العلميّة المُختلفة؛ فهي مدينةٌ تاريخيّة ضخمة وقديمة؛ وكان يُطلق عليها اسم (الإسكندرية العُظمى)؛ وبناها الإسكندر المقدوني عام ٣٣٢ قبل الميلاد؛ ولما مات حُمِلَ

إليها فدُفِنَ فيها.

وقيل عن الإسكندرية قديماً أنها كانت تُضيء بالليل بغير مصباح لشدّة بياض رخامها ومرمرها؛ وكانت أسواقها وشوارعها وأزقّتها مُقنطرة لئلا يُصيب أهلها شيء من المطر؛ وكان عليها سبعة أسوار من أنواع الحجارة المُختلفة الألوان؛ ومِن أهمّ معالمها منارتها المعروفة باسمها؛ وكانت إحدى عجائب الدّنيا السّبع؛ وقيل إنها بُنيت على كُرسيٍّ من الزجاج على هيئة السّرطان في جوف البحر؛ وعلى طرف اللسان الداخل في البحر من البر؛ وكانت أعلاها تماثيل من نحاس؛ منها تمثال يشير بسبابته نحو الشمس أينما كانت من الفلك؛ ومنها تمثال يشير إلى البحر بيده إذا صار العدو منه على نحو من ليلةٍ؛ فإذا دنا وجاز أن يرى بالبصر سُمِعَ لذلك التّمثال صوت هائل فيعلم أهلُ المدينة أنّ العدو قد دنا منهم؛ ومنها تمثال كلّما مضى من الليل والنهار ساعةً سمعوا له صوتاً يختلفُ عن الصّوت في الساعة التي قبلها؛ كما اشتهرت بمكتبتها الغنية وبالمدرسة اللاّهوتية والفلسفية في القرنين الثاني والثالث للميلاد؛ ومن أشهر عُلمائها إكليفضوس

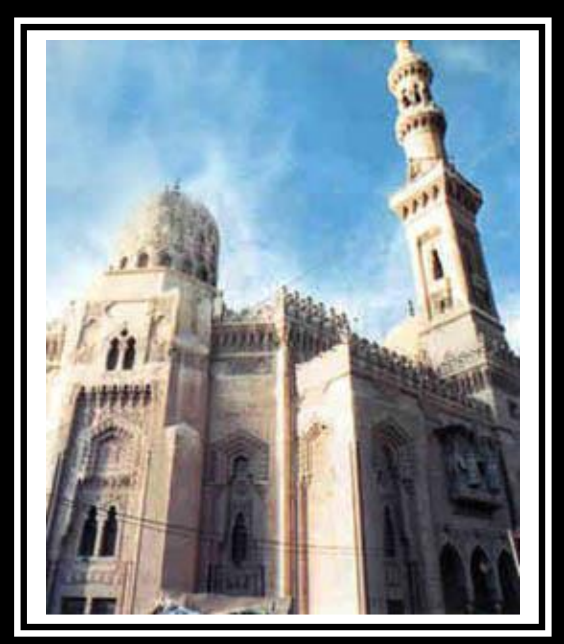


وأثناسيوس وأفلطون؛ وفُتِحَت الإسكندرية سنه ٢٠ هـ أيام عُمر بن الخطّاب؛ على يد الصحابي عمرو بن العاص.



ومن أهم معالم الإسكندرية قلعة قايتباي؛ وهي التي بُنيَت فوق أنقاض منارة الإسكندريّة الشّهيرة؛ وما زالت القلعة تحتفظ بشكل قاعدة المنارة؛ وبداخل القلعة مسجد صغير يُعدّ من أجمل مساجد الإسكندرية وأقدمها.

و(جامع العطّارين) ولم يبق من هذا المسجد الفاطمي سوى لوحة مُسجّل عليها أمر إنشاء المسجد من (أبى النجم بدر المُستنصر)؛ وقيل إنّ المُستنصر؛ عند مشاهدته هذا الجامع خراباً رأى ضرورة تجديده زلفى إلى الله تعالى؛ وذلك في ربيع الأوّل عام ٤٧٧ هـ؛ وقد جُدِّد مرةً أخرى عام ١٩٠١م بأمرٍ من الخديوي عبّاس حلمي؛ وأخيراً في السبعينيات؛ ومئذنته الحالية من أجمل مآذن الإسكندرية؛ وهي من الطّراز الشائع في عصر المماليك الشّراكسة.



ومن أشهر مساجد الإسكندرية مسجد سيدي أبى العباس المرسى الذّي كان مقبرةً متواضعةً؛ وبُنِيَ المسجد الكبير الحالي في الثلاثينيات من هذا القرن؛ ويتمّ الآن تطوير الميادين المُحيطة به؛ وكَثُرَت المساجد الحديثة في الإسكندرية خلال حقبة الثمانينيات وأوّل التسعينيات من القرن الفائت؛ ومن أحدث هذه المساجد مسجد المدينة الذي أُقيم عند مدخل الضاحية الجديدة غرب الإسكندرية في حيّ العَجَمي.

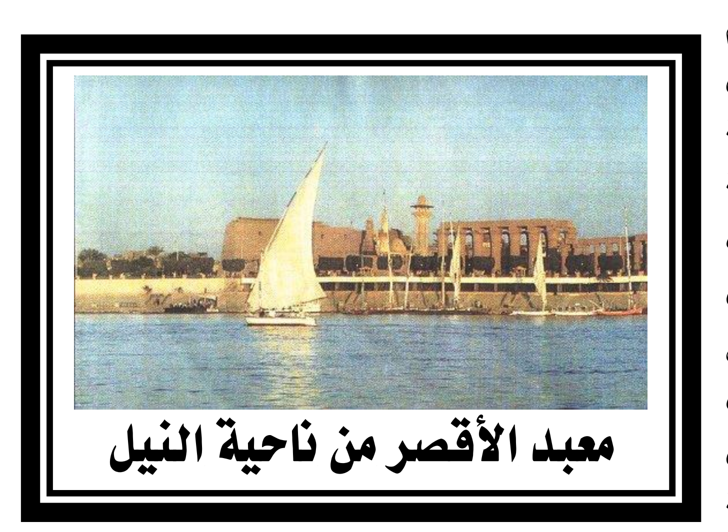
* * * * *

# الأقصـــــر

هي مدينة التاريخ والحضارة التي تمتد جذورها في أعماق التاريخ شاهدة على عظمة الإنسان المصري الذي سما بعلومه وفنونه مُنذ سبعة آلاف عام؛ والتي تُعتبر جامعة مفتوحة للتاريخ الإنساني في عصوره المُختلفة.

وتتكون مدينة الأقصر من شطرين البر الشرقى والبر الغربى يفصلهما نهر النيل؛ وكان يُطلق على البر الشرقي مدينة الأحياء في العصور الفرعونية حيث المعابد الدينية وقصور الملوك وعامة الشعب؛ وكان يُطلق على البر الغربي مدينة الأموات حيث المقابر والمعابد الجنائزية.

ظلت الأقصر قرية صغيرة تابعة لمدينة (قوص) عاصمة الصعيد بعد الفتح الإسلامي لمصر؛ ولم يتوقف العدوان والتخريب على تراثها إلا عندما جاء نابليون بونابرت فبهرته عظمة آثارها وسمو حضارتها وروعة عمارتها وفنونها؛ وبعدما تمكن العالم الفرنسي شامبليون من فك طلاسم الكتابة الهيروغليفية (الكتابة النقشية للغة المصرية القديمة) ومن هذا التاريخ اتجهت الأنظار إلى مدينة الأقصر؛ وسُلطت الأضواء على معابدها الخربة؛ ثُم تحولت مدينة الأقصر إلى مركز إداري تابعٍ لمدينة إسنا؛ فمدينة تابعة لُمحافظة قنا؛ شأنها شأن أية مدينة صغيرة أخرى مما أورثها تركة مُثقلة من الإهمال؛ وطوق العدوان البشري والامتدادات العُمرانية العشوائية أغلى كنوز العالم؛ وقد أصبحت الآن محط أنظار السُياح من شتى البقاع وقبلتهم التي يحجون إليها.



معبد الأقصر من ناحية النيل

ويوجد في الأقصر وحدها أكثر من ٣٠ % من الآثار الموجودة في العالم أجمع؛ وتبعد مدينة الأقصر عن القاهرة حوالي ٦٧٠ كيلو متراً؛ وقد عُرفت في الزمن القديم باسم

(وَاسِتْ) وهى كلمة تعنى (الصولجان)؛ وفي هذه المدينة ظهرت عظمة مصر؛ وعظمة الأسرة الثامنة عشرة؛ وأصبحت لمُدة كبيرة سيدة مدائن العالم القديم؛ وكانت مدينة واسعة؛ ولها أبواب مُتعددة؛ ولذلك سماها مُؤرخو الإغريق (المدينة ذات المائة باب).

وكعادة المصريين القُدماء؛ جعلوا مدينة الأحياء على الشاطئ الشرقي للنيل؛ ومدينة الأموات على الشاطئ الغربي للنيل؛ فالحياة شروق والموت غروب؛ وتوجد بالبر الغربي مقبرة (توت عنخ آمون) التي أدهشت العالم.

وكانت مدينة (طيبة) في أول الأمر منازل منشورة؛ وقُرى متفرقة صغيرة؛ وعندما أصبحت مقراً للفرعون تجمعت هذه القرى لتُصبح مدينة واحدة تشمل المسافة من معبد الأقصر وحتى معبد الكرنك تقريباً؛ ويربطهم طريق الكباش بمسافة ٣ كم.؛ وانتقلت إلى (طيبة) زعامة البلاد بعد مدينة (منف) فسيطرت على شئون البلاد في مصر مُدة اثني عشر قرناً من الزمان؛ بل إنها كانت تُدبر مصائر الدول في العالم القديم وقتها؛ وقد تم تشييد الكثير من المعابد؛ وارتفعت مبانيها ومنازلها؛ وأصبح الإله (آمون) رب الأرباب؛ وسيد آلهتهم؛ وكان الملوك يجلسون على العرش باسمه.

ولأن (طيبة) هي المكان الذي انطلقت منه شرارة التحرير؛ وهى مقر (آمون رع) الذي استعانوا به ليُصبح الجهاد ضد الهكسوس مُقدساً؛ فلقد ظل الخُلفاء يُحاربون تحت راية (آمون)؛ وينسبون انتصاراتهم إلى تأييده ونصره؛ وكانت الجيوش المُحاربة تتحرك بالتالي من ساحته لتعود ظافرة تحت راية الفرعون مُحملة بالغنائم والكنوز من بُلدان العالم القديم.


طريق تماثيل أبى الهول

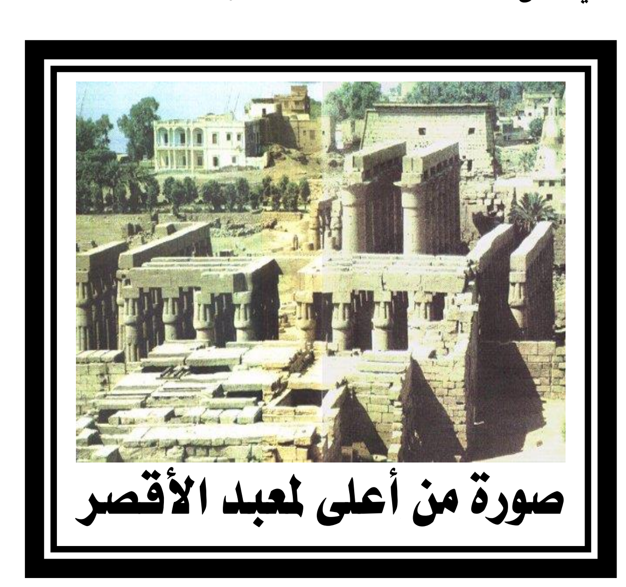
أصبحت عمارات (طيبة) ومبانيها حديث العالم القديم؛ وتحدث شُعراء اليونان عن جمال المدينة وعظمتها؛ وحياة الترف التي يعيشها أهلها.

هُناك عدة روايات عن اسم المدينة؛ فيقولون إن (طيبة) اسم مصري أصيل؛ حيث كانوا يطلقون لفظ

(إيبة) على بعض أماكنها المُقدسة؛ ثُم أضيفت إليها أداة التعريف المصرية (تى) فأصبحت (تيبة)؛ ويقولون أن الإغريق القُدماء شبهوها بمدينتهم المشهورة (طيبة) **Thebes**؛ ولكن الرأى الأول هو الأرجح والأقرب للعقل؛ لأنه لا وجه للمقارنة بين (طيبة) المصرية؛ ومدينة (طيبة) اليونانية.

أما الاسم الحالي الذي يعرفه الجميع (الأقصر) فهو اسم عربي صميم؛ فبعد أن فتح العرب مصر بهرتهم (طيبة) بمعابدها التي سموها قصوراً عندما شاهدوها؛ وأطلقوا عليها (الأقصر) (وهى جمع لكلمة قصر). وعموماً كان التُجار العرب الذين يأتون بالتوابل والبهار من الجنوب عن طريق (قفط) (عند قنا تقريباً) يعرفون هذه المدينة؛ ويعرفون أخبارها.

ومدينة (طيبة) لها شُهرة قديمة في الحفاظ على التقاليد الفرعونية للبلاد لمُدة طويلة؛ فهناك عصر الإمبراطورية الطيبية الأولى (٢٠٦٠ - ١٦٨٠ قبل الميلاد) أيام الدولة الوسطى حيث اتحدت مصر على أيدي أهل (طيبة) بعد أن كانت مُتفرقة إلى مقاطعات.


صورة من أعلى لمعبد الأقصر

وهناك عصر الإمبراطورية الثانية أو الدولة الحديثة (١٦٨٠ - ٩٥٠ قبل الميلاد) وقد بدأ هذا العصر بحرب التحرير ضد الهكسوس الغُزاة الذين كانوا يسيطرون على الأقاليم الشمالية كُلها؛ وانتهت هذه الحرب بالانتصار الساحق لطيبة؛ وطرد الهكسوس من مصر نهائياً؛ بل إنهم تعقبوهم بشراسة حتى بلاد الشمال.

وفى خلال هذين العصرين ظهر تاريخ (طيبة) في مظهرين مُختلفين؛ فالعصر الأول وهو الذي يتميز بالملوك الذين تسموا بأسماء (أمنمحات)؛ و(سنوسرت) في الأسرة الثانية عشرة (١٩٩٢ - ١٧٨٥ ق. م)؛ وكان عصر تنظيم سياسي واجتماعي؛ وعمل فيه الملوك على تدعيم حُكمهم كفراعنة؛ والقضاء على سُلطة أمراء الإقطاع.

أما العصر الثاني فهو العصر الذي ظهر فيه الملوك الذين حملوا أسماء (أمنحوتب) (أمنحتب)؛ و(تحتمس) في الأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ - ١٣٢٠ ق. م) و(سيتى الأول)؛ و(رمسيس الثانى) في الأسرة التاسعة عشرة (١٣٢٠ - ١٢٠٠ ق. م) و(رمسيس الثالث) في الأسرة العشرين (١١٩٨ - ١١٦٦ ق. م)؛ وكان هذا العصر عصر استقرار وازدهار من ناحية السياسة الداخلية؛ وقد ساعد هذا الاستقرار فراعنة مصر على نشر نفوذ البلاد وسلطانها في بلاد الشرق الأدنى؛ وامتد هذا النفوذ في سوريا وفلسطين شمالاً وبلاد النوبة جنوباً.

وما زالت آثار ذلك العهد الزاهر باقية إلى الآن؛ ومدينة الأقصر تحتاج إلى أسبوع على الأقل لكي يُشاهد زائرها على عجالة ما بها من آثار؛ فكما يعلم الجميع فمدينة الأقصر بها ثلث آثار العالم أجمع؛ فهي أكبر مدينة بالعالم بها آثار.

أما عن آثار الدولة الوسطى فلقد اندثر معظم هذه الآثار للأسف؛ وذلك لأن ملوك الدولة الحديثة وضعوا نصب أعينهم عملية استبدال آثار الملوك السابقين عليهم بمبانٍ أخرى أعظم شأناً بحيث تتناسب وعظمة هذه المدينة وقوتها الإمبراطورية.

ولم يُصب التفكك مدينة (طيبة) إلا في القرن العاشر قبل الميلاد؛ ثُم تحطمت عندما غزتها جيوش (آشور بانيبال) عام ٦٦٣ قبل الميلاد؛ وقامت بتدمير مُعظم بيوتها؛ وعندما

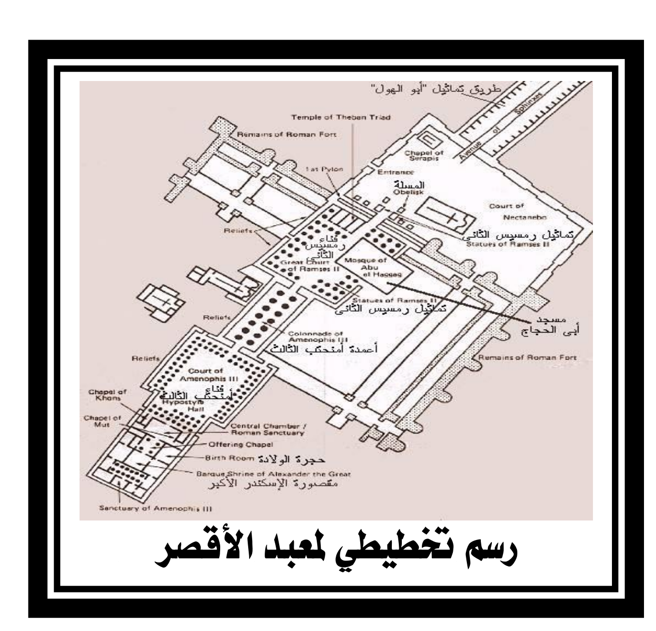
أعمدة معبد الأقصر

غزا الفُرس مصر عام ٥٢٥ ق. م؛ عاثوا في معابدها فساداً؛ ثم أتى الزمن والتخريب والسرقة على الباقي؛ فلم يبق على الشاطئ الشرقي إلا بقايا من معبدي الأقصر والكرنك؛ وقد اختفت تلك المباني الهائلة التي كانت قائمة من غير شك حول تلك المعابد؛ والسبب أن القصور والمنازل كانت مبنية من الطوب اللبن فلم تتحمل ما سبق ذكره من تخريب؛ أما المعابد فكانت أكثر مقاومة لأنها بُنيت من أحجار ضخمة فبقيت في حالة لا بأس بها.

ولقد قام بعض ملوك البطالمة الذين حكموا مصر في حوالي عـام ٣٠٠ ق. م بإعـادة بناء كثير من المعابد؛ كما أضافوا بعض المباني لمعابد أخرى؛ ولا تزال آثـار ذلـك واضـحة في مباني معابد الكرنك؛ وكذلك بعض المعابد الجنائزية بالشاطئ الغربي.

إن مُعظـــم المُنشـــآت الموجودة بالأقصـر تم بناؤهـا في عهد الأسرة الثامنة عشرة؛ وبدأ الملك (أمنحوتب الثالـث) ببنـاء معبـد الأقصـر العظـيم؛ وقـام بتقليد الطريقـة القديمـة جـداً في العمـارة؛ مُقلـداً طُـرق الأسـرة الثالثة عشر؛ كما التزم بالطريقة القديمة التي تبدأ بعمل الصـرح؛ ثُم يلي ذلك فناء مكشوف؛ ثُـم بهـــو الأســـاطين (الأعمـــدة الكبيرة) الذي يُؤدى إلى بهـوين صـــغيرين جـــداً للأســـاطين؛ والبهـو الأخـير فيهمـا يُلاصـق مقصـــورة تُســـمى (المـــاميزى) **Mammisi**؛ واســـــــتراحة المراكب التي كانت أصلاً عبـارة عن مظلة من الخشب؛ ثُم أخيراً قاعــة القــرابين؛ ثُـــم قُـــدس الأقداس؛ وهذه الأجزاء جميعها تكون معبـد (الحـريم الجنـوبي) التـــابع لمعبـــد (آمـــون رع) بالكرنك.

**مقصورة تحتمس الثالث بمعبد الأقصر**




**رسم تخطيطي لمعبد الأقصر**

وهكذا أصبح معبد الكرنك هو قصر آمون الرسمي؛ كما أصبح معبد الأقصر منزلـه الخاص الذي يقضى فيه مع عائلته فترة من الراحة والاستجمام في ميعاد مُحـدد مـن كُـل

عام؛ أما المعبد نفسه فيقع على شارع الكورنيش أمام النيل مُباشرة؛ وعند مُنتصف جدار المعبد تقريباً؛ كما يُوجد باب صغير يؤدي إلى داخل المعبد؛ وهذا هو المدخل المُخصص لدخول المعبد الآن؛ وهو يُوصل إلى مُنتصف المعبد في ذلك الفناء المعروف باسم فناء (أمنحوتب الثالث).

ومساحة المعبد حوالي أربعة أفدنة؛ وقد بدأ في بنائه الملك (أمنحوتب الثالث) من عام ١٤٠٥ – ١٣٧٠ قبل الميلاد تقريباً؛ وهو من ملوك الأسرة الثامنة عشر؛ وقد أقام هذا الملك مُعظم مباني معبد الأقصر؛ واشترك في إنشاء وإقامة هذا المعبد كُلٍ من (توت عنخ آمون) والملوك (آى)؛ و(حور مُحب)؛ و(سيتى الأول)؛ كما أجرى الملكُ (رمسيس الثاني) توسعات في المعبد؛ ولقد سجل (توت عنخ آمون) مناظر موكب (عيد أوبت) على الجدران المحيطة بصفي أساطين رواق الطواف؛ وكذلك رحلة (آمون) السنوية التي تنتهي عند الأقصر.

وعندما زار (الإسكندر الأكبر) مصر أراد أن يتقرب إلى آلهة (طيبة) فقام بتشييد مقصورة للإله (آمون) وسط قاعة الهيكل بالمعبد؛ والأمر الذي لا شك فيه أن المعبد أقيم مكان معبد قديم من عصر الدولة الوسطى.

ومحور المعبد يمتد من الشمال إلى الجنوب؛ وبدأ (أمنحوتب) البناء من أقصى الجنوب حتى البهو ذى الأربعة عشر عموداً الذى كان يريد أن يجعله فناء ثانياً؛ ولكنه مات قبل أن يتم مشروعه. وقد اقتصر خلفاؤه على بناء الجدران التي تحيط بالأعمدة.



طريق الكباش أمام المعبد

أما الملك (رمسيس الثاني) فقد أجرى توسعات بالمعبد؛ فأضاف الأجزاء الواقعة أمام معبد (أمنحوتب)؛ وكذلك أعاد استخدام صفى أساطين الرواق؛ وهُما نقطة وصول طريق تماثيل (أبى الهول) التي تربط معبد الأقصر بمعبد الكرنك؛ للربط بين فناء (أمنحوتب الثالث)؛ وفناء أمامي جديد تكتنفه الصُفات. وشيد كذلك

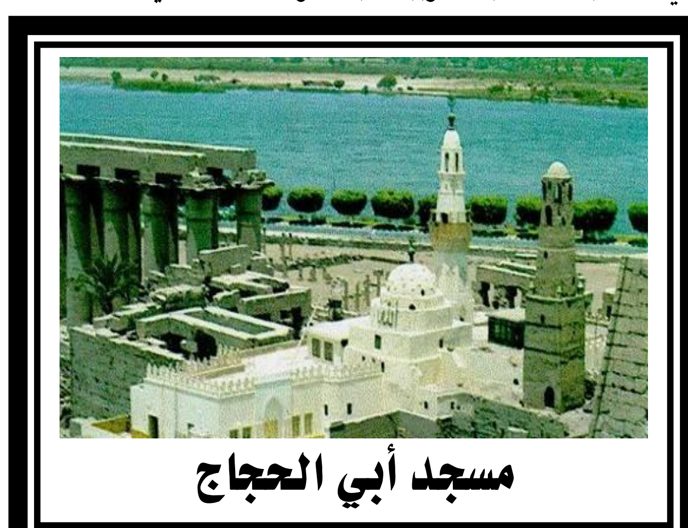
صرحاً شامخاً ذا بُرجين على جانبيه مسلتان؛ وستة تماثيل ضخمة لم يبق منها غير تمثالين؛ أحدهما جالس والآخر واقف في مُواجهة طريق تماثيل (أبى الهول) المتجه إلى الكرنك.

والمُؤسف أن المسلة الغربية نُقلت إلى مدينة باريس لتزين ميدان (الكونكورد)؛ وذلك عندما أهداها (محمد علي باشا) إلى فرنسا عام ١٨٣٦م.

مدخل معبد الأقصر وتمثالي رمسيس الثاني

كما يُمكن رؤية قاعدتها في مكانها إلى الآن وطولها ٢٧ متراً تقريباً؛ وبسبب توسعات الملك (رمسيس)؛ حدث تغير بعض الشيء في محور المعبد؛ ولقد احتل مسجد (أبى الحجاج الأقصري) البُرج الأيسر من الصرح؛ وزُينت جدران الصرح من الخارج بمناظر معركة (قادش) على نهر (الأورنت) (العاصي).

أُقيم مسجد (أبي الحجاج الأقصري) على جزء من المعبد؛ ويحيط به في كل جوانبه الأربعة صفان من الأعمدة على هيئة نبات البردي؛ وتيجانها على شكل البراعم المُقفلة؛ ولا ينقطع امتداد الأعمدة إلا في الناحية الشمالية الغربية حيث توجد المقاصير الثلاث؛ وهى التي شيدها غالباً الملك (تحتمس الثالث).



مسجد أبي الحجاج

وكان هذا الفناء مكشوفاً؛ وقد انحرف قليلاً عن استقامة محور المعبد على خلاف المُعتاد؛ لكي يتفادى هدم مقاصير السُفن المُقدسة؛ وجُدران هذا الفناء مُزخرفة بالنقوش التي تشمل مناظر

مُختلفة لتقديم القرابين للإله (آمون)؛ كما يُوجد منظر فريد منقوش على الحائط يُمثل واجهة معبد الأقصر؛ والأعلام المثبتة فيه؛ والمسلات والتماثيل التي أمامه بينما يتقدم الأمراء إليه حاملين الهدايا المختلفة لتقديمها لـ(آمون)؛ ومن خلفهم عدد من الثيران التي أعدت للذبح لتُقدم على أنها قرابين.

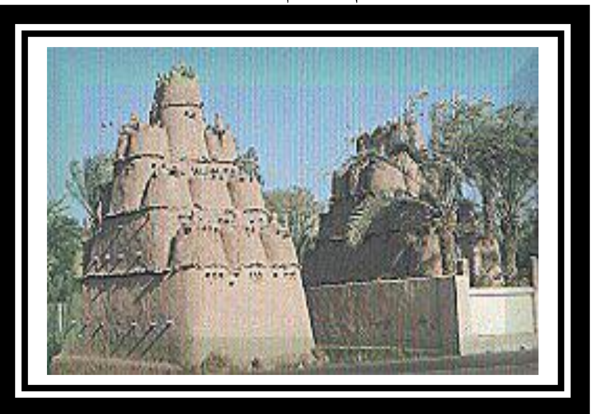
وإذا تعمقت عزيزي القارئ في أرجاء مدينة الأقصر ستجد أنها مدينة عريقة جميلة تزخر بالكثير والكثير من الآثار الهامة التي تستحق الزيارة... وهذا بالطبع خلاف طبيعة أهلها الطيبة؛ وأرضها التي تملؤها الخضرة... فهناك يمتزج النيل بالحضارة مع التاريخ الطويل ليكونوا منظومة فريدة لا تجدها إلا في الأقصر.

* * * * *

# الفـــيوم

كانت الفيوم في العصور القديمة هي المُقاطعة ٢١ من الأقاليم الإدارية للوجه القبلـي؛ وكانت تُسمّى (الشجرة السّفلى)؛ وكانت هي والمقاطعة ٢٠ تُكوّنان مقاطعـةً واحـدةً قبـل أن تستقلّ كلّ منهما عن الأخرى.

سُمّيت الفيوم باسـم (مـير ويـر) أي (البحـر العظـيم) يـوم كانـت المياه تغمـر كـلّ مــنخفض الفيّــوم؛ ثُــم سُــمّيَت (شِــيدت) أي أرض الــبُحيرة المُستخلصـة بنـاءً علـى عمليـات استصلاح الأراضي باستخلاصـها مــن ميــاه الــبُحيرة؛ وفي العصــر اليوناني الروماني أُطلِقَ عليها اسم (كريكوديلوبــــولي) لوجــــود التّماســيح بالمنطقــة والــتي كانــت معبودة بها تحت اسم (الإله سبك)؛ وكان يُطلَـق عليهـا أيضـاً اسـم (برسـوبك) أي (دار الإله سـوبك)؛ وتغيّـر الاسـم إلى (أرسـينوي) تكريمـاً لأخـت زوجـة بطليمـوس الثـاني فيلادلفوس؛ وهو أصل ديموطيقي معناه اليَمّ أو البُحيرة الـتي تحـوّرت إلى فيـوم وأضـيفت إليها أداة التّعريف العربية بعد الفتح العربي فأصبحت: (الفيوم).



تُعتبر السواقي من أهم معالم محافظة الفيوم؛ حيث إنّها المحافظة الوحيدة في مصـر الـتي بها هذا النوع من السّواقي؛ ووفاءً لدورها في نشر الخضرة والزّراعة في ربوع الفيـوم؛ فقـد تمّ وضعها كشعارٍ للفيوم.

ارتبط تاريخ البُحيرة بتاريخ الفيوم مُنذ نشأتها؛ كما أن مساحتها كانت تُغطّي مسـاحة الإقليم كُلّه؛ وهي تُعتبر من أقدم الآثار الطبيعية في العالم.

يتكوّن تصميم شعار علم الفيوم من سواقي ونسر وعلم جمهوريـة مصـر؛ باعتبـار أنّ الفيوم واحدةٌ من أقاليم مصر التي تعتزّ بالانتمـاء إلى الـوطن الأم؛ ويحـيط بالشّـعار إطـار أصفر إشارةً إلى الصّحراء التي تُحيط بالفيوم من كُل مكانٍ؛ وتأخـذ أرضـية العلـم اللـون الأخضر نسبةً إلى الصِّفة الزراعية الغالبة على الفيوم.

تحتفل الفيوم في الخامس عشر من شهر مارس مـن كُـلّ عـامٍ بعيـدها الـوطني تخليـداً

لوقفة شعب الفيّوم ضد الاحتلال الإنجليزي إبان ثورة ١٩١٩م بقيادة حمد باشا الباسل؛ كما تحتفل بهذا التاريخ كذكرى لبدء تنفيذ مشروع مُقاومة البلهارسيا وإتمام مشروع (وادي الرّيان) لحلّ مشكلة الصّرف في بحيرة قارون؛ كما أنّ هذا التّاريخ يقع في شهر الربيع حيث تكون الطّبيعة في الفيوم في أبهي حُللها.

تتعدّد إمكانيات الجذب السّياحي في الفيوم إلى عناصر مُختلفةٍ تُتيح توافر أنواع عديدة من السّياحات؛ كالسّياحة البيئية؛ وسياحة السّفاري؛ والسّياحة الثقافية؛ والسّياحة الترفيهية؛ وأهمّ عناصر الجذب السياحي في الفيوم هي المُناخ المُعتدل؛ والموقع القريب من القاهرة على خط السّير السياحي؛ وتوافر الإمكانيّات التاريخية الحضارية وما خلّفته من آثارٍ ترجع إلى ما قبل الإنسان وما قبل الحضارة؛ والآثار الفرعونية والرومانية والقبطية والإسلامية؛ كما تتوافر الإمكانيات الثّقافية والفلكلور الفيّومي؛ وكذلك النّقاء البيئي.

* * * * *

# جمهورية السّودان




وتقع السودان شرق إفريقيا بحوض النّيل الأعلى وعلى البحر الأحمر؛ ويحدّها البحر الأحمر وإثيوبيا من الشّرق؛ وجمهورية مصر العربية من الشّمال؛ وجمهورية تشاد وجمهورية إفريقيا الوسطى من الغرب؛ وزائير وأوغندا وكينيا من الجنوب. وعاصمتها الرسمية الخرطوم؛ ومساحتها ٢٥٠٥٨١٠ كم٢؛ وطول شواطئها ٨٥٣ كم؛ واللُغة الرسمية هي العربية؛ وعُملتها الجنيه السوداني؛ وهي عضو بجامعة الدول العربية؛ وكانت خاضعة لحُكم محمد علي باشا الكبير عام ١٨٢٠م؛ وفي عام ١٨٨١م ثار السّودان على الخديوي إسماعيل؛ ودخلها الإنجليز عام ١٨٩٨م وضمّوها لمصر تحت اسم (السّودان المصري الإنجليزي)؛ ونالت استقلالها عام ١٩٥٦م.

وتُعتبر السّودان أكبر بلدٍ في إفريقيا؛ وأرضها عبارة عن سهول ساحلية على البحر الأحمر؛ وسهلٍ مُنبسطٍ كبيرٍ في الجنوب؛ وهضاب واسعة في الغرب والجنوب الغربي؛ وصحراء واسعة في الشّرق هي صحراء النوبة؛ وسهل خصب واقع بين النّيل الأزرق والأبيض؛ وفيه منطقة الجزيرة الخصبة؛ كما يتخلّل السودان جبال عديدة أهمّها الجبال المُشرفة على البحر الأحمر لجهة الشّرق والجبال الجنوبية المُحاذية لأوغندا؛ وأعلى قممها قمّة كينيتي التّي يبلغ ارتفاعها ٣١٨٧ متراً؛ وجبل مُرة جنوب غرب الغاشر؛ وارتفاعه ٣٠٨٨ متراً؛ أمّا أنهار السّودان فأهمّها نهر النّيل العظيم بروافده الثلاث النّيل الأزرق؛ وعطبرة؛ والسّوباط؛ وجميعها تنبع من هضبة إثيوبيا. ومُناخ السّودان استوائي حار جاف في مُعظم المناطق؛ وهو مُعتدل على ساحل البحر الأحمر.

السّودان بلد زراعي كبير؛ ويُعدّ القطن المُنتج الزراعي الأوّل المُخصّص لتصدير

الألياف القطنيّة؛ وتُشكّل تربية الماشية قطاعاً نامياً جداً؛ وأهمّ زراعاتها الذُرة البيضاء؛ وقصب السُكر؛ والقُطن؛ والقمح؛ والمانجو؛ والموز؛ والسّمسم؛ والإنتاج المنجمي ضعيف في السّودان؛ وبدأت الخرطوم مُنذ سنين قليلةٍ باستخراج النّفط بكميّاتٍ محدودةٍ؛ وأهمّ الموارد المنجمية الذهب؛ والمنجنيز؛ والكوارتز؛ والرخام؛ والنُحاس؛ وملح الطعام؛ وأهمّ الصناعات بالبلاد صناعة المواد الغذائية؛ ونسج القُطن؛ ومواد البناء؛ وأهمّ الصّادرات الماشية؛ والفول؛ والفُستق؛ والقُطن.

* * * * *

## مدينة بور سودان

وهي من أشهر مُدن السودان؛ وتقع على الساحل الغربي للبحر الأحمر؛ وقد تطوّرت المدينة على جانبيّ المرفأ الطبيعي الذي كان يُعرَف باسم مرسى الشيخ برغوت في موضعٍ على السّهل الساحلي؛ وهو يمتدّ موازياً لساحل البحر الأحمر؛ وتُحيطه تلال البحر الأحمر الصّخرية التي ترتفع لأكثر من ٢٠٠٠م ناحية الغرب.

وتقع المدينة على سطحٍ مُتدرّج الانحدار من الغرب إلى الشرق؛ أرضه من الصّخور؛ وتتّجه المجاري من التلال إلى ساحل البحر؛ وأهمها خور موج؛ وخور كلاب؛ اللّذان يعملان على تصريف مياه الأمطار المُنحدرة من التلال؛ وهي في مجموعها تشغل أجزاءً كبيرةً من مساحة المدينة.

والميناء عبارة عن خليجٍ طبيعيٍ يبلغ طوله ستة كيلو مترات؛ وعرضه ٢٥٠م؛ ويفصل شرقي المدينة عن جُزئها الغربي؛ بينما يفصل خور موج غربي المدينة عن جُزئها الجنوبي.

وبور سودان في المقام الأوّل مدينةٌ خُلِقَت لكيّ تقوم بوظيفةٍ أساسيةٍ واحدةٍ في موقعٍ اختير لجودة إمكانياته الطّبيعية؛ فطبيعة المُناخ في هذا الجزء من السّودان فريدة من نوعها نظراً لغزارة الأمطار الشّتوية والحرارة المرتفعة المقترنة بالرطوبة في فصل الصّيف؛ كما تُمثّل بور سودان الميناء الرّئيسي للسودان في الوقت الحاضر إذ تخرج عن طريقها كُلّ الصادرات من القُطن والمحاصيل الزّراعية والحيوانات من مناطق الإنتاج المُختلفة؛ كما تَرِدُ إليها الواردات من البضائع والسلع والآلات وكل المستلزمات الضّرورية الأخرى؛ ومنها يتمّ توزيعها على سائر أجزاء القطر؛ ولهذا ارتبطت بور سودان بالمدن الكبرى والقرى الهامة؛ والتي يُعتَبر مُعظمها مراكز للتجميع وتوزيع الإنتاج في مُختلف الأقاليم؛ ولقد أدى كُلّ ذلك إلى ربط مناطق الإنتاج والنشاط الاقتصادي بالسكك الحديدية التي تلتقي في النّهاية

لكي تصل إلى هذا الميناء؛ ومن هُنا ارتبطت بور سودان بالإقليم السوداني الكبير أكثر من ارتباطها بمنطقتها السّاحلية التي يُسيطر عليها الجفاف وتسود كلّ الظروف شبه الصّحراوية؛ كما أُنشِئَت مدينة بور سودان في فترة الحُكم الأجنبي بعد أن اختير موقعها كميناء جديد بدلاً من سواكن؛ وخطّطت المدينة ونمت ولم تكن مِن قبل من مراكز العُمران. ومن هنا كانت بور سودان فريدة في طابعها من ناحية موقعها وتخطيطها وحياتها وفي تسميتها الأجنبية؛ في حين أنّ أسماء المدن السودانية الأخرى ترتبط بتاريخ السّودان وأحداثه.

تم اختيار هذا الموقع في عام ١٩٠٥م كميناءٍ جديدةٍ؛ واتّصل بها الخط الحديدي من عطبرة في عام ١٩٠٦م؛ ثُم بدأ العمل في الميناء لإنشاء الأحواض التي اكتملت في عام ١٩٠٩م حينما افتُتِحَت رسمياً من قبل خديوي مصر في تلك الفترة الزمنية.

* * * * *

## مدينة جوبا

اختيرت مدينة جوبا كمقر لرئاسة القيادة العسكرية في الجنوب؛ كما تضمّ مُعظم المصالح الحكومية والمُنشآت العامة والشّركات التجارية في المُديريات الجنوبية؛ كما أصبحت عاصمة الجنوب وحاضرته؛ وهذه المدينة تُعد عاصمة المُديرية الاستوائية التي تُمثّل منطقة الحدود الجنوبية للسّودان مع الدّول الإفريقية المجاورة وهي أوغندا وكينيا والكونغو؛ وتشترك مع مُديرياتٍ أخرى في الحدود مع إثيوبيا وإفريقيا الوسطى؛ عِلماً بأنّ المديرية الاستوائية تجاور خمساً من الدّول الثماني التي تشترك حدودها مع السّودان.

تمتاز المديرية بموقعٍ جغرافي جيدٍ على الضفة الغربية لبحر الجبل؛ وتُمثّل النهاية الجنوبية للملاحة النهرية؛ كما أنّها مركز للطرق البرية التي تربطها مع مُديريتها ومُديريات أعالي النيل وبحر الغزال؛ وهي نُقطة التقاء الطُرق النهرية بالطّرق البرية في الإقليم؛ كما اختيرت كعاصمةٍ للمُديرية الاستوائية عام ١٩٣٠م نظراً لجودة موضعها حيث ترتفع الأرض وتتجه في انحدارها نحو بحر الجبل.

كما أنّها تُمثّل موضعاً جافاً يصلح لقيام المباني المُستديمة التي تتطلّبها مقومات المدينة؛ وكان العامل الإداري هو الأساس في اختيار موقع مدينة جوبا كعاصمةٍ؛ وذلك لأنّ موقع عاصمة المنطقة الاستوائية كان ينتقل من المراكز المختلفة الواقعة في النّطاق القريب من جوبا على بحر الجبل؛ وكُل تلك المواقع استُخدِمَت كعواصم إدارية في الفترات التاريخية.

ترجع أهمّية جوبا كميناءٍ نهري إلى أن مُعظم البضائع والسّلع تُستورد من الشمال. كما تُعتبر ذات أهميةٍ تجاريةٍ كبيرةٍ وتُعدّ مركزاً لتوزيع البضائع والسلع إلى جميع أجزاء المُديرية الاستوائية؛ كما أنّها مركز لتجميع تجارة المُديرية التي يتمّ ترحيلها إلى العاصمة الخرطوم والمُدن الكُبرى؛ وهذه المدينة العريقة تخدم المشاريع الزّراعية الموجودة في مُديريتها وأهمّها مشروع الزاندي الزّراعي في جنوب غرب المُديرية؛ وهو من أهم المشاريع الزّراعية في الجنوب.

المدينة تقع تحت تأثير البيئة الاستوائية؛ إذ تنخفض درجات الحرارة؛ وبخاصّة في الشهور ما بين مايو وأغسطس؛ كما تتميّز بطبيعة تخطيطها الذّي تنفرد به عن المُدن الأخرى في الشّمال؛ وبخاصة من ناحية استخدام الأرض وشكل المباني والشوارع ومواد البناء المُستخدمة وتوزيع السّكان ومِهَنِهم في المدينة.

وتُحيط مدينة جوبا من الشرق الضفة الغربية لبحر الجبل؛ ومن الشمال الأراضي المرتفعة والمنحدرة؛ ولكن الأرض تنبسط في الاتجاهين الغربي والجنوبي؛ وهي المناطق التّي تتوسع عليها حالياً. كما أن الجانب الشّرقي للمدينة لا يُلاصق بحر الجبل مباشرةً؛ ولكنه يترك بينها مساحة خالية تجنباً لأثر الفيضان.

المنازل السكنية بالمدينة (ما عدا منازل السّكان المحليّن) تُشَيَّد من الحجارة والطوب الأحمر والأسمنت. ويُمكن التّمييز بين ثلاثة أنواعٍ من المساكن في المدينة؛ أوّلها هي المُربعات السكنية القديمة في غرب المدينة وكانت تُستَعمل كمنازل سكنية للحُكام البريطانيين؛ وثانيها المنازل التي يسكنها المواطنون الشماليون الذين يعملون في التجارة والأعمال الحُرة؛ وثالثها منازل الأهالي التي تمثّل أكبر مناطق المدينة السكنية؛ وهذه المنازل من القش وفروع الشّجر.

* * * * *

## مدينة الأبيض

تقع مدينة الأبيض السّودانية في وسط مُديرية كردفان على ارتفاع حوالي ٦٥٠ متراً عن مستوى سطح البحر؛ كما تبعد حوالي ٢٥٠ كيلو متراً جنوب غرب الخرطوم. كما تتركّز بالقُرب منها مُعظم مُدن كُردفان مثل أم روابة والرهد وأبو زيد والنهور وبارا والدّلنج؛ وهي في مجموعها تتوسّط هذه المُديريّة.


جزء من مدينة الأبيض

الموضع الذي نشأت عليه مدينة الأبيض يُمثّل أرضاً مُنخفضةً تكثر فيها موارد المياه؛ وترتفع الأراضي من حولها تدريجياً؛ ممّا ساعد على تجميع المياه في هذا المُنخفض وأدّى بدوره لقيام تجمّعاتٍ سكّانيةٍ كبيرةٍ؛ ويُلاحَظ هذا الارتفاع التّدريجي للأرض كُلّما اتّجهنا من قلب المدينة إلى جميع أطرافها. كما أنّ التّلال الرملية تُحيط بالمدينة على شكل قوسٍ يمتدّ من الأطراف الغربية إلى الشماليةِ؛ ويُرجّح أن موضع المدينة كان معموراً ومليئاً بالأشجار الكثيفة؛ وكثرة الأشجار حالياً تدلّ على أن المكان الحالي كان عبارةً عن غابةٍ كثيفةٍ غنيةٍ بالحياة النباتية؛ وكان من نتائج ذلك أن كثيراً من القُرى ظهرت على التلال المُرتفعة الرملية حول مدينة الأبيض؛ وبعيدة عن مناطق الأشجار والمياه التي لم تكن صالحةً للسكن في ذلك الوقت؛ والموضع الذي تقوم عليه المدينة عبارة عن منطقةٍ فسيحةٍ تقطعها المجاري المائية الجافّة والتي تمتلئ بالمياه في شهور سقوط الأمطار؛ بل إن هناك اثنين من هذه المجاري يقطعان المنطقة من الجنوب للشمال؛ وتقع وسط الخورين؛ أقدم وأهمّ أجزاء مدينة الأبيض.

تُعتبر الأبيض من أهمّ مراكز العُمران السّودانية؛ فقد لعبت دوراً كبيراً في النّشاط التجاري لغربي السّودان الذي يُعتَبر أهم مناطق الإنتاج الاقتصادي؛ إذ أنّ للأبيض مركزها التجاري كمصبٍ لإنتاج الغرب المُتمثّل في الصّمغ العربي والقطن والحبوب؛ مثل السّمسم والفول السوداني؛ وفي الوقت نفسه هي سوق لتجارة الماشية والإبل والأغنام؛ وهي أيضاً العاصمة الإدارية الأولى في هذا الجزء من القطر... ومع أهميّة الأبيض؛ فإنّها لم تلق من الدراسات والأبحاث ما أتيح للمُدن الحديثة الأخرى التي نشأت بعدها مثل بور سودان؛ رغم أنّها قامت بدورٍ ملحوظٍ في فترة حُكم المهدية؛ وكانت تحتلّ المرتبة الثانية بعد الخرطوم الكُبرى من حيث حجم السُكان قبل عشر سنوات.

ليس هُناك تاريخ مُعيّن يتحدّد به منشأ مدينة الأُبيض قبل الحكم التركي عام ١٨٢١م؛ ولكن مِن المُعتقد أنّ منطقة المدينة الحالية كانت تشتمل على مجموعةٍ من القرى مبنية

بالقش؛ وكُلّ قريةٍ منها مُنفصلة عن الأخرى؛ وكان سُكّانها يحصلون على المياه من المكـان الحالي الذي تُمثّله مباني المدينة.

* * * * *

## مدينة أم درمـان

هي إحدى مُدن السودان الأكثر جذبـاً للزائرين من الخرطوم؛ فهي من أقصر الطـرق للتعرف على الريف السوداني؛ ويُعد سوقها من أفضل الأسواق في السـودان؛ كمـا تبـدو منطقة السوق كجوهرة تجذب إليها النـاظرين؛ وعلـى مسـافة غـير بعيـدة في شمـال هـذه السوق يُوجد سوق آخر؛ ألا وهو سوق الجمال.

ومن أهم المناطق السياحية الموجودة في هذه المدينة مقبرة المهدي الذي توفي عام ألـفٍ وثمانمائة وخمس وثمانين ميلادية؛ وقد جعلت الحكومة من هذا المكان مقصداً هامـاً؛ وإذا كان من الصعوبة السماح للسائحين بدخول هذه المقبرة فإنه يكفي المنظر الخارجي البـديع لهذه المقبرة التي تأخذ قُبتها شكل عش الدبابير.

* * * * *

## مدينة سالـي

تقع مدينة سالي بمُحاذاة النّيل؛ بالمنطقة الشمالية من جمهورية السّودان بمحافظة دنقـلا ريفي القولد؛ ويحدّها من الجنـوب الخنـدق ومـن الشّـمال قريـة سـوري؛ ويفصـلُ جسـرٌ بينهما. ويحدّها من الشّرق نهر النيل؛ ومـن الغـرب الصّـحراء الكـبرى؛ وهـذه الصـحراء يقطعها طريق درب الأربعين؛ وسُمّيَ هـذا الطريـق بـدّرب الأربعـين لأنّ القوافـل كانـت تأخذ أربعين يوماً للوصول إلى مصر؛ ويعود اسم مدينة سالي السّـودانيّة إلى أشـجار طيّبـة الرائحة كانت مُنتشرةً في تلك المنطقة؛ وقديماً كـان يتغَنّـى الأهـل بهـذه الشـجرة باللّهجـة النُوبيّة كالتالي: -

مينقي باجرو نيمنقي مينقي كيسيرو ساليقي

وهي بمعنى (نكتَحلُ بالكُحل ونتبخر بالسالي) أي برائحـة البخّـور النـاتج مـن هـذه الشجرة؛ وهاتان المادّتان تُزيدان المرأة جمالاً؛ وقد كان وجود هذه الأشجار بكثـرةٍ في هـذه المنطقة؛ وهو سبب تسمية القرية بهذا الاسم.

تقع سالي بمُحاذاة نهر النيل ويشتهر أهلها بزراعـة الـذّرة بالصّـيف والفـول والقمـح

بالشّتاء؛ كما يوجد فيها مشروع زراعي تمّ تأسيسه عام ١٩٤١م. وقد كان يُعدّ هذا المشروع من أقوى المشاريع الزّراعية بالإقليم الشّمالي؛ الولاية الشّمالية حالياً؛ كما تتميّز مدينة سالي بتعدّد أحيائها التي حَملت في نواة وجودها تاريخ المنطقة الاجتماعي والثّقافي والريادي.

* * * * *

# مدينة سنار

تقع مدينة سنار السودانية على ارتفاع ٤٢٧ متراً عن مستوى سطح البحر؛ وتبعد جنوبا بنحو ٢٨٠ كم عن العاصمة الخرطوم؛ وتمتد المدينة على الضفة الغربية للنيل الأزرق في أراضٍ طينية زراعية جيدة.

وترتفع الأرض قليلا في الغرب والجنوب الغربي؛ مما أدى إلى وجود المجاري المائية التي تعمل على تصريف مياه المدينة نحو النيل؛ وهذه المجاري عملت على تشكيل طبيعة الأرض؛ وظهر تأثيرها على تحديد اتجاه العُمران في بعض أجزاء المدينة؛ وأهمها المجرى الرئيسي الذي يتوسط المدينة من الجنوب مُتجها للشمال في وسط المباني؛ ثُم يسير شمال السوق الرئيس ويصب في النيل؛ أما المجرى الآخر فيتجه من الغرب إلى النيل شرقا؛ ويفصل بين السوق الرئيس شمالاً والمناطق السكنية جنوباً؛ وبدأ تطوير المدينة بعد الحرب العالمية الثانية بزيادة المنازل السكنية في المدينة نسبة لارتفاع عدد السكان.

ولم تشهد المدينة التطور الحديث إلا بعد الخمسينيات وذلك بامتداد العُمران جنوباً؛ وأنشئت مباني خدمات التعليم والصحة. وتم اختيار سنار مركزاً لعدد من المصالح الحكومية. ثُم توسعت المباني من الدرجة الثانية في شمال غرب المدينة وهي خاصة بأصحاب المشاريع الزراعية والأعمال التُجارية الحُرة.

وتتوسع المدينة حالياً في اتجاه الغرب التي خُصصت كمناطق سكنية وتعليمية وملاعب رياضية تُمثل حدودها الغربية.

تُعتبر مدينة سنار من أكثر المُدن التي نمت في عدد سُكانها بالمقارنة مع المدن الأخرى. وهي تحتل أهمية كبيرة نظراً لموقعها؛ فهي تُمثل موقعاً مركزياً بالنسبة لمناطق السودان المُترامية الأطراف.

وأصبحت مركزاً لتلاقي السكك الحديدية المُتفرعة إلى جميع الأجزاء؛ كما أنها مُلتقى

للطُرق البرية التي تصلها بمساحات كبيرة من أجزاء القطر مما يجعلها تخدم مُعظم المناطق أكثر من أي مدينة أو مركز عمراني آخر.

ومدينة سنار غنية بالموارد الزراعية المختلفة؛ مثل المشاريع الخصوصية لإنتاج القطن في شرقها وجنوبها؛ وأراضي إنتاج الحبوب المعتمدة على الزراعة المطرية في غربها؛ والجنائن الخاصة بإنتاج الخُضر والفاكهة في شمالها؛ والتي تشتهر بها المنطقة التي تمد بعض المُدن بمثل هذا الإنتاج؛ وهذا يجعلها بالتالي مركزاً لصيانة الآلات الزراعية؛ وبيع الأدوات الميكانيكية اللازمة للاستغلال الزراعي في هذه المناطق.

تتوافر في إقليم المدينة الثروات الحيوانية والغابية والطبيعية المتنوعة التي تُساعد في بناء أسقف المنازل؛ وصناعة الأثاثات المنزلية وإنتاج مواد الوقود مثل الفحم والأخشاب؛ ومواد البناء مثل الطوب الأحمر. وذلك لجودة التربة الطينية ومواد الحريق اللازمة لصناعة الطوب الأحمر في هذا الإقليم.

كذلك فإن توفر الطاقة الكهربائية في هذه المنطقة يُؤدي إلى قيام عدد من الصناعات المُرتبطة بها؛ مثل حلج ونسج الأقطان ومصانع للسماد ومواد البناء والأخشاب؛ وصناعات لتعليب الخُضر والفاكهة ومُنتجات الألبان.

موقع المدينة الحالي بالقُرب من آثار مدينة سنار القديمة يجعلها تُعيد إلى الوجود تاريخ هذه المنطقة الحافل بالبطولات الكُبرى في موقع أكبر عاصمة سودانية قوية؛ وصلت أوجها في نهاية القرن الثامن عشر؛ والتي امتد حكمها من ساحل البحر الأحمر شرقا إلى كردفان غربا؛ ومن الشلال الثالث شمالا لفازوغلي جنوباً. وكانت في مجموعها تُمثل مُعظم مُدن السُودان المعروفة حتى تلك الفترة.

تُعتبر مدينة سنار من أكبر المراكز التجارية وأسواق التجميع؛ وينعكس ذلك في ازدهار سوقها التجاري؛ كما أنها اختيرت كمركز للخدمات الصحية لجنوب مديرية النيل الأزرق؛ ورئاسة لمصلحة الغابات التي تشرف على الإقليم الشرقي من السودان. كما أنها مركز للخطوط الحديدية ومقر للبنوك والشركات التجارية ولمستودعات الوقود؛ هذا مع رئاستها الإدارية لإقليمها.

* * * * *

# مدينة عطبرة

تقوم مدينة عطبرة السودانية على ارتفاع ٣٥٠ متراً عن مستوى سطح البحر. وهي تقع عند التقاء نهر النيل بنهر عطبرة؛ وتُمثل موقعاً جُغرافياً مُمتازاً قامت عليه المدينة إلى الشرق من نهر النيل وإلى الشمال من العطبرة؛ وهي على بُعد ٦١١ كيلو متاًر شمال الخرطوم العاصمة؛ وعلى مسافة ٦١١ كيلو متاًر جنوب وادي حلفا و٤٧٤ كيلو متراً غرب بور سودان.



لذا تمتاز المدينة بقرب موقعها من المواني والعواصم الإدارية؛ كما تربط إقليمها مع أجزاء السودان المختلفة بالخطوط الحديدية والطرق؛ وأدى هذا الموقع المُمتاز إلى اختيارها رئاسة ومركزاً للسكك الحديدية. وتتفرع من عطبرة الخطوط الحديدية إلى بور سودان عبر الصحراء الشرقية؛ وإلى وادي حلفا شمالاً على طول الصحراء النوبية؛ وإلى الخرطوم العاصمة جنوباً.

تظهر الأرض شبه مستوية من موضع المدينة؛ ولكنها ترتفع قليلا في أجزائها الشرقية والشمالية عن مناطقها الأخرى؛ وتتدرج في الانخفاض نحو نهر النيل وعطبرة؛ حيث الخُضرة وكثرة الأشجار؛ بينما يُسيطر الجفاف على المناطق الشمالية والشرقية التي تبعد عنها. وكان من نتائج انحدار الأرض على هذه الصورة أن ظهرت المجاري المائية (الأخوار) بكثرة في هذه المنطقة؛ وقد أثرت في تحديد طريقة العمران واتجاهاته إلى حد كبير. فهناك ست مجاري مائية رئيسية ثلاثة منها في الاتجاه الشمالي الجنوبي؛ أي أنها تنحدر من الشمال وتصب في نهر عطبرة؛ وتمتد المجاري الثلاث الأخرى في الاتجاه الشرقي إلى ناحية الغرب وتصب في نهر النيل الرئيسي. وثلاثتها تُوجد في منطقة قُرى الداخلة والسيالة في شمال غرب المدينة. كما تقوم هذه المجاري بتصريف مياه الأمطار.

تُعتبر فترة ما بعد عام ١٩٥٠م مرحلة التطور الحقيقي في المدينة؛ وبخاصة في انتشار الأحياء السكنية الجديدة لأول مرة؛ والبدء في إعادة تخطيط مُعظم الأحياء القديمة حتى تتمشى مع التطور الحديث؛ إلى جانب التوسع في توفير المياه والإنارة لمُعظم مناطقها؛

ومن ضمن مشاريع إعادة التخطيط ترحيل منطقة الأنادي إلى شرق المدينة وخططت كمنطقة سكنية من الدرجة الثالثة. وفي العام نفسه أعيد تخطيط قرية الداخلة القديمة كمناطق سكنية من الدرجتين الثالثة والثانية إلى الشرق من القرية القديمة. وكان من نتائج زيادة عدد السكان في المدينة والحاجة لمساكن جديدة ظهور منطقة المزاد في شرق المدينة عام ١٩٦٠م؛ وخُصصت للمواطنين من ذوي الدخل المحدود.

خصصت منطقة المطار في شمال شرق المدينة كمناطق سكنية أيضا لسكان قرية السيالة لعدم استيعابهم جميعاً في المنطقة. هذا بالإضافة إلى أن مصلحة السكة الحديد اختارت لُمجابهة التوسع المُتزايد في منشآتها منطقة في شرق حدود المدينة للبضائع والتخزين؛ كما تم تخصيص منطقة مساحتها ١٠٠ فدان للقيادة الشمالية العسكرية في هذا الاتجاه؛ وأضيفت هذه المناطق إلى حدود المدينة. كما اختير مطار عطبرة الجديد في خارج الحدود الشمالية الشرقية للمدينة واستغلال مكانه القديم للأغراض السكنية.

* * * * *

## مدينة كَسلا

أخذت مدينة كسلا اسمها من جبل (كسلا) الذي يُعتَبَر من أهمّ معالم المنطقة التي نشأت فيها المدينة؛ وتُعدّ عاصمة لإقليم شرقيّ السّودان؛ وهي تحمل اسمه؛ وهي العاصمة الإقليمية الوحيدة بعد الخرطوم التّي تحمل اسم مُديريتها.

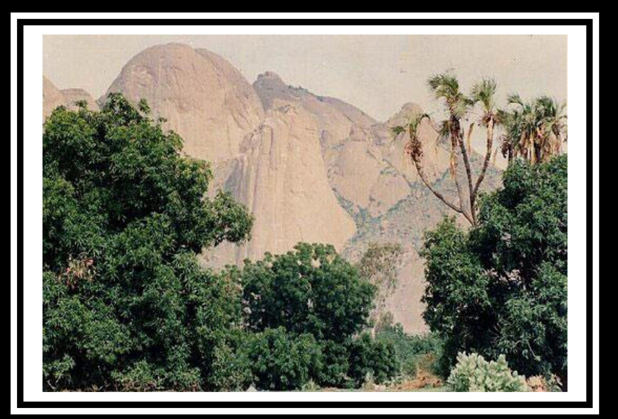
وتقع المدينة على ارتفاع ٤٩٦ م فوق مستوى سطح البحر؛ وعلى مسافة ٤٨٠ كيلو متراً من العاصمة الخرطوم عبر أراضي البطانة؛ وتتوسط أجزاء الإقليم المُختلفة. كما أنّ موقعها على رأس دلتا القاش قد أبرز أهميّة هذا الموقع.

بالرغم من أن المدينة تُعتَبَر من العواصم الإقليمية المُهمّة في السودان؛ إلاّ أنّها لم تلق من الدّراسات المدنيّة الحديثة إلاّ ما يتعرّض لها كظاهرةٍ عُمرانيةٍ ضمن الدراسات الجُغرافية لهذا الإقليم.

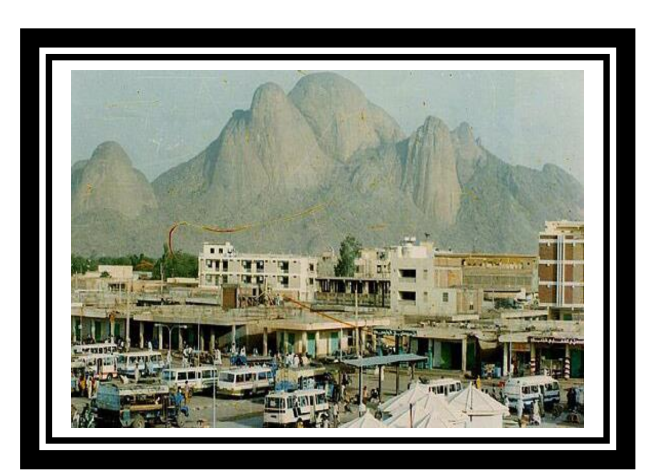
وكسلا مدينة حدودٍ بالدّرجة الأولى؛ إلى جانب وظائفها كمركز للإدارة والتجارة والمواصلات. كما تمتاز بأنّها تقع في قلب إقليمٍ زراعيٍ وفير الإنتاج؛ ممّا أضاف إليها وظيفةً جديدةً بأن جعلها مصدراً لكثيرٍ من المواد الغذائية. وهي مصدر تموين ميناء بور سودان بالمواد الغذائية.

تحتلّ مدينة كسلا حوضاً ضحلاً يرتفع تدريجياً في اتّجاه الجانب الشّرقي. وتقع المدينة

تحت جبل كسلا الذي يرتفع إلى نحو ٨٥١ متراً فوق مستوى السهول المُحيطة بـه. والجبـل كُتلةٌ ضخمةٌ من الصّخور الجرانيتية الملساء تُمثّل النّهاية الشـرقية للمدينـة؛ وتـبرز كعامـلٍ دفاعيٍ مُهمٍ.



وينفصل جبـل كسـلا عـن الـتّلال الإريترية شـرقاً بمسـافةٍ يبلغ اتّساعها حـوالي ٢٤ كيلـو مـتراً. كمـا يقـع في غربـه خـور القـاش؛ وهـو مجـرى مـوسميّ يفيض بالمياه بـين شـهري يوليـو وأكتوبر؛ ثُم يُصبح مجـرى مـن الرّمـال في بقيـة شـهور العـام؛ وفي هذا المظهر الطّبيعي بين جبل كسلا وخـور القـاش نشـأت مدينـة كسـلا. وكـان هـذا الوضع الحَصين يُمثّل آثار مدينةٍ قديمةٍ هي عاصمة الحلنقة. ويمتاز هذا الموقع الذي اختـاره الحلنقـة لعاصـمة بلادهـم بموقعـه علـى الضّـفة الشـرقية للقـاش؛ إذ يبعـد عـن أخطـار الفيضانات التي تحدث دائماً في اتّجاه الغرب؛ وهو في الوقـت نفسـه يُمثّـل أرضـاً مرتفعـةً تتوافر فيها موارد المياه ويسهل السيطرة عليهـا؛ إضـافةً إلى المُميّـزات العامـة للإقلـيم مـن ناحية جودة موقعه بالقرب من الحدود الإثيوبية السّودانية؛ وتقوم المدينة بوظيفـة الحاميـة؛ كما يُؤكّد ذلك موقعها الحصين الذي يتمثّـل في نهـر القـاش وجبـل كسـلا ووفـرة الميـاه؛ وكُلّها تُعطي ميّزاتٍ جديدةً لموضع المدينة.



ترجع نشأة هذه المدينـة إلى عـام ١٨٤٠م عنـدما اخـتيرت بواسـطة القـوات التّركيـة كعاصـمة لإقلـيم التّاكـا؛ وهـي المنطقـة الـتي تقـع حـول دلتـا القـاش. وبهـذا قامـت مدينـة كسـلا في أوّل الأمـر لتخـدم أغراضـاً إداريـةً ذات طـابعٍ عسكريٍ؛ ثُم نمت المدينة حـول

قرية الحلنقة؛ وهي أقدم تجمّعٍ بشريٍ في هذه المنطقة؛ إذ استقر هُنا سُكان هذه القرية مُنذ أوائل القرن التاسع عشر؛ وبعدما هاجروا من التلال الإريترية إلى سهول السودان؛ واختاروا رأس دلتا القاش لاستقرارهم وشيّدوا قريتهم في شرقي النّهر. وقد زاد من أهمّية المنطقة ظهور قرية الختمية في تلك الفترة نفسها تحت سفح جبل كسلا حينما اختارتها العائلة الميرغنية في عام ١٨٤٠م لتكون مركزاً لها. وقد امتدّ نفوذهم الرّوحي إلى أنحاء القُطر المُختلفة؛ ممّا أدّى إلى هجرة كثيرٍ من السّكان؛ وبخاصةً من المُديرية الشمالية لهذه المنطقة؛ واشتغلوا بالزراعة في دلتا القاشٍ؛ وقد ظهرت أهمّية مدينة كسلا في عام ١٨٦٠م كسوقٍ تُجاريةٍ رئيسةٍ ومركز تجميع وتجارة عابرة بين السّودان وإثيوبيا.

كان عُمران المدينة ينحصر حتّى ذلك الوقت في قرية الحلنقة التي تقع إلى جنوبها بعض المباني الحكوميّة؛ وتفصلها الأراضي الزّراعية الواسعة عن قرية الختمية في جنوبها الشرقي. ثُم تطوّرت المدينة حتى أصبحت في عام ١٨٨٠م أهمّ مُدن السّودان الشرقي بعد سواكن. وبظهور الحركة المهديّة كانت مدينة كسلا مسرحاً للحروب التي دمّرت بعض أجزائها.

احتلّ الإيطاليون مدينة كسلا عام ١٨٩٤م؛ واستقرّوا فيها باتفاقٍ مع (كتشنر) تمّ بموجبه تسليم المدينة إلى الجيش البريطاني عندما زَحَف إليها بقوّاته. وقد تمّ بالفعل الانسحاب الإيطالي من المدينة في عام ١٨٩٧م.

كانت مُعظم المباني في تلك المناطق السّكنية من القش وفروع الأشجار؛ وما تزال هي مادّة البناء الأساسية في أحياء غرب القاش والبرنو حتى الوقت الحاضر. وقد ظهر في عام ١٩١٥ م أنّ المدينة كانت منظّمةً مع وجود بقايا الأسوار القديمة وتراجع الطّابع العسكري واستقرار الأمن؛ وأصبح يمتدّ حولها نطاقٌ أخضرٌ من الأشجار يُخفّف من حدّة الرّياح بدلاً من الأسوار التي احتاجت إليها مدينة كسلا في امتدادها عند بداية نشأتها.

انتعشت المدينة في فترة الحرب الإثيوبية الإيطالية بين عامي ١٩٣٦م إلى ١٩٣٩م؛ وبدأت تشهد بدايةً عُمرانيةً؛ وذلك بإنشاء قنطرة تصل بين شرقي وغربي خور القاش؛ حيث كانت تستخدم القوارب كوسيلةٍ للمواصلات قبل ذلك. وتمّ إنشاء حيّ (بانت) إلى الغرب من الخط الحديدي في هذه الفترة نفسها؛ وتشغل المناطق الزراعية في مدينة كسلا مِساحةً كبيرةً داخل حدود المدينة؛ وهذا وضعٌ تنفرد به كسلا عن سائر المُدن السّودانية.

* * * * *

# مدينة مشكيلة

تقع قرية مُشكيلة في شمال السودان على بُعد حوالي ٧٥٠ كيلو متراً شمال العاصمة الخرطوم؛ وعلى بُعد حوالي ١٨٠ كيلو متراً شمال مدينة دنقلا؛ وهي بأرض المحس مُحافظة وادي حلفا على ضفاف نهر النيل عند مُنحنى النهر شرق غرب بين قُرى (أردوان ودلقو)؛ واسم هذه المدينة مُركب من مقطعين؛ أولهما المقطع (مشة) وتعني الشمس؛ والمقطع الثاني (كيلة) وتعني النهاية؛ وبحسب الأساطير السودانية القديمة فمعناها نهاية الشمس؛ أو حد الشمس؛ أو آخر الشمس؛ ولا تقل مساحة القرية الطولية عن ٢٠ كيلو متراً تقريباً؛ ولا يزيد عرضها على خمس كيلو مترات عند أبعد نُقطة لوجود سلسلة جبلية بمُحاذاة القرية؛ ولذا سُميت بأرض الحجر.

* * * * *

# مدينة ودمدنى

نشأت مدينة ودمدني السودانية عام ١٤٨٩م عندما حل بموقع المدينة الفقيه محمد الأمين ابن الفقيه مدني الذي يتصل نسبه بعقيل بن أبى طالب بن عبد المطلب الهاشمي.

بدأت منذ ذلك التاريخ تتكون الأحياء السكنية؛ حيث قام أول ما قام حي المدنين الذي كان يسكنه الدارسون والمريدون للفقيه محمد الأمين. وقامت خلال تلك الحقبة من الزمن صناعة المراكب الشراعية في إطار المركز التجاري الذي اتسمت به المدينة إلى جانب الصناعات المحلية كدباغة الجلود والأحذية.



عندما غزا إسماعيل بن محمد علي باشا السودان؛ اتخذ من مدينة ودمدني قاعدة لقواته التي أرسلها لغزو سنار وفازقلي؛ وانتهت أهمية المدينة كقاعدة عسكرية لجيوش الأتراك بمقتل إسماعيل باشا؛ وعند بداية الحُكم الثُنائي؛ المصري السوداني اتخذت مدينة الكاملين كعاصمة لمُديرية النيل الأزرق. إلا أنه وبحلول عام ١٩٠٢م حولت العاصمة إلى ودمدني. وخلال العشرين عاماً بعد ١٩٠٠م أقيمت محطة للسكة الحديد والمستشفى

الذي كان وحدة عسكرية تابعة للقوات البريطانية؛ ومباني رئاسة المُديرية والمحاكم والبريد والجامع الكبير على امتداد شارع النيل؛ كما بدأ أول تخطيط إسكاني بالحي السوداني وحي القسم الأول؛ وشهدت المدينة مُنذ ذلك التاريخ نشاطا تُجارياً كبيراً؛ وحلت بالمدينة أعداد كبيرة من التُجار والحرفيين.

في عام ١٩٢٩م ضعفت أهمية مدينة ودمدني كمركز تُجاري كان يستقبل يوميا عشرات القوافل المحملة بحاصلات السودان لتتوجه إلى كسلا.

وكان ذلك بسبب اكتمال الخط الحديدي لشرق السودان حتى مدينة كسلا؛ واستعادت ودمدني أهميتها الاقتصادية مرة أخرى بقيام مشروع الجزيرة في عام ١٩٢٥م؛ وتوسعت حركة الأداء الحكومي فيها نسبة للتطور الاجتماعي والإنمائي الذي شمل مُديرية النيل الأزرق بحجمها السابق؛ إلى أن جاء عام ١٩٧٣م حيث بقيت المدينة عاصمة لمُديرية الجزيرة بعد تقسيم المُديريات.

تبلغ مساحة ودمدني في الوقت الحاضر ٦٥ كيلو متراً مربعاً؛ وتضم عددا من المؤسسات المهمة كرئاسة وزارة الري؛ ورئاسة هيئة البحوث الزراعية؛ ورئاسة مشروع الجزيرة؛ وكُلية أبو حراز الزراعية. كما أنها تضم صناعات متنوعة من أهمها صناعة الغزل والنسيج؛ وصناعة الجلود؛ والصناعات الغذائية والكيميائية المُختلفة؛ كما تمتاز المدينة بأنها نُقطة الالتقاء الرئيسية لشبكة الطُرق التي تربط مناطق السودان المُختلفة بالخرطوم وميناء بور سودان؛ وتُعتبر المدينة رائدة في شتى المجالات؛ منها الرياضية؛ والاجتماعية؛ والاقتصادية.

ضم جيش محمد على باشا الغازي للسودان عام ١٨٢١م مجموعات من الأرمن والشراكسة والألبان والارناؤوط؛ واستقر أكثرهم في مدينة ودمدني بعد أن أصبحت العاصمة الجديدة للبلاد في ذلك الوقت. وبعد الفتح الثاني على يد اللورد كتشينر عام ١٨٩٨م وفدت للبلاد هجرات جديدة من



الأجانب؛ وبخاصة من بلاد سوريا ولبنان ومصر واليونان؛ وكانوا يعملون بالتجارة؛ ومُوظفين بدواوين الحكومة؛ ساهم هؤلاء القادمون الجُدد في إضافة معارف وثقافات جديدة للسودانيين؛ وبخاصة في مجال الفنون والآداب؛ وشاعت مظاهر الحضارة والثقافة في كُل مُدن السودان التي استقروا فيها مما ساعد على ذلك ارتباط بعضهم كالشوام والمصريين مع سُكان البلاد الأصليين برابطتي اللُغة والدين؛ وهُما من أقوى الروابط.

ومن تلك المظاهر السالفة الذكر استخدام الآلات المُوسيقية العربية الوافدة في الموسيقي السودانية؛ كما تُعتبر مدينة ودمدني من أولى مُدن السودان التي ظهرت فيها تلك الآلات؛ وبعد سقوط سنار على يد الغزو التركي المصري اتخذها إسماعيل باشا قاعدة لقواته؛ وأصبحت بعد ذلك عاصمة للسودان؛ ثُم انتقلت العاصمة منها للخرطوم؛ واستمرت ودمدني عاصمة للإقليم تحت الحُكم الاستعماري التُركي المصري؛ ثُم الإنجليزي المصري تحت مُسميات النيل الأزرق.



والآن أصبحت ودمدني عاصمة للولاية الوسطى؛ وهي عاصمة لكل من النيل الأزرق؛ الإقليم الأوسط؛ الولاية الوسطى وولاية الجزيرة.

* * * * *

# الجماهيرية الليبية

تقع الجماهيرية الليبية في شمال أفريقيا بين مصر وتونس؛ وعاصمتها طرابلس؛ وتبلغ مساحتها ١٧٥٩٥٤٠ كم٢؛ وطول شواطئها ١١٧٠ كيلو متراً؛ وأخفض نقطة سبخة غزيل ٤٧ م تحت سطح البحر؛ والعُملة الدينار الليبي؛ وهي عضو بجامعة الدول العربية؛ كما أنها عضو بمنظمة الأوبيك؛ وهي دولة عربيّةٌ مُستقلّةٌ؛ يحدّها السّودان ومصر من الشّرق؛ وتونس والجزائر من الغرب؛ والنّيجر وتشاد من الجنوب؛ والبحر المُتوسّط من الشّمال.




تُشكّل الصّحارى القسم الأكبر من أرض الجماهيرية العربيّة اللّيبية؛ بالإضافة إلى هضبةٍ هي امتدادٌ للهضبة الإفريقية؛ وعن سهلٍ ساحليّ يمتدُّ على طول البحر المتوسّط؛ وتنتشر فيها واحات كثيرة؛ وأهمّ جبالها الجبل الأخضر على المتوسّط في الشمال الشرقي؛ وجبال تيبستي في الجنوب؛ ومناخها صحراويّ قليل الأمطار في الجنوب؛ ومتوسطيّ مُعتدل على ساحل البحر المتوسّط.

تجري تربية الماشية في أراضٍ جافّةٍ جداً بطريقة البدو الرُّحل؛ وتقوم الزّراعات النّباتية في الأراضي المرويّة؛ أهمّها زراعة الطماطم والقمح والزيتون والبطاطس والبلح والشعير والحمضيات والعنب واللّوز؛ وتُربّى بها الماشية؛ وبخاصّةً الأغنام والماعز والأبقار والجمال؛ وينشط فيها صيد الأسماك.

يُعتَبر النّفط المورد الوحيد في ليبيا؛ وتنتشر آباره في شتى أراضيها؛ وتتمحور الصّناعة بشكلٍ رئيسيٍّ حول المصافي والصّناعات البتروكيمائيّة؛ بالإضافة إلى مُجمّع مصراتة لصناعة الحديد؛ وأهم الصّناعات صناعة المنسوجات والسّجاد والكيمياء ومواد البناء؛ وصناعة أجهزة التّلفزة التّي تتمتّع بنوعيةٍ جيّدةٍ؛ وإلى الورشة الضّخمة لمشروع النهر الاصطناعي الشّهير؛ وهو عبارة عن عمليةٍ ترمي إلى تحويل شمال ليبيا إلى منطقةٍ خصبةٍ؛ وتقوم على خلق غطاء نباتيّ فوق مساحة

١٨٠,٠٠٠ هكتار من الأراضي المرويّة؛ ومن المفروض أن يؤدّي ذلك إلى هطول الأمطار التي ستقوم بدورها بإحياء النّباتات. كما يرتكز هذا المشروع على جرّ المياه الجوفيّة الموجودة في الصحراء على عُمق ٨٠٠ م على مسافة ١٥٠٠ كم شمالاً إلى بنغازي وطرابلس؛ وغزا الإيطاليون ليبيا عام ١٩١٢م؛ ثُم استقلّت عام ١٩٥١م؛ وحَكَمَها كَمَلِكٍ إدريس السّنوسي عام ١٩٥٠م؛ ثُمّ جاءت ثورة الفاتح من أيلول فخلعته وأطاحت بعرشه عام ١٩٦٩م.

*****

# مدينة طرابلس

تمتاز مدينة طرابلس أو (أويا) كما كانت تُسمى في الماضي البعيد بموقعها الساحلي الجميل على شاطئ البحر المتوسط؛ وقد احتضنت زُرقة البحر ووهج الشمس؛ الأمر الذي جعلها إحدى عرائس البحر المتوسط حيث تمتد سواحلها عشرات الكيلو مترات غرباً وشرقاً؛ فلا غرابة في أن تحتل المكان المرموق بين جميع مُدن ليبيا؛ وأن تكون العاصمة الأولى للجماهيرية.

ومن أهم شوارع العاصمة الليبية شارع الفاتح من سبتمبر والذي يحتضن المدينة من طرفها الشرقي إلى طرفها الغربي؛ ويُشكل جُزءًا من الطريق الساحلي الذي يربط مُدن ليبيا الواقعة على ذلك الشريط الساحلي؛ ويضم هذا الشارع مباني الإذاعتين المرئية والمسموعة؛ وكذلك مبنى أمانة اللجنة الشعبية العامة للإعلام والثقافة والتوجيه؛ ومجمع المحاكم وأمانة اللجنة الشعبية للمكتب الشعبي للاتصال الخارجي؛ والعديد من السفارات والبعثات الدبلوماسية العربية والأجنبية؛ ويضم هذا الشارع أيضاً مجموعة من الفنادق الضخمة التي تستقبل زوار الجماهيرية الليبية الرسميين؛ ففيه تمت استضافة وفود الدورة الخامسة والستين العادية لوزراء خارجية منظمة الوحدة الإفريقية التي عُقدت في طرابلس من يوم ٢٦ مارس حتى ٢٨ مارس عام ١٩٩٧م؛ والتي بلغت نحو ٥٢ دولة إفريقية بالإضافة إلى ٣٠ مُنظمة ووكالة مُتخصصة تابعة للأمم المُتحدة والوفود الإعلامية التي حضرت لتغطية وقائع المُؤتمر.



ويضم طريق الفاتح أيضا ميناء طرابلس ومحطة النقل البحري بالإضافة إلى مستشفى أمراض السكر والغدد الصماء ويمتد حتى يصل إلى مدخل المبنى الرئيسي لُمتحف السراي الحمراء عند الساحة الخضراء؛ الذي ينتهي عندها شارع الفاتح حيث نافورة ماء النهر الصناعي التي افتتحت مع احتفالات الجماهيرية الليبية بعيدها السابع والعشرين إيذانا بوصول مياه النهر إلى مدينة طرابلس؛ ويضم أيضاً بعض المقاهي والمطاعم السياحية بالإضافة إلى ميدان الغزالة وحديقة ومقهى الساحة الخضراء؛ وهي من أكبر حدائق مدينة طرابلس؛ وتحوي ساحات وملاعب للأطفال.

إذا توغلنا داخل طرابلس فسنجد مجموعة من الشوارع الكبيرة مثل شارع عُمر المُختار وشارع الرشيد وبهما أهم وأكبر المحلات التُجارية الخاصة بتجارة الجُملة للملابس والأحذية والزينة؛ ثُم شارع الجمهورية وهو من الأسواق التجارية المهمة وكذلك شارع التحدي الذي كان يُعرف سابقاً باسم شارع الاستقلال؛ ويوازيه شارع آخر يسمى شارع أول سبتمبر وبه مدرسة الفنون والصنايع الإسلامية؛ ويحتوي على متاجر لبيع الأشرطة المرئية والمسموعة والأدوات الكهربائية وأدوات الزينة ومحلات الملابس الجاهزة النسائية والرجالية. أما الطريق السريع والذي يُوازي طريق الفاتح ويمتاز بكثرة مداخله ومخارجه وجسوره وذلك من أجل الحد من ازدحام الطرق بالسيارات والمارة؛ فهو يمتد لمسافة ٢٨ كم ويبدأ من منطقة تاجوراء وينتهي بمنطقة جنزور؛ ويعد المرحلة الأولى من الطريق الدائري الذي سوف يربط مدينة طرابلس ببعض الضواحي المُحيطة بها؛ وقد استغرق بناء هذا الطريق ثلاث سنوات لأنه واجه بعض الصعوبات في تنفيذه بوجود أحياء سكنية أزيلت بكاملها وأعطي ساكنوها أراضٍ جديدة مُدعمة بمساهمات مالية تعويضاً لبيوتهم.

مبنى السراي الحمراء هو أبرز معالم مدينة طرابلس وهو معلم قديم يقع في نهاية طريق الفاتح أو الطريق الساحلي من الناحية القريبة للمدينة؛ ومن الثابت أن مُعظم المباني الموجودة داخل هذا السراي بُنيت في العهد العُثماني؛ وفي أثناء الاحتلال الإيطالي (١٩١١ - ١٩٥٢ م)؛ وتم إدخال بعض التعديلات والترميمات على السراي الحمراء أو قلعة طرابلس؛ واستخدمت الحكومة الإيطالية جُزءا من هذه القلعة مقراً للحاكم الإيطالي العام؛ وفي عام ١٩٢٢م خصص جُزء آخر من القلعة لإقامة مُتحف تاريخي يضم الآثار التي اكتشفت في منطقة طرابلس أو (أويا) القديمة؛ ومُنذ أن استقلت ليبيا عام ١٩٥٢ تم بناء عدة متاحف داخل القلعة؛ هي مُتحف الآثار الكلاسيكية؛ ومُتحف ما قبل التاريخ؛ ومُتحف العاديات والأزياء الشعبية؛ وهذه المتاحف يوجد بها الكثير من الآثار العائدة إلى مختلف العهود التي مرت على ليبيا... وجوار السراي الحمراء يقع الجزء القديم من المدينة؛ ويضم سوقاً مسقوفاً يُعرف باسم (سوق المُشير أو سُوق التُرك) وهو من أقدم أسواق المدينة؛ وقد أشاد به الرحالة وزوار طرابلس واعتبروه سجلاً حياً لمُختلف العصور القديمة التي مرت على مدينة طرابلس.

وتحاول الجماهيرية إعادة ترميم المباني القديمة والأثرية بالمدينة وإبرازها كتراث ليبي قديم واستخدامها كمكتبات مُتخصصة أو صالات فنون جميلة؛ ومن أمثلة هذه المباني مبنى القنصلية الإنجليزية التي يرجع تاريخها إلى عام ١٧٤٤م أيام حُكم أحمد باشا الفرمانلي مُؤسس الدولة الفرمانلية وقد استخدمه الإنجليز كقنصلية؛ ومنها انطلقت الرحلات الجغرافية الاستكشافية لإفريقيا والتي كان ظاهرها علمياً وباطنها استعمارياً.

الناحية الشرقية من المدينة تمتاز بوجود مجموعة كبيرة من المباني الحديثة ذات الطوابق المُتعددة؛ والتي تُستخدم إما للسكن أو مبانٍ استثمارية؛ ومن هذه المباني الفخمة (برج الفاتح) وهو مبنى تجاري ضخم يضم مكاتب استثمارية؛ وهو شاهد على ما يحدث في مدينة طرابلس من نهضة معمارية وهندسية متطورة؛ كما يُعد هذا البرج أعلى مبنى في طرابلس؛ ومن أعلى نقطة في المبنى يستطيع المرء أن يرى مدينة طرابلس بكل وضوح؛ ويحوى البرج محلات تجارية وأسواقا مجمعة وعيادات ومكاتب سياحية وفندقا وأحواض سباحة.



ومن المباني المُميزة في منطقة باب البحر عمارات ذات العماد وهي تابعة لجمعية الدعوة الإسلامية وقد افتتحت مُنذ عام ١٩٨٨م؛ ويعود ريع هذه العمارات لخدمة وتعميق الإسلام في دول إفريقيا والعالم الثالث؛ وتستغل أموال هذه المباني في إقامة المشاريع الخيرية من مستشفيات ومساجد ومدارس؛ وتتألف هذه المباني من مكاتب تجارية وبعض السفارات والقنصليات ومكاتب الخطوط الجوية ومطاعم وأماكن سياحية وصالات للمعارض والمُؤتمرات والندوات؛ وتضم مواقف للسيارات؛ ويبلغ عدد تلك المباني أربعة على شكل زجاجات مقلوبة؛ وقد بُنيت بطريقة هندسية فريدة بحيث إذا نظر إليها الإنسان من أعلى وفي أي اتجاه يراها ثلاث عمارات فقط؛ واحتفالاً بوصول مياه النهر الصناعي إلى مدينة طرابلس أقيمت وسط المدينة نافورة أطلق عليها نافورة النهر الصناعي العظيم استقبلت مياهها لحظة الضغط على زر التدفق حيث اندفعت من خلالها مياه النافورة مُعلنة بداية مقدم الحياة والنماء والأمل إلى مدينة طرابلس؛ وقد صممت النافورة على شكل هندسي بثمانية أضلاع واحتوت على ثمانية أنابيب مُماثلة لتلك المُستخدمة في النهر الصناعي.

يُعد ميناء طرابلس أحد أكبر الموانئ في الجماهيرية ومن أعرقها؛ بل واحداً من الموانئ الكُبرى في منطقة شمال إفريقيا المُطلة على القسم الجنوبي من ساحل البحر المتوسط؛ والميناء يتوفر على مساحة مائية تبلغ ٥٥٠٠ متر مُربع؛ ويحوي ٣٥ رصيفاً بأطول من ٣ إلى ٤ آلاف متر؛ أما أعماق الميناء فتتراوح من ٩ إلى ١٢ متراً وهو عُمق الغاطس.

وميناء طرابلس البحري يُقدم خدماته على مدار الساعة للسفن القادمة والمغادرة؛ وبه من المعدات البرية والبحرية ما يمكنه من تقديم الخدمة الجيدة

وبكفاءة عالية؛ وحركة البضائع في ميناء طرابلس في حدود ٣ ملايين طن سنوياً من مختلف البضائع من حبوب وبضائع عامة وحاويات وحيوانات حية؛ حيث يبلغ متوسط السفن الوافدة على الميناء في حدود ١٨٥٠ سفينة سنوياً؛ ويأتي هذا الميناء في المرتبة الأولى بين موانئ الجماهيرية البالغ عددها ثمانية موانئ تُجارية؛ وميناء طرابلس مُرتبط ارتباطاً مُباشراً بها؛ وبخاصة موانئ الساحل الشمالي للبحر المتوسط؛ ونتيجة للحصار المفروض على ليبيا فقد ازدادت الحاجة إلى خدماته؛ وبخاصة حركة الرُكاب المُسافرين بواسطة السُفن إلى الموانئ المختلفة للبحر الأبيض المتوسط كما أن هناك تزايدا في حركة الشحن والتفريغ حيث لا يُوجد نقل جوي للبضائع أو البريد. ومن الشركات التي لها اتصال مباشر بالبحر ومرافق الميناء الشركة الوطنية للنقل البحري؛ ومهمتها الرئيسية والأولى النقل البحري والمُبادلات التجارية؛ وربط الجماهيرية بالموانئ المُختلفة وبقية دول العالم؛ فهي تمتلك أسطولاً يصل عدد سُفنه إلى ٢٧ سفينة وناقلة نفط؛ وهي تقوم بنقل النفط والغاز والمُشتقات البترولية ونقل البضائع إلى أنحاء العالم بالإضافة إلى نقل الركاب...

تُعد جامعة الفاتح في مدينة طرابلس من أقدم المُؤسسات العلمية في ليبيا فحتى عام ١٩٧١م كان عدد الطلبة الجامعيين في ليبيا لا يتعدى ثلاثة آلاف طالب؛ وكانت هناك جامعة واحدة تسمى الجامعة الليبية مُقسمة إلى حرمين جامعيين أحدهما في مدينة بنغازي والآخر في مدينة طرابلس؛ وقد حظيت مدينة طرابلس بالكُليات العلمية مثل كُلية الهندسة والزراعة والعلوم؛ أما الحرم الجامعي في بنغازي فقد اختص بالدراسات الإنسانية مثل الآداب والاقتصاد والحقوق؛ وفي عام ١٩٧٣م ونظراً لازدياد عدد الطلبة تم فصل الحرم الجامعي الموجود في بنغازي عن شقيقه في مدينة طرابلس؛ ومُنذ ذلك الوقت تأسست جامعة الفاتح والتي تضم الآن عشر كُليات وهى كُبرى الجامعات في الجماهيرية حيث يصل عدد طلابها إلى ما يقرب من ٤٥ ألف طالب وطالبة؛ وعدد أعضاء هيئة التدريس الوطنيين في جامعة الفاتح يُقارب ١١٠٠ عضواً مُعظمهم من الحاصلين على درجة الدكتوراه من جامعات مرموقة في العالم وبشكل خاص من الجامعات الأمريكية والأوربية؛ بالإضافة إلى عدد من الأساتذة الوافدين من مختلف الأقطار العربية؛ وهناك نحو ٤٠٠ أستاذ من غير العرب؛ وجامعة الفاتح

مُهتمة بالدراسات العُليا؛ وتُعطي درجات الماجستير والدكتوراه؛ وهُناك مُصطلح خاص يُطلق على درجة الدكتوراه واسمه الإجازة الدقيقة؛ أما الماجستير فيطلق عليه الإجازة العالمية؛ وتتألف الجامعة من عشر كُليات وتُعتبر كلية العلوم أقدمها أما أحدث الكليات فهي كلية القانون؛ وهناك اتجاه لضم بعض التخصصات الجامعية في كلية واحدة لتقليص الأعباء الإدارية وزيادة الكفاءة؛ والجامعة تقدم خدماتها للطلاب الليبيين بالمجان؛ أما بالنسبة للعرب فيتم التعاون وفقاً لقاعدة التعامل بالمثل؛ ويدرس بالجامعة عدد من الطلبة الوافدين بعضهم على المنح الدراسية من اللجنة الشعبية للتعليم؛ وتقوم الجامعة بتسكين عدد كبير من الطلبة في الأقسام الداخلية؛ ونتيجة للتطور الاجتماعي الذي حدث بعد ثورة الفاتح فإن عدد الطلاب الذكور المسجلين بالجامعة يتقارب مع عدد الطالبات؛ وهذه الظاهرة لم تكن موجودة قبل الثورة؛ كما أن هناك مجموعة من الإناث يقمن بالتدريس في مُختلف التخصصات.

لجامعة الفاتح عدة مراكز بحثية؛ ففي كلية العلوم توجد معشبة تحوي كل الأصناف النباتية التي تم دراستها في ليبيا والتي تغطي الجماهيرية من أقصاها إلى أدناها؛ ومحطة بحثية أخرى تتبع كلية الزراعة مساحتها تزيد على ٥٠ هكتاراً تُجرى فيها أبحاث عن السُلالات والأنواع الحيوانية والمحاصيل الحقلية والخضراوات والفواكه؛ أما كُلية الهندسة فقد شاركت في الكثير من البحوث الهندسية عن الطرق والموانئ والمطارات ودراسات أخرى عن مواد البناء التي تصلح لجو ليبيا؛ ويُعد قسم الهندسة المدنية من أكبر الأقسام الموجودة في المنطقة وبه ٦٥ أستاذاً ليبياً من حملة الدكتوراه وعدد آخر بدرجة أستاذ وأستاذ مشارك؛ أما جامعة الفاتح للعلوم الطبية ومقرها طرابلس فتتبعها ست كُليات بها ثلاث كُليات هي كُلية الطب البشري وكلية الصيدلة وكلية طب الأسنان وكلها تقع في مدينة طرابلس وإدارتها مُنفصلة عن إدارة جامعة طرابلس؛ أما الكُليات الثلاث الأخرى فتقع خارج العاصمة.

ومن المرافق الطبية التي تفخر الجماهيرية الليبية بها مركز طرابلس الطبي وقد افتتح هذا المركز منذ عام تقريباً؛ ويعد من الإنجازات المتقدمة في مجال تقديم الخدمات الطبية؛ بالإضافة إلى أنه مركز تعليمي متقدم لتدريب وتأهيل الكوادر الطبية والطبية المساعدة والبحوث الصحية؛ ويقع هذا المركز في المدخل الشرقي

لمدينة طرابلس؛ وتُقدر مساحته الكُلية بنحو ٢٨٠ ألف متر مُربع.

وهـذا المركـز يحـل جميـع المشـاكل الطبيـة المُعقـدة وبخاصـة تلـك الأمـراض الـتي كانـت الحـالات المصـابة بهـا تُوفـد للعـلاج في الخـارج؛ عـلاوة علـى أنـه قلعـة طبيـة تعليميـة لتـدريس الكـوادر الطبيـة المسـاعدة والعليـا في الجماهيريـة؛ ولقـد جُهـز هـذا المركـز تجهيـزاً عاليـاً بأحـدث الأجهـزة الطبيـة الموجـودة في العـالم؛ وهـو يشـمل جميـع التخصصـات الطبيـة الـتي تحتـاج إليهـا الجماهيريـة؛ ويحـوي المعامـل الطبيـة؛ وأقسـام العــلاج الطبيعــي والمُختــبرات؛ ومصــنعاً مُتكــاملاً للغــازات الطبيــة؛ ومصــنعاً للمحاليـل الوريديـة؛ والمركـز مدينـة طبيـة مُتكاملـة تشـمل مسـاكن للأطبـاء والهيئـة الطبيـة المسـاعدة؛ وهـذا المركـز يُعـد مـن المرافـق الصـحية الـتي يعـول عليهـا الكـثير في تـدريب طلبـة وطالبـات كُليـة الطـب لجامعـة الفـاتح؛ وكـذلك الفئـات الفنيـة المتوسطة.

* * * * *

# مدينة بنغازي

تقعُ مدينة بنغازي على الجزء الشّرقي من خليج سرت؛ وتُعتبر ثاني أكبر مُدن ليبيا بعد طرابلس؛ ومركزاً تجارياً مهماً.



المدينة بحدّ ذاتها لا تحتوي على الكثير من الآثار؛ حيث إنّها دُمّرت خلال الحرب العالميّة الثّانية وأعيد بناؤها. ومع ذلك تُعتبر بنغازي مركزاً جميلاً لاستكشاف منطقة الجبل الأخضر والآثار الرّومانية المُنتشرة على طول السّاحل. ومدينة بنغازي صديقة المَشي؛ حيث يُمكنك التّجول فيها على الأقدام بسهولةٍ؛ فأسواقها المغطّاة مفتوحة يومياً؛ لكن يُستحسن زيارتها يوم الجمعة؛ حيث تتحوّل المدينة إلى سوق كبير مليءٍ بالحياة. ويُعتبر سُوق الجريد الواقع على شارع عُمر المُختار أكبر سوقٍ شعبيٍ بالمدينة تُباعُ به جميع البضائع من ملابس إلى موادٍ وسلعٍ منزليّةٍ.

عُرِفَت بنغازي عبر تاريخها الطّويل بعدّة أسماءٍ؛ من بينها (يوسبريدس)؛ وهي من أوائل المُدُن اليونانية القديمة. وأُسِّسَت في الرّبع الأول من القرن السادس ق. م وشُيِّدَت على مُرتفعٍ من الأرض؛ عند الطّرف الشّمالي لسبخة السّلماني؛ حيث توجد حاليا مقبرة سيدي عبيد. وكانت هذه السّبخة عبارة عن بُحيرةٍ عميقةٍ تكفي لاستقبال المراكب الشّراعية الصّغيرة. وقد عُثِرَ فيها على مجموعةٍ من الأواني الفخّارية؛ كما اكتُشِفَت بهذا المكان عِدّة أماكن أثريةٍ مُهمّةٍ.

أما في العصر البطلمي فلقد تغير اسم المدينة إلى (برنكي)؛ وكان ذلك حوالي عام ٢٤٧ ق. م؛ وأُطلِقَ هذا الاسم تكريماً لزوجة بطليموس الثّالث بمُناسبة زواجها منه؛ وظلّ هذا الاسم شائعاً في العصور اللاّحقة. وفي الفترة الإسلاميّة؛ أُطلِقَ عليها اسم (برنيق)؛ ثُمّ سُمّيَت فيما بعد (بنغازي) نسبةً إلى الشّيخ المدفون في مقبرةٍ هُناك؛ وظلّت تُعرَف بهذا الاسم مُنذ القرن ١٥م.

* * * * *

# مصراتة

يُرجّح البعض أنّ مصراتة قد نشأت في مكان محطّة توباكتس القديمة التّي كانت مُزدهرةً؛ وفي العصور الوسطى كان لمصراتة علاقات تُجارية مع البُندقية؛ حيث كانت تُصدّر إليها الصّوف والسّجاد والزّيت والملح؛ وتستورد منها الزّجاج والبارود؛ كما أنّها كانت محطّةً مُهمّةً لمرور القوافل التُجارية القادمة من أواسط إفريقيا والصحراء الكُبرى والمُتجهة إلى مدينة طرابلس؛ وكذلك كانت نُقطةَ استراحةٍ للحُجّاج والتُّجّار والرّحالة القادمين من الشّرق والغرب؛ ويدلّ على ذلك وُرود اسمها في كثيرٍ من كتب الرّحالة؛ وهي ثاني أكبر مُدن إقليم طرابلس الغرب اللّيبي؛ كما تقع في منطقةٍ زراعيةٍ سهليّةٍ؛ وتتميّز بظاهرةٍ طوبوغرافيّةٍ فريدةٍ على السّاحل اللّيبي وكامل السّاحل المُتوسّطي؛ وهذه الظّاهرة هي وجود حزام من الكُثبان الرّملية العالية التي تلفّها على هيئة هلال؛ ويبدأ من شرقها عند منطقة قصر أحمد وحتّى منطقة الدافنيّة غرباً؛ وتُعدّ هذه الكُثبانُ الأعلى في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسّط؛ بل يُعتقد أنّها الأعلى في العالم.

مصراتة اليوم مدينةٌ عصريةٌ حديثةٌ تزدان بعمائرها وشوارعها المُخطّطة وحدائقها ومصائفها وأسواقها الرّائجة؛ كما أنّها تُعَدّ المدينة الصّناعية والتّجارية الأكثر نشاطاً في ليبيا من خلال مُلاحظة الإحصاءات لتمركز مراكز الصّناعة الخفيفة منها والثقيلة فيها؛ إضافةً إلى وجود ميناءين فيها؛ كما أُقيمت بها عدد من الفنادق الحديثة؛ ومن الإنجازات الصناعية التي أقامتها الجماهيرية الليبية نتيجة ارتفاع موارد البترول في منتصف السبعينيات؛ إنشاء الشركة الليبية للحديد والصلب بمصراتة بهدف اقتحام منافذ الصناعات الاستراتيجية والثقيلة؛ وكسر احتكار مثل هذه الصناعات؛ ثم بناء قاعدة صناعية ضخمة تكفي الاحتياجات المحلية وتصدر الفائض منها للسوق العربية أو الأسواق العالمية الأخرى؛ بالإضافة إلى إقامة صناعات تكميلية من مُنتجات هذه الشركة وخلق جيل من الصناعيين والفنيين المهرة يساهمون في إقامة نهضة صناعية مُتقدمة؛ ومُجمع الحديد والصُلب لا يبعد أكثر من ١٧٥ كيلو متراً عن مدينة طرابلس؛ وبدأ إنتاجه مع نهاية عام ١٩٨٩م؛ ويشق إنتاجه من الحديد طريقه إلى الأسواق المحلية مُرسياً بذلك قواعد للتصنيع الثقيل بالجماهيرية الليبية. أما الطاقة الإنتاجية لهذا المُجمع فتبلغ مليون و٣٢٤ ألف طن من الحديد الصلب سنوياً يتم الحصول عليها بطريقة الاختزال المُباشر لمكورات الحديد؛ وباستخدام الغاز الطبيعي؛ وأهم مُنتجات الشركة هي القضبان

والأسياخ والقطاعات الخفيفة والمتوسطة ثـم اللفـات والصـفائح المدرفلـة علـى السـاخن واللفات والصفائح المدرفلة على البارد.

وهُناك العديد من الصناعات التي يُغذيها مُجمع الحديد والصلب كصناعة السفن والقطارات والسيارات ومُنتجات الأسلاك والأثاث المعدني إلى غيرها من الصناعات التكميلية الأخرى؛ ووفر مُجمع الحديد والصلب نحو ٦ آلاف عاملاً فنياً ليبياً يُتقنون صناعة الحديد والصُلب؛ وأخيراً فإن صناعة الحديد والصلب والصناعات عموماً ليست حِكراً على بلاد مُعينة.

* * * * *

# مدينة طلميثة

تقع مدينة طلميثة الليبية؛ أو بطوليماس الدّرسية حالياً في بُقعةٍ تحظى بالهدوء وجمال الطّبيعة؛ بين البحر ومرتفعات الجبل الأخضر؛ وهي تبعدُ عن مدينة المرج (بَرقَة) بنحو ٢٩ كيلو متراً شرقاً. وتتميّز هذه المدينة بكثرة معالمها الأثريّة التي تعود إلى عهودٍ مُختلفةٍ من التّاريخ.

ويعود سبب إنشاء مدينة الدّرسية إلى حاجة مدينة بَرقة (المرج) إلى ميناءٍ تستطيع من خلاله الاتصال بالعالم الخارجي بحراً؛ وبخاصّةً وإنّ مدينة المرج قد بدأت في الازدهار في أواخر القرن السّادس ق. م؛ وصارت مُنذ ذلك التّاريخ مركزاً تُجارياً مُهماً؛ ومن هُنا جاءت أهميّة إنشاء ميناءٍ خاص بتلك المدينة؛ تستطيع عبره تصدير حاصلات المنطقة التّي كان من بينها نَبات السّلفيوم الشّهير؛ كما تُشير المصادر القديمة إلى وجود ميناءٍ بموقع الدّرسيّة؛ باسم (ميناء مدينة برقة)؛ ويرى بعض العُلماء أنّ عهد بطليموس الثّالث (٢٤٦ – ٢٢١ ق. م) هو العهد المُرجّح لتأسيس هذه المدينة؛ وذلك بعد زواجه من برنيفي؛ أميرة مدينة (قورينا)؛ وقد ازدهرت المدينة زمن البطالمة والرّومان؛ وامتلكت أسطولاً بحرياً احتلّ مكانةً مرموقةً بين أساطيل البحر الأبيض المتوسّط؛ وازداد سُكانها في العهد البطلمي؛ وأصبحت عاصمة المنطقة خلال القرنين الرّابع والخامس. وعندما جاءها العرب عام ٦٤٢م؛ وحافظت المدينة على أهمّيتها كموقعٍ عسكري حصين وميناءٍ تجاري تربطه علاقاتٌ تجاريّةٌ متينةٌ بعدّة موانئ؛ وبخاصّة ميناء الإسكندرية الذّي كان يبعث بالسُفن مُحمّلةً بالقُماش إلى ميناء الدّرسية لتعود بكميّاتٍ من حاصلات الإقليم؛ كالعسل والسمن والحبوب؛ ومن أشهر آثار المدينة مدافن البطالمة وشبكة إمدادات المياه

والنّقوش الكتابية على ألواحٍ من الرُخام التّي تُسجل أهم الأحداث التاريخية التّي مرّت بها المدينة فضلاً عن نقشٍ يُبيّن تعريفة الأسعار الصّادرة في عهد الإمبراطور دقلديانوس (٢٤٨ - ٣٠٥).

* * * * *

# مدينة صبراتة



تقع مدينة صبراتة التاريخية على بُعد ٦٧ كم غرب العاصمة اللّيبية طرابلس؛ على ساحل البحر الأبيض المتوسّط؛ وسط وشاحٍ أخضر تلتقي عنده نهايات سهل جفارة الفاصل بين حواف الجبل الغربي ومياه المتوسّط؛ وعلى بُعد كيلو مترٍ واحدٍ من شوارع المدينة؛ ويوجد بها آثار فينيقيّة رّومانية؛ ومدافن فينيقية بأعمدة من المرمر؛ ومسرح كبير مفتوح تم ترميمه؛ ورصف ممرّاته.

والأضرحة الفينيقيّة تتجاورُ مع الآثار الرّومانية الهائلة المُتجهّمة التي تحملُ الكثير من قسمات الرّومان أنفسهم؛ ويُخبرنا موقع المدينة السّاحر والإستراتيجي بمدى حنكة مُؤسّسيها الفينيقيّن وشاعريّتهم.

وليس ثمّة اتّفاق بين المُؤرّخين على تحديدٍ دقيقٍ لتاريخ تأسيس مدينة صبراتة؛ وإن كان البعضُ يرجّح أنّ تكون أُسِّسَت في القرن السّادس قبل الميلاد؛ ويُؤيد هذا الكلام الحفريات التّي أُجريَت حديثاً بمدينة صبراتة؛ حيث وُجِدَت بها آثار فينيقيّةٌ تتمثّل في مصاطب رمليةٍ كان الفينيقيّون يُقيمون فوقها أكواخاً مُؤقّتةً لفترةٍ قصيرةٍ من العام. وأثناء الحفريّات؛ وُجِدَت فوق المصاطب طبقاتٌ سميكةٌ من الرّمال. وهذا دليل على أنّ الموقع ظلّ مهجوراً لفترةٍ زمنيّةٍ طويلةٍ. وفي تلك الأكواخ؛ وُجِدَت أوانٍ يُونانيّةٌ ترجع للقرنين السّادس والخامس قبل الميلاد.



وعلى جانب المدينة الفينيقيّة بُنِيَت المدينة الرّومانية بمسرحها الفخم وبيوتها العالية وأعمدتها وأقواسها. وشكّلت هذه المدينة أحد أهمّ المراكز التّجارية على السّاحل الإفريقي لحوض البحر الأبيض المتوسّط؛ وإحدى المُدن الثّلاث التّي سُمّيَ بها إقليم طرابلس؛ وهي: لبدة الكُبرى؛ وأويا (طرابلس الحاليّة)؛ وصبراتة؛ ومن هذه الحواضر الفينيقيّة الشّقيقات الثلاث سُمّيَ الإقليم كُلّه طرابلس.

أمّا بالنّسبة للتّسمية فقد وُجِدَ اسم المدينة بصيغة (صبرات) على العملة البونيقيّة الحديثة؛ وأحياناً (صبراتن)؛ وتَعني هذه العبارة (سوق الحبوب)؛ لذا يُرجّح بعض المؤرّخين أنّ المدينة كانت تلعب دوراً كبيراً في المُبادلات التّجارية بين شرق وشمال المتوسّط من جهةٍ وتُجّار محاصيل المنطقة الطّرابلسية؛ وحتّى الجبل الغربي (جبل نفوسة) وغدامس من جهةٍ أخرى. وإن كان المُؤرخ فيليب وارد يرى أنّ يونان جزيرة صقلّية هُم مَن كانوا يُصدّرون الحبوب لصبراتة لا العكس.

وقد ذكر وبلينيوس الأكبر في كتابه (التّاريخ الطّبيعي) وكذلك بطليموس في كتابه (الجغرافيا) أن اسم صبراتة أُطلِقَ لتحديد منطقتين: الأولى بالدّاخل؛ وكانت تدفع الضرائب للثّانية السّاحلية؛ والمصادر التّاريخية تذكر وجود آثار رومانيّة بالقرب من الجوش القائمة في عُمق البرّ. وهذا دليلٌ على سابق وجود مدينةٍ مُهمّةٍ؛ والمصادر التّاريخية نفسها تُسمّي هذه المدينة صابريّة؛ وهو يُشبه اسم المدينة السّاحلية (صبراته) التّي نتحدّث عنها هُنا.

وإذا رجعنا مع التّاريخ نجد أنّ بداية تأسيس المدينة مُرتبط بموجة الاكتساح الحضاري الفينيقيّ لسواحل حوض البحر المتوسط. وربّما يكون من الضّروري أن نُشير في هذا المقام إلى أن الفينيقيّين هؤلاء هم شعب سام؛ كان يتركّز أساساً ببلاد الشّام. وقد مهروا في الملاحة البحرية والتّجارة؛ وكانوا شعباً وديعاً مُسالماً؛ وهم مَن بنى صور وصيدا

وغيرهما من حواضر بلاد الشّام. كما أسّسوا مراكز حضريّة في جُزر المتوسط؛ ووصلوا أسبانيا وبريطانيا. وكانوا يمرّون بمحاذاة شواطئ شمال إفريقيا ليتمكّنوا من اللّجوء إليها في حالة هبوب العواصف العاتية؛ ومع مرور الوقت أسّسوا عدداً كبيراً من المُدُن على هذه الشّواطئ الإفريقية الشّمالية؛ وكان أبرز هذه المُدن: قرطاج؛ والمُدن الطّرابلسية؛ وجزيرة قرقنة بتونس؛ وقابس؛ وحضرموت (سوسة بتونس الآن)؛ وهيبو رحبيس (عنابة).. وغيرها.

وهكذا نلاحظ أنّ الفينيقيّين لم يؤسّسوا هذه المحطّات فحسب؛ بل إنّهم أقاموا العديد منها. وكان غالبها مجرّد محطاتٍ صغيرةٍ تُقام على الشاطئ في كُل ٣٠ كيلو متر تقريباً؛ وذلك خوفاً من الابتعاد عن السّواحل؛ ولكيّ يستريحوا من تعب السّفر ويتزوّدوا بالطّعام والماء ويستطيعوا إصلاح سُفُنهم إن أصابها عطل. وقد لعبت تلك المحطّات؛ التّي أُنشئت لأغراض سوقيّة وتجارية؛ دور الوطن البديل الذّي هاجرت إليه موجاتٌ من الفينيقيّين بعدما اشتدّ ضغط الآشوريين في وطنهم الأصلي؛ حيث قام مُهاجرون من صيدا بالاستيطان نهائياً بالإقليم الطّرابلسي؛ ولحق بهم آخرون من صور.

يُخبرنا الشّاعر اللاّتيني سيليوس إيتاليكوس أنّ مدينة صور ومُهاجريها هُم مَن أنشأوا مدينتي لبدة وصبراتة؛ ولكنّ مَن قام بإنشاء مدينة أويا (طرابلس) هُم مهاجرون من صقلّية؛ من أصلٍ فينيقيٍّ. أمّا المؤرّخ سالوستيوس كرسبيوس (٣٤-٨٦ ق. م) الذي كان ينتمي لأسرةٍ من العامّة؛ وشغل منصب بروقنصل لإفريقيا الجديدة في عهد قيصر؛ فقد قال: إنّ مهاجرين من صيدا هُم مَن أنشأ لبدة؛ وعند مقارنتنا لرأي الكاتبين يتبيّن أنّ الكُتّاب اللاّتين كانوا يخلطون في كتاباتهم بين مدينتي صيدا وصور. وفي كلتا الحالتين؛ فإنّ المقصود هو أنّ صبراتة والمُدن الطّرابلسية قد أسّسهما واستقرّ بهما الفينيقيّون أوّلاً.

وعلى أيّة حال؛ فإنّ مدينة صبراتة لم تبلغ أوج ازدهارها إلاّ بعدما بسطت عليها قرطاجة سيطرتها؛ إثر تدخّلها لطرد اليونانيين الذّين حاولوا؛ بقيادة دوريوس؛ بناء مستوطنةٍ بإقليم غرب ليبيا عند مصبّ وادي كنبس (وادي كعام). وظلّت المدينة قرطاجية مع نوعٍ من الحُكم الذّاتي حتى تمكّن الرّومان من تدمير قرطاج وإحراقها نهائياً في نهاية الحروب البونيقية عام ١٤٦ ق. م؛ لينتهي بذلك حلم فينيقيّ بدأته مُؤَسِّسة قرطاجة أليسار؛ شقيقة الملك الصّوري بجماليون.

أمّا على مستوى الحياة الرّوحية؛ فقد كانت تسود صبراتة الدّيانات الشرقية التي

استقدمها الفينيقيّون والُمتميّزة بتعـدُّد الآلهـة الأسـطوريّة؛ وفي مقدّمـة تلـك الآلهـة؛ الإلهـة (تانيت بينبعل) التّي هي في الأصل الإلهة (أسـطرطة) إلهـة القمـر عنـد الفينيقيـيّن بمدينـة صور. وكانت بمثابة الإلهـة (هـيرا)؛ زوجـة الإلـه زيـوس عنـد اليونـان؛ وفي مقـام الإلهـة (يونوسيليستس) زوجة الإله جوبيتر عند الرّومان.

يعتقد أحمد صقر؛ في كتابه (مدينة المغرب العربي في التّاريخ)؛ أنّ تانيت بينبعل كانـت تُعبَد كإلهة للبذر والحصاد والتّناسل؛ ويُستغاث بها عند الولادة. وقد دلّت الحفريات التّـي أُجرِيَت بمنطقة رأس المنفاخ بمدينة صبراتة في الفترة من ١٩٧٤م إلـي ١٩٧٥ م؛ أنّ الإلهـة تانيت هي المعبود الرّئيسي بالمدينة القديمة؛ حيث أنّ مُعظم الأحجار النّذرية الـتي وُجِـدَت بالمقبرة البونيقية؛ تحتوي على عظام الأطفال المحروقين والُمقدّمين قُرباناً للإله (بَعل)؛ ومـن بين الأدلّة التي تُبَيّن عادةُ التّضحية بالأطفال تلك الصّورة المنحوتة على النُصب التّـذكاري الموجود بتونس والذّي يُمثّل كاهناً يرتدي جُبّة شفّافة وهو يرفع يديه مُبتهلاً ومتضـرعاً إلى المعبود (بعل) ومُقدّماً لـه القرابين.

وقد اصطلح عُلماء الآثار على تسمية الجِرار والمدافن التي تحوي عظام أطفال محروقةٍ كقرابين فينيقيا باسم (توفيت)؛ ويُؤكّد مثل هذه العبادة المـؤرّخ اليونـاني القـديم بلُوتـارخ (٤٥ ـ١٢٥ م) الذي يقول إنّ (المـؤمنين الحقيقيـيّن كـانوا لا يـتردّدون في تقـديم أطفـالهم كقرابين على مذبح الآلهة. أمّا الأغنياء ذوو العقليـة الواقعيّـة؛ فقـد كـانوا يُقـدّمون للآلهـة صغار الرّقيق أو يشترون أبناء الفقراء ويستعيضون بهم عن أبنائهم كقرابين).

استُعيضَ لاحقاً عن تقديم قرابين بشريّةٍ بقرابين من المـاعز والماشـية؛ والـدّليل علـى ذلك أنّ الأواني الفُخارية التي اكتشفت برأس المنفاخ بصبراتة كانت مـلأى بعظـام ماشـيةٍ محروقةٍ. وقد أيّدت هذا الكلام الحفريـات الأثريـة وكـذلك النّقـوش الـتي وُجِـدَت علـى الأنصاب الرّومانية في نقاوس؛ حيث يقول النّقش: (روح بروحٍ ودم بـدمٍ وحيـاة بحيـاةٍ)؛ وهذه العبادة تعني أنّ الإله (بَعل) قد قبل التّعويض عن حيـاة البَشـر بحيـاة الحيـوان؛ كمـا تُعدّ دليلاً على أنّ الديّانة التّوحيدية قـد عرفـت طريقهـا إلى الفينيقـيين في آخـر عهـودهم أيضاً.

حين بَسَط الرّومان سيطرتهم على المدينة؛ بالغوا في بناء مبانٍ ضخمةٍ؛ ما زال بعضـها قائماً حتّى الآن بصبراتة؛ كالمسرح؛ ومعبد الفورم؛ والأقواس الفَخمـة الـتي تُـذكّر بقـوس ماركس أورليوس بطـرابلس. وعرفـت المدينـة ازدهـاراً شـديداً علـى المسـتويين الفكـري

والتّجاري؛ وقد سَجّلت لنا وثيقةٌ الصّراعات الفكرية بين رومان صبراتة في كتاب المُطارحات الشّهير: (دفاع صبراتة)؛ فحين وصل الفاتحون أبواب صبراتة؛ فتحت لهم ذراعيها بكلّ حُبٍ. وتُحدثُنا كتب المغازي بأنّ أهالي هذه المدينة فتحوها للمُسلمين صُلحاً من دُون قتال؛ ورُبّما لأن الأرض تحنّ إلى أهلها؛ فهذه المدينة العربية الفينيقية رأت في الفتح الإسلامي عودةً إلى الأصل وخلاصاً من براثن الرّومان.

بعد عدّة قرونٍ من صراعات دول شمال إفريقيا الإسلامية؛ أصاب المدينة تهميشاً؛ فبعدما نهضت مُدنٌ أخرى في الدّواخل كانت أكثر أمناً وأبعد عن طارقي البحر وغزاته ومُغامريه؛ فتآكل الكثير من أحياء المدينة وحلّ بالبعض الآخر الخراب؛ وذلك لطبيعة المواد التي استُعملَت في البناء؛ ومُعظمها من الحجر الجيري المُغطّى بطبقةٍ من الجبس (السّتوكو)؛ فكانت طبقة الجبس تتآكل مع الزّمن لتنهار معها المباني؛ ويتحول الكُلّ إلى أكوامٍ من الحجارة والأعمدة المنهارة أو المتصدّعة. وقد ذكر الرّحالة اليعقوبي؛ في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي؛ أنّه مرّ بصبراتة؛ وأنّ بها مبانٍ وتماثيل فخمةٍ. أمّا التيجاني فقد مرّ بها في القرن الرّابع عشر ووصف أعمدة الرخام والمباني بقوله: (وبهذه المدينة آثار قديمة وأعمدة مُرتفعة من الرُّخام قائمة إلى الآن لا بناء يكنفها؛ وَوُجِدَت ساريتان منها متجاورتان على شكلٍ واحدٍ؛ وكلّ واحدةٍ مؤلّفةٍ من أربع قطعٍ في غاية الفخامة والارتفاع وحُسن الصُنع).



كما وَصَف آثار صبراتة الكثير من الرّحالة الأوروبييّن في القرن التّاسع عشر مثل (بارت) الذي تحدّث عن المسرح والأعمدة والأقواس. وقد رأى أيضاً رصيف الميناء وتمثالين من الرُخام؛ أحدهما لامرأةٍ ذات جسمٍ متناسق. كما وصفها الرّحالة (فون مالتزان) ووصف المسرح الدائري والتّماثيل والميناء وبعضَ الأبنية البيزنطيّة المُتأخّرة. ومع الاحتلال الإيطالي لليبيا عام ١٩١١م؛ قرّرت الحكومة الإيطالية تكليف بعثةٍ من كبار المؤرّخين وعُلماء الآثار بالبحث عن الآثار الرّومانية بصبراتة وغيرها من المُدن اللّيبية.

وبدأت الحفائر المُكثّفة بصبراتة مُنذ عام ١٩٢٣م إلى عام ١٩٣٦م؛ وأدّت إلى اكتشاف وترميم مُعظم مباني وشوارع ومسارح ومدافن المدينة القائمة حتّى الآن؛ ورُبّما تكون هذه هي الحَعام الوحيدة التي تركها الاحتلال بليبيا؛ وإن كانوا نهبوا الكثير من الآثار ثم رمّموا الضّريح البونيقي الشّهير العائد للقرنين الثّالث والثاني قبل الميلاد؛ والذي هو مسلّة شاهقة تُرى مع المسرح من عِدّة كيلو متراتٍ. وإلى جانب مدينة صبراتة الأثرية تقف الآن ثاني المُدن الحديثة بشوارعها وعِماراتها ونخيلها وزيتونها؛ فأرضها شديدة الخُضرة تمتدّ حتّى دحمان وحرمان شرقاً؛ وجبار والعجيلات وسوق العلالقة جنوباً [1].

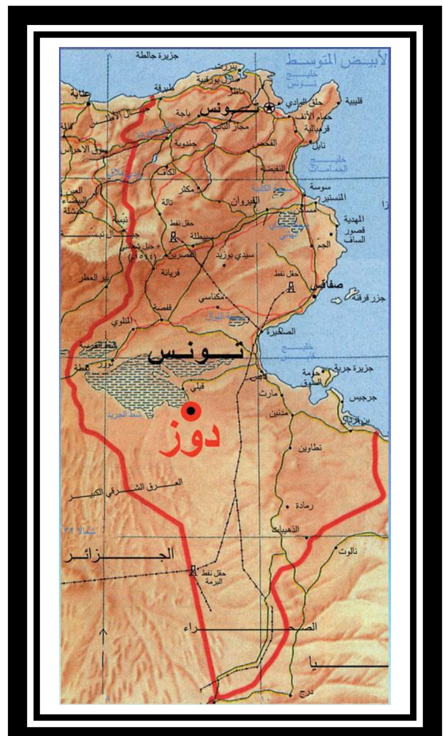

الزى الوطني الليبي

* * * * *

(١) صنفتها منظمة اليونسكو مدينة تراثية عالمية عام ١٩٨٢.

# الجمهوريــة التونسيــة

تُعرف بتونس الخضراء؛ وهي من أجمل الدول العربيـة مـن حيـث انتشـار المسـاحات الخضراء بها؛ وقد اختارتها مُنظمة اليونسكو عاصمة الثقافـة علـى مسـتوى العـالم؛ وكـان ذلك عام ١٩٩٧م؛ ووصلها لهذه المكانة بسـبب موقعهـا الجُغـرافي مـن بـين بقيـة الـدول؛ حيث إنها تقع شمال أفريقيا على البحر الأبـيض المتوسط بين الجزائر وليبيا.



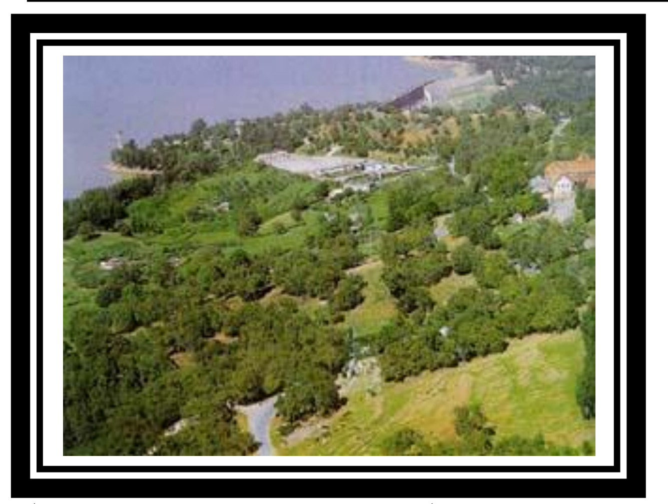

وعاصمتها تُونس؛ وتُقدر مسـاحتها بحـوالي ١٦٣٦١٠ كم٢ بطول شاطئ ١١٤٨ كم.

وأخفـض نُقطـة بالدولـة هـي شـط الغرسـة حيث يبلغ ١٧م تحت سطح البحر؛ وأعلـى نُقطـة هي جبل الشنبي ١٥٤٤م؛ واللغة الرسمية لتونس هي العربية؛ وعُملة الدولة هي الـدينار التونسـي؛ وهـي عضـو في جامعـة الـدول العربيـة؛ وإليـك تفاصيل هذه الدولة الخضراء.

تونس دولـة عربيّةٌ إفريقية مُستقلّةٌ وعضو في جامعة الدّول العربية؛ تقـع بـين خطّـي ٣٢ و٣٧ شمالاً؛ على البحر المتوسّط؛ يحدّها الجزائر غربـاً؛ وليبيـا شـرقاً وجنوبـاً؛ والبحـر المتوسّـط شـرقاً وشمالاً. أمامها بضع جزر صغيرةٍ؛ أهمّها جزيرة جربة وجزيرة قرقنة؛ وعاصمتها تـونس؛ وأهمّ مُدنها صفاقس؛ وأريانة؛ وسوسـة؛ وبنـزرت؛ واللغـة الرّسمية لتـونس هـي اللُغـة العربية؛ وعُملتها الدّينار التونسي.

وأرض تونس عبارةٌ عـن سـهلٍ سـاحليٍّ طويـل في الشّـرق والشـمال؛ وصـحراء في الجنوب؛ والباقي عبارةٌ عن سهول وهضابٍ وجبال أهمّها جبـل التـل؛ وجبـال الأطلـس الشرقي إلى الشمال الغربي؛ وأعلىً قممها قمة شاميّ؛ وارتفاعها ١٥٤٤ متراً.

قديماً أطلق الجغرافيون العرب عليها اسم إفريقية؛ وهـي واحـدة مـن أقطـار المغـرب العربي الكبير ذي الأقطار الخمسة؛ بينما تشغل الجزائر أوسطها؛ وتُمثـل المملكـة المغربيـة وموريتانيا الحد الغربي. ولتونس واجهتان بحريتـان إحـداهما شمالية والأخـرى شـرقية؛



وتُشرف على ممر بنتلاريا الذي يفصلها عن جزيرة صقلية؛ وهذا الممر هو همزة الوصل بين حوضي البحر المتوسط الشرقي والغربي؛ ويصل مجموع أطوال سواحل تونس إلى ألفٍ وثلاثمائة كيلو متراً؛ وهي بذلك تزيد على أطول سواحل الجزائر؛ على الرغم من أن مساحة الجزائر تُعادل أكثر من أربعة عشر مثلاً لمساحتها؛ عرفت تونس قديماً باسم ترشيش؛ فلمَّا أحدث فيها المُسلمون البُنيان واستحدثوا البساتين سُميت تونس من تُؤنس بتخفيف الهمزة؛ وذلك لأنها تجلب الأُنس والمؤانسة؛ وعلى الرغم من صغر مساحة تونس فقد توالت على أراضيها حضارات مُتعددة منها البربرية والفينيقية والرومانية؛ والعربية الإسلامية؛ وما زالت لهذه الحضارات بقايا عُمرانية وبصمات ثقافية؛ لذا اختارته مُنظمة اليونسكو عاصمة الثقافة عام ١٩٩٧م؛ وهُناك عدة عوامل جعلت مُنظمة اليونسكو تختار تونس عاصمة ثقافية لعام ١٩٩٧م؛ منها السُمعة التي تحظى بها تُونس وقيادتها في الساحة العربية والعالمية؛ وأيضاً ثراء المخزون الحضاري والتراثي حيث تحتوي تونس على قُرابة خمسة وعشرين ألف معلم أثري؛ مروراً بالرومانية والبيزنطية والعُثمانية فالإسلامية والأوربية والعربية.

وللإبداع التونسي إشعاعات تخطت الحدود؛ هذا إضافة إلى أن ما تحقق من مكاسب وإنجازات وما اتخذ من إجراءات لصالح الثقافة والمُبدعين؛ هذا ويُعتبر خطوة رائدة مُتقدمة بالنسبة لمعظم بلدان العالم؛ مثل قانون حماية حقوق المؤلفين؛ وفي مجال التراث فالقانون يحمي مدناً كاملة مثل سيدي بو سعيد وقرطاج وغيرهما الكثير حيث لا يتغير فيها شيء إلا بترخيص؛ وهُناك اعتراف دولي بدور تونس في نشر القيم عبر الثقافة والإبداع وقد ارتبطت الثقافة بالتنمية في البلاد؛ وهذا ما جعل من تونس عاصمة ثقافية؛ وهناك بلدان أخرى كانت عاصمة ثقافية؛ لكن لم يسمع بها أحد.

وتُعتبر تُونس أولى دول المغرب العربي التي دخلها الإسلام؛ ولهذا أصبحت عربية منذ وقت مُبكر؛ ولا تُوجد الجماعات التي تتحدث البربرية إلا في بعض المناطق الجنوبية.

تتخلّل الجبال أوديةً كثيرةً؛ أهمّها وادي المجردة؛ ويسيل فيه نهر المجرّدة؛ وهو أكبر أنهار البلاد؛ وبين الجبال والصّحراء ثمّة سباخ مالحة كثيرة أهمّها سبخة الجريد؛ أو شطّ الجريد؛ وشط الغرسة في الغرب الأوسط من البلاد.

تُغطّي الصّحراء النّصف الجنوبي من أراضي تونس؛ ما عدا حقلاً للنّفط في الجنوب؛ ويتجمّع نشاط البلاد الاقتصادي في الشّمال وخصوصاً على طول الشّواطئ.

والجمهورية التونسية تُعد من البُلدان الرائدة في صون التنوع الإحيائي؛ وإقامة المحميات الطبيعية؛ وقد استخدمت تونس في وقت مُبكر الماء المالح في الزراعة؛ ولديها أطلس من الخرائط العلمية المُدققة لتوزيع أنماط الغطاء النباتي؛ وهي تُنمي غابات المراعي في جنوب البلاد؛ وتُكافح الانجراف فيه.

كانت تونس خاضعةً لحُكم الرّومان؛ وغزاها العرب فاتحين؛ فأصبحت تحت حُكم المُسلمين؛ وأشهر الدّول التي تعاقبت عليها: دولة الفاطميّين؛ والأغالبة؛ والحفصيّين. وفي عام ١٥٧٤م خضعت لِحُكم العثمانيّين؛ ثم لحُكم الفرنسيّين عام ١٨٨١م؛ وفي عام١٩٥٦؛ نالت تونس استقلالها. ونظام حكمها برلماني جُمهوريّ.

مُناخُ تُونس مُعتدل متوسّطي على السّاحل الشرقي والشمالي؛ وصحراوي قاحل في الجنوب؛ وقارّي حار في الوسط. وما تزال الزّراعة في تونس قديمة وتقليديّة في وسائلها وتقنياتها. ومن زراعات تُونس المُهمّة زراعة الزّيتون؛ والعنب والحمضيات؛ والنّخيل؛ والحبوب؛ والبقول؛ والتّبغ والشّمام.

تُنتج تُونس النّفط والفوسفات؛ ويُعرف إنتاج النفط في الوقت الحاضر حالةً من الرّكود؛ وأهمّ معادنها ومناجمها مناجم الرّصاص والفوسفات والحديد؛ والآبار النّفطية فيها غير مستثمرةٍ استثماراً تاماً.

أمّا الصّناعة في تونس فقد شهدت نمواً سريعاً جداً في السّبعينيات من القرن العشرين؛ وخصوصاً في مجال النّسيج والصّناعات الزّراعية الغذائية؛ وأخيراً في ميدان الإلكترونيات والبتروكيمياويات؛ وأهمّ صناعاتها: صناعة الجلود؛ والصّابون؛ والزّيوت؛ والنّسيج؛ والأغذية؛ والأسمنت؛ والأواني النُحاسية؛ والخزفيّة وأهم صادراتها زيت الزّيتون؛ والزّيتون؛ والفوسفات والأسمدة؛ والتّمور والأسماك.



تُشكّل السياحة مع النفط والفوسفات ثروات تونس الاقتصادية؛ وبفضل السّلام الذي يسودها بلغت حصّة السياحة فيها ٨,٥ % من النّاتج القومي الإجمالي.

شهدت تونس في أوائل عام ١٩٩٤م حالةً من الاستقرار السّياسي؛ وتراجعاً كبيراً في التّضخم؛ ونمواً اقتصادياً وحُريّةً شبه تامةٍ في التّبادل التجاري؛ وهي تُحقّق الآن نجاحاً اقتصادياً لا ريب فيه؛ وهذا مّا يجعل منها البلد المحظوظ في المغرب العربي.

* * * * *

# مدينة تونس

مدينة تُونس هي عاصمة الجمهورية التّونسية وإحدى أهمّ المُدن الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسّط. وتطلّ على خليج تونس لجهة الشّرق حيث مرفأها التّجاري المُزدهر؛ وهي تتميّز بمناخها المتوسطيّ المُعتدل؛ وكثرة البساتين والحدائق؛ كما أنها مركزٌ مُهم من مراكز التجارة والصّناعة؛ وتتعدّد فيها المصانع التي تُنتجُ الأدوات الكهربائية والمنزلية؛ والمنسوجات القطنية والصّوفية والحريريّة؛ والزّيوت النباتية والصّابون؛ والمواد البلاستيكيّة والأدوية الزّراعية ومبيدات الحشرات والمُنظّفات والأسمدة؛ والأسمنت؛ كذلك فإنّها تُنتج بعضاً من الصناعات التّحويلية الحديثة.

يُعدّ مرفأ تونس من أهم المرافئ الواقعة على الشّاطئ الجنوبي الغربي للبحر المتوسط؛ وبه عدة أحواض لاستقبال السّفن من جميع البلدان. وفيها مطار دولي يتّسع لاستقبال أكبر الطائرات.



وفي تُونس العديد من الجامعات والمعاهد الفنية والصّناعية والزراعية؛ وأبرز معالم تُونس جامعها التاريخي الشهير المعروف (بجامع الزيتونة) في قلب العاصمة؛ وهو مُميّز بعمارته وقِبابه وأقواسه وأعمدته الرُخامية؛ والخطوط العربية المنقوشة عليه؛ وأعمال السيراميك؛ وصومعته (أيّ

مئذنته) التي تقوم على قاعدةٍ مُربّعة الشكل كسائر مآذن شمال إفريقيا؛ وهي من أجمل المآذن.

وجامع الزيتونة في الوقت نفسه جامعة دينية وعلمية؛ على غرار الجامع الأزهر بالقاهرة؛ وقد تخرّج منه كِبار العُلماء أمثال ابن خلدون؛ وأبو الحسن الشاذلي؛ والبوصيري أبو الحسن علي؛ وهو صاحب القصيدة البوصيرية في مدح النبي المعروفة بالبُردة؛ وأبو القاسم الشابي؛ وغيرهم كثيرون.

وتُعتبر منارة جامع الزيتونة مركز إشعاع ديني وعلمي هام؛ وأيضاً مكتبة الشيخ الشاذلي الخاصة التي تحتوي على ١٤٠٠٠ عنوان مطبوع؛ و١٠٠٠ مخطوط يعود بعضها إلى ٩٠٠ عام مضت؛ منارة كبيرة للعلم هي الأخرى.

ويعود اسم جامع الزيتونة إلى أن البلاد التونسية اشتهرت بزياتينها؛ وقد كان هذا الجامع بمنزلة جامعة إسلامية تُنير العقول بهدى الإسلام؛ وأبرز من درس فيه خالد بن أبي عمران؛ وعلي بن زياد؛ واستمرت الثقافة الإسلامية في هذه الجامعة حتى خرجت فحول العُلماء أمثال القاضي ابن البراء؛ وولي الدين ابن خلدون الحضرمي؛ وقد حافظ جامع الزيتونة على الشخصية التونسية أثناء الاستعمار الفرنسي.

وجامع الزيتونة من أبرز ملامح العصر الإسلامي الذي بدأ في تونس مع دخول عُقبة ابن نافع في مُنتصف القرن السابع الميلادي حيث شيد هذا القائد العربي مدينة القيروان؛ ومسجدها المعروف أيضاً؛ واتخذها عاصمة إسلامية؛ وفي عام ٨٠٠ أسس إبراهيم بن الأغلب دولة الأغالبة التي استمر حُكمها لمُدة قرنين حيث ازدهرت خلالهما البلاد.

والبلاد التونسية التي جملها الله بطبيعتها المتوسطية مما جعلها مهد الحضارات تعود إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام؛ فقد تأسست فيها مدينة قرطاج عام ٨١٤ ق. م؛ وازدهرت حتى نافست روما على السيادة في البحر المتوسط.

ونرى في الفترة الأخيرة من حُكم العثمانيين بتونس؛ حيث قامت ثورة عسكرية عام ١٥٩١م حدت من سُلطة الباشا العُثماني؛ وانتقلت السُلطة الفعلية إلى البايات واستمرت تونس محكومة من قِبلهم حتى عهد آخرهم محمد الأمين باي؛ والأمراء الحسينيين الذين كانوا يتبعون للحُكم العُثماني ما بين القرن الخامس عشر وحتى الثامن عشر؛ وعندما جاء الفرنسيون تابع البايات حُكمهم شكلياً؛ ومما يُلفت النظر أن الأضرحة المصنوعة من رخام إيطالي كانت مُستطيلة الشكل يرتكز عليها عمود في أعلاه شكل الطربوش الذي

كان يرتديه الباي الذي يرقد في الضريح؛ ومما يزيد ذلك المكان رونقاً زخرفة جُدران المبنى من الداخل بالرُخام المنقوش؛ وفي صدر قاعة قبور البايات كانت بعض البيارق أو السناجق الخضراء التي ترافق الباي أثناء جولته الرسمية مع رجاله في الأسواق؛ ولعل أجمل قاعات هذا المبنى تلك التي ترقد فيها الفتيات اللواتي وافتهن المنية وهُن عازبات؛ فقد كانت القاعة مُدهشة بجمالها الزُخرفي؛ وبصفاء ألوانها؛ وبإنارتها سواء الكهربائية أو الطبيعية.

وأيضاً دار ابن عبد الله التي تُعتبر مُتحفاً للتقاليد والزي التُونسي؛ وفي هذه الدار يحصل الزائر على فكرة مُتكاملة عن الحياة اليومية للأسرة التونسية في مطلع هذا القرن؛ فمُعظم البيوت كانت غُرفها منظمة على شكل حرف T وفيها مكان للأطفال؛ ومكان مُخصص للضيافة وللأب رب الأسرة؛ ومُستلزمات المنزل سواء من أدوات الاستحمام أو أدوات المطبخ؛ وحال مُعظم القاعات في هذا المُتحف كحال المتاحف الأخرى في تونس وفي البلدان العربية حيث تضم الخزائن أزياء النساء سواء من حيث المُناسبات أو من حيث الأعمار أو المكان أو من حيث المنزلة الاجتماعية؛ كما تشتمل على أزياء الأطفال وربما كان أجمل أزيائهم ذلك المخصص لحفلة الختان؛ كما يحتوي المُتحف على تفصيلات لحياة الرجل وملابسه كالشال والملوسة (الطربوش) و(البُرنس الأبيض) للمُناسبات؛ أما الأسود فهو اللباس الاعتيادي؛ وأما عموم لباس الرجل فينقسم إلى قسمين حسب المذهب الحنفي والمذهب المالكي؛ وفي قاعة الرجال بدا كُلٌ حسب منزلته الاجتماعية.

والفكرة الرائعة سواء في دار ابن عبد الله أو في باب زويلا بالمهدية هي (المواجل) أي الآبار التي تمتد إليها فوهات أنابيب مُمددة من السطح الواسع حيث تتجمع مياه الأمطار وتتجه للأنابيب التي تنقلها للآبار النظيفة التي تُعتبر مخازن أرضية للمياه؛ وهذه واحدة من أبرز أساليب تأمين المياه قديماً.

ومع كثرة الملامح التي تُعجب زائر تونس سواء من حيث الطبيعة أو التراث فإن هُناك فكرة رائعة برغم بساطتها؛ فبالإضافة إلى أشكال الأبواب كباب خضرا وباب سعدون وباب العسل وغيرها؛ وبالإضافة إلى جمال الطبيعة فإن اللافتات التي تدعو الناس إلى حضور الأنشطة الثقافية وفي مجالات عديدة تُغطي الجُدران وتتوزع في مُختلف الأمكنة؛ وهذا أحد أساليب الدعوة والإعلان عن الفعاليات الثقافية.

سارت الحركة التشكيلية التونسية على سكة واضحة وخط قويم؛ والفن التشكيلي

قديم حيث عُرفت مدرسة صفاقس بالرسم على الزُجاج في عام ١٨٤٠م؛ وتطورت الحركة الفنية حتى تعددت المعارض وتنوعت التجارب التي كانت مُحتشمة وخجولة فيما مضى؛ والإبداع التشكيلي حُر بطبيعته.

والجميل أن في كُل مكان في تونس نجد الثقافة قد دب دبيبها فيه؛ والأجمل من ذلك أن الشعب متجاوب مع فعاليات هذه الظاهرة؛ ولسان حال الصحافة يتغنى بها بشكل يومي وآذانها مُرهفة تترصد الفعاليات المُقامة تحت هذا الشعار؛ لذا أصبحت تونس جديرة بأن تكون عاصمة ثقافية.

وتُونس تُعتبر مدينة تاريخية قديمة؛ وكان اسمها في القديم ترشيش؛ وكان يُحيط بها سور حصين طوله ٢١ ألف ذراع؛ ولها خمسة أبوابٍ؛ أهمّها باب الجزيرة القِبلي؛ ويخرجُ منه إلى القيروان ويُقابله جبل التّوبة؛ وكان أهلها يشربون من الآبار والمجامع التّي يتجمّع فيها ماء المطر؛ وفي كُلّ دارٍ مجمع؛ وهي من أصح بلاد إفريقيا هواءً؛ وأطيبها ثماراً؛ وأنفسَها فاكهةً؛ ومنها اللّوز الفريكُ؛ والرّمان الضّعيف الذي لا عجو له البتّة؛ والتين الخارمي الأسود الرّقيق القشر والكثير العسل؛ وغيرها من الفاكهة الطّيبة والعنّاب؛ وفيها من أجناس السّمك ما لا يُوجد في غيرها؛ حيث يُملّح فيبقى لُمدةً صالحاً للأكل.

تَحّدثَ القُدماء عن القصر الذي كان يُشرف على تُونس وعلى البحر؛ وعن الغار الموجود في أسفل جبل التوبة المُطل على المدينة؛ كما تحدثوا عن جامعها الرّفيع البناء المُطل على البحر. وتحدثوا عن أسواقها الكثيرة ومتاجرها وفنادقها وحمّاماتها ودور أهاليها المبنيّة بالرّخام البديع.

وقعت تونس تحت حكم الرّومان؛ وافتتحها العرب في عهد عبد الملك بن مروان؛ ومن أهم معالمها الأثرية التي تحدث عنها التاريخ: -

١ - مُتحف باردو القومي وهو أكبر المتاحف التونسية؛ ويحوي آثاراً من مختلف أنحاء الجمهورية. ويشتهر بصفةٍ خاصةٍ بما يحتوي من فُسيفساء؛ وبعض قاعات المُتحف كانت

في الأصل جُزءاً من قصر الباي السّابق.

تضم الآثار المعروضة في المُتحف آثاراً تمثّل عصر ما قبل الميلاد؛ وآثاراً رومانيةً ومسيحيّةً وإسلاميةً.

٢ - المُتحف القومي للفنون الإسلامية؛ وهو يُمثّل بيتاً عربياً يعود إلى القرن الثامن عشر للميلاد.

ويحتوي هذا المُتحف على عددٍ من الأشياء المصنوعة في تونس والمشرق؛ كالأواني الزُجاجية والأواني المصنوعة من الفخار؛ بالإضافة إلى الأقمشة والمخطوطات... إلخ.

٣ - المُتحف الإقليمي للفنون والتراث الشعبي وهو عبارة عن بيت جميل يرجع بناؤه للقرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي. ويعرض هذا المُتحف الملابس والمجوهرات والأدوات المنزلية... إلخ؛ التّي تُمثّل العادات والتقاليد التونسية القديمة.



٤ - مُتحف القطع النّقدية؛ وفيه مجموعةٌ كبيرةٌ من القطع النقدية التّي تمّ اكتشافها في تونس؛ وتعود إلى عهد الحضارة القرطاجية حتّى الآن.

٥ - مُتحف الطّوابع التّذكارية؛ ويعرض تاريخ النظام البريدي التونسي مُنذ نشأته؛ ويبرز ذلك بالصُّور والمُستندات والطوابع؛ كما يُمكن شراء بعض الطوابع التذكارية منه.

٦ - المعهد القومي للدراسات المائية في سلامبو؛ وهو معرض للأبحاث المائية؛ حيث تُعرَض فيه حياة الكائنات البحرية.

٧ - مُتحف قرطاج القومي؛ ويعرض هذا المُتحف تاريخ قرطاج؛ والحضارة الرومانية؛ وقد تمّ تجديده مُؤخّراً وجرى تقسيمه إلى أربعة أقسام: ما قبل التاريخ؛ حضارة قرطاجة؛ الحضارة الرومانية؛ والحضارة المسيحية.

٨ - مُتحف سلامبو ويعرض الأماكن القديمة التي كانت تُقدَّم فيها القرابين لآلهة

قرطاجة.

٩ - حمّامات أنطونيوس؛ وهي حمّامات رومانية ضخمة؛ وأحياء رومانية قديمة بشوارعها ومبانيها الأثرية؛ هذا بالإضافة إلى وجود متاحف صغيرة تقع تحت الأرض؛ وأعمدة وأحواض تعود لعهد قرطاجة القديمة.

١٠ - المُنتزه الأثري وهو يعرض آثار قرطاجة وروما القديمَتين؛ وتُعرَض الآثار الرومانية في الهواء الطلق؛ الأمر الذي يجعل منظرها خلاّباً.

ومن صناعاتها اليدويّة التي تمتاز بها: -

تمتاز تونس بتاريخها الطّويل في الصّناعات الحِرَفية اليدويّة؛ وقد اكتسبت خبرةً في هذا المجال من الحضارات والشعوب المختلفة التي مرّت بها؛ فترى في السّوق الصواني النّحاسية المُزخرفة والأواني المنزلية الجميلة وتحفاً من خشب الزيتون المحفور والحقائب الجلدية والتحف المكتبية والبلاط الصّيني والأوعية الفخارية والتطريز اليدوي الرائع والمجوهرات الفضية المعدنية بصفةٍ خاصةٍ؛ والسّجاد والبسط والمنتجات الفاخرة منتشرة بشكلٍ واسعٍ في مختلف أسواق تونس. ويشرف على صناعة هذه الأشياء بشكلٍ دقيقٍ المكتبُ القومي للفنون اليدوية[1].

* * * * *

## القيروان



تقع القيروان في الصحراء جنوبي تونس؛ وتُعرَف أيضاً باسم رابعة الثّلاث بعد مكة المكرّمة والمدينة المنورة والقدس الشريف؛ ذلك لأنّها أقدم وأوّل مدينةٍ إسلاميةٍ في المغرب؛ وقد بناها القائد عقبة بن نافع لتكون قاعدةً لنشر الإسلام في المغرب العربي وإفريقيا.

---

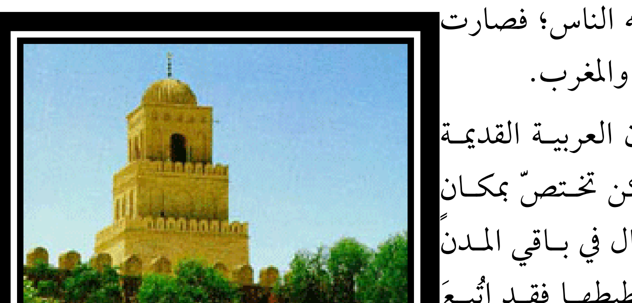
(١) وصنفتها مُنظمة اليونسكو مدينة تُراثية عالمية عام ١٩٧٩م.

وبناء القيروان بهذه المنطقة لا يعني أنّها شكّلت أوّل وجودٍ بشري حضاريٍ هناك؛ إذ أنّ المنطقة كانت مأهولةً مُنذ القِدَم؛ حيث بَيّنت الاكتشافات الأثرية وجود أدواتٍ حجريةٍ للإنسان القديم؛ وبعثرتها عوامل الانجراف على ضفاف وادي مرق اللّيل في منطقة العلا.



وحين تَوَسّط عقبة بن نافع الصحراء حيث تونس الحالية؛ توقّف عند منطقةٍ رآها صالحةً لتُعَسكر فيها قوّاته؛ ورأى فيها ملاذاً آمناً لاستراحة القوافل التي تنتقل بين الشّرق والغرب؛ فحطّ فيها الرّحال؛ وخطّ بعصاه على الأرض حدود المُعسكر. فكان اختيار عقبة لهذه المنطقة عن بُعد نظر. فهي تقع في جوف الرّوابي على منتصف الطريق بين الحصون والشواطئ البيزنطية؛ ومخابئ البربر الجبلية؛ فاتخذها محطةً لاستراحة القوافل ومركزاً لانطلاق الإسلام؛ وأطلق عليها اسم (القيروان) ومعناها في اللغة العربية القافلة.

لّما كان موقع المدينة بعيداً عن العمران في وسط الصحراء كانت آمنةً من هجوم الأعداء. لكن عزلتها هذه لم تمنعها من أن تكبر وتنمو. وكان أوّل ما شُيِّدَ فيها هو دار الإمارة والمسجد الجامع؛ وكان بادئ الأمر فضاء ليس فيه بناء؛ ويُصلّى فيه كذلك. وبعد تحديد محراب المسجد اقتدى به الناس؛ فصارت القيروان من أهم مُدن إفريقيا والمغرب.



تختلف القيروان عن المُدن العربية القديمة في أن كلّ قبيلةٍ نزلت بها لم تكن تختصّ بمكان مُعيّن من المدينة كما هو الحال في باقي المدن الإسلامية. أمّا بالنسبة إلى تخطيطها فقد اتُبِعَ تخطيط المدن السابقة نفسه؛ حيث يبدأ بتخطيط المسجد ودار الإمارة؛ ويلي ذلك السوق والمساكن والطرق والشوارع.

كان للقيروان سور لـه ١٤ باباً. وكان سوقها مُتّصلاً بالمسجد من جهـة القبلـة وممتـداً إلى بابٍ يُعرَف باسم باب الرّبيع. وكان لهـذا السـوق سـطح تتّصـل بـه جميـع المتـاجر والصّناعات.



أقيمَـت حـول القـيروان أسـوار عاليـة تطـوّرت علـى مـدى التـاريخ لتكـوّن قلعـةً حصـينةً تصـدّ عنهـا حجارتهـا المتراصـة هجمـات الغـزاة؛ ولم ينقطـع أهـل القـيروان عـن إصـلاح الأسـوار مـرةً بعـد مـرّةٍ؛ لأن الهجمات كانت تنكسر فوق هذه الأسوار؛ وإن كان يصيبها الكثير من الهـدم؛ ومـن ذلـك ما حدث حين قامت المدينة ثائرةً ضد حكم الأغالبة؛ وما حدث أيضاً عند الغزوة الهلاليـة (بني هلال). وقد صمدت القيروان في منتصف القرن الثامن عشر أكثر من خمس سـنواتٍ على الحصار المفروض عليها؛ بل أجبرت الحاكم على دفع تعويضاتٍ لها.

وأثناء الحرب العالمية الثانية هدم الألمان قسماً من القيروان لاستعمال حجر الطّـابوق لبناء مدرجٍ للطّائرات.

وممّا يُميّز القيروان أنّها لم تفـارق أسـس تنظيمهـا إلى اليـوم؛ فحافظـت علـى نسـقها المعماري الأصيل. وما يزال مسـجد القـيروان أشـهر مسـاجد إفريقيـا والمغـرب العربـي؛ شاهداً على أصالة المنطقة. فقد وضع أساسه وتصميمه عقبة بن نافع وجرى تطويره علـى تتابع القرون والأزمنة؛ ولـه أعمدة عديدة ومتنوّعة تعود لمعابد رومانية وكنـائس بيزنطيـة. ويُعتبر من أذخر التّراث الإسلامي في تونس ويؤمّه الكثير من السيّاح سنوياً[١].

* * * * *

# المنستير

تمتدّ على طول السّاحل التونسي جنوب شرق سوسة؛ فتمرّ ببساتين الزيتـون؛ سـبخة صغيرة وواحة الدّخيلة حتى الـدخول إلى المنسـتير؛ بمسـافة ٢٥ كـم علـى الجهـة الجنوبيـة لخليج الحمّامات.

كانت المنستير فيما مضى قلعةً بيزنطيةً وحصناً (رباطاً) إسلامياً ومدينـةً مقدّسـةً بعـد

---

(١) صنفتها مُنظمة اليونسكو مدينة تُراثية عالمية عام ١٩٨٨م.

انحدار أهميّة القيروان في القرن الحادي عشر؛ كمركزٍ للحج. فتحها الأتراك بعد الأسبان.



وبعد الاستقلال جعلها الحبيب بورقيبة؛ وهي مسقط رأسه؛ نموذجاً لتونس.

أهم حصن لبني تغلب يقع بالقرب من البولفار الساحلي الذي يوجد فيه مُتحف إسلامي يحوي معروضات منذ العصر الأموي حتى العصر التّركي؛ ويُقام فيه في الوقت الحاضر مهرجان الصّوت والضوء في فصل الصّيف. كما يوجد في المنستير الجامع الكبير الذي يعود تاريخه إلى القرن التّاسع الميلادي؛ ومُتحف التاريخ الوطني؛ وجامعة واستوديوهات السينما وملعب كبير.

*****

# تطوان

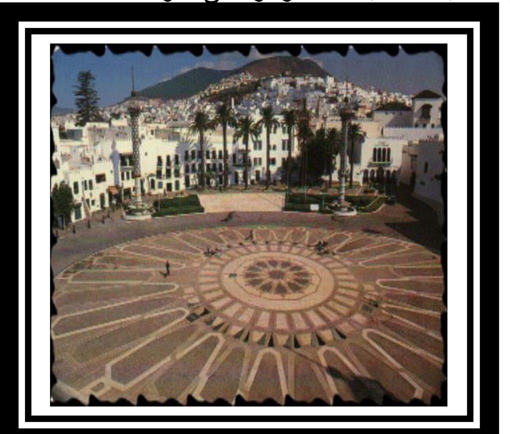
اكتسبت منطقة تطوان المغربية خلال العهد الإسلامي أهمية كبرى؛ إذ كانت بمثابة نقطة عبور ما بين شبه الجزيرة الإيبيرية والمغرب. ولم تظهر أهميتها إلا في نهاية العصر الوسيط؛ وخاصة بعد سقوط مدينة سبتة ومراكز ساحلية أخرى في أيدي الغزاة الأسبان والبرتغاليين.



في عام ١٢٨٦م شيّد السلطان المريني أبو يوسف يعقوب قصبة محصنة بتطوان بهدف الحد من الأخطار الخارجية. ومع بداية القرن الرابع عشر؛ عرفت المدينة تطوراً مهماً سرعان ما اضمحل بسبب تعرضها للنهب والتخريب من طرف الأسبان. وفي نهاية القرن الخامس عشر؛ أعاد بناءها السلطان محمد الشيخ الوطاسي بمساعدة مهاجرين أندلسيين؛ لتعرف مع بداية القرن السادس عشر توسعاً

معمارياً كبيراً خصوصاً في جزأيها الجنوبي الغربي (حي الرباط الأسفل) والشمالي الشرقي (حيّ الرباط الأعلى). وقد استمر هذا التطوّر المعماري حتى منتصف القرن الثامن عشر مع إعادة بناء التحصينات التي أعطت للمدينة صورتها الحالية.

تحتوي مدينة تطوان على عدة أزقة رئيسة تربط بين أبواب المدينة وساحاتها وبناياتها العمومية؛ كالفنادق والمساجد والزوايا؛ إضافة إلى مختلف الأحياء التجارية الأخرى الخاصة بالحرف التقليدية. كما تخترق المدينة عدة أزقّة ثانوية تضارع النسيج الحضري للمدينة؛ الذي يتكون من ثلاثة أحياء هي: الرباط الأعلى والرباط الأسفل وحارة البلد. هذا الأخير يعتبر أقدم أحياء تطوان وأحسنها صيانة؛ حيث تتمركز جل الورشات الخاصة بالحرف التقليدية وأهم المعالم التاريخية؛ كقصبة سيدي المنظري والمسجد ومخازن الحبوب وبعض الدور السكنية المتميزة عمرانياً والتي يغلب عليها الطابع الهندسي المورسكي. وقد تم تسجيل تطوان تراثاً إنسانياً عام ١٩٩٨.



يحيط بمدينة تطوان جدار دفاعي طوله ٥ كم وسمكه ١,٢٠ متراً. أما علوه فيتراوح بين ٥ و٧ أمتار. وتلتصق به من الخارج عدة دعامات وأجهزة دفاعية مُحصنة؛ مثل قصبة جبل درسة في الشمال وأبراج باب العقلة وباب النوادر والبرج الشمالي الشرقي؛ وتخترق هذا الجدار من كل الجوانب سبعة أبواب.



بُني هذا السور على عدة مراحل ما بين القرنين ١٥ و١٨م؛ إلا أنه عرف أعمال هدم وتخريب خلال منتصف القرن ١٨م أثناء الأحداث التي شهدتها تطوان بعد وفاة المولى إسماعيل. ثم أعيد بناؤه في الفترة نفسها إبان حكم سيدي عبد الله بن المولى إسماعيل.

تحتل قصبة سيدي المنظري الزاوية الشمالية الغربية للمدينة؛ الشيء الذي يُمكّنك من مراقبة كُل الممرات انطلاقاً من المرقاب الذي يعلو أحد الأبراج.

وقد بُنيت كل المعالم الداخلية للقصبة خلال القرن الخامس عشر أثناء فترة إعادة بناء المدينة. وهي تتكون من قلعة ومسجد جامع ودار وحمام صغير. وكانت تشكل فيما مضى مركزاً للسلطة الحاكمة؛ وقاعدة عسكرية؛ هذا إضافة إلى مقر للسكن بالنسبة لمؤسّسها.

يقع جامع القصبة بالحي الذي توجد فيه بقايا حصن سيدي المنظري وسط المدينة العتيقة. وقد بني من طرف سيدي المنظري مع نهاية القرن ١٥. صمم هذا الجامع على شكل مربع يصل طول أضلاعه إلى ٢٠ متراً. وهو لا يتوفر له صحن؛ ويتم الدخول إليه عبر ثلاثة أبواب؛ الأولى جنوبية والثانية شمالية أما الأخرى فغربية ومجاورة للصومعة. هذه الأخيرة ذات شكل مربع وهي تنتصب في الزاوية الشمالية الغربية. ويرتكز المسجد على أعمدة تعلوها أقواس مكسورة وهو مغطى بسقوف خشبية مائلة مغطاة بالقرميد؛ ويجاور ضريح سيدي عبد القادر التابين الجزء الجنوبي لسور المدينة؛ وهو يقع بالقرب من حدائق مولاي رشيد. تضم هذه المعلمة قبر الشريف سيدي عبد القادر التابين الذي ينسب إليه بناء مدينة تطوان خلال الفترة الموحدية (القرن ١٢م).

أما الجامع الكبير فيقع في حي البلد بالقرب من الملاح البالي وسط المدينة العتيقة. تم بناؤه على شكل مستطيل بإذن من السلطان المولى سليمان في عام ١٨٠٨م. ويصل طول أضلاعه إلى ٣٥ متراً من جهة الشرق و٤٥ متراً من جهة الشمال. ويتكون من قاعة عميقة للصلاة وصحن كبير مكشوف تتوسطه نافورة ماء تصب مياهها في صهريج. وتحيط بالصحن أروقة.

يتم الولوج إلى المسجد عن طريق بابين رئيسيين وثالث مخصص للإمام في الجهة الشمالية. وترتكز الأقواس المتجاورة والمكسورة لقاعة الصلاة على أعمدة مبينة ويعلوها سقف خشبي مائل مغطى بالقرميد. وفي الزاوية الجنوبية الغربية ترتفع المئذنة التي تعد الأعلى بالمدينة؛ وهي مزخرفة على الواجهات الأربعة بعناصر هندسية متشابكة تتخللها زخارف زليجية تطوانية مُتعددة الألوان.

تتوفر لمدينة تطوان أكثر من ٢٠ سقاية تمكّن السكان والزائرين من التزود بالماء. وهي سقّايات عمومية تم بناؤها إما من طرف السلطات أو أعيان المدينة ويرتبط بها صهريج لسقاية البهائم. ومن أجمل السقايات الموجودة بالمدينة والتي تتميز بزخارفها الزليجية

الجميلة؛ نذكر سقاية باب العقلة. وقد بنيت كما تشير إلى ذلك كتابة منقوشة على إفريز من الزليج في منتصف القرن ١٨م من طرف القائد وعامل المدينة محمد لوكاش.

ولتطوان عدة منازل تقليدية وقديمة تجسد التطور العمراني الكبير والفني والزخرفي الذي شهدته هذه المدينة التي يشار إليها على أنها وليدة غرناطة. من بين أجمل هذه البيوت نذكر دار اللبادي التي بنيت وسط المدينة القديمة من طرف الباشا اللبادي خلال القرن ١٩م. وقد تغيرت وظيفتها حالياً لتصبح قصراً للحفلات والأفراح.

بنيت مدرسة جامع لوكش عام ١٧٥٨ من طرف القائد عمر لوكش؛ وذلك بأمر من السلطان سيدي محمد بن عبد الله؛ وقد كانت المدرسة تسخّر لإقامة الطلبة القادمين من المناطق المجاورة لطلب العلم في مساجد المدينة وخاصة بالجامع الكبير. وهذه المؤسسة العلمية ذات شكل مستطيل طوله ٢٥م وعرضه ١٨م وتضاف إليها في الزاوية الشمالية إحدى البنايات التي زيدت لاحقاً وتستعمل كإدارة.

بُنيت المدرسة على طبقتين: فالطبقة السُفلى تتكون من ٢٠ غُرفة مساحاتها تتراوح بين ٣ إلى ٦ أمتار مربعة وهي مفتوحة على رواق مغطى يؤدي إلى ساحة تتوسطها حديقة مساحتها أكثر من ١٠٠ متر مربع.

يرتبط اسم قلعة أو حصن سيدي المنظري ببقايا سور وثلاثة أبراج ملتصقة به. هذا السور الذي يبلغ طوله ٦٥ متراً وعلوه ٧ أمتار؛ مدعم من جهتيه الجنوبية والشمالية ببرجين مربعي الشكل؛ ويتوسطه برج آخر متعدد الأضلاع وأصغر حجماً. وتتصل هذه الأبراج فيما بينها بممر حراسة يتم الدخول إليه عبر درج محاذٍ لباب القصبة. هذا الأخير عبارة عن جهاز دفاعي ذي انعطافات؛ وبداخله غرفتان مربعتان مغطاتان بقبة دائرية[1].

* * * * *

(١) وصنفتها مُنظمة اليونسكو مدينة تُراثية عالمية عام ١٩٩٧م.

# مدينـة بنْـزِرْت

بِنْزِرْتُ مدينة تونسية تقع على ساحل تونس الشمالي؛ شمال غربي العاصمة وتبعـد عنها بأكثر من ستين كيلو متراً؛ وذلك في موقع استراتيجي يـتحكم في ممـر بنتلاريـا الـذي يربط بين حوضـي البحـر المتوسـط الشـرقي والغربي. ويعتقد أن بنزرت شـغلت موضـع مدينـة هبـود يرتـوس الفينيقيـة الـتي اسـتولى عليهـا الرومـان فيمـا بعــد؛ وحكمهـا الإمبراطور أغسطس.



وعلى الرغم من أهمية موقع بنزرت إلا أن هذا الموضع الذي تشغله مـا بـين البحـر والبحيرة لم يتح لها الامتـداد والتوسـع؛ فلـم تكن منـذ أنشـئت إلا مدينـة صـغيرة تميـزت بكثرة أسماكها ورخص أسعارها وبأسواقها وبساتينها؛ وقد وصفها ابن حوقـل في القـرن الرابع الهجري؛ العاشر الميلادي؛ بأنها مدينة صغيرة أقل شأناً من مدينة سوسـة. وبنـزرت الآن مدينة صغيرة ومركز لولاية بنزرت وعدد سكانها؛ حسب تعداد عام ألفٍ وتسـعمائة وأربعة وثمانين ميلادية أربعة وتسعون ألفـاً وخمسـمائة وتسـعة نسـمات وهـي تحـاول أن تستعيد نشاطها في صيد أسماك السردين والمـاكرو والجمـبري؛ الـذي تميـزت بـه؛ والـذي تدهور فيما بعد. وهناك جهود طيبـة مـن الـديوان القـومي لصـيد الأسمـاك كـي تسـترد بنزرت منزلتها في هذا المجال. وهناك صناعات حديثـة في بنـزرت مثـل الحديـد والفـولاز وإصلاح السفن ومصنع للجرارات الزراعية وصناعة الأسمنت ومصفاة للنفط.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

# الجــزائر




أهم ما يُميز الجزائر التضاريس؛ حيث أن أخفض نُقطة هي شط ملهرير وتبلغ ٤٠م تحت سطح البحر؛ وأيضاً تُعتبر أعلى نُقطة هي طاهات وتبلغ ٣٠٠٣م.

الجزائر دولة عربية مُستقلّة وعضو في جامعة الدّول العربيّة. وتقع على ساحل البحر الأبيض المتوسّط؛ وفي شمال القارّة الإفريقية؛ ويحدّها شمالاً البحر المتوسّط؛ وغرباً المملكة المغربية؛ وجنوباً موريتانيا ومالي والنّيجر؛ وشرقاً تونس وليبيا؛ عاصمتها مدينة الجزائر؛ واللّغة الرّسمية هي العربيّة؛ والعُملة المُتداولة هي الدّينار الجزائري؛ وأهمّ مُدنها: وَهْران؛ وعنّابة؛ وقسنطينة؛ وتلمسان.

وكانت الجزائرُ خاضعةً لقرطاج في القرن السّابع قبل الميلاد؛ ثُم احتلّها الرّومان عام ٤٢ ق. م؛ وفتحها العرب عام ٦٨٢م؛ وخضعت لحُكم الفاطميّين وبني عبد الواد والحفصيّين؛ وفي عام ١٥١٨م خضعت لحُكم العثمانيين؛ ثُمّ احتلّها الفرنسيّون عام ١٨٣٠م؛ وفي عام ١٩٥٤م؛ واندلعت الثّورة الجزائرية من أجل التّحرير؛ فنالت استقلالها عام ١٩٦٢م.

يُحدّثنا التاريخ عن هذه المدينة التي كانت قديماً مركزاً تُجارياً للفينيقيّين؛ ومن ثم مُستعمرةً تابعةً لمدينتهم قرطاجة؛ وبعدهم جاء الرّومان ثمّ البيزنطيون حتّى قدوم العرب؛ وفي عام ٩٣٥م أعاد الأمير بولوجني بناء مدينة الجزائر؛ وسمّاها بهذا الاسم تيَمُّناً بأسماء الجُزُر الواقعة قبالة الشّاطئ.

تقعُ مدينة الجزائر إلى الجهة الغربية من خليجٍ كبيرٍ كان السّبب في انتعاشها تجارياً؛ وإلى الغرب منها تقعُ المنارة وقيادة البحريةِ الجزائرية. والواجهة البحرية في المدينة عبارة عن ميناءٍ يضمّ ١٢ رصيفاً؛ وهي امتدادٌ لأرصفة هذا الميناء حتّى شارع جيش التّحرير الوطني الذي يتّجه داخلياً قاطعاً وادي الحراش؛ باتّجاه

جامعة باب الزّوار حتّى مطار هواري بومدْين.



عنـدما استقلت الجزائـر عـام ١٩٦٢م كان كُل شيء مُفرنساً؛ فكل شيء مكتوباً بالفرنسية؛ وكذلك أسماء المدن فرنسية؛ مثلاً الجزائر (آرجي)؛ وعنابة (بونة)؛ ووهران كانت تسمى (أوران)؛ وبعـد الاستقلال أرادت الجزائر أن تُعيد وجهها الإسلامي مرة أخرى؛ فقامت بثورة أُطلق عليها (ثورة التعريب) أو (المعركة من أجل التعريب)؛ وكانت بالفعل معركة لا تقل ضراوة وعُنفاً عن المعركة المُسلحة ضد العدو.

وقبل أن تقع الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي كانت ولاية تابعة للخلافة العثمانية؛ وكانت الجزائر إلى جانب أقطار شمال أفريقيا لديها ولاء شكلي للوالي العُثماني؛ ولكنها عملياً كانت تُدير عملها بنفسها؛ ورغم هذا الولاء إلا أن اللغة التركية لم تنتشر في الجزائر بل كانت مقصورة على الحُكام العُثمانيين وعلى قطاع مُعين من الجيش الذي كان يُسمى (الإنكشارية)؛ أما التعليم فكان يتم من ألفه إلى يائه باللغة العربية؛ في المدارس والمساجد والزوايا والكتاتيب.

كما أن الإدارة كانت تسير باللغة العربية؛ ولكن بعدما جاء الاحتلال الفرنسي عام ١٨٣٠م تغيرت أمور كثيرة؛ وعمل الاستعمار على تغيير البنية الأساسية للبلد؛ ولعل من أهم المحاور التي عمل عليها الاستعمار الفرنسي لإحكام السيطرة على الجزائر أنَّ السياسة الفرنسية بعد الاحتلال اتخذت أربعة محاور وهي (محور الفرنسة؛ ومحور التنصير؛ ومحور التفقير؛ ومحور الاندماج؛ والتجنيس)؛ أما محور الفرنسة فقد قامت بإبعاد اللغة العربية وأحلت مكانها التعليم الفرنسي؛ وألغت الإدارة الجزائرية القديمة وأنشأت إدارة مفرنسة ١٠٠ %؛ واستمرت هذه السياسة حتى استقلال الجزائر؛ وأما سياسة التنصير فقد قامت باحتلال المساجد والسيطرة عليها؛ وحولت المساجد المهمة إلى كنائس وكاتدرائيات؛ وقد تم إرجاعها بعد الاستقلال إلى مساجد؛ وأما التفقير؛ فكما هو معروف أن الجزائر بلد

زراعي من الدرجة الأولى وبه أراض زراعية خصبة؛ وقد قام الاستعمار بنزع ملكية الأراضي من الجزائريين وأعطوها للأوربيين الذين أحضروهم لملء الجزائر بهم؛ أما المحور الأخير فهو الخاص بالتجنيس والاندماج؛ فقد قامت فرنسا بفرض جنسيتها على الجزائريين؛ فمثلا الشيخ عبد الحميد بن باديس؛ وهو من كبار رجال الإصلاح والسلفية كان مكتوباً في بطاقته (مُسلم فرنسي)؛ ففرنسا كانت تعترف بالإسلام كدين وتنكر علينا جنسيتنا العربية؛ لأنها أرادت أن تمسح شخصية الجزائر العربية وتجعلها جزءاً من فرنسا؛ ولهذا تم عام ١٩٣٨م إصدار قانون رسمي بأن اللغة العربية في الجزائر هي لغة أجنبية؛ أي أن الشعب الجزائري شعب فرنسي.

أرض الجزائر عبارة عن صحراء واسعة. وثمّة سهل ساحليّ في الشمال على امتداد المتوسّط؛ وجبال أهمّها: سلاسل أطلس التلّ؛ وهي بموازاة السّهل السّاحلي؛ وجبال أطلس الصّحراء باتّجاه الجنوب؛ وفيها أعلى قمّة؛ هي قمّة تاهات وارتفاعها٣٣٠٣ م. وثمة جبال القبائل والأوراس وأولاد نايل والزّاب.

ليس في البلاد أنهار دائمة الجريان؛ وإنّما هي أودية تمتلئ بالمياه في الشّتاء؛ ثم تنضبّ لتتحوّل إلى مراعٍ خصبةٍ أو لتصير أحواضاً مُغلقة تُعرَف باسم (الشّطوط)؛ وأهمها: شطّ الحَضنة وملفيج؛ وتتكوّن من صحارٍ رمليّةٍ (العرق) وحجريّةٍ (جمادة).

والجزائر هي ثاني أكبر بلدٍ إفريقيٍّ بعد السّودان؛ وتضمّ المنطقة الشّمالية؛ التي تمتدّ من سلسلة جبال الأطلس إلى البحر؛ ومناخها متوسطيّ مُعتدل شمالاً؛ واستوائي حار وجاف في الدّاخل والجنوب. وهناك تفاوتٌ كبيرٌ في درجات الحرارة؛ فمُعدّل الحرارة يُحدّد بـ ٣٦ °مئويّة في النّهار و٥ ° في المساء.

في الجنوب الجزائري واحات كثيرة؛ أشهرها: واحة أنفوسة؛ وورقلة؛ وحاسي مسعود في الجنوب الشرقي. وأشهر زراعات الجزائر: زراعة الحبوب والقمح والنخيل والكروم والحمضيات والزيتون والبصل والجزر والشّعير والتبغ؛ كما تُربّى فيها الماشية بأعدادٍ كبيرةٍ (أغنام؛ ماعز؛ أبقار).

يُشكّل النّفط والغاز الطّبيعي ثروة البلاد الرئيسية؛ وأهم مواردها تتمثّل في الغاز الطبيعي المُسيّل؛ ومن أهم آثار الجزائر سجن (بولبراوس) المعروف؛ وهو أقدم سجون المدينة؛ وكان معظم قادة الثورة الجزائرية قد سُجنوا في زنازينه الضيقة التي كانت تغلق بينما يظل السجين واقفاً حتى يخر منهاراً؛ وكذلك قصر الداي الذي يقع في أعلى نقطة

من حي القصبة؛ يشكّل رأس المثلث لـه؛ وقد تم إنشاؤه في البداية ليكـون قلعـة عسـكرية دفاعية؛ وتأسيسه كان في عام ١٠٠٠ هجرية (١٥١٩م)؛ وقد ظلـت تلـك القلعـة محافظـة على الطابع العسكري والدفاعي طيلـة فـترة وجـود العثمـانيين في الجزائـر وحتـى العـام ١٨١٧م عندما صعد الداي (علي خوجة) إلى قصـره القـديم بالقصـبة السـفلى لأسـباب أمنية؛ وأصبحت القلعة منذ ذلك التاريخ مقراً سياسياً وعسكرياً؛ ألحق بها فيما بعد قصـر البايات والمسجد الرئيسي ومسجد القوات الإنكشـارية؛ وقـد تم تسـوير القلعـة بالحـدائق الصيفية والشتوية حتى اصطبغ المكان بنوعٍ من رفاهية الحكـام؛ وبعـد عـام ١٨١٨م جـاء إليها الداي حسين حيث بقي بها ١٢ عاماً أنهاهـا بحادثـة المروحـة الشـهيرة مـع القنصـل الفرنسي والتي أدت إلى احتلال الجزائر من قبل القوات الفرنسية عام ١٨٣٠م.

وقصر (رياس البحر) أو ما يُطلق عليه مركز الثقافة والفنون؛ وهذا المبنـى الـذي بُـني في القرن ١٦ الميلادي بعد احتلال العثمانيين للجزائـر؛ ويُمثـل نموذجـاً للطـراز العمرانـي المُنتشر في شمال إفريقيا؛ وفيه كان يقيم (رياس) البحـر أو البحّـارة؛ غـير أن قصـته تبـدأ بحصار الفرنسيين للجزائر من عام ١٨٢٧م حتى عام ١٨٣٠م حيث جـرت معـارك عـدة انتهت بنجاح الفرنسيين في فرض سيطرتهم علـى الجزائـر؛ ويتكـون هـذا القصـر؛ الـذي صنّفته اليونسكو منذ عام ١٩٩٨م في إطار حي القصبة كأحد المعالم التراثيـة العالميـة؛ مـن ثلاثة قصور كبيرة؛ وبنيت جميعها فوق آثار رومانية ما زالت باقية؛ فهنـاك حمـام محفـور في إحدى غُرف القصر الأوسط؛ أما منارته التي ما زالت باقية علـى حالتهـا؛ فهـي تعـود إلى القرن ١٦م؛ وبلدة (المعاضيد) شمال شـرق المسـيلة الـتي يقـع في إطارهـا الموقـع الأثـري للدولة الحماديـة (قلعـة بـني حمـاد)؛ في الطريـق وسلسـلة جبـال (تقـر بوسـت) ومعناهـا بالبربرية (سرج الحصان) وهي تُشبه عند قمتها ذلك السرج؛ وبقايا (باب الأقـواس) مـن الناحية الشمالية للقلعة ما زالت باقية تُقاوم الـزمن وتغـيرات المنـاخ؛ فيمـا انـدثر البابـان الآخران؛ (باب الجنان) بالناحية الشرقية و(باب جراوة) بالناحية الغربية.

لكن داخل مُحيط تلك القلعة الشاسعة تُوجد آثار عِدة لمباني القلعـة؛ ومنهـا المسـجد الكبير الذي يصل طولـه ٦٣ متراً وعرضـه ٥٣ مـتراً؛ وهـو مـن أكـبر المسـاجد الجزائريـة حيث جدرانه محصّنة بدعائم ولـه بيت صلاة يحتوي على مقصورة كبيرة لم يبق من محرابـه سوى القاعدة؛ أما صحنه المفصول من بيت الصلاة بواسـطة جـدار؛ ومفتـوح بـه أبـواب عِدة؛ وهو مُحاط برواق مفروش ببلاط أبيض؛ وفي وسطه صهريج لتخـزين الميـاه؛ بينمـا في وسط الضلع الشمالي للصحن ترتفع المئذنة التي تُعد من أقـدم المـآذن في الـبلاد؛ وهـي

عبارة عن برج على شكل متوازي مُستطيلات يصل ارتفاعه إلى ٢٥ متراً وعرضه إلى ٧ أمتار؛ وهذه القلعة بُنيت بين عامي ١٠٠٧ و١٠٠٨م خلال الفترة الحاسمة التي تمخّض عنها قيام الدولة الحمادية فيما بعد عام ١٠١٧م؛ والمئذنة المربعة؛ حيث توجد فتحات عدة ذات طبيعة دفاعية لرمي السهام؛ وهناك باحة المسجد في الأسفل وإلى جوارها برج المنار؛ ثم القصر الذي يحمل الاسم نفسه؛ وهو الوحيد الذي يظهر فوق الأرض؛ فيما لم يتم بعد إجراء حفريات لانتشال قصري (البحر) و (السلام) من ركام الأتربة؛ وفي هذا المكان الذي صُنف عالمياً مُنذ عام ١٩٨٠م بواسطة مُنظمة اليونسكو ضمن التُراث العالمي؛ وعثر رجال الآثار على مجموعة من التحف تتشكّل من أعمدة وتيجان وقواعد وشواهد وخزف معماري وتحف من الرخام والحجر والزجاج والمعادن وقطع من النقود والجواهر خلال الفترة منذ بداية القرن العشرين وحتى السبعينيات؛ غير أن كُل ما عُثر عليه أصبح موجوداً الآن في مُتحف اللوفر بفرنسا إضافة إلى المُتحف الوطني الجزائري للآثار في العاصمة والمُتحف الوطني في ولاية سطيف.

وفي جانب من بقايا قصر المنار؛ هُناك غُرفة صغيرة للغاية يعتبرها علماء الآثار أصغر مسجد (خُلوة) في العالم الإسلامي؛ فبه زاوية عليها نقوش وآيات قُرآنية؛ وإلى جوارها بدا صحن البيت؛ وفيه صنيات كان العسكر يقفون فيها لحمايته؛ وبقايا شبكتي المياه والمجاري الصحية التي صُنعتا من الفخار والرصاص قبل عشرة قرون؛ وهذه المنارة التي تعرضت في ديسمبر عام ١٩٩٧م لمُحاولة تفجير؛ وظلت آثار شظايا القنبلة المستخدمة فيها باقية حتى الآن؛ بهدف منع زيارات الوفود الرسمية لها؛ كانت تُستعمل في العبادة الدينية والحماية الحربية؛ وكان أهم ما يُميزها هو نفس ما يُميز البناء في الدولة الحمادية؛ أي تقويس النوافذ والأبواب واستخدام الحجارة وعرض الحائط في الأسوار يفوق ١,٢م.

ومُتحف (المعاضيد) ومركزها الثقافي؛ وضريح ومسجد مبني على طراز البناء نفسه في الدولة الحمادية وهو لأبي الفضل (يوسف بن محمد أبو الفضل)؛ والمعروف بالنحوي والذي كان من مشاهير ذلك العصر؛ وكان يسكن في قلعة بني حماد؛ ومشهوراً بمعرفة علوم أصول الدين والفقه؛ وله شعر ديني كثير؛ غير أنه اشتهر بقصيدته المسمّاة (القصيدة المنفرجة) والتي يقول في مطلعها: -

اشتدي أزمة تنفرجي.................. قد آذن ليلك بالبلج

وحدود تلك الدولة الحمادية امتدت على شكل مثلث قاعدته في ولاية (ورقلة) في

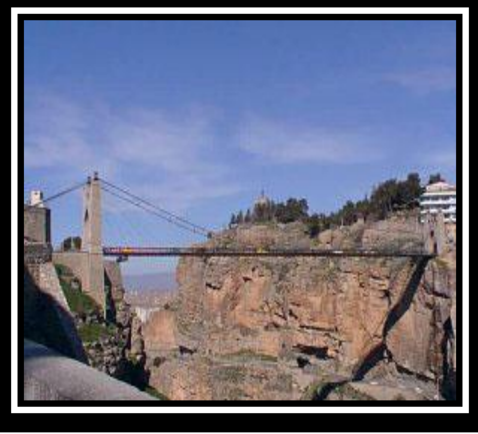
الجنوب وحدّه الشرقي (بونة) وخليج سكيكدة؛ فيما وصل حدّه الشمالي الغربي إلى (سيوسيرات)؛ وقد ضمت هذه الدولة مجموعة من أشهر المدن الجزائرية ومنها مدينة (الجزائر) العاصمة التي كانت تُسمى قديما (إيكسيوم)؛ وقد خرجت أثناء هجمات (الوندال) وثورات البربر التي أعاد بناءها واختطها بلكين بن زيري؛ وسميت في هذا العهد (جزائر بني المزغنة) أو بني مزغنان؛ وكان من بين المُدن الكبرى التابعة للدولة الحمادية (قسنطينة) و(تاهرت)؛ عاصمة الرستميين و(بسكرة) و(مليانة) و(بونة) و(عنابة) و(سطيف) و(المسيلة).

وتتناثر الآثار الإسلامية في ولاية سطيف التي كان العرب الفاتحون قد أطلقوا عليها هذا الاسم؛ فإلى جانب أن مرتفعاتها عرفت تأسيس أول دولة فاطمية؛ وسهولها عاشت أعنف المعارك بين الخلافة الموحدية وبني هلال في نهاية القرن الـ (١١) للميلاد؛ فإن المساجد والزوايا أيضاً تنتشر في ولاية سطيف؛ فمن مسجد وزاوية عين الفراج إلى مساجد وزوايا بني ورثلان وسيدي أحسن بأولاد بنان وزاوية الحامة وامبزين وتفليت؛ وإلى جانب سطيف والمسيلة والجزائر العاصمة تتوزع الآثار الإسلامية في قسنطينة وبجاية وتلمسان وعنابة ووهران ومستغانم؛ ففي بلد شاسع مثل الجزائر؛ شهدت ست دول إسلامية كبرى في تاريخها (الرستمية؛ الزيرية؛ الحمادية؛ المرابطية؛ الموحدية والزيانية).

* * * * *

# قسنطينة

على ربوة صخرية عالية تقبع (قسنطينة) كأنها جزيرة عائمة وسط بحر من الرمال؛ تاريخها مُوغل في القدم؛ بربر وفينيقيون وبيزنطيون وأتراك وفرنسيون؛ ولكن العرب هم الذين أعطوا المدينة ملامحها الأساسية؛ وخلال فترة الاحتلال الفرنسي الطويل ظلت قسنطينة قابضة على دينها محافظة على هويتها كالقابض على الجمر.



وتقع مدينة قسنطينة على خط ٣٦,٢٣ شمالاً؛ وخط ٧,٣٥ شرقاً؛ وتتوسّط إقليم شرق الجزائر؛ حيث تبعد بمسافة ٢٤٥ كم عن الحدود الشرقية الجزائرية التونسية؛

وحوالي ٤٣١ كم عن الجزائر العاصمة غرباً.

وتتربّع قسنطينة فوق الصّخرة العتيقة على جانبيّ وادي الرّمال؛ وتحفّها العوائق والانحدارات الشّديدة من كل الجهات؛ وإذا تتبّعنا مظاهر سطح المدينة؛ نلاحظ أن المنطقة التي تقوم عليها غير مُتجانسة من حيث ارتفاعها عن سطح البحر. كما تُعد قسنطينة اليوم ثالثة مدن الجزائر وتقدر مساحتها بنحو ١٩ ألف هكتار؛ ويبلغ تعداد سكانها نحو ٧٠٠ ألف نسمة؛ فهي تبعد عن العاصمة شرقا بنحو ٤٣٣ كيلو مترا؛ وتبعد عن ساحل البحر المتوسط بنحو ٨٥ كيلو مترا؛ وهي بذلك تتوسط إقليم الشرق الجزائري الذي يعد أحد الأقاليم الاقتصادية والعمرانية للجزائر.

وهي واحدة من أجمل المُدن العربية قاطبة؛ فهي بجبالها ووديانها الخضراء السحيقة وشوارعها الملتوية التي تربطها الجسور المعُلقة؛ وأشجار الصنوبر المحيطة بها ترسم أجمل لوحة فنية طبيعية قد يُشاهدها الإنسان في حياته؛ وهي تُعد بوابة شرق الجزائر والمنفذ الرئيسي للصحراء. وقد اتسعت قسنطينة وكبرت بالأعداد الكبيرة التي قدمت إليها بعد استقلال الجزائر من الاحتلال الفرنسي؛ فقد تضاعف سكانها مما أدى إلى إقامة ضواح سكنية جديدة بلغ عددها عشراً؛ ومن أشهر هذه الضواحي ضاحية القنطرة ذات المباني المتعددة الأدوار؛ ثم ضاحية لامي التي تحيط بها أشجار الصنوبر والتي تضفي على المدينة جمالا باهراً.



تضفي المدينة القديمة بدروبها الضيقة وخصوصية بناياتها طابعاً مميّزاً. وتجتهد ببيوتها المسقوفة وهندستها المعمارية الإسلامية في الصّمود مُدةً أطول؛ مُلمّحة إلى حضارةٍ عريقةٍ وطابعٍ معماريٍ يرفض الزّوال.

تُعتبر المدينة القديمة إرثاً معنوياً وجمالياً يُشكّل ذاكرة المدينة بكلّ مكوّناتها الثقافية

والاجتماعية والحضارية. فقد عُرفت قسنطينة كغيرها من المُدن والعواصم الإسلامية بالأسواق المتخصّصة. فكلّ سوقٍ خُصّ بتجارةٍ أو حِرفةٍ معيّنةٍ. وما زالت أسواق المدينة تحتفظ بهذه التّسميات مثل: الجزّارين؛ الحدّادين؛ سوق الغزل؛ وغيرها. أمّا الأسواق الخاصة بكلّ حيٍ من أحياء المدينة؛ فإنّها كانت تُسمّى (السّويقة)؛ وهي السّوق الصغير.

والمدينة تمتاز بطبوغرافية عجيبة؛ فهي مبنية على جبل يتكون من سبعة رءوس؛ وكانت قسنطينة قديماً لها سبعة أبواب؛ كما أن بها الآن سبعة جسور معلقة؛ كما أن كلمة قسنطينة تتألف من سبعة أحرف ومن المعروف أن الرقم سبعة في جميع الحضارات القديمة يرتبط بالسحر والأشياء العجيبة والخرافات؛ وهذا الرقم لا يزال حتى الآن لغزاً؛ نقول السماوات السبع والأرضين السبع والعجائب السبع؛ والحق أن تاريخ مدينة قسنطينة مرتبط بهذا الرقم اللغز حتى أن الرحالة العرب القدامى كانوا يسمونها المدينة السعيدة.

وقد خلدت هذه المدينة وجمالها في أغلب النصوص الأدبية؛ فمن الجزائريين محمد العيد الذي وصف المدينة وجمالها؛ كما أن هناك نصاً أدبياً رائعاً لمفدي زكريا وهو من أكبر شعراء الجزائر؛ والذي ألف النشيد الوطني الجزائري.

وقد أنجبت قسنطينة مجموعة من الروائيين؛ منهم: مالك حداد؛ وقد عاش في هذه المدينة وكان من المعجبين بها وله حس وطني برغم أنه يكتب بالفرنسية؛ وهناك رواية جميلة للطاهر وطّار مبنية على مدينة قسنطينة وهي رواية (الزلزال). وهذه الرواية تدور أحداثها في قسنطينة والروائي كان يتوقع أن تصاب هذه المدينة بزلزال؛ والرواية مبنية على سبعة جسور وكل جسر يحمل اسما من أسماء المدينة. أما في العصور القديمة فقد نالت إعجاب الكتاب والأدباء لسحر طبوغرافيتها وجغرافيتها. فمن علماء العصر الحديث المصلح الكبير عبد الحميد بن باديس؛ وكذلك رضا حوحو الذي عاش في قسنطينة؛ ثم مالك حداد وأحمد الغوالمي؛ أما في العصور القديمة فابن قنفذ القسنطيني؛ وكان في قسنطينة عدد كبير من العلماء والأدباء وهي مدينة من المدن المحافظة؛ وبرغم أنها تعرضت إلى الكثير من التغييرات؛ فإنها بقيت محافظة على التقاليد والطابع العربي الإسلامي وتماسك المُجتمع والأسرة.

وفي وسط المدينة تقع معظم المباني الحكومية؛ فهناك مبنى بلدية قسنطينة ومبنى إدارة الولاية وبعض المباني ذات الطابع الغربي والتي يرجع تاريخ بنائها إلى أيام الاحتلال الفرنسي؛ بالإضافة إلى الساحات والشوارع المشهورة مثل ساحة أول نوفمبر التي تقع وسط

المدينة؛ حيث تحيط بها المؤسسات الثقافية والإدارية مثل المسرح الجهوي والبريد المركزي ثم مبنى البنك المركزي؛ وتتفرع من هذه الساحة عدة شوارع وأنهج. فهناك ساحة الشهداء التي تعد أكبر ساحة بالمدينة اتساعا؛ وفي هذه الساحة تلتقي الأنهج والشوارع المؤدية إلى أحياء المدينة وضواحيها؛ ثم ساحة العقيد عميروش التي تروي ذكريات المقاومة الشعبية التي خاضها أهالي قسنطينة ضد المستعمر الفرنسي خلال سنوات الثورة.

ونظراً لتضاريس المدينة الوعرة وأخدود وادي الرّمال العميق الذي يشقها؛ أُقيمَت عليها سبعة جسور لتسهيل حركة التنقّل. واشتهرت بعد ذلك قسنطينة باسم مدينة الجسور المعلّقة؛ وهذه الجسور هي ما يلي: -

١ - جسر باب القنطرة وهو أقدم الجسور بناه الأتراك عام ١٧٩٢م وهدمه الفرنسيون ليبنوا على أنقاضه الجسر القائم حالياً وذلك عام ١٨٦٣م.

٢ - جسر سيدي راشد ويحمله ٢٧ قوساً؛ يبلغ قطر أكبرها ٧٠م؛ ويُقدّر علوه بـ١٠٥م؛ طوله ٤٤٧م وعرضه ١٢م. بدأت حركة المرور به عام ١٩١٢م.

٣ - جسر سيدي مسيد؛ بناه الفرنسيون عام ١٩١٢م ويُسمّى أيضاً بالجسر المُعلّق ويُقدّر ارتفاعه بـ١٧٥م وطوله ١٦٨م؛ وهو أعلى جسور المدينة.

٤ - جسر صلاح سُليمان وهو ممرّ حديديٌ خُصّص للراجلين فقط؛ ويبلغ طوله ١٢٥م وعرضه مترين ونصف المتر. وهو يربط بين شارع محطّة السّكك الحديدية ووسط المدينة.



٥ - جسر مجازن الغنم وهو امتدادٌ لشارع رحماني عاشور. ونظراً لضيقه فهو أحادي الاتجاه.

٦ - جسر الشيطان وهو جسرٌ صغيرٌ يربط بين ضفّتي وادي الرمال؛ ويقع في أسفل الأخدود.

٧- جسر الشّلالات الموجود على الطريق المؤدّي إلى المسبح. تعلو الجسر مياه وادي الرّمال التي تمرّ تحته مكوّنةً شلاّلات. بُنِيَ عام ١٩٢٨.

يَطلق الشّعراء على قسنطينة اسم مدينة (الهوى والهواء) وهذا نظراً لِلَطافَة جوّها

ورقّة طباع أهلها وانتشار البساتين والأشجار في كلّ أرجائها. وبذلك تتوفّر للمدينة عدّة حدائق عموميّة تعمل على تلطيف الجو داخلها. ولعلّ أهم هذه الحدائق والتي ما زالت تحافظ على رونقها وجمالها؛ حديقة ابن ناصر أو كما يُطلَق عليها (جنان الأغنياء) وتتوسط شارع باب الواد. وبِحَيّ سيدي مبروك تُوجد حديقتان؛ إحداهما تقع بالمنطقة العُليا والأخرى تقع بالمنطقة السّفلى. كما توجد حديقةٌ بحيّ المنظر الجميل تحمل اسم (فرفيو عبد الحميد). وتجدر الإشارة إلى أنّ قصر (أحمد باي) يتوفّر على حديقةٍ رائعة الجمال؛ وتذكر بعض الرّوايات أن الباي نفسه كان يشرف عليها. ومن بين حدائق قسنطينة التي كَتَب عنها بعض المؤرّخين والرحالة (حديقة قسوم محمد) التّي تُدعى (سكورا قامبيطة) الكائنة خلف شارع بلوزداد؛ التي ما فتئت تستقطب الكثير من النّاس لجمالها وكثافة أشجارها. وتحت جسر باب القنطرة توجد حديقة رائعة الجمال.

الرّحبة هي المكان الواسع الذي يُستعمَل لأغراضٍ تجاريةٍ حيث تُباع مُختلف السّلع والبضائع؛ كالملابس والأقمشة وغيرها.

ونتيجة لارتفاع عائدات البترول وازدياد الدخل القومي للجزائر منذ منتصف السبعينيات من القرن العشرين قامت الدولة بوضع برنامج طموح تمثل في إدخال الصناعات الثقيلة في البلاد؛ فكان لقسنطينة من هذا البرنامج نصيب الأسد؛ ويوجد بها الآن ثلاثة مصانع كبيرة للصناعات الثقيلة تابعة لوزارة الصناعة الثقيلة الجزائرية يأتي في مقدمتها مصنع المجارف والرافعات الذي يقع في عين السمارة بولاية قسنطينة. هذا ويعتبر إنشاء مصنع المجارف والرافعات جاء ضمن إطارات سياسة تنمية وترقية الصناعات الميكانيكية والهيدروليكية في الجزائر؛ ولتغطية حاجة السوق الوطنية من هذه الرافعات والمجارف ولسد التوسع الكبير لحركة البناء والتشييد التي تشهدها مدن الجزائر؛ وكذلك للمساهمة في إنجاز مشروع شبكة المجاري الصحية ومجاري الأمطار الجاري تنفيذها في أرجاء البلاد.

بدأ المصنع إنتاجه عام ١٩٨١م بعد حصوله على امتياز من شركة (ليبهير) الألمانية التي تقوم بصنع الجارفة والرافعة تحت سقف واحد؛ ويعد هذا المصنع الوحيد في الجزائر وفي البلاد العربية.

والمصنع يقوم بتصنيع ما يقرب من ٦٥% من أجزاء الآلات التي ينتجها أما الباقي فيستورد مثل بعض الأجهزة الميكانيكية والأجهزة الكهربائية وبعض الأجهزة الدقيقة؛ كما يقوم الآن بتصدير بعض الإنتاج إلى بعض دول أوربا الجنوبية مثل أسبانيا واليونان

وإيطاليا إضافة إلى بلاد المغرب العربي. ومساحة المصنع المغطى ١١ هكتاراً؛ أما المساحة المفتوحة فتبلغ نحو ٥٥ هكتاراً.

والمصنع يُنتج الآن أربعة أنواع من الرافعات وهي روافع بحمولة ١٢ طناً؛ و٣٠ طنا؛ و٢٥ طنا؛ و٤٠ طنا بالإضافة إلى خمسة أنواع من المجارف؛ ثلاثة أنواع منها مجنزرة ونوعان آخران على عجلات.

ومن المصانع التي تنفرد بها الجزائر عن باقي الدول العربية وتحتضنها ولاية قسنطينة مصنع المعدات الصناعية؛ وهذا المصنع ينتج المخارط والفرازات والمقشطات والثاقبات وعجلات الشحذ والمناشير الميكانيكية؛ وقد بدأ المصنع في إنتاج هذه الآلات الدقيقة عام ١٩٧٦ . إن هذه الآلات الدقيقة التي يقوم المصنع بإنتاجها تنطبق مع المقاييس المعمول بها دولياً.

وتعد قسنطينة أحد حصون الإسلام المنيعة فمنذ أن دخلها الإسلام؛ فهي مركز مهم لهذا الدين الذي أضاء بنوره غياهب الظلام وأصبح الناس إخوة متحابين في الله؛ لقد بقيت قسنطينة نبعاً فياضاً للغة القرآن؛ فقد ازدهرت اللغة العربية في هذه المدينة برغم أن المستعمر الفرنسي حاول بشتى الطرق محوها.

وازدهرت اللغة العربية بفضل الكتاتيب والمدارس الدينية التي أنشأتها طائفة من علماء هذه المدينة وعلى رأسهم المجاهد والمصلح الديني الكبير الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي أقام مجموعة من المدارس الدينية لتعليم اللغة العربية والدين لأبناء المدينة؛ ولقد صمدت قسنطينة أمام الحوادث الجسام التي أصابتها وبخاصة عندما احتلها الفرنسيون في مايو عام ١٨٤٨م. ويقول المؤرخان الجزائريان الدكتور عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي لعروق وهما أستاذان لمادة التاريخ في جامعة قسنطينة في كتابهما (مدينة قسنطينة.. دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية): -

- لقد قام المُستعمر الفرنسي بطرد الجزائريين من بيوتهم وأملاكهم وحلوا محلهم. واستخدموا معهم سياسة التجويع والجهل فأغلقوا المساجد والمدارس العربية وحولوها إلى كنائس ومدارس فرنسية؛ كما ضيقوا على العلماء والفقهاء حتى فر الكثير منهم ناجياً بجلده وإيمانه؛ وبرغم هذه السياسة الشديدة فقد ظل الشعب الجزائري يحمل لواء المُعارضة ضد الاستعمار. ولقد قامت نحو أربع وعشرون ثورة وانتفاضة شعبية في الجزائر في فترة لا تزيد على ستين عاماً؛ وحاول الفرنسيون تجريد الشعب الجزائري من شخصيته

العربية والإسلامية وذلك بالسماح للفرنسيين والإيطاليين والأسبان بالإقامة الدائمة في قسنطينة؛ إلا أنهم لم ينجحوا في تحويل أفكار الجزائريين عن قيمهم الروحية؛ بل ظلوا يتغذون من العروبة والإسلام ويستمدون منهما قوتهم ونضالهم وصمودهم.

وقد جاءت هذه النهضة على مرحلتين؛ بدأت المرحلة الأولى في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر وتمثلت في الوسائل التقليدية القديمة في الدرس والتحصيل في الكتاتيب والزوايا لتعلم أصول الدين واللغة العربية؛ وقد أصبح هذا التعليم - برغم بساطته - سلاحاً مُقاوماً يُمثل الاتجاه الوطني ضد الغزو الثقافي الفرنسي؛ كما أن تيارات الإصلاح التي عرفتها بلاد المشرق كانت تصل إلى أهل قسنطينة وشيوخها بطرق عدة؛ فتأثروا بهذه النهضة ونقلوها إلى تلامذتهم في الحواضر الكبرى للجزائر؛ وفي هذه الفترة ظهرت في قسنطينة شخصية عبد القادر المجاوي ١٨٤٨ - ١٩١٣ الذي يعود إليه الفضل في إيقاظ روح الإصلاح ونشر اللغة العربية وإحياء التراث الإسلامي وكانت أفكار الشيخ المجاوي اللبنة الأولى للنهضة الإصلاحية في الجزائر وفي قسنطينة بخاصة؛ وقد خلّف هذا المصلح عدداً كبيراً من التلاميذ ساروا على دربه واتخذوا منهجه مناراً يهتدون به في جهادهم الوطني أمثال الشيخ حمدان بن لونيس وأحمد مرزوق الحبيباتي والشيخ المولود بن الموهوب والشيخ أحمد البرعوني وغيرهم الكثير.

ثم جاءت المرحلة الثانية لهذه النهضة الإصلاحية في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين بزعامة ابن قسنطينة الإمام المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس وبمعاضدة رفاقه وإخوانه في الجهاد من علماء عصره أمثال الشيخ البشير الإبراهيمي والطيب العقبي والعربي التبسي ومبارك الميلي الذين غذوا حركة الإصلاح بأفكارهم ومبادئهم؛ حيث كان لهذه الحركة الإصلاحية برنامج مرسوم وخطة مدروسة؛ وأهداف محددة؛ منها تصفية الدين من الخرافات؛ وبعث التعليم العربي الإسلامي وإحياء التراث بنشر الحضارة العربية الإسلامية؛ وإيجاد جيل يؤمن بهذه المبادئ والقيم الوطنية لمكافحة الاستعمار والجهاد في سبيل الله والوطن؛ فقد قام الشيخ عبد الحميد بن باديس بتأسيس جمعية الإصلاح في عام ١٩٣١ حيث كرس حياته للإصلاح مع رفاق صدقوا ما عاهدوا الله عليه؛ وقد سارت الجمعية منذ تأسيسها بخطى ثابتة وأيدتها جماهير قسنطينة والتفت حولها وآمنت بأفكارها؛ فأيقظت الشعور بالأصالة وحررت العقول من الأفكار البالية متحدية بذلك الإدارة الفرنسية التي كانت تعمل بشتى الطرق للقضاء على نشاط هذه الجمعية؛ فقد استطاعت الجمعية في فترة وجيزة أن تفتح ما يزيد على ٤٠٠ مدرسة

ومعهد في مختلف أنحاء الجزائر في المرحلة ما بين عام ١٩٣١م حتى اندلاع الثورة الجزائرية عام ١٩٥٤م؛ وكان للجمعية ومدارسها الفضل في نشر الثقافة العربية الإسلامية والوعي القومي والفكر الديني والتعبئة الجماهيرية المناهضة للاستعمار؛ مما أدى إلى قيام الثورة الجزائرية ومن ثم استقلال الجزائر.

وقد سارت مبادئ جمعية عبد الحميد بن باديس جنبا إلى جنب مع مختلف التشكيلات السياسية للحركة الوطنية؛ فكان التعليم العربي الإسلامي هو الدرع الواقي للحفاظ على الشخصية القومية للجماعة؛ كما كانت اللبنة الأولى ليقظة الشعب ووعيه؛ ولقد بذلت جمعية ابن باديس جهوداً حثيثة لنشر التعليم الإسلامي العربي في مُختلف أرجاء الجزائر بعد أن كان مركزاً في مدينة قسنطينة على عهد الشيخ ابن باديس؛ فقد أصدرت قسنطينة مُنذ العقد الثاني من القرن العشرين ما يزيد على ١٥ عنواناً لدوريات ومجلات عربية مُختلفة؛ وهو عدد كبير إذا عرفنا أن الإدارة الفرنسية كانت قد وضعت قيوداً ورقابة صارمة على الصحف التي تصدر باللغة العربية؛ وبخاصة تلك التي تصدر من مؤسسات وجمعيات وطنية؛ كما يدل هذا العدد من المجلات والدوريات على انتشار الوعي وقيام نهضة وحركة ثقافية ناشطة بين شباب قسنطينة؛ هذه المدينة التي لعبت دوراً مُهما في تغذية الحركة الوطنية في مختلف اتجاهاتها ودروبها؛ وكانت من طليعة المُدن الجزائرية التي خاضت غمار الإصلاح؛ ومدت الحركة الوطنية والثورة بالمُجاهدين الأبطال.

وتعد جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية واحدة من الصروح الثقافية الإسلامية في ولاية قسنطينة؛ فقد جاءت فكرة إنشاء هذه الجامعة مع إنشاء مشروع مسجد الأمير عبد القادر الضخم عام ١٩٨٤ في مدينة قسنطينة؛ وقد ساهم نخبة من علماء وأساتذة العالم العربي في وضع الأسس العلمية والمنهجية الإسلامية للدراسة في الجامعة منهم المرحوم الشيخ محمد الغزالي؛ والدكتور يوسف القرضاوي؛ والدكتور سعيد رمضان البوطي وغيرهم من العلماء الذين يزخر بهم عالمنا العربي والإسلامي؛ وجامعة الأمير عبد القادر تتكون من ثلاثة معاهد؛ وهذه المعاهد هي معهد الدعوة وأصول الدين وهو من أكبر المعاهد التي تضمها جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة؛ ويضم ثلاثة أقسام متخصصة هي قسم الدعوة والإعلام وقسم العقيدة ومقارنة الأديان وقسم الكتاب والعام؛ ويعد هذا المعهد من أهم معاهد الجامعة لأن التخصصات التي يدرسها تكاد تشمل علوم الشريعة كلها مضافاً إليها بعض علوم

العصر الحديث التي لا غنى لطالب العلم عنها.

والمعهد الثاني في الجامعة هو معهد الشريعة ويضم قسمين هُما قسم الفقه وأصوله وقسم الشريعة والقانون. أما المعهد الثالث فهو معهد الحضارة الإسلامية؛ والدراسة بهذه الجامعة مُختلطة؛ وعدد الطالبات يفوق عدد الطلبة بصورة ملحوظة؛ وتخرجت الدُفعة الأولى لخريجي هذه الجامعة عام ١٩٨٨م؛ وتوالت أعداد الخريجين.

وتُعتبر جامعة الأمير عبد القادر جامعة وطنية ذات بُعد إفريقي؛ والدولة عندما أقامت هذه الجامعة كان هدفها أن تكون مركز إشعاعاً إسلامياً؛ وإفريقياً؛ يقف في مواجهة الحملات التبشيرية الأوربية والأمريكية التي تغزو إفريقيا؛ وقد نجحت والحمد لله في سعيها هذا؛ ولديها الآن مجموعة من الطلبة الإفريقيين الذين يدرسون في جامعة الأمير عبد القادر وهم طلبة من تشاد ومن ساحل العاج وأوغندا وغيرها من الدول الإفريقية؛ حتى أن بعض خريجي هذه الجامعة يحتلون مناصب قيادية في بلادهم وكذلك في كثير من دول العالم.

والدراسة في الجامعة بالمجان ويحصل طلبة المنح على مُخصصات مالية شهرية؛ وفي السنوات الأخيرة فتحت الجامعة أقساماً للدراسات العُليا في جميع تخصصات المعاهد الثلاثة التي تتألف منها أقسام الجامعة التي تقوم أيضاً بطبع الرسائل الجامعية المُجازة؛ وتُقدم حوافز مالية لأصحابها.

عُرفت قسنطينة قديماً عدّة رحباتٍ منها ما يزال قائماً حتّى اليوم ومنها ما تحوّل إلى مبانٍ وطرقاتٍ كرحبة الزّرع التي كانت تتوسّط المدينة وتُقام فيها نشاطاتٌ تجاريةٌ كبيع الحبوب؛ التمور والزّيوت. ومن الرّحبات المعروفة في قسنطينة قديماً؛ نذكر (رحبة الشّبرليّين)؛ (سوق الخرازين)؛ (سوق العطّارين)؛ (سوق الصّاغة)؛ و(سوق الصّباغين) وغيرها... وحالياً ما تزال بعض الرّحبات موجودة مثل (رحبة الصّوف) التي تحوّلت اليوم إلى سوق لبيع الخضر والفواكه والأواني وبعض الأغراض المنزلية. أمّا (رحبة الجمال) التي يذكر المؤرخون أنّها كانت مبركاً للقوافل الآتية من مختلف الأنحاء مُحمّلةً بالبضائع؛ فقد أصبحت اليوم سوقاً لبيع الملابس ومكاناً مُفضّلاً للمطاعم الشعبية الشّهية بوجباتها. وهناك (سوق العصر) الذي كان قبل يُسمّى (سوق الجمعة) ويشتهر بتنوّع خضره وفواكهه وباللّحوم والأقمشة؛ وعادةً ما تكون أسعار هذا السّوق مُعتدلة مُقارنةً ببقيّة الأسواق.

وتعد مباني وتجهيزات جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية تحفة فنية نادرة؛ فقد بنيت هذه الجامعة ومرافقها على النمط الإسلامي المغربي؛ فالنقوش وأعمال الخشب الزخرفية جاءت وفق نظام هندسي إسلامي حديث؛ روعيت فيه كل متطلبات الحياة الحديثة من صالات وممرات ومدرجات وغرف؛ ويأتي المسجد الجامع الملحق بمباني الجامعة كتحفة إسلامية نادرة. ولقد جاءت هندسة جامعة الأمير عبد القادر إحدى ثمرات التعاون بين المهندسين المصريين وإخوانهم الجزائريين بالإضافة إلى مجموعة من الفنيين المغاربة الذين شاركونا في تنفيذ زخارف ونقوش المصلى الكبير للجامع؛ والذي يسمى بالزلاج؛ ويعد جامع الأمير عبد القادر الجامع الرئيسي والرسمي لمدينة قسنطينة حيث تقام فيه الصلوات الخمس وصلاة الجمعة من كل أسبوع؛ كما تقام فيه صلاة التراويح والقيام وصلاة العيدين ويقوم التلفزيون الجزائري في كل شهر بنقل وقائع صلاة الجمعة من هذا الجامع. لقد ساهم العمال والمهندسون الجزائريون بالنصيب الأوفر في بناء هذا الجامع؛ فقد قاموا بإنجاز أعمال الخرسانة المسلحة والمباني والخشب والحديد؛ أما الأعمال الهندسية فقد قام بها مكتب الدراسات المختلط وهو مكتب جزائري مصري قام بإعداد الدراسات ووضع الخرائط الهندسية.

وتبلغ مساحة المسجد نحو ٩ هكتارات ويتسع لنحو ١٥ ألف مصلٍّ؛ وهناك أروقة وصالات للمسجد مخصصة لطلبة وطالبات جامعة الأمير عبد القادر تتسع لنحو ثلاثة آلاف مصلٍّ.

وقد قام بتصميم مباني المسجد المهندس المصري المرحوم مصطفى موسى الذي يعد واحدا من أقدر المهندسين العرب في بناء التصاميم الهندسية المعمارية الإسلامية الحديثة؛ ولقد استغرق بناء المسجد مدة طويلة تقدر بحوالي ٢٣ عاماً؛ أما المواد الخام التي استخدمت في البناء فأغلبها مواد خام من الجزائر؛ فالرخام المستخدم في البناء والواجهات رخام جزائري؛ وكذلك الخشب المستخدم للأبواب والشبابيك والقواطع؛ أما الثريات والأضواء الكهربائية فبعضها مستورد من المغرب؛ والكريستال والزجاج الملون من بلاد التشيك. وفي منتصف الصالة الرئيسية أو المصلى تقع القبة الرئيسية التي يبلغ ارتفاعها نحو ٦٥ متراً؛ وسوف تزدان بثريات وأضواء تتناسب مع فخامة هذا الجامع.

وإذا كانت جامعة الأمير عبد القادر أنشئت لتلبي احتياجات الجزائر من الكوادر الإسلامية؛ فإن جامعة قسنطينة تعد هي الأخرى إحدى القنوات الثقافية والعلمية التي

تفخر بها مدينة قسنطينة إن عمرها الزمني الآن قد تجاوز ربع القرن؛ فقد بدأت الدراسة بها عام ١٩٦٩م بداية متواضعة حيث كانت تابعة لجامعة الجزائر العاصمة تدرس بعض التخصصات المحدودة مثل الآداب والحقوق والطب؛ ومنذ عام ١٩٦٩ عرفت جامعة قسنطينة توسعاً في شتى الميادين؛ كما تعددت بها التخصصات العلمية نتيجة للإقبال المتزايد والمتنامي للطلبة الذين أصبح عددهم يرتفع عام بعد عاماً.

ومع هذا التطور الكمي تطورت هيئة التدريس والهياكل والموظفون والمقاعد التربوية والوسائل التعليمية؛ كما تم الاهتمام بسياسة التعليم من خلال مراجعة البرامج والمناهج وتطوير الدراسات العليا وتنويعها والاهتمام بالبحث العلمي وتدعيمه؛ خاصة وأن أعداد طلبة جامعة قسنطينة لهذا العام قد تجاوز الـ ٢٠ ألف طالب وطالبة؛ والدراسات في جميع كليات ومعاهد الجامعة مختلطة؛ أما الهيئة التدريسية التي تقوم بإلقاء المحاضرات والتدريس فتبلغ نحو ١٥٠٠ أستاذ وكلهم من الجنسية الجزائرية.

إن الناظر إلى مباني الجامعة من علٍ يرى أنها صممت بطريقة هندسية فريدة؛ إنها أشبه ما تكون بكتاب مفتوح؛ ثم حوضٍ من الماء على شكل محبرة؛ ثم مسلة أو عمود على شكل قلم؛ أما المبنى الذي يشبه الكتاب المفتوح فهو قاعة محاضرات كبرى باسم المرحوم محمد بن الصديق بن يحيى وزير خارجية الجزائر الأسبق والذي توفي في حادث سقوط طائرته بين الحدود العراقية - الإيرانية أثناء قيامه بالوساطة لإنهاء الحرب بين البلدين عام ١٩٨٢؛ وهذه القاعة مخصصة للمحاضرات العامة والملتقيات الثقافية؛ إذ يحاضر بها الأساتذة الزائرون في شتى فروع المعرفة.

تنقسم جامعة قسنطينة إلى ثلاثة معاهد كبيرة هي: معاهد العلوم الإنسانية والاجتماعية وتضم تسعة معاهد؛ ثم معاهد العلوم؛ وتنقسم إلى سبعة معاهد؛ ثم معاهد العلوم التطبيقية والتكنولوجية وتنقسم إلى ثمانية معاهد؛ وبالتالي فإن مجموع معاهد جامعة قسنطينة عين الباي تبلغ ٢٤ معهدا. ولقد أولت وزارة الجامعات أو كما تسمى في المشرق وزارة التعليم العالي اهتماماً كبيراً بإدارة الجامعة وعصريتها بإدخال وسائل التسيير الحديثة والأنظمة الإعلامية؛ كما قامت بتجديد المختبرات والأجهزة العلمية بأحدث ما أنتجه العالم من تقنيات حديثة. إن جامعة قسنطينة تقوم الآن بالتعاون مع وزارة الجامعات بوضع مخطط لتطوير الجامعة لتشمل المعاهد العلمية والتكنولوجية بالإضافة إلى الوسائل المشتركة كالنقل والطبع والنشر؛ ثم الأجهزة السمعية والبصرية.

تُعد مكتبة جامعة قسنطينة المركزية من أحدث المكتبات الجامعية؛ فهي تقدم خدماتها لجميع التخصصات الموجودة بالجامعة إذ تبلغ معاهد الجامعة نحو ٢٣ معهداً. وكل معهد لديه قسم خاص بهذه المكتبة؛ تقوم إدارة المكتبة التي تقع وسط مباني جامعة قسنطينة بتزويد مكتبات المعاهد بما تحتاج إليه من كتب ودوريات؛ وتتكون من طابقين رئيسيين؛ الطابق الأرضي عبارة عن قاعة فسيحة للمطالعة بالإضافة إلى قاعة الخدمات المكتبية أو المراجع والرسائل الجامعية؛ أما الملحق فهو مبنى متخصص للمصورات الفيلمية والميكروفيلم ثم أجهزة الفيديو والتقنيات الحديثة؛ وهو في طور التجهيز. أما الطابق السفلي أو البدروم فيضم المخازن وبهو الفهارس والأقسام الداخلية التي تتألف من قسم الدوريات وقسم الاقتناء ومصلحة المعالجة. وتقدم مكتبة جامعة قسنطينة خدماتها إلى نحو ٣٠ ألف طالب وقارئ وأستاذ وباحث؛ بالإضافة إلى طلبة الإقليم الشرقي للجزائر حيث يتوجهون إلى مكتبة جامعة قسنطينة نظرا لكثرة مراجعها وتنوعها وسعتها؛ والمكتبة بها نحو ٨٠٠ ألف عنوان ولديها ٢٨ ألف كتاب؛ ومن الدوريات ١٢٠٠ عنوان؛ أما عن الطريقة التي تتزود بها بالكتب والمراجع؛ فإنها تتعامل مع ممولين عرب وأجانب يقومون بتزويدها بما تصدره المطابع من كتب؛ وفي هذا العام تم إنشاء مجلس التوثيق الجامعي؛ وهذا المجلس يضم مكتبيين وأساتذة وباحثين؛ وهو يقوم الآن بوضع خطة للتوثيق. وقد تمكنت المكتبة الجامعية في السنتين الماضيتين من تدعيم معهد دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية بعدد كبير من الوثائق الجديدة وبخاصة اللغة العربية. كما أن لها علاقة جيدة مع كل الجامعات العربية وبخاصة جامعة الكويت ومكتب الدراسات العربية وتتبادل معهما الكتب والرسائل الجامعية.

* * * * *

# المغـــــرب

على أرض المغرب مرّ الرومان والوندال وجيوش البيزنطيين؛ وإليها جاءت بشائر الفتح الإسلامي؛ فأضاءت بنورها ربوعه لينطلق منها بهاء ابن خلدون والإدريسي وابن بطوطة وابن رُشد وابن طفيل غامراً أرجاء الوطن الممتد بين الماءين؛ وليس باستطاعة زائر المغرب أن يُغادرها دون أن يقع في عشقها؛ هكذا فعل أدباء وشعراء وفنانون؛ جاءوها ترويحاً؛ فاختاروها مقاماً.

والمغرب هي أقصى بلد عربي تغرب عنه الشمس. لذا فقد كانت وما زالت ملاذاً لكُل الذين هربوا بأحلامهم وجاهروا بغضبهم. فصنع تاريخها الطويل مزيج من أعراق البربر والعرب؛ ولذلك جاءت مزيجاً من الأحلام والأعراق وكونت هذا الطابع الفريد من التنوع الذي لا نجده إلا في الغرب.

والمغرب دولة عربيّةٌ مُستقلة في الشمال الغربي من قارة إفريقيا؛ على البحر المتوسط شمالاً؛ والمحيط الأطلسي غرباً؛ ويُحيط بها من الشّرق الجزائر؛ ومن الجنوب موريتانيا والجزائر.

مساحتها ٤٠٠, ٩٢٠٠ كيلو متر مربّع؛ عاصمتها الرّباط؛ وأهمّ مُدنها: مكناس؛ طنجة؛ فاس؛ مراكش والدّار البيضاء؛ وتتميز تضاريسها بأن أخفض نقطة هي سبخة طاه ٥٥م تحت سطح البحر؛ وأعلى نقطة لها هو جبل طوبكال ٤١٦٥م؛ ولغتها الرّسمية هي العربيّة؛ وعُملتها الدّرهم المغربي.

أرضها عبارة عن جبال عاليةٍ؛ هي جبال الأطلس؛ وتمتدّ من الشّمال إلى الجنوب والأطلس الأعلى في الوسطً. وتوجد بين سلسلتي الأطلس وادي ملوية ووادي سوس. وفي غرب البلاد تنبسط السّهول السّاحلية على المحيط الأطلسي. أمّا في الجنوب؛ فثمّة الصّحراء وهي موضع نزاعٍ بينها وبين جبهة البوليساريو المُطالبين بالاستقلال. وتتخلّل

سطح الجنوب أنهار عديدة؛ أهمّها: أمّ الرّبيع وبور قراق وسبو وتانسيفت ودرعة؛ ومعظمها يصبّ في المحيط الأطلسي.

فُتِحَت المغرب على أيدي العرب عام ٦٨٣م بقيادة عقبة بن نافع؛ وتعاقبَ على الحُكم الأدارسة فالمرابطون فالموحّدون فالمرينيّون فالوطاسيّون فالسّعديون فالسّلالة العلوية منذ عام ١٩٦٦م؛ واحتلّها الفرنسيّون عام ١٩٠١م؛ واستقلّت عام ١٩٥٥م؛ واستعادت الصّحراء الغربيّة من أسبانيا عام ١٩٧٦م.

والمغرب تملك (خلطة) من النادر أن تجدها في أي مكان آخر؛ خلطة الجُغرافيا التي تمتد من واحات الصحراء حتى شواطئ المتوسط والأطلنطي؛ ومن جبال أطلسي حتى متاهات المُدن القديمة. وخلطة البشر فقد أقام عليها الفينيقيون أولى محطاتهم عندما كانوا يريدون المتاجرة مع بلاد الغال. ثم تصارع على أرضها جنود قرطاجة مع فيالق الروم وانتصر الآخرون فأقاموا تحصيناتهم وقام صراع طويل بينهم وبين قبائل البربر الذين انحدروا من الجبال ثم جاء البيزنطيون والوندال. ثم جاء البُرتغاليون والأسبان والفرنسيون وكلهم تركوا آثارهم؛ ولكن الأثر الذي تداخل في شرايين المغرب وأعصابه هو أثر العرب والإسلام.

للمغرب مع الاستعمار تجربة مُختلفة؛ ففي المشرق كانت إنجلترا وحدها مثلاً تحتل أكثر من دولة عربية في وقت واحد؛ وكذلك كانت فرنسا؛ أما المغرب فقد وجد نفسه في عام ١٩١٢م يقع تحت سيطرة أسبانيا وفرنسا معاً؛ ويُوقع معهما مُرغماً عقد الحماية؛ وأكثر من ذلك كانت (طنجة) تُعتبر منطقة دولية؛ تخضع لعدة دول؛ ومن المضحكات المبكيات أنه بعد تقاسم الأسبان والفرنسيين المغرب؛ كان الأسبان يقولون: إن فرنسا أخذت من المغرب الشحم واللحم وتركت لنا العظام؛ فقد كان من نصيب أسبانيا جبال الريف في الشمال؛ والصحراء القاحلة في الجنوب؛ في حين احتلت فرنسا ما كان يُسمى بالمغرب النافع وهي الأراضي التي تقع بين جبال الأطلس والسهول الخصبة المُمتدة إلى المحيط.

واستمر هذا الوضع حتى عام ١٩٥٦م حين وقع المغرب مع فرنسا أولاً في شهر مارس من ذلك العام؛ ثم مع أسبانيا في شهر أبريل من العام نفسه اتفاقية لإلغاء مُعاهدة الحماية التي سبق توقيعها في عام ١٩١٢م؛ ولكي نعرف ماذا يعني خضوع المغرب لاستعمار دولتين لُمدة تقترب من نصف قرن علينا أن نلقي بنظرة طائر على الخطوط العريضة لُمجمل الأوضاع في الدولتين في هذه الفترة الزمنية؛ كانت أسبانيا في بداية تلك

الفترة تنسحب من إمبراطوريتها الاستعمارية في أمريكا اللاتينية غرباً والفلبين شرقاً؛ ثم شهدت سقوط النظام الملكي فيها وإعلان الجمهورية؛ ثُم فترة اضطراب كبيرة؛ وحروب أهلية؛ ونجح (فرانكو) في نهايتها في أن يعود إلى أسبانيا انطلاقاً من المغرب الذي كان وجوده فيه من قبل من أجل إخماد ثورة (عبد الكريم الخطابي) في الريف؛ ثُم بقي في المغرب إلى أن جاءت الفُرصة للوثوب إلى الشاطئ الآخر في أسبانيا؛ ودخل في مواجهات دامية مع النظام الجمهوري استمرت أربع سنوات حتى استقر له الأمر في أسبانيا والحرب العالمية الثانية على الأبواب.

على الجانب الآخر كانت فرنسا قد استقرت مُنذ قُرابة نصف قرن في الجزائر وكانت تطمح – وتملك في الوقت ذاته إمكانات هذا الطموح – إلى بسط هيمنتها على الشمال الإفريقي كُله لتجعل منه الفناء الخلفي لفرنسا في أفريقيا؛ وكانت المرحلة مرحلة المد الاستعماري للدول الأوربية القوية: إنجلترا وفرنسا وإيطاليا؛ التي تسعى إلى أن ترث الإمبراطوريات الآفلة مثل أسبانيا.

وفي هذا الإطار بكُل معطياته ولدت ونمت وتطورت حركة المقاومة المغربية لهذا الاستعمار؛ وكان من الطبيعي أن تتجزأ هذه الحركة؛ وبتجزؤ الوطن المُحتل أن يتخذ كُل جُزء منها من أساليب المُقاومة ما يتناسب مع ظروف الاستعمار في هذا الجُزء؛ وأن يعرف العديد من حالات المد والجزر؛ والاتفاق والاختلاف؛ ويُمكن القول بشكل عام – دون الوقوع في خطيئة التعميم – إن الخطة الإستراتيجية للمقاومة كانت تركز على أن تحارب فرنسا بقوة؛ وتهادن أسبانيا نوعاً؛ وشجعت على تبني هذه الإستراتيجية الآمال التي لاحت لبعض الوقت في أن يكون للجمهوريين في أسبانيا إبان وجودهم في السلطة موقف مختلف مع المغرب؛ ثم الوعود التي كان يبذلها (فرانكو) للمغاربة أيام أن كان موجوداً في المغرب يتحين الفرصة لاسترداد السلطة في أسبانيا؛ والواقع فإن من أهم الدروس الثمينة التي تعلمتها حركة المقاومة الوطنية في المغرب عدم الثقة في المستعمر أيا كانت الشعارات التي يرفعها؛ فقد كان نصيبهم الخذلان أولا من الاشتراكيين في فرنسا؛ ثم الجمهوريين في أسبانيا؛ ثم من فرانكو نفسه الذي كان يستعين في جيوشه الزاحفة إلى أسبانيا ببعض الجنود والضباط المغاربة.

وبالرغم من التجزئة التي فرضت على حركة المقاومة الوطنية؛ وربما بسببها؛ كانت تحرص هذه الحركة دائماً على الالتفاف حول رموز وحدتها وعلى التأكيد على معاني

هذه الوحدة؛ خاصة وحدة التراب المغربي؛ ولقد برز هذا الالتفاف في أحداث وطنية كبيرة مثل حادث نفي الملك محمد الخامس ٢٠ أغسطس عام ١٩٥٣؛ ومع أن الملك كان موجوداً حين وقع الحادث في الجزء الذي تحتله فرنسا؛ فقد انفجرت الثورة في كل أجزاء المغرب؛ وتكتل الشعب كله حول حزب الاستقلال؛ وقام الشيخ محمد الأخضف والقواد من بقية القبائل في الصحراء المغربية التي تخضع للحكم الأسباني بالامتناع عن دفع الضريبة للسلطات الأسبانية؛ وبالامتناع عن تسلم أوراق التعريف والحالة المدنية إلا إذا كانت ممهورة بخاتم محمد الخامس كوسيلة للضغط لإنهاء نفي الملك المُناضل.

قبل نفي الملك محمد الخامس وبالتحديد في عام ١٩٣٨م قدم حزب الإصلاح الوطني الموجود تحت ظل الاحتلال الأسباني مذكرة لهذه السلطات بالتزامن مع مذكرة تقدمت بها الحركة الوطنية (حزب الاستقلال) في الجنوب للسلطات الفرنسية؛ وقد جاء في مُذكرة حزب الإصلاح (إننا مغاربة مسلمون؛ لغتنا الرسمية هي العربية؛ وإن المغرب بسائر مناطقه وحدة لا تتجزأ؛ وبصفتنا نمثل الكتلة الوطنية في الشمال؛ وحزب الإصلاح الوطني كلما دافعنا عن وحدة المغرب؛ أردنا أن يكون عملنا موحداً ومشتركا مع كتلة العمل الوطني في الجنوب؛ لذلك اطلعنا على مطالب الشعب قبل تقديمها لجلالة السلطان وللحكومة الفرنسية؛ وأيدناها لأننا نريد أن يكون عملنا موحداً في جميع جهات المغرب).

جميع الأحزاب السياسية في المغرب في فترة الكفاح من أجل الاستقلال مدت جذورها إلى الصحراء المغربية؛ وفي هذا الإطار فإن (علال الفاسي) رئيس حزب الاستقلال قد أسس صحيفة خاصة اسمها (صحراء المغرب) كما أكد في العديد من كتبه تصوره الخاص لوحدة التراب المغربي حيث يقول: (منذ نشأت وأنا أومن بأن وطني يحد جنوبا بالسنغال؛ وشرقا بالجزائر وغربا بالمحيط الأطلسي؛ وشمالاً بالبحر الأبيض المتوسط؛ وأن (الساقية الحمراء ووادي الذهب)؛ و (سبتة ومليلة)؛ كل ذلك أجزاء اقتطعها الاستعمار من بلادنا بالأسلوب نفسه الذي جزأ به طنجة وطرفاية؛ وآيت باعمران؛ وإيفني؛ وأن هذا العمل الاستعماري لا يغير شيئا من حقيقة الواقع المغربي؛ أي لا يجعل هذه الأماكن غير مغربية وسكانها غير مغاربة؛ آمنت بهذا لا عن دليل بحثت عنه؛ واقتنعت به؛ ولكن بالشعور نفسه الذي يجعل المرء يؤمن بأبيه وأمه؛ وفصيلته التي تؤويه؛ ومدينته التي ولد فيها).

كانت واقعة نفي الملك محمد الخامس في عام ١٩٥٣م تُمثل من ناحية ذروة البطش

الاستعماري؛ ومن ناحية أخرى كانت إيذانا بتطور جديد في حركة المقاومة المغربية؛ حيث تصاعدت وتيرة الكفاح المُسلح مُتمثلة في جيش التحرير المغربي الذي ضم عناصر من كُل مناطق المغرب؛ وبرزت في هذا الكفاح وحدة التُراب المغربي؛ وأدى هذا التصاعد إلى عودة الملك محمد الخامس من منفاه؛ وإلغاء عقد الحماية في عام ١٩٥٦م. وخلال عام ١٩٥٧م نجح جيش التحرير المغربي في تحرير مناطق كثيرة في الجنوب الصحراوي مثل السمارة وطرفاية وطان طان وطرفة بوجدور؛ وانسحبت القوات إلى داخل مدينة إيفني.

في عام ١٩٥٨م كانت فرنسا بعد هزيمة السويس من ناحية؛ وانفجار الثورة الجزائرية بقوة مُتنامية من ناحية أخرى؛ والخوف الأعظم من أن يتلاحم جيش التحرير المغربي مع جيش التحرير الجزائري في حاجة لعمل حاسم ليرفع هيبتها؛ وليسمح لها بتكريس جهدها في جبهة الجزائر الجديدة المتفجرة؛ فنسقت مع أسبانيا في عملية عسكرية شهيرة أطلق عليها اسم (ايكوفيون) ونجحت من خلالها في تشتيت وضرب قوة جيش التحرير المغربي؛ وأسفرت هذه المعركة عن وضع جديد يمثل نهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة؛ ففي الوقت الذي أعيد فيه إقليم (طرفاية) إلى المغرب تم إعلان (الساقية الحمراء ووادي الذهب) (الصحراء المغربية) الإقليم ٥١ في إمبراطورية فرانكو.

يُمكن القول بأن هذه المرحلة التي امتدت إلى قرابة نصف قرن قد أنجبت - بما فيها من خصوصية في تجربة الاستعمار وخصوصية في تجربة المقاومة - دولة مستقلة استقلالا وليدا؛ بقيت أجزاء منها مقتطعة بالقوة الغاشمة هي في الشمال (سبتة ومليلة)؛ وفي الجنوب (إيفني) والصحراء المغربية؛ ولم يعد أمامها بعد تدمير جيش التحرير المغربي إلا اللجوء إلى الوسائل الدبلوماسية لاسترداد الأجزاء السليبة؛ والاستفادة من قوة التوجه العالمي الذي برز بعد الحرب العالمية الثانية في إطار الأمم المتحدة لتصفية الاستعمار؛ والاستفادة من الاعتراف المسبق المنصوص عليه في اتفاقية إلغاء الحماية مع أسبانيا بضرورة المحافظة على وحدة التراب المغربي؛ وقد نجحت هذه الدولة في استرداد إقليم (إيفني) في عام ١٩٦٩م من خلال الجهود الدبلوماسية.

ومناخ المغرب في الشرق والجنوب حار جاف؛ وفي الشمال والغرب متوسطي معتدل؛ تكثر فيه الأمطار.

تخضع الزّراعة المغربية بدرجةٍ كبيرةٍ إلى الأمطار التّي تتلقاها البلاد. والزراعة المغربية ثُنائية التوجه: مزارع تقليديّةٌ صغيرةٌ مُتخصّصةٌ بالمُنتجات القُوتيّة (قمح وشعير)؛ ومزارع

حمضيات وخضر شتوية شاسعة ومتخصّصة بالمُنتجات المُعدّة للتّصدير. أهمّ زراعات المغرب: القمح والحبوب والذرة والأرز وقصب السّكر والشمندر والكرمة والنخيل والحمضيات والقطن والزيتون. تُربّى الماشية على نطاقٍ واسعٍ (أغنام وماعز)؛ ويشكّل الصّيد في المغرب مورداً اقتصادياً مهماً.

إنَّ التراث في المغرب حاضر في نسيج الحياة اليومية؛ فضلاً عن احتفاء المغرب والمغاربة بالمعالم الحضارية؛ فإرث الأجداد الأصيل ذلك أن العديد من الأسر الملكية التي تعاقبت على حُكم المغرب؛ خلفت بصمات حضارية مُتجلية في عمارة المساجد؛ والمدارس؛ والمصحات والقصور والأسبلة؛ والحبوس (الأوقاف) والحمامات العامة وغيرها؛ الأمر الذي أدى إلى وسم الفنون الإسلامية بميزتي الوحدة والتنوع فحين تزور مُتحفاً إسلامياً سيكون من الصعب في أغلب الأحيان أن تُحدد بدقة الإقليم الذي يصح أن يرجع إليه من بين الأقطار الإسلامية الفضل في ابتكار نوع من أنواع الخزف؛ أو شكل مُعين من أشكال زخرفته. إذ أننا نلقى كثيراً من هذه الأنواع والأشكال المُختلفة بعينها؛ وفي أقطار عديدة من العالم الإسلامي.

وهذا رأي لا جدال فيه؛ وذلك أن الفن الإسلامي يزيد عُمره على ألف وأربعمائة عام؛ وقد رضع في طفولته ألباناً شتى؛ وذاق وطعم ما يُوافق وجدانه الموحد؛ ويلفظ ما سوى ذلك؛ نعم هُناك خصوصية تطبع الفن الإسلامي من إقليم لآخر ولكن لا تنعزل عن سياق الجذور والسمات العامة لهوية الفن الإسلامي.

وإذا نظرت إلى مسجد الحسن الثاني لوجدت الصومعة المهيبة الشامخة ترتفع إلى مائتي متر؛ والمئذنة تقف على قاعدة مساحتها ستمائة وخمسة وعشرين متراً مُربعاً؛ وقد شُيدت القاعدة على هيئة مدخل يفضي إلى قاعة الصلاة أو إلى الميضئة عبر درج جانبي؛ وتنتهي هامة المئذنة بقبة بيضاء تحمل مصباحاً يُومض بأشعة الليزر ليلاً؛ كما يُمكن مُشاهدتها على بُعد ٣٠ كم؛ والصومعة (المئذنة) مكسوة برخام أبيض؛ مُزينة بزخرفة جصية يتعاقب فيها اللونان الأخضر والأبيض؛ وتتواتر الكوات والزخارف المنحوتة والشماسات في كل جهات المئذنة.

صحن المسجد يمتد بمساحته الرخامية الشاسعة القادرة على استيعاب ٨٠ ألف مُصلٍ وهو موصول برواق يُمكّن المصلين من الخروج إلى الفناء عبره؛ والرواق يُلامس فسقيتين كأنه يتكئ عليهما استجلابا لشربة ماء. والفسقية النافورة دخلت في نسيج عمارة

المسجد مع تشييد المسجد الأموي بدمشق حيث كانت القبة التي على بركة الماء؛ كانت من الرخام وأقيمت عام ٣٦٩ هـ.

والفوارة في مسجد الحسن الثاني ليست حاضرة في الصحن فحسب؛ بل في كُل مرافقه وجنباته؛ وذلك أن الفوارة مُبتكرة الشكل والزخرفة والحجم واللون والموقع؛ ولها دور ووظيفة؛ كأن تجدها مورقة في الميضئة يتدفق منها الماء بإيقاع متناغم مع نور الشمس المُتسلل مُمتطي الأعمدة المُتعالية من أرضية الميضئة؛ مُخترقة الكوة المُحتشدة بالنور.

على سيف بحر المُحيط الأطلسي في الموقع الذي وقف فيه عُقبة بن نافع يستخير الله سبحانه وتعالى بشأن الفتح المُبين؛ ويُصلي لله توسلاً لحضور فتوى القلب؛ وذلك الرادار الرباني؛ الذي هداه إلى أقصى غرب العالم حيث تقطن القبائل الأمازيغية المترعة بالفروسية والتمرد وقوة الشكيمة والشجاعة وغيرها من المناقب والصفات التي خلدها التاريخ بعد أن غمر وجدانها الجمعي بتعاليم الإسلام وقيمه؛ فباتوا مثل إخوتهم الفاتحين رُهبان الليل وفُرسان النهار؛ فتبربر العرب؛ ونطق اللسان الأمازيغي بالقُرآن الكريم.

والميضئة مبهجة يهبط إليها النور وتصل إليها الشمس على حجر تدلكت وهو الحجر الرخامي المجلوب من الجنوب؛ بقرب مراكش الحمراء؛ حيث توجد مقالعه. وهذا التدلكت يشيع استخدامه في مثل هذه المرافق في المنازل المغربية؛ لقدرته على تحمل رطوبة الماء والبُخار وأنفاس الطاهرين والمُتطهرين؛ والمغرب الأقصى غني بالرُخام والأحجار والزليج والطين الأحمر والجص الأبيض والخزف وأشجار الأرز وغيرها. ويكون بين يدي مُعلم فنان؛ ورث صنعة الزخرفة الخشبية عن أبيه؛ والذي بدوره حذقها عن أبيه؛ وهكذا تتعاقب الأجيال الوارثة لمهنة الأجداد والآباء؛ شأن جميع المُعلمين والصُناع العاملين في الصناعات والحرف التقليدية؛ وهذا الحرص الشديد على توريث فن الصنعة لأفراد الأسرة؛ قد يكون تقليداً مناسباً منذ ألف عام؛ وذلك لأن الأجيال الجديدة المعاصرة؛ لم تعد تحفل بهذا الإرث لأسباب شتى؛ لا مجال لها في هذا السياق؛ حسبنا الإشارة إلى ميكنة الصناعات اليدوية؛ وأنها لم تعد بحاجة إلى أساتذة؛ ومُعلمين وخيال وابتكار وتعب وصبر جميل؛ وذلك لأن حُمى روح الاستهلاك ولدت أبناء يهتمون بالشكل والنموذج الذي تُبدعه الآلة بالمئات والآلاف على شاكلة ذاك المُتشكل بأنامل المُعلم.

ومن هُنا فإن العديد من الحرف والصناعات التقليدية في المشرق العربي انقرضت وسكنت في المتاحف والمنازل والبيوتات المريدة للأرابسك وجميع صيغ وتقنيات النقش

والزخرفة الخطية والهندسية... إلخ. وقد أحسن المغرب صنعاً حين أنقذ الحرف والصناعات التقليدية من المصير السيئ الذي لحق بها في جُل أقطار المشرق العربي؛ وذلك حين دعمت وشجعت إنشاء تعاونية تضم المُعلمين والصُناع والحرفيين المُشتغلين في الصناعة التقليدية الواحدة.

إنَّ قاعة الصلاة بالمسجد تضم تقنيات العمارة والزخرفة الإسلامية المغربية الأندلسية؛ وتضم إبداع المُعلمين والصناع البليغ؛ متجلياً بمشهد مهيب؛ بزخارفه الخطية والنباتية والهندسية ملونة؛ ومذهبة؛ ومرصعة؛ ومطعمة؛ ومفصصة بمواد ومعادن ومزججة.

فمثلاً تجد الخط العربي الحاضر منقوشاً في الجص؛ ومنحوتاً في قوام الخشب والرخام؛ ومرسوماً على أي معدن ومسطح وماعون؛ أو مخطوطاً يشكل متن كتاب تراثي عريق؛ فضلاً عن حضوره الدائم في خط آيات وسور القرآن الكريم؛ محفوفاً بالرموز المحددة لأول الآية القرآنية وآخرها؛ ولعل الخط المدني الكوفي المغربي وخط النسخ هما أكثر أشكال الخطوط العربية حضوراً في الكسوة الزخرفية؛ والتي تُزين الأسقف والقباب؛ والجُدران والمداخل؛ والأعمدة والتيجان والمحاريب... إلخ.

إنَّ مسجد الحسن الثاني بموقعه على سطح المُحيط الأطلسي مُقابل المعرض الدولي للدار البيضاء؛ وليس جامعاً للمُصلين الراكعين الساجدين الذاكرين فحسب؛ بل إنه يتناغم بدقة وإتقان وابتكار مع المعنى الذي ينطوي عليه الجامع كمنبر علم ومعرفة تتبدى في المدرسة القرآنية والمكتبة العامة والمُتحف. هذا فضلاً عن المرافق السالف ذكرها.

وكذلك من المساجد الأثرية في المغرب جامع العمارة ويمكن القول: إن هذا المسجد جامع لفن العمارة والزخرفة الأندلسية المغربية الإسلامية؛ والصناعة التقليدية المتصلة بعمارة المسجد وتأثيثه وكسوته بالزليج والجبس والخشب والمرمر والرخام والجرانيت وتدلكت وغيرها من المواد والمعادن الوطنية والمستوردة؛ المتجلية ببديع صنع المعلمين المغاربة؛ وفريد إبداعهم في الزخرفة والزواق؛ والعربسة **ARABISC**. أو الرقش؛ سمها ما تشاء؛ بعبارة أخرى أقول: إن المسجد الحسني توثيق حي ينبض بروح الابتكار الخارج من رحم إرث الأجداد! وبهذا المعنى فهو جامعة معمارية تعرف ببلاغة العمارة المغربية المعاصرة؛ ومستوى الصناعات والحرف اليدوية التقليدية؛ كما هي متجلية في الأبواب والمداخل والصومعة؛ والنواقير والجدران؛ والمنبر والمحراب والقباب؛ والأسقف والأروقة؛ وأقواس الصحون والمقرنصات؛ والأعمدة والشماسات والكوات؛ والفصوص الثنائية المطرزة بالنقش الحلزوني؛ والخشب المصبوغ الجذل

المطرز بالنجوم التي تضيء سطحه؛ والزجاج الشفاف المذهب..

وواجهة المسجد وعمارة المدرسة والسراديب والسور البحري؛ والتزاوج بين العصر والمُعاصرة؛ وبين فنون الصناعة والحرف التقليدية الأصيلة وابتكار الأشكال والألوان وإحياء المهجور وبعثه وإعادة صياغته؛ وذاك الانسجام التام بين الرؤية الهندسية ومعرفة وإبداع وخبرة وخيال مُعلمي الصناعة التقليدية؛ وتلك الاستجابة المُدهشة لتحديات الموقع ولضخامة واتساع وعلو المعلمة الحضارية ومهامها الدينية والثقافية. وكأن هذه المنشأة موسوعة تضم سمات وملامح ومكونات العمارة الإسلامية المغربية أمس؛ واليوم مُستشرفة الغد شاخصة فيه؛ ومُدللة على ما ينطوي عليه الإيمان والإخلاص والإتقان من قوة وإبداع؛ وتجلت ببلاغة عبقريتها في عمارة وزخرفة المسجد الحسني بالدار البيضاء العاصمة الاقتصادية للمملكة المغربية.



يتمتّع المغرب بموارد منجميةٍ كبيرةٍ؛ وهو أوّل مُصدّر للفوسفات في العالم. ففيها مناجم للفحم والرّصاص والحديد والفضة والنحاس والفوسفات. وأهمّ صادراتها: الفوسفات والحمضيات والأسماك والسّردين والزّيوت والتّمر؛ وأهمّ الصّناعات في المغرب هي صناعة السّماد والمنسوجات وتكرير البترول والأسمنت والسّجاد والسّكر وعصير الفاكهة؛ وأهم مُدنها: [مراكش] [مكناس] [الدار البيضاء] [فاس] [سبتة] [سِلا] [أغادير] [الرباط] [طنجة] [الجديدة]؛ وأهم مُدنها الأثرية: - [أغمات [الصويرة] [تطوان] [مكناس] [فاس] [مراكش] [تمودة] [شالة] [وليلي] [بليونش] [بناصا] [موقع القصر الصغير] [المهدية] [لوكسوس] [تارودانت] [تيزنيت] [شفشاون].

* * * * *

# الدّار البيضاء

أكبر مُدن المغرب؛ ويُدلّلونها فيُسميها المغاربة بكازا؛ كما يحلو لزوّارها من خارج المغرب إطلاق نفس الاسم عليها.

و(كازا) هي إحدى عرائس المُحيط الأطلسي؛ وتبعد عن أوروبّا أقل من ساعتين. وتُعتبر في الوقت نفسه بوابة الشّمال أيضاً. فهي العاصمة التّجارية للمملكة المغربية حيث تضمّ المدينة حوالي ٦٠ % من الشّركات العاملة هناك. إنّها الدار البيضاء؛ هذه المدينة المغربيّة الشّهيرة والتي لها موقع خاص في قلب كُل مَن زارها؛ علماً بأنّها تحتلّ كذلك تلك المكانة الخاصّة في قلوب أبناء المغرب أنفسهم.

تقع الدار البيضاء؛ المعروفة في جميع أنحاء العالم باسم (كازابلانكا)؛ على سواحل شمال إفريقيا المُطلّة على المُحيط الأطلسي. وهي تُعدّ أكبر مُدن المغرب بلا مُنازع؛ وتحفل المدينة بالكثير من فرص الترفيه والرّياضة والاستجمام والتّسوق والتجوال وتناول أشهى الأطعمة.

على الرّغم من أنّ العربية هي اللّغة الرّسمية؛ إلاّ أنّ الجميع وفي كل مكان تقريباً؛ يتحدّثون الفرنسية أيضاً؛ بينما يتحدّث العاملون في الفنادق والمتاجر والشّركات اللّغات الإنجليزية والأسبانية أيضاً.

الدار البيضاء قد تبدو نقطة ليست دالة بوضوح على النموذج المغربي؛ ولكن هذا للوهلة الأولى فقط؛ إنها مدينة كبيرة وغضة في أن تنامت مائة مرة أكثر من حجمها الذي بدأت به عام ١٩٠٠م؛ وتكاثر سكانها من عشرين ألفا إلى أكثر من ثلاثة ملايين؛ وتُوحي للوهلة الأولى بنمط حاضرة عصرية من حواضر البحر المتوسط. ومدينة (تجارة عالمية) بطرقها الواسعة؛ وأبراجها السكنية؛ وفنادقها الفاخرة؛ وأحيائها الشعبية عند الأطراف.

وبقليل من التوغل في قلب الدار البيضاء سواء باتجاه المحيط أو العكس؛ يكشف عن بعض من خصوصية ألوان المغرب وعطورها ورفيف الروح فيها؛ ولعل مسجد الحسن

الثاني الكبير الأعجوبة الإسلامية العصرية المطلة على مياه الأطلسي؛ ولعله يكون بداية لمشهد مغربي ذي خصوصية وانفراد. وأرى أنه أبعد من زمن افتتاحه بكثير؛ صحيح أنه افتتح في أغسطس ١٩٩٣ بعد ست سنوات من التشييد؛ واستهلك ٥٠ مليون ساعة عمل؛ وجهود ٢٥٠٠٠ فنان (ولا أقول عاملاً)؛ لكن هذا (القلب الرمزي) كما وصفه أحد الكتاب الغربيين فأحسن الوصف يكتنز في رحابه وبين حناياه لمحات معتقة من روح المغربي الفنان المُؤمن؛ والمنفتح. كما أن الصروح العملاقة البديعة من هذا النوع هي حالة من تجلي اللحظة التاريخية حتى لو كان مولد فكرتها في عقل ملك.

ولعل البُرهان على ذلك ما تُشاهده في كثير من البيوت والمحال والحوانيت من احتفاء فخور بامتلاك إيصال للتبرع مُشاركة في بناء هذا المسجد الشامخ. فالإيصال تراه كثيراً داخل إطار مُعلق على الحائط بشكل يوحي بالزهو والتشريف؛ إنه قلب رمزي حقاً؛ ومَن ينظر مِن مكان مرتفع في نهاية الدار البيضاء فسوف يرى كيف أن هذا الصرح منفرد قد طبع المدينة كُلها بطابعه. وقد يبدوالمشهد الرحيب وكأن الدار البيضاء وهي بيضاء حقاً سفينة عريضة تشق زرقة المحيط الأطلسي اللامُتناهية الأفق بمقدمها الرصين المطمئن الذي تشكله بناية مسجد الحسن الثاني الشهباء المُتميزة؛ والمُكللة بالقرميد الأخضر؛ فيما المئذنة الشاهقة الموشاة بفيروزية الزخارف تعلو في السماء كأنه صار من صواري الروح المسلم ينشر شراعاً شفيفاً يمتلئ بهواء المُحيط العفي الذي لا يبين؛ لتثبت السفينة في مرساها المغربي وتتكسر عند أقدامها أمواج المحيط إن عنفت أو طغت. فكأن هذا الصرح رمز لمسعى التوازن المغربي على مستوى الشكل ينم عن حرص على هذا المسعى في الجوهر.

وقُرب الميناء بالمدينة القديمة التي تتهيأ للتبدل حتى يمر الطريق الكبير الجديد إلى مسجد الحسن الثاني؛ فتتذكر أن البرتغاليين أقاموا في هذا المكان لأول مرة منذ خمسة قرون؛ وكعادتهم التي جعلت البعض يسميهم (براغيث البحر) لم يمكثوا في المكان؛ لكنهم عادوا إليه بعد قرن وأسموه (كازابلانكا)؛ أي ( البيت الأبيض) أو الدار البيضاء؛ وكان مقامهم ينهض على مرتفع يشرف على خليج صغير دمره زلزال لشبونة عام ١٧٥٥م. ثُم عاد بعد ذلك التُجار المغاربة.

الزمن المغربي يتجلى أكثر ما يتجلى في الدار البيضاء بمنطقة (الحبوس). وهي نموذج مصغر لمدينة مراكشية شكلاً وموضوعاً؛ وقد بدأ تبلورها في الثلاثينيات كمقام لأبناء البلد في زمن عزَّت فيه البيوت وقت الهيمنة الاستعمارية الفرنسية. والآن تبدو الحبوس قطعة

فنية معتقة من ذلك الزمن الحي والحيوي. حوانيت بائعي الجلابيات؛ والطرابيش؛ والعبايات المغربية على أنواعها؛ والخشبيات؛ والنحاسيات؛ والزيتون الذي يستقل بسوق خاص تحتشد فيه عشرات الأنواع التي يصعب على غير المغربي المخضرم أن يُميز بينها.

وتتجلى الحديقة المورقة وسط الميدان الصغير الجميل؛ والأبنية الخفيضة المُتكاتفة في تلاحم الأزقة؛ والحمامات؛ وأبواب المدينة؛ وبناية المحكمة الشرعية بسقوفها القرميدية؛ وأبراجها العديدة؛ ثُم امتداد الدروب حتى حارة النخيل الباسق؛ وبوابة القصر الملكي.

تحفل مدينة (الدار البيضاء) العاصمة الاقتصادية للمغرب؛ بالحركة والحيوية والحدائق العامة والنّوافير الجميلة والمباني التقليدية والحديثة؛ وهي مدينةٌ بديعة تجتمع فيها الثّقافة والتاريخ والهندسة المعمارية ضمن أسلوبٍ فريدٍ. ويُهيمن على المدينة مسجد الحسن الثاني؛ بينما يتميّز حيّ الحبوس في المدينة القديمة بساحاته المُظلّلة وأزقّته الضيقة وأسواقه الشّعبية التي تعرض الهدايا التذكارية والمُنتجات الحرفية عالية الجودة.

تقع البلدة العربية القديمة في المنطقة الداخلية مُقابلة الميناء؛ وهي عبارة عن متاهةٍ من الأزقّة الضيقة والمنازل المصبوغة باللّون الأبيض. وتُعتبر فردوساً للباحثين عن المُنتجات الفنّية والحرفية المغربية الأصيلة.

وأروع ما يُمكن زيارته هي شواطئ الدار البيضاء الجميلة؛ حيث يُمكن التّوجه إلى الشرق من مركز المدينة حيث الكورنيش؛ وهي منطقة راقية تنتشر فيها الفنادق والمطاعم الفخمة؛ ويستطيع الذّواقة الاستمتاع في هذه المنطقة بأشهى الأطعمة التي تمتزج فيها فنون الطهي المغربية والفرنسية.

أهمّ ما يُميّز مدنية كازابلانكا عن بقيّة المدن الأخرى أنّها لا تتمتّع بخليجٍ طبيعيٍ يصلح لإقامة بناء؛ ولهذا السّبب تمّ بناء كاسر أمواج بطول ثلاثة كيلو مترات لإقامة بناء (مولاي يوسف) الذي يُعدّ أكبر ميناء في المغرب؛ والرّابع على مستوى قارّة إفريقيا. وهُناك كذلك المدينة القديمة؛ وهي المدينة العربيّة الأصيلة التي تقع داخل سورٍ قديمٍ؛ وتضمّ طُرقاتٍ ضيّقةٍ وبيوتاً من الفخّار الأبيض أو الحجر ومحلاّت كثيرة وبضائع متنوعة. وفي الجانب الآخر ستجد ميناء الدار البيضاء؛ وهو الأكثر حركة في القارة الإفريقية؛ ويعجّ بكلّ أنواع السّفن؛ من ناقلات النّفط والسّفن السياحية. وتكثر عند الميناء أيضاً مراكب صيد السّمك والمراكب الخاصة.

بالإضافة إلى ميدان محمّد الخامس؛ وهو عبارة عن ساحةٍ في قلب المدينة؛ تُزيِّن الدّار

البيضاء مبانٍ على الطّراز المعماري الفرنسي وتضـمّ مكاتـب حكوميـةً وعامـةً وتتوسّـطها نافورة ماء تنثُر المياه الملونة في كل صوبٍ على أنغام موسيقى ساحرة ووسط أسـراب مـن الحمام الأبيض.

أمّا المدينة الجديدة فتقع في جنوب الدار البيضـاء وتعـرَف باسـم (حـيّ الحبـوس) أو (منطقة القدّيسين). وقد بناها الفرنسيون في محاولةٍ لحـلّ مشـاكل السّـكن في الثلاثينيـات. ومع اختلاط الهندسة المغربية التقليديّة بالتخطيط الحـديث؛ ازدادت المدينـة جمـالاً بازديـاد الأشكال والألوان والأنوار.

ومدن السواحل لا تنتمي إلا إلى البحر العميق الذي يلطـم شـواطئها ويوصـلها مـع غيرها من المدن الشبيهة؛ إنها مدن الغرباء والعابرين الذين تعـودوا أن يأخـذوا جـزءاً مـن ثقافـة كـل مدينـة يهبطـون إليهـا؛ ويتركـون جـزءاً مـن أرواحهـم القلقـة الـتي لا تعـرف الاستقرار؛ لذا فإن الدار البيضاء تنتمي إلى الإسكندرية وبـيروت ومرسـيليا وغيرهـا مـن الموانئ أكثر ما تنتمي إلى فاس ومراكش؛ ويبدو أحيانـاً أن إطـلاق الاسـم الأجـنبي عليهـا (كازابلانكا) هو الأليق بها؛ فهي خالية من الأسوار التي تحيط بها مثـل العديـد مـن المـدن المغربية؛ وخالية من آثار الحصون وبقايا معارك القرون الوسطى وأبهة السلاطين والـولاة؛ إنها تحمل كل معالم التاريخ المعاصر؛ وخاصـة ملامـح ذلـك الصـراع الـذي لم يهـدأ بـين المغرب وجيرانه الأوربيين الذين يواجهونه على السـاحل الآخـر مـن القـارة؛ ولا تعـاني المدينة فقط من هذه الازدواجية في الاسم؛ ولكن كل وجوه الحيـاة في الـدار البيضـاء هـي مزدوجة بصورة أو بأخرى؛ فالشوارع تحمل أكثر من اسـم؛ أسمـاء فرنسـية لم تحـل بـدلاً منها أسماء عربية؛ ولكن تجـاورت وتعايشـت معهـا؛ كـذلك تـداخلت اللغـات؛ ولـذلك فاللهجة العامية أو المحكية المغربية واحدة مـن أصـعب اللـهجات العربيـة لأن الكـثير مـن مُفرداتها مُستمد من الفرنسية بعد أن جرت (مغربتها)؛ وإذا تتبعت عـدة حـوارات طويلـة منها فلن تفهم منها شيئاً؛ كذلك تختلط الثياب؛ ما بـين الثيـاب الأوربيـة الـتي تتبـع آخـر الموضات والتنانير القصيرة جـداً للنسـاء والثيـاب التقليديـة الـتي تتكـون مـن (الجلابيـة) والمركوب المغربي الشهير.

فهي تنتمي للمغرب وللعالم في نفس الوقت؛ فهي أحدث مدن المغـرب وقلبهـا التجـاري وأكثرها ازدحاماً بالسكان (حـوالي ١٠ ملايـين نسـمة) وتمـر بهـا ٧٠ % مـن تجـارة المغـرب الخارجيـة؛ يسـاهم في ذلـك قربهـا مـن المنـاطق الزراعيـة ومنـاجم الفوسـفات الكـبرى في

(خريبكة)؛ كما أنها تحتوي على المراكز الصناعية المُهمة مثل صناعة تجميع السيارات وتكرير السكر والنسيج وتعليب الأسماك والأسمنت والمواد الكيماوية والعديد من الصناعات؛ وهي أيضا المركز المصرفي؛ وملتقى كل طرق المواصلات والسكك الحديدية؛ وبها ثلاث مؤسسات للبحث العلمي وجامعة الحسن الثاني والمكتبة الحسنية للحرف العامة والكلية الوطنية للموسيقى؛ أي أن فيها الشيء الذي لا يستهان به من جماع الروح المغربية.

الشوارع الواسعة تحتضن العمائر البيضاء التي تعود في معمارها إلى الثلاثينيات من القرن العشرين؛ فهي خليط مُدهش من العمارة الفرنسية والمغربية؛ ولكن الأكثر دهشة هو أهل المدينة بطبيعة الحال في ذلك الإقبال والافتتان بمدينتهم؛ بذلك الاختلاط الهائل بين الرجال والنساء؛ فإنهم من أكثر سكان المدن العربية عشقاً للحياة؛ والسهر على حافة المُحيط يمتد إلى ساعات مُتأخرة من الليل.

إنَّ التاريخ يعود بعُمر المدينة إلى عصور أقدم من ذلك بكثير من تلك الصورة المُعاصرة؛ فالاستقرار في هذه المنطقة قد بدأ قبل الفتح الإسلامي؛ وخاصة في (الأنفا) التي كانت عاصمة لحُكم البربر وخاصة قبيلة (البرجواتة) وموقع هذه المدينة الآن هو أحد الأحياء الراقية؛ وقد فشل المرابطون في ضمها إلى دائرة مُلكهم وظلت مُحافظة على استقلالها حتى استولى عليها الموحدون لفترات قصيرة؛ ورغم ذلك فالمنطقة ظلت مُحافظة على نوع من الاستقلالية الذاتية حتى أنها أقامت علاقات تجارية مباشرة مع كُلٍ من إنجلترا والبُرتغال.

في مُنتصف القرن الخامس عشر أصبح الصراع ضاريا بين بحارة (الأنفا) والأسطول البرتغالي الذي كان يسعى للاستيلاء على ذهب إفريقيا؛ وقد قام أسطول بُرتغالي مكون من ٥٠ سفينة ويحمل ١٠ آلاف جندي بالإبحار من (لشبونة) إلى الساحل المغربي وسلط مدافعه على (الأنفا) ولم يتركها إلا خراباً؛ وقد ظل الأسطول البُرتغالي لها بالمرصاد؛ ما إن تنهض وتستعيد قدراتها التجارية والعسكرية حتى يعاود الهجوم عليها؛ وفي النهاية عام ١٥٧٥م وصل الأسطول البُرتغالي ليبقى ويُقيم تحصيناته التي منها مدينة (كازابلانكا) فلقد بقي البُرتغاليون بها حتى عام ١٥٧٥م ولم يتركوها حتى حطمها زلزال مُدمر؛ وهو نفس الزلزال الذي حطم مدينة لشبونة؛ فأمر السلطان محمد بن عبد الله بإعادة بنائها وتحصينها.

في هذا الوقت بدأت أوربا نهضتها الصناعية وازدادت شراهتها للمواد الخام

وللأسواق؛ وكانت (كازا) هي موطئ قدمها إلى إفريقيا وبدأت تفتح وكالاتها وقنصلياتها في مُواجهة السلاطين الضعاف الذين لم يستطيعوا فرض سيطرتهم على البلاد وحمايتها من التدخل الأجنبي؛ ففرض القناصلة الأوربيون سلطانهم وتلاعبوا بالسلطان وأعوانه مما أثار حنق المغاربة ودفعهم إلى التمرد والثورة؛ وقد تطور الأمر إلى حده المأساوي عندما ثارت مُشاجرة بين بعض العُمال الأوربيين والسكان المحليين؛ وقد بدا الأمر عندما كان هؤلاء العُمال يمدون خطاً للسكة الحديد من الميناء وكان من المفروض أن يمر هذا الخط وسط مقابر المُسلمين من أهل المدينة؛ وأثارت هذه الحادثة كُل مشاعر الحنق التي كان الأهالي يشعرون بها؛ فلم يعد كافياً ما يشعر به أهالي المدينة من إهانات يومية بل وصل الأمر إلى إهانة موتاهم؛ فوقعت الاضطرابات؛ وتذكر المصادر الغربية بأسى سقوط ثمانية قتلى من الأوربيين ولا تعتني كثيراً بذكر من قُتل من المغاربة؛ ولكنها كانت حجة مناسبة تنتظرها فرنسا مُنذ زمن كي توجه أساطيلها إلى المدينة التعيسة وتبدأ في قصفها بعنف بالغ ثم لتعلن فرضها الحماية على المغرب كُله في عام ١٩٠٧م.

ويصف والتر هاريس الذي كان يعمل مُراسلاً لجريدة (التايمز) اللندنية في الدار البيضاء وقد كان شاهداً حياً على جريمة القصف فيقول: -

- ظهرت السُفن الحربية الفرنسية في الأفق؛ وفي الوقت الذي كانت تهبط فيه وحدات من الجيش لحماية الأوربيين؛ بدأت السُفن في قصف الأحياء الوطنية؛ وهكذا أصبح المغاربة بين نارين؛ نار المدافع ونار الجنود في الداخل؛ فلقد أصبح المشهد مليئاً بالرعب وارتكبت في (كازابلانكا) كُل أنواع الجرائم؛ فلقد شاهدت بعد أيام من القصف العديد من جُثث الناس والجياد ما زالت مُلقاة في الشوارع؛ بينما تناثرت محتويات البيوت المُدمرة يخرج منها الجرحى زاحفين على بطونهم طالبين المعونة دون جدوى؛ وفي وسط المدينة لم أقابل غير نساء يصرخن في جنون لفقدهن أطفالهن.

هكذا كانت بداية الاحتلال الفرنسي للمغرب العربي التي استمرت حتى عام ١٩٥٦م حين وقع الملك المغربي محمد الخامس اتفاقية إلغاء الحماية والاعتراف باستقلال المغرب؛ وفى الحق أن هذه السنوات الستين لم تكن سهلة؛ لقد كانت مليئة بالتمردات والثورات ودفع شهداء المغرب ثمناً غالياً لهذا الاستقلال.

وفي حي (الأحباس) توجد نفحة من نفحات الأندلس المعمارية؛ فالأحباس تعني الأوقاف وليس المساجين؛ والحي ليس قديماً كما يُوحي تصميمه المعماري ولكن تم بناؤه

بعد دمار المدينة من جراء القصف الفرنسي؛ فلقد قامت سُلطات الاحتلال ببناء هذا الحي وفق التقاليد الأندلسية والمغربية القديمة؛ فهناك بوابة مقوسة تدخل منها إلى الساحة الرئيسية؛ فتجد نفسك فجأة وقد خرجت من أسر المباني العصرية وأحاطت بك المباني ذات القباب البيضاء والممرات المسقوفة والأبهاء المتصلة المزينة بالمقرنصات والآيات القرآنية؛ لقد تحول هذا المكان إلى موطن للحرف الشعبية والمكتبات المتنوعة؛ فقد كان هذا المكان مدهشا؛ لقد كشف عن الوجه الثقافي الغني للمدينة؛ مئات من الكتب المؤلفة والمترجمة في كل فنون المعرفة؛ ومعظمها كتب جادة لا يغلب عليها كتب الطبخ والعفاريت كما في العديد من المكتبات؛ فالشعب المغربي قارئ جيد لولا أن قدرته الشرائية ضعيفة وأثمان الكتب أصبحت باهظة الثمن.

* * * * *

## طنجة (العاصمة الصيفية للمغرب)

طنجة مدينة بديعة الطبيعة والروح؛ وكانت تُسمي قديماً بطنجة البيضاء؛ وسُميت هكذا يوم كانت مدينة دولية؛ بل أكثر مُدن العالم دولية فكان كثير من نجوم الفن يأتون للزيارة فيمكثون بها فترات طويلة؛ ولقد زال عنها طابع المدينة الدولية الواقعة تحت نفوذ الأعلام الغربية العديدة لكن قدرتها على الإغواء لم تزل؛ إنها تجتذب البشر من كُل بقاع الدنيا؛ وتجتذب المغاربة من كُل حدبٍ وصوب.


مسجد الحسن الثاني

فطنجة حمامة بيضاء حطت على كتف إفريقيا بتوازن مرهف. منذ فجر وجودها في القرن الرابع قبل الميلاد وهي تشاهد المتصارعين من أجل الفوز بالنفوذ عليها سواء كان القرطاجيون؛ أو الرومان؛ أو الفينيقيون؛ أو العرب؛ أو البُرتغاليون؛ أو الإنجليز؛ لكنها ظلت تمتلك نفوذها الخاص على كُل من أتوا إليها.

فطنجة هي مدينة ساحرة؛ فهي السحر الذي أغوى يوليسيس؛ والسحر لا يمكن تفسيره فإذا فسرناه لم يعد سحراً.

وهذه المدينة يصب فيها مُعظم التيارات بصفتها جسراً؛ هذا بالإضافة لكونها ميناء؛ فهي بحق مدينة أسطورية؛ وذلك بسبب قُدرتها على الإيحاء بالخيال الذي يُحلق عالياً بارتفاع أسطورة؛ فهي أقرب بوابات إفريقيا إلي أوربا؛ وهي زاوية الإطلال على لقاء البحر المتوسط بالمحيط الأطلسي؛ وهي نموذج لحوار البر والبحر؛ وهو حوار لم يكن دائماً هادئاً؛ بل كثيراً ما كان دامياً؛ وقليلاً ما كان عادلاً؛ ولكنها لطبيعة قوية فيها؛ استطاعت طنجة أن تُذيب في نسيجها كُل من هبط على برها وإلا لفظته.

تقع مدينة طنجة في مواجهة الساحل الجنوبي لأسبانيا؛ وتسمى بوابة المغرب العربي وقد اختارها الملك الحسن الثاني لتكون العاصمة الصيفية للدولة؛ ووفقاً للأساطير اليونانية تأسست طنجة على يد العملاق أنتيوس في عام خمسمائة قبل الميلاد؛ وفي القرن الخامس الميلادي احتلت قبائل الفاندال مدينة طنجة ومنها استطاعوا العبور إلى شمال أفريقيا؛ وبعد مرور قرن من الزمان وقعت طنجة تحت سيطرة الإمبراطورية البيزنطية؛ ثُم طواها النسيان تدريجياً حتى استولى عليها موسى بن نُصير في السنوات الأولى من القرن الثامن الميلادي. وبحلول القرن الرابع عشر أصبحت طنجة من أهم الموانئ على البحر المتوسط حيث كانت تتردد عليها سُفن التجارة الأوروبية المُحملة بالأقمشة والتوابل والمعادن وطيور الصيد؛ وكانت تستبدلها بالجلود والصوف والسجاد والحبوب والسُكر؛ وقد تنقلت مدينة طنجة فيما يقرب من ثلاثة قرون؛ ما بين الأسبان؛ والبُرتغال؛ وأخيراً الإنجليز.

وبدأت مدينة طنجة في الانتعاش في حوالي مُنتصف القرن التاسع عشر عندما تنافست الحكومات الاستعمارية الأوروبية في بسط نفوذها على المغرب العربي؛ وفي أثناء الحرب العالمية الثانية كانت طنجة تحت السيطرة الكاملة لأسبانيا؛ ثُم عادت لتخضع للحكم الدولي مرة أخرى في عام ألفٍ وتسعمائة وخمسة وأربعين ميلادية. ولذا تأثرت طنجة كثيراً بالحياة الأوروبية وهي ما زالت تحتفظ بمظاهر تلك المؤثرات العديدة؛ وبحصول طنجة على الاستقلال عام ألفٍ وتسعمائة وستة وخمسين ميلادية أصبحت جُزءاً من المملكة المغربية؛ ومن أكثر مناطق الجذب السياحي فيها.

وأهم ما يُميزها تلك التلال الخضراء المكسوة بغابات الصنوبر ومنار رأس سبارطل

أقصى نقاط الشمال الغربي للقارة الإفريقية؛ حيث الجبل بصخوره البُنية الحمراء التي تنبثق من جنباتها الخضرة؛ و(الشرف) المطل على الخليج؛ وقوس البيوت على التلال يحدق بدائرة الماء؛ وشارع أسبانيا بنخيله الباسق؛ والسوق الهابط تحت شُرفة المدافع المُطلة على الماء؛ والهبوط والصعود والالتفاف في الدروب النحيلة بين بيوت حي القصبة؛ وبوابة البحر الهائلة القديمة؛ والرحبة المطلة على الميناء؛ وحيث زرقة المياه واحدة عائدة بالمغاربة من أوربا القريبة وأخرى ذاهبة إليها؛ وبهجة الإطلال على تلال مالاباطا وبيوتها البيضاء الرانية إلى الماء؛ ومياهها الهادئة فيروزية اللون؛ وكذلك البيوت في حُضن الجبال الخُضر.

وتتميز طنجة المغربية بكونها نقطة التقاء بين البحر الأبيض المتوسط من جهة؛ وبين القارة الأوروبية والقارة الإفريقية من جهة أخرى. هذه الوضعية الإستراتيجية الهامة مكّنتها من الاستئثار باهتمام الإنسان؛ وجعلت منها محطة اتصال وعبور وتبادل الحضارات مُنذ آلاف السنين؛ مما تشهد عليه المواقع والبقايا الأثرية الموجودة بطنجة ومنطقتها؛ والمنتمية إلى حضارات ما قبل التاريخ وحضارات الفينيقيين والبونيقيين التي ربطت اسم طنجة في أساطيرها العريقة باسم (تينجيس) زوجة (آنتي) ابن (بوسايدون) إله البحر؛ و(غايا) التي ترمز للأرض؛ ثُم الفترة الرومانية التي خلالها أصبحت طنجة تتمتع بحق المواطنة الرومانية؛ ومن المُحتمل جداً أن تكون روما قد جعلت من طنجة عاصمة لموريتانيا الطنجية؛ المقاطعة الغربية لروما بشمال إفريقيا.

استعادت طنجة حيويتها مع انطلاق الفتوحات الإسلامية لغزو الأندلس على يد طارق بن زياد عام ٧١١م؛ ثُم من طرف المرابطين والموحّدين الذين جعلوا منها معقلاً لتنظيم جيوشهم وحملاتهم. بعد ذلك تتالت على طنجة فترات الاحتلال الأسباني والبرتغالي والإنجليزي منذ ١٤٧١م إلى ١٦٨٤م؛ والتي تركت بصماتها حاضرة بالمدينة العتيقة؛ كالأسوار والأبراج والكنائس.

لكن تبقى أهم مرحلة ثقافية وعمرانية مميزة في تاريخ طنجة الوسيط والحديث؛ هي فترة السلاطين العلويين؛ وبخاصة المولى إسماعيل؛ وسيدي محمد بن عبد الله؛ فبعد استرجاعها من يد الاحتلال الإنجليزي عام ١٦٨٤م في عهد المولى إسماعيل؛ استعادت طنجة دورها العسكري والدبلوماسي والتجاري كبوابة على دول البحر الأبيض المتوسط؛ وبالتالي عرفت تدفقاً عمرانياً ضخماً؛ فشيدت الأسوار والحصون والأبواب.

وازدهـرت الحيـاة الدينيـة والاجتماعيـة؛ فبنيـت المسـاجد والقصـور والحمامـات والأسواق؛ كما بُنيت الكنائس والقنصليات والمنازل الكبيرة الخاصة بـالْمقيمين الأجانـب؛ حتى أصبحت طنجة عاصمة دبلوماسـية بعشـر قنصـليات عـام ١٨٣٠م؛ ومدينـة دوليـة يتوافد عليها التُجار والُمغامرون من كُل الأنحـاء نتيجـة الامتيـازات الضـريبية الـتي كانـت تتمتع بها.

طنجة لا تخلوا من الأساطير؛ فهي مُلتقى الشرق والغرب؛ كما يجيء ليلها فـلا تنـام؛ حيث يظهر ذلك عندما تنظر إلى البحر المتوسط حيث يلوح جبـل طـارق مـن ربـوة منـار مالاباطا على بُعد عشرة كيلو مترات شرقاً؛ وعلى بُعد اثـني عشـر كيلـو مـتراً إلى الغـرب فيلتقي المتوسط بالُمحيط عند رأس سبارطل؛ وتلتقي الصخور بالأساطير علـى مقربـة مـن رأس سبارطل في مغارة هرقل؛ وهو الكهف العميق؛ ونافذة تحت الجبـل تطـل علـى ميـاه الأطلسي وترسم وجه رجل صارخ؛ وفي السقف دوائر غائرة في قبة الحجـر. إنهـا الرحـى التي قُدت من بدن الكهف لتُعد طحين الناس؛ فالأسطورة القديمـة تخـتلط بخبـز البشـر في هذه البُقعة؛ والأسطورة تقول إن المكان كان مُمتداً يصل إفريقيا بأوربا ويفصل بحر الـروم (البحر المتوسط) عن بحر الظُلمات (الُمحيط الأطلسي)؛ ولما كان لأطلس ابـن نبتـون (إلـه البحر) ثلاث بنات يعشن في بستان يطرح تفاحاً ذهبياً ويحرسهن وحش.

قاتله هرقل (ابن جوبيتر) وهزمه؛ ولكن هرقل في غضبة من غضبات الصراع ضـرب الجبل فانشق لتختلط مياه المتوسط الزرقاء بميـاه الأطلسـي الخضـراء وتنفصـل أوربـا عـن إفريقيا؛ ثُم يزوج هرقل ابنه سوفاكيس لإحدى بنـات نبتـون ليُثمـر زواجهمـا بنتـاً جميلـة أسموها طانجيس؛ ومنها كانت طنجة.

وتمتد أسـوار المدينـة العتيقـة علـى طـول ٢٢٠٠م؛ ومسيِّجة بأحيـاء خمسـة للمدينـة العتيقة: القصبة؛ دار البارود؛ جنان قبطان؛ واد أهردان؛ وبني إيدر؛ وبُنيـت هـذه الأسـوار على عِـدة مراحـل والـتي مـن الُمحتمـل جـداً أنهـا بُنيـت فـوق أسـوار المدينـة الرومانيـة (ينجيس)؛ وتُؤرخ الأسوار الحالية بالفترة البُرتغالية (١٤٧١ - ١٦٦١م)؛ إلا أنها عرفـت أشغال ترميم وإعادة بناء وتحصين خلال الفترة الإنجليزيـة (١٦٦١ - ١٦٨٤م)؛ ثُـم فـترة السلاطين العلويين الذين أضافوا تحصينات عديدة في القرن الثـامن عشـر؛ حيـث دعّمـوا الأسوار بمجموعة من الأبراج: برج النعام؛ برج عامر؛ برج دار الدباغ وبرج السلام. كمـا فتحوا فيها ١٣ باباً؛ ومنها: باب القصبة؛ باب مرشـان؛ بـاب حاحـا؛ بـاب البحـر؛ بـاب

العسّة؛ باب الراحة وباب المرسى.

تقع قصبة غيلان على الضفة اليُمنى لوادي الحلق على الطريق المؤدية إلى مالاباطا شرق المدينة العتيقة؛ تم بناؤها حوالى ١٦٦٤م؛ ويرتبط اسمها باسم غيلان قائد حركة الجهاد الإسلامي؛ ضد الاستعمار الإنكليزي الذي احتل مدينة طنجة ما بين ١٦٦٢م و١٦٨٤م.

وللقلعة جهاز دفاعي مُحكم؛ وهو عبارة عن سورين رباعيّي الأضلاع مُحصّنين ببُرجين نصف دائريين وبارزين؛ وتتوسطهما أبواب عمرانية ضخمة؛ ويحتل قصر القصبة أو دار المخزن موقعاً استراتيجياً في الجهة الشرقية من القصبة؛ ومن المُرجح جداً أنه استعمل خلال فترات أخرى من التاريخ القديم.

بني قصر القصبة أو قصر السُلطان مولاي إسماعيل؛ من طرف الباشا علي أحمد الريفي على أنقاض (القلعة العليا) الإنجليزية؛ وهو يحتوي على مجموعة من المرافق الأساسية كالدار الكبيرة؛ وبيت المال؛ والجامع؛ والمشور؛ والسجون؛ ودار الماعز؛ والرياض. وفي عام ١٩٣٨م تحوّل القصر لمُتحف لطنجة ومنطقتها.

يقوم الجامع الكبير على مقربة من سوق الداخل. وكان قد تم تحويله إلى كنيسة خلال فترة الاستعمار البُرتغالي وأُعيد جامعاً بعد استرجاعه في عام ١٦٨٤م وعرف عدة أعمال ترميم وتوسيع خلال الفترة العلوية. وتتميز هذه المعلمة ببهائها وغنى زخارفها؛ حيث استعملت فيها كُل فنون الزخرفة؛ من فسيفساء ونقش ونحت وكتابة على الخشب والجبس؛ ويحتوي الجامع الكبير على بيت للصلاة مكوّن من ثلاثة أروقة متوازية مع حائط القبلة وصحن مُحاط من كُل جانب برواقين؛ وبذلك يُعتبر نموذجاً للمساجد العلوية المعروفة ببساطة هندستها.

يقع جامع الجديدة الذي يُعرف كذلك باسم جامع عيساوة وأحياناً بمسجد النخيل؛ أمام الزاوية العيساوية على زنقة الشرفاء؛ ويتميز بمنارته ذات الزخارف الفسيفسائية.

يقوم جامع القصبة بزنقة بن عبو؛ وبُني على يد الباشا علي أحمد الريفي؛ كما ويُعتبر من مُلحقات قصر القصبة؛ أو ما يُسمى بدار المخزن؛ أما الكنيسة الأسبانية فبعد أن قضت فترة في ملكية أسرتين يهوديتين؛ اشتراها السلطان محمد بن عبد الله حوالي ١٧٦٠م؛ وتم إهداؤها للحكومة السويدية لتؤسس فيها أول قنصلية لها عام ١٧٨٨م. وفي ١٨٧١م استغلها الحاكم الأسباني ليجعل منها إقامة للبعثة الكاثوليكية؛ فبنى فيها كنيسة كبيرة سماها (لابوريشيما) على السيدة مريم؛ أو السيد المسيح. لكن منذ حوالى ثلاثين

سنة؛ ولأن المسيحيين لم يعودوا يترددون على الكنيسة بكثرة؛ أصبحت المُؤسسة تعنى بأنشطة اجتماعية مُختلفة؛ أما حالياً فلم يبق من البناية سوى الجُزء العلوي من السُلم الرئيسي.

* * * * *

# إميلشيل

يُعد موسم (إميلشيل) للخطوبة الذي تقيمه عمالة (محافظة) (الرشيدية) من ١٩ إلى ٢١ سبتمبر قبلة الزّوار والسيّاح الأجانب (غير العرب) والمغاربة؛ فضلاً عن الباحثين في الفلكلور والأنثروبولوجيا وغيرهما؛ نظراً لما تنطوي عليه هذه المظاهرة الشعبية؛ التي لا مثيل لها في العالم؛ من طابع أسطوري معجون بالخيال الشعبي لسكان قبائل (آيت حديدو) القابعة في جبال الأطلس على علو ٢٠٠٠ متر.

يجتمعون في هذه الفترة من العام المتزامنة مع موسم الحصاد لتخليد أسطورة بحيرتي (إيسلي) و(تيسليت) وتعني بالأمازيغية: الخطيب والخطيبة.

والمُوسم في المملكة المغربية يُضاهي المولد في مصر المحروسة. وأظن أن الأخيرة ورثت الموالد من المغرب؛ والمملكة المغربية تعد بحق أم المواسم؛ فكُل عمالة وحاضرة ومدينة وقرية لها موسمها الخاص بحيث يُمكن لنا القول: إن هُناك المئات من المواسم التي تقام على مدار العام في طول المملكة المغربية وعرضها.

والموسم في المغرب له معان شتى: فهو يحوي السوق؛ فضلاً عن كونه المعرض والمهرجان والعُرس؛ وتتضافر هذه الفعاليات لتخلق فضاءً فريداً تمتزج فيه الأسطورة بالخيال بالتراث الشعبي والعادات الاجتماعية القبلية الموغلة في القدم؛ والقاعدة الأساسية التي يتكئ عليها زواج عرسان أبناء قبيلة (آيت حديدو) في (إميلشيل) بإقليم (الرشيدية) هي اخطف عروسك ومن ثم تزوجها فإن لم تفعل ذلك فأنت يا حضرة الزوج المُبجل لا تستحقها؛ وتجدر الإشارة إلى أن بعض أبناء القبيلة غير راضين لأن يكون تُراثهم وتقاليدهم فرجة احتفالية للسياح والزوّار...

لكن هذا الموقف لم يُؤثر على حضور الموسم وشُهرته واستمراره كل عام منذ عام ١٩٦٥م متواصلة حتى الآن... وحين يُشاهد المرء طقوس موسم الخطوبة يختلط عليه الأمر... بحيث لا يدرك لأول وهلة الفرق بين الحقيقة والخيال؛ أو الأسطورة والواقع الذي يدب على الأرض.

في الصباح الباكر بعد شروق الشمس بساعة يهرع أبناء قبائل (آيت حديدو) إلى التجمع في ساحة الاحتفال وميدان المُوسم؛ فها هي الخيام المغربية الكبيرة المساحة والحجم: منصوبة متراصة على شكل دائرة؛ تملأ الفضاء الاحتفالي بسحر وبهاء؛ والموسم في المغرب يتسم بطابع تجاري تسويقي واجتماعي وديني روحاني؛ فعادة ما يتزامن عقده إثر موسم الحصاد؛ في بداية الخريف؛ حيث يتمكن القوم من شراء لوازمهم وحاجاتهم الحياتية لُمدة عام كاملة تقريباً.

فمنطقة إميلشيل تقع في حُضن جبال الأطلس الأعلى حيث الشتاء طويل شديد؛ والبرد غزير الثلج والأمطار. ومن هُنا فإن البيات الشتوي يحتاج إلى مؤنة تُقيم الأود؛ وتقيه القر وتمنحه الدفء؛ وكُل حاجاته الضرورية.

إن الراغبين في الزواج يتعارف كُل منهما على الآخر بطبيعة الحال قبل الموسم؛ ويتم عقد قرانهما في المُوسم ذاته؛ حيث يُوجد كتاب العدل الذين يقومون بإجراءات عقد القران شفاهة وكتابة؛ ووفق التقاليد الإسلامية المألوفة في كُل بلاد المُسلمين. وفي وقت الضُحى يزدحم فضاء (إميلشيل) بفرسان القبائل الممتطين خيولهم المُزينة بالسروج البهية؛ وتتوافد النسوة مثنى وثُلاث ورُباع وهن يرفلن بملابسهن التقليدية الزاهية؛ ولا يبرز من العروس منهن سوى عينيها. ذلك لأنها تكون مُلثمة؛ ويتحلين بالحُلي والقلائد والأقراط المُصنعة محلياً بواسطة صُناع الحُلي ومُجوهرات الصناعة التقليدية المصنوعة غالباً من الفضة؛ فالأزياء تلعب دوراً احتفالياً سحرياً في تمييز العروس العذراء عن غيرها من النساء المُطلقات والأرامل الراغبات في الزواج ثانية.

وعروس موسم إميلشيل (بنت قبيلة آيت حديدو) تعنى عناية شديدة بالتزويق (الذي ينعت بالماكياج بالعربي غير الفصيح) فتجدها تضع الكُحل في عينيها الساحرتين؛ وتُطرز خدها بنقاط حمراء بدعوى أن اللون الأحمر (وفق اعتقادها) يدرأ عنها الحسد والشر.

أما اللون الأصفر فتضعه حول الحاجبين ليبرز جمالها ورقتها؛ ولا تنسى تزيين أذنيها بأقراط كبيرة الحجم؛ وتتقلد على صدرها قلادات مُرصعة بالأحجار الصفراء والحمراء المُضاهية لمعدن (الكهرب) الذي تُصنع منه المسبحة.

والعرس يوجب على الجمع القبلي ارتداء الملابس التقليدية الجديدة غالباً والنظيفة على الدوام. فالرجال الكبار يعتمرون العمامة الأمازيغية التي عادة ما تكون من القماش

الفاخر؛ ويرتدون الجلابيب والبرانس الضاوية بالألوان الخضراء والبُنية البهية. وفي داخل الخيام وخارجها تُباع الصناعات التقليدية الخاصة بالإقليم نفسه؛ والأقاليم المجاورة له: فتجد الزرابي مبثوثة على الأرض في كل مكان؛ ويتعالى ثغاء الخراف والماعز؛ وكل الأصوات المُميزة للبقر والجمال والأحصنة والبغال والحمير والكلاب والدواجن.

وتشرع النسوة مُنذ الصباح الباكر في طبخ وتطييب (الطواجن) و(الكُسكسي) بينما الفرق الموسيقية الفلكلورية تهزج بالأغاني الموقعة على إيقاع (البندير)؛ والدفوف والطيران والربابة المغربية صغيرة الحجم ذات الدويّ الذي لا يتناسب مع حجمها؛ والفرق الفلكلورية الغنائية الراقصة تُحضر من المُدن والقبائل المُقيمة في جبال الأطلس وما جاورها؛ ويقودها ذلك الشيخ الأمازيغي المترع بالفروسية والحيوية والرشاقة؛ والمُلقب في أوساط المواسم والمهرجانات التراثية الفلكلورية بلقب (المايسترو)؛ وهو حاضر فيها على الدوام؛ ويتمتع بجماهيرية وجاذبية شخصية؛ وتُمكنه من النفاذ إلى قلوب المُشاهدين من دون استئذان؛ وفي موسم إميلشيل الذي نحن بصدده: من حضرة (المايسترو) بجلالة قدره؛ وعظمة فنه وشدة حضوره. والسبب يكمن في الزي العربي الخليجي الذي يصوّب السياح كاميراتهم نحوه لتصويره لغرابته؛ ولكن (المايسترو) استطاع إعادة الاهتمام برقصه وإيقاعه وحضوره الجذاب في ساحة الرقص والغناء الفلكلوري؛ كما هو دأبه دوما في كُل مهرجان ومُوسم.

وتجدر الإشارة إلى أن بحيرة (إيسلي) تقع على بعد ستة كيلو مترات من منطقة إميلشيل؛ ويصل عُمقها إلى ٣٧ متراً؛ بينما تبعد عنها بحيرة (تسليت) باثني عشر كيلو متراً؛ وعمقها يصل إلى ٨٦ متراً. ونظراً للفضاء الطبيعي الجميل الذي يحيط بكل منهما؛ فقد أصبحتا منتجعين سياحيين يزورهما السياح من شتى الأقاليم المغربية؛ وكل أقطار العالم التي اعتاد مواطنوها السياحة في المغرب.

وعلى الرغم من مسحة الترويج السياحي التي تصبغ الطقوس الاحتفالية للموسم؛ فإن أحد أبناء المنطقة العارفين بالموروث الحضاري للزواج في إميلشيل يشير إلى أهمية المشاعر السامية لمجموعة قبائل (أو ملان) والتي تعني بالعربية الناس الذين يوفرون الأمان. ويجدر التنويه إلى أن غطاء رأس المرأة المتزوجة يكون مخروطياً إلى أعلى؛ في حين يكون غطاء المرأة العزباء أفقياً.

حينما تخرج العروس من بيت ذويها؛ وتحين ليلة دُخلتها يُحيط بها أبناء عمومتها

الأشدّاء؛ وقد (تسلحوا) بجريد النخيل الذي سوف يضرب به الزوج المسكين مُدة من الزمن؛ إلى حين تمكنه من الإمساك بلجام البغلة التي تمتطيها عروسه؛ ومغزى هذه العملية المُبرحة هو التدليل على رباطة جأش العريس وشجاعته؛ وصبره على تحمل المشاق؛ وعلى قُدرته على القيام بحماية زوجه من عاديات الزمن ومزلاته.

وأثناء إتمام عقد القران يتقاسم العروسان وأسرتاهما رغيف خُبز كبير تتجاوز مساحته المتر المربع؛ وذلك دلالة على الارتباط المُقدس بين الأسرتين المتصاهرتين. أي أن يكون بينهما (عيش وملح).

وتتوالى مشاهد سيناريو الموسم وتتراءى مثل الفيلم الرومانسي؛ حيث يتوجب على العروس الاستحمام بثياب زفافها في مياه بحيرتي (إيسلي وتسليت) جهاراً نهاراً؛ على رءوس الأشهاد ومرأى كُل الناس الموجودين في فضاء المشهد.

ولا شك في أن السُياح الأجانب مفتونون بهذا المشهد الرومانسي؛ وغيره من المشاهد التي غابت عن حياتهم اليومية المادية؛ وكم تُثيرهم الملابس الوطنية التقليدية العريقة المُحافظة على أصالتها وحضورها في الحياة الاجتماعية رغم تقادم السنين والحقب والأزمان؛ فالملابس بهية بشكلها وألوانها المُزركشة؛ والحُلي المصنوعة من العقيق والأصداف والفضة تزهو بها الأعناق والمعاصم والصدور.

يُضاف إلى هذه المشاهد: مشهد العريس بزيه الأبيض؛ وفرسه المطهم؛ ليُضفي على فضاء الموسم نفحة أسطورية مُفعمة بالسحر والفرح والرومانسية التي تُدغدغ مشاعر الصبايا الوافدات المُنتظرات لعرسان المُستقبل.

كما أن منطقة إميلشيل الموجودة في منطقة جبال الأطلس الكبير جاءت لتكون رائدة الانفتاح نحو العالم؛ ويعود ذلك لكونها تتمتع بموقع استراتيجي؛ كما أن مُوسم الخطوبة يُعد قبلة لكُل من يأخذه الحنين لقيم الحُب النبيلة.

فالحُب عند هؤلاء له توأم لا يكاد يُفارقه اسمه الفضيلة: هذه الأخيرة التي بها يكتمل الحب؛ ومن خلالها ينمو ويكبر؛ وينشر الرحمة والتسامح؛ تلك القيم النبيلة – إذا صح التعبير – تكاد تفقدها بعض المجتمعات المعاصرة؛ ولعل السؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق: يكمن في الكيفية التي تتم بها مراسم الخطوبة والزواج وفق التقاليد السائدة لقبائل المنطقة.

بداية؛ يتشكل وفد من عشرة أفراد (خمس نساء وخمسة رجال)؛ حيث يتجه الوفد

صوب منزل العروس ليقدموا لها الهدايا المكونة من الملابس والحلي وخروف سمين كامل لا عيب يشينه؛ فضلا عن الـ (أبادير)؛ وهو رغيف كبير يصل قُطره إلى متر؛ ويتكون من ٢٥ كيلو جراماً من طحين القمح؛ ثُم يُعجن بعشرة لترات من الماء؛ بعد أن يُضاف إليه القدر المُناسب من الملح؛ وعادة يقوم الرجال بخبزه لا النساء؛ وحين ينضج يوزع على أفراد الأسرتين رمزاً للمودة والتعارف؛ كما يُقدم للضيوف من قبل أهل العروس التمر والزُبد والعسل والحليب.

وتقوم سيدة بتزويق العروس بالحناء؛ ومن ثم ترتدي ثوب العُرس الأبيض وتتقلد بالحُلي؛ وقبل خروجها من بيت والديها يقوم والد العروس بوضع (بُرنسة) تحت قدميها دلالة على مُباركته لهذه الزيجة.

إن الميزة التي يتميز بها موسم إميلشيل عن غيره من المواسم في المملكة المغربية تكمن في كونه حُضناً يضم العُشاق والمُحبين الذين يلتقون فيه ويتبادلون الأحاديث الحميمة؛ ويتناقشون في الترتيبات المُتعلقة بحياتهم المُستقبلية. فحين يتم التفاهم بين الطرفين يذهب الخطيبان إلى المقر الذي يُقيم فيه الكتبة العدول ليُعلنا أمامهم ويُشهداهم على رغبتهما في عقد قرانهما ببساطة متناهية تنأى عن الإجراءات الروتينية المُعقدة التي تطبع العديد من الزيجات في المجتمعات الحضرية المدنية.

وهذه البساطة المُتناهية في عقد الزواج لا تُوجد في أرقى المُجتمعات العصرية وحُرية اختيار القرين لوليفه وزوجه؛ ولا تعني أنها حُرية طائشة أو نزوة غير مسئولة؛ وذلك أن الاتفاق بين الحبيبين على الزواج لا قيمة له من دون مُوافقة ذويهما ومُباركتهم؛ والأمر الجدير بالذكر في موسم الخطوبة بإميلشيل هو تضاؤل القيمة النقدية لصداق الزوجة؛ حيث أنه لا يتجاوز المائتي درهم أي تساوي عشرين دولاراً فقط لا غير...!!

وفي يوم الافتتاح تُقام عروض غنائية فلكلورية راقصة؛ وأكثرها شهرة وجاذبية (أحيدوس) التي يقودها الفنان الفلكلوري الأمازيغي العجوز والمُلقب بالمايسترو؛ ويتضمن يوم الافتتاح فضلاً عن ذلك المُسابقات الثقافية والرياضية؛ والقنص والصيد؛ والسهرات الفلكلورية على ضفاف بحيرة (إيسلي). أما اليوم الثاني من الموسم فيُخصص لعقد قران عروس المُوسم في أحد قصور المنطقة؛ ويشهد فيه السياح والزوار كُل المظاهر الاحتفالية لعقد القران؛ أما اليوم الثالث والأخير: فهو خاص بالزيارات الميدانية لزيارة المناطق السياحية؛ والمواقع الأثرية؛ والتي تتم على ظهور البغال القادرة وحدها على

تحمل مشقة الطُرق الجبلية الوعرة.

والشاهد أن زائر موسم (إميلشيل) سوف يمضي الأيام الثلاثة دون أن يشعر بالملل البتة: حيث يكون في مقدور الزائر الاستمتاع بمشاهدة الخيام الكبيرة المُجسدة لحياة البدو الرُحل؛ ويُمكنه كذلك أن يطعم ويتذوق فنون طبخهم؛ وبخاصة أنواع الخُبز الكبيرة التي سبق الإشارة إليها في ثنايا هذا الاستطلاع.

وهذا التجوال الذي يُمارسه السائح والزائر يتم وسط رقصات (الأحيدوس) التي يُؤديها سُكان القبائل حيث يصطف الرجال والنساء متشابكي الأيادي يعلو صوتهم بالأغاني وإيقاعات (البندير) و(الطار) المتناغمة مع حركات الأقدام وهزات الأكتاف المثيرة للطرب والفرح؛ والمُحرّضة على (الزفان) والمُشاركة في الرقص.

إن المواسم تشغل حيزاً كبيراً في الحياة الاجتماعية المغربية؛ بحيث يتراوح عددها من ٦٠٠ إلى ٧٠٠ موسم تقام على مدار العام. صحيح أن هذه المواسم تتفاوت في درجة أهميتها وجماهيريتها؛ إلا أن كل موسم فيها له نكهته الخاصة التي تُميزه عن غيره؛ وتُبرر استمراره وحضوره.

* * * * *

# الصّومـال

عاصمتها هي مقديشيو؛ وتبلغ مساحة الصومال حوالي ٦٣٧٦٥٧ كم٢؛ بطول الشاطىء ٣٠٢٦ كم؛ وتتميز تضاريسها بأن أخفض نقطة هي المُحيط الهندي ٠م؛ وأعلى نقطة هي شمبيرس ٢٤١٦ م؛ واللغة الرسمية هي الصومالي؛ وعدد سكانها يقدر بحوالي ٧٢٥٣١٣٧ نسمة؛ وعملتها الشلن؛ وتعتبر الصومال عضو في جامعة الدول العربية.

تقع الصّومال الديمقراطية على ساحل إفريقيا الشّرقي. عاصمتها مقديشيو. يحدّها شمالاً خليج عدن وجيبوتي؛ وأثيوبيا وكينيا غرباً؛ والمحيط الهندي شرقاً وجنوباً. وهي من الدول الأفريقية التي تكثر فيها المجاعات والأمراض والمستنقعات؛ والتي تعيش على القليل من المنح العالمية لها والاهتمام الدولي بالمعيشة هُناك؛ لذا لا يعتبر لها أي مُميزات جُغرافية أو اقتصادية.




وقديماً كانت العلاقة التجارية قائمة مع الفراعنة في العصور القديمة وبالأخص الملكة حتشبسوت؛ حيث عُرفت الصومال بإنتاج نوع مُميز من البخور له رائحة عطرة؛ وثمة بعض الآثار التي تدل على تلك العلاقة؛ مثلما أن بعض العادات والتقاليد تنطوي على شواهد تدل على ذلك أيضاً.

بعدئذ ظلت المنطقة التي تشمل جميع المناطق الجغرافية في شرق إفريقيا مصدراً للتنافس الاستعماري بين القوى الأساسية (بريطانيا؛ إيطاليا؛ فرنسا) وفي هذا الإطار توزع الصومال بين خمس قوى استعمارية؛ فاحتلت فرنسا عام ١٨٨٤م الجزء الذي شاع بتسميته بالصومال الفرنسي (جمهورية جيبوتي الآن بعد استقلالها عام ١٩٧٧م)؛ وهو يتسم بأهمية بالغة نظراً لمواجهته خليج عدن وباب المندب؛ أما جمهورية أرض الصومال فقد كانت جزءاً من الإمبراطورية العثمانية تحت زعامة خديوي مصر وعرفت باسمها

الراهن؛ وفي عام ١٨٤٨م قضت بريطانيا على الحُكم التُركي المصري؛ وأقامت محمية (صومالي لاند) واستكملت احتلالها تماماً في العام ١٨٨٧م؛ والقسم الثالث الجنوبي احتلته إيطاليا عام ١٨٨٩م وسُمي بذلك؛ أما القسم الرابع المعروف باسم (الأوغادين) فقد احتلته إثيوبيا بدءاً من العام ١٨٨٥ لتحكم قبضتها عليه في العام ١٨٩٧ بموجب اتفاقية الحدود المبرمة بينها وبين بريطانيا؛ والجزء الخامس والأخير هو المتاخم لجمهورية كينيا وسمي بذات الاسم أو (أنفدى)؛ وقد تم تدويله بموجب اتفاقية ١٥ يوليو ١٩٢٤م بين إيطاليا وبريطانيا. وبعد الحرب العالمية الثانية عملت الدول المنتصرة (أمريكا؛ بريطانيا؛ فرنسا؛ الاتحاد السوفييتي) بمُوجب اتفاقية الصلح الموقعة مع إيطاليا في باريس (١٠ / ٢ / ١٩٤٧م) على إرغامها على التنازل عن كُل سند أو حق من مُمتلكاتها في إفريقيا؛ وهي ليبيا وإريتريا والصومال الإيطالي؛ كما نصت الاتفاقية على أن تستمر هذه المُستعمرات تحت الإدارة البريطانية لفترة مُحددة إلى أن يتم تقرير مصيرها؛ وأحيلت القضية للأمم المُتحدة؛ وفي عام ١٩٤٩م قررت الجمعية العامة استقلال ليبيا والصومال مع الإبقاء على حالة إريتريا إلى أن ضمها الإمبراطور هيلاسلاسي فيدرالياً وبمباركة الأمم المتحدة عام ١٩٥٢م إلى إثيوبيا.

نالت جمهورية أرض الصومال استقلالها في ٢٦ يونيو ١٩٦٠؛ فتقاطرت اعترافات الدول بها إلى أن بلغت نحو ٣٨ دولة من بينها الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن ومصر من الدول العربية والإمبراطورية الإثيوبية من الدول الإفريقية؛ وبعد عدة أيام أي تحديدا في الأول من يوليو من العام نفسه استقل الجزء الجنوبي؛ فقام قادة الشمال وطلبوا الوحدة معهم؛ توخيا لهدف الصومال الكبير الذي يضم أجزاءه الخمسة؛ غير أن الفترة التي حكم فيها سياد بري (١٩٦٩ - ١٩٩١) أذاق فيها أهل أرض الصومال ألوانا من حكم القهر والبطش؛ حيث أباد أكثر من خمسين ألفاً من أبنائها الذين قاوموا حُكمه تحت راية الجبهة الوطنية؛ الأمر الذي دفعهم مرة أخرى إلى إعادة النظر في الوحدة التي كانت قائمة والعمل باتجاه الاستقلال؛ ويعتبر معظم مواطني الجمهورية أن الوضع الحالي ليس استقلالاً عن الجنوب بقدر ما هو إرجاع عقارب الساعة للوراء وتكريس الأصل الذي كان موجوداً قبل أربعة عقود زمنية.

وعندما أعلن الاستقلال في ١٨ مايو ١٩٩١ بدأ المسئولون في الجمهورية بإعادة بناء ما دمرته الحرب وإرساء مؤسسات الدولة بصورة ديمقراطية؛ فتم انتخاب الرئيس عبد الرحمن تور في مؤتمر عقد في مدينة (برعو) حضره الزعماء التقليديون والذي تم فيه اتخاذ

قرار الاستقلال؛ وشكلت حكومة انتقالية لمدة سنتين؛ ثم عقد المؤتمر الثاني في مدينة (بورما) في الفترة من يناير وحتى مايو ١٩٩٣ وتم فيه انتخاب الرئيس محمد إبراهيم عقال؛ وتشكيل برلمان ثنائي (مجلسا شيوخ ونواب) لمدة ثلاث سنوات؛ ثم عقد المؤتمر الوطني الثالث في العاصمة هرجيسا فتمت المصادقة من المجلسين على تمديد فترة الرئاسة لمدة عام ونصف؛ وكان انعقاده في الفترة من ١٥ أكتوبر ١٩٩٦ وحتى ١٢ مارس ١٩٩٧؛ وأعاد المؤتمر انتخابه لفترة ثانية مدتها ٥ سنوات بأغلبية ٢٢٣ من مجموع ٣١٥ صوتاً.

وقد قامت الحكومة بحل المليشيات القبلية وتم تكوين جيش نظامي قوامه نحو ٢٥ ألف جندي كما يؤكد على ذلك الكولونيل إسماعيل محمد عثمان القائد العام للقوات المسلحة والذي سبق أن نال دورات في فترتي السبعينيات والثمانينيات في كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي السابق في عهد الرئيس سياد بري ومن ثم التحق بالجبهة الوطنية لمقاومته؛ أيضاً تم إعادة تكوين جهاز الشرطة بأفرعه المختلفة؛ وأنشئت الوزارات والمؤسسات الحكومية؛ واتبعت الدولة اقتصاد السوق الحر؛ حيث عاد الكثير من أبنائها المغتربين وخاصة الذين كانوا في أمريكا وأوربا ودول الخليج المختلفة وأسسوا شركات خاصة؛ كما أصدرت الجمهورية عملة جديدة هي الشلن الذي يبدأ من فئة الواحد وحتى ٥٠٠؛ وفي هذا الصدد يشير مدير البنك المركزي السيد عبد الرحمن دعالة والذي يتميز بخبرة في هذا المجال حيث تولى إدارة البنك المركزي أيضاً في مقديشو في الجنوب؛ يشير إلى أن البنك يدير الأنشطة المالية والتجارية عبر ثمانية فروع ثلاثة منها في العاصمة والبقية في الأقاليم؛ وأن البنك يشرف على عمليات الصادر؛ حيث تصدر أرض الجمهورية ما قيمته ١١٠ ملايين دولار من الماشية سنوياً (كان الصومال كله يصدر في عهد سياد بري بما يساوي ٧٠ مليون دولار ماشية و٢٤ مليون دولار موزا سنوياً)؛ ويضيف عبد الرحمن أن الجمهورية تُصدر أيضاً الأسماك والجلود؛ ويتم أحياناً الاستيراد عن طريق المقايضة بواسطة التُجار الذين يستوردون السُكر والأرز؛ ويشير كذلك إلى وجود الصرافات الخاصة؛ غير أنه يقول: إنها تتم بترخيص من البنك الذي يقوم بتحديد الأسعار؛ ويؤكد أن ثمة اتصالات مع بنوك في المنطقة خاصة جيبوتي وإثيوبيا لتبادل المراسلات البنكية المختلفة.

من مظاهر السيادة في الجمهورية أيضاً إصدارها جواز سفر لمواطنيها؛ لكن بالطبع تداوله مرهون بالاعتراف الدولي؛ وكذلك من المظاهر خدمات الاتصالات والبريد؛ والوزارة تُشرف على ٥ شركات من القطاع الخاص تقدم خدماتها الهاتفية وتربط أقاليم

أرض الصومال بعضها بعضاً؛ كذلك تربط الجمهورية مع جميع أنحاء العالم؛ ويضيف أن وزارته تقدم خدمات البريد المحلي والخارجي واستصدرت طوابع خاصة يتم التعامل بها؛ إلى جانب خدمات البريد السريع (دي. أتش. إل). وهناك خطوط للطيران الخاص تناهز شركاته سبعاً وهي تحمل المسافرين والعائدين من العاصمة هرجيسا إلى جيبوتي وبعض دول الخليج.

ومن ضمن الوزارات الاقتصادية هناك وزارة للثروة السمكية وذلك للاستفادة من الشواطئ المطلة على البحر.

انتشر الإسلام فيها قبل القرن التّاسع؛ حيث قامت مملكة عفة الإسلامية. هزمها الأثيوبيّون في القرن الرابع عشر؛ ثمّ أسّس المسلمون مملكة عادال. وكان الأتراك حينها يدعمون الصّوماليّين؛ بينما كان البرتغاليون يدعمون الأثيوبيين. سيطرت عائلة مظفر «من الأشراف المسلمين» على ميناء مقديشيو الذّي كان يُعتبر من أهمّ الموانئ. ومنذ عام ١٨٨٧م؛ نشأت المحمية البريطانية على أرض الصّومال؛ كما بدأ التوغل الإيطالي إلى الداخل؛ لكنّهم جُوبِهوا بالزّعيم محمد عبد الله حسن الذّي أعلن الجهاد ضدّ الإنجليز؛ عام ١٨٩٩.

في عام ١٩٣٦م اجتاح موسّوليني أثيوبيا وإريتيريا والصّومال؛ فوسّع حدود الصّومال. وأصبحت الصّومال الحديثة عام ١٩٤٩ تحت وصاية الأمم المتّحدة؛ بإدارة إيطاليا لمدّة ١٠سنواتٍ. جرت انتخاباتٌ عام ١٩٦٠ في ظلّ الاستقلال؛ فأصبح عبد الله عثمان رئيساً للجمهورية. انتقلت السّلطة عام ١٩٦٩ للجيش بقيادة محمد سياد برّي. وفي عام ١٩٩٠؛ أعلن المؤتمر الصّومالي الموحد والحركة القوميّة والحركة الوطنية الصّومالية تعاونهم لإسقاط حكومة سياد برّي بعملٍ عسكريٍّ. ولكن حدث انقسامٌ عام ١٩٩١؛ في صفوف المُؤتمر الصّومالي الموحّد بين مجموعةٍ علي مهدي ومجموعة محمد فارح عيديد؛ ووصل حدّ القتال في شوارع العاصمة.

وقبل سنوات قليلة خلت هطلت أمطار غزيرة على أرض الصومال؛ فتسببت في إحداث خسائر كبيرة؛ غير أن الضرر الأكبر الذي لم يكن أحد يتوقعه؛ هو أن السيول والفيضانات التي أحدثتها الأمطار جرفت التربة فأدى ذلك إلى ظهور مقابر جماعية جراء الإبادة التي قام بها سدنة الرئيس السابق سياد بري؛ تم هذا بعد أن بدأ أهالي الجمهورية نسيان الماضي والإقبال إلى الحياة بنفس مبرأة من المرارات والأحزان.

ظهرت دفعة واحدة نحو ٧٠٠ جثة؛ وبعد أن ووريت الثرى مرة أخرى في احتفال رسمي قامت الدولة بتعيين لجنة من ٧ وزراء والتي قامت بدورها بالاستعانة بلجنة فنية من ١٣ عضواً للبحث في تلك المأساة؛ يقول السيد رشيد أحد أعضائها النشطين: هذا الموضوع أحدث صدمة عنيفة للمجتمع لأن الناس بدأت تتذكر أقاربها وذويها الذين فقدوهم في السنين الماضية؛ ويضيف رشيد وضعنا منهجاً معيناً للحصول على المعلومات وذلك بالبحث عن الشهود الأساسيين؛ ويشير رشيد إلى أن لجنتهم استعانت بمنظمات حقوق الإنسان والأمم المتحدة التي استجابت وأوفدت لنا خبيرة اسمها منى الرشماوي حيث ساعدتنا كثيراً؛ وطلبت منا وقف نبش المقابر حتى يتم ذلك بصورة علمية؛ وقد استجبنا لذلك بعد أن جاءنا خبيران آخران أحدهما كندي والثاني أمريكي وقاما بتدريب وإعداد بعض من أطبائنا.

رحل الديكتاتور الذي فتك بمواطني هذه الجمهورية؛ وبقيت المحنة فقط عالقة بالنفوس؛ وكان يمكن أن تكون مطمورة داخل المقابر الجماعية لولا الأمطار التي جرفت ترابها فأظهرتها وأيقظت بالتالي ما ظن الناس أنهم قد نسوه أو تناسوه.

وعن هذا يقول الرئيس محمد إبراهيم عقال عن ملابسات عدم الاعتراف الدولي لهذه المأساة على الرغم من أن إعلان الاستقلال مضى عليه قرابة السنوات العشر فقال: هناك فرق كبير؛ نحن طيلة هذه السنوات لم نضع يدنا على خدنا في انتظار الاعتراف الدولي؛ بل على العكس لم نشغل أنفسنا كثيراً بهذا الموضوع؛ وبدلاً عن ذلك اتجهنا لإعادة بناء الدولة؛ على أساس مؤتمرات تصالحية بين القبائل؛ وبعدها أجرينا انتخابات ديموقراطية؛ وكوّنا مؤسسات الدولة؛ البرلمان ومجلس الوزراء وحكام الولايات؛ وأصدرنا عملة خاصة بنا وأنشأنا البنك المركزي وفروعه في الأقاليم؛ وأعدنا تكوين الجيش والشرطة... إلخ.

وأصبحت الدولة كلها تنعم بالأمن والاستقرار؛ نحن مشغولون فعلا بإعادة بناء الدولة وتحقيق الأمن والاستقرار؛ ونعتقد بأن الاستقرار الاقتصادي أولاً ثم الاعتراف الدولي ثانياً؛ لأنه في حال أنك حققت الهدف الأول فلن تتأخر دول المجتمع الدولي في الاعتراف الرسمي؛ وهذه في تقديرنا مسألة وقت لا أكثر ولا أقل؛ وإن ما يسمى باعتراف الأمر الواقع قد حدث بالفعل؛ فكثير من الدول تعاملنا على هذا الأساس.

والاعتراف كما نعرفه ليس هدية أو منحة من أحد بل هو تبادل مصالح؛ وبلادنا

فيها ثروات كثيرة كالنفط والمعادن والثروة الحيوانية؛ إلى جانب الموقع الإستراتيجي؛ كل هذه العوامل من شأنها أن تدفع الآخرين للسعي لتبادل مصالحهم معك. وإننا عندما أعدنا بناء دولتنا كنا ننتظر من أخوتنا في الجنوب أن يقيموا سلطة مركزية حتى نستطيع أن نتفاوض معها؛ ولكن الآن إذا أردنا أن نتفاوض فمع من؟ نحن نريد تصحيح الأخطاء التاريخية بطريقة دستورية؛ ربما حققنا جمهورية أرض الصومال الكبرى؛ وإذا فشلنا في ذلك مثلما كان الحال في السابق فلن نكون منتقمين؛ لأنهم أخوتنا وليست هناك وحدة بالقوة؛ إنني أطالب المجتمع الدولي بفصل قضيتنا عن قضية الجنوب؛ فهذا الخلط هو الذي أخّر الاعتراف بنا.

ولعلنا من هنا نناشد المجتمع الدولي؛ بالذات العالمين العربي والإسلامي مواجهة مسئولية ما يحدث في أرض الصومال؛ إذ أنني أخشى أن ينفد صبر مواطنيه؛ وبالتالي يذهب كل ما أنجزناه هباء؛ ويغرق الشمال مجدداً في مستنقع العنف شأنه في ذلك شأن الجنوب؛ وكل ذلك نتيجة أن لا أحد يريد أن يجرؤ على اتخاذ القرار التاريخي السليم.

ومن المفارقات أنه عندما نالت الصومال استقلالها في ٢٦ يونيو ١٩٦٠ تواصلت اعترافات الدول بها حتى بلغت نحو ٣٨ دولة من بينها الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن ومصر وإمبراطورية إثيوبيا آنذاك؛ فرمينا بكل ذلك عرض الحائط؛ وبعد أقل من أسبوع عرضت على أخوتها في الشمال الوحدة؛ وبعد أربعة عقود زمنية تنتظر الاعتراف مرة أخرى. إنها مفارقات محزنة ومضحكة معاً.

أما عن المرأة فقد انتظمت في عدة جمعيات ومنظمات نسائية لخدمة قضاياها وقضايا المُجتمع وبخاصة الأطفال الذين تيتموا بسبب الحرب الأهلية؛ كذلك تخدم المواطنين الذين هجروا قسراً بسبب الحروب نفسها؛ وتحاول هذه الجمعيات المساعدة في التعليم والحرف والأشغال اليدوية؛ والمُساهمة في حل المشاكل الاجتماعية التي تنتج عن الزواج.

أما عن العادات والتقاليد في مسألة الزواج نفسه؛ فالملاحظ أولاً أن حالات الزواج تكاثرت في العقد الأخير؛ والعرف يقتضي بأن تكون المرأة بقبيلة زوجها وليست قبيلتها؛ ويتم عادة التعارف عن طريق الأهل؛ وطقوس الزواج تتم في اليوم الأول بأن يرتدي العروسان ثوبا أبيض من ثلاث قطع وذلك للتفاؤل ويسمى (سدح قيد)؛ وفي اليوم الثاني ترتدي العروس ثوباً لونه زهري مع أشياء تجميلية تسمى (الكولو) ويقال إنه لبس الفراعنة القدماء؛ والرجل يرتدي قماشاً من نفس اللون؛ وتكون الذبائح مستمرة خلال

ذلك؛ أما اليوم الثالث فإنه مخصص لفتح ما يسمى (بالحرو) وهو عبارة عن خليط من اللحم والسمن والحلويات؛ الممزوجة بطريقة خاصة؛ كما أنها تعد منذ فترة طويلة في إناء يربط بإحكام شديد لئلا يعرف العروسين كيفية فتحه بسهولة؛ وإذا ما حدث ذلك يكون الأمر مصدر غضب والدة العروس؛ وللعريس ملازم لابد وأن يكون صديقه ويسمى (محيس) وكذا العروس (محيسة) وهي بمثابة وصيفة.

وتستمر احتفالات الأعراس لمدة أسبوع بعدها يخرج العروسان؛ ويعيد العريس عروسه إلى أهلها لفترة قصيرة محملة بالهدايا. وجدير بالذكر أن أسوأ العادات التي تضررت منها المرأة وانعكست في شكل مشاكل في الحياة الزوجية نفسها هي ظاهرة الختان؛ التي لم يستطع المجتمع التخلص منها إلى الآن؛ وهي بالطبع عادة فرعونية متوارثة.

من المظاهر الجميلة التي لا يكاد يتوقعها المرء ليس وجود صحافة تُمارس مسئولياتها فحسب؛ وإنما بحرية لا تعرفها كثير من دول العالم الثالث؛ ومن المفارقات أن الصحيفة الحكومية الوحيدة تُصدر ثلاث مرات في الأسبوع بينما الصحيفة المُعارضة تصدر يومياً؛ ومنها صحيفة (مانديخ) وتعني (كُل شيء أو الشيء المُتكامل) الحكومية؛ إنها باشرت الصدور رسمياً في يناير من العام ١٩٩٨م؛ ويعزى التأخير في ذلك إلى انشغال الحكومة بأولويات أخرى؛ ومع ذلك يؤكد استقلالية سياسة الصحيفة.

في حين يرفض رؤساء صُحف المُعارضة مثل (الجمهورية) تسمية صحيفته بالمعارضة؛ مشيرين إلى تفضيل صفة المستقلة التي تمارس دورها بحرية؛ وقال: إن المواطنين وصفوها بالمعارضة نسبة لأنهم لم يعتادوا على أجواء الحريات نتيجة الحكم الديكتاتوري السابق؛ وهم يريدون أن يوجهوا الحكومة إلى الطريق السليم؛ مع أننا لسنا معصومين من الخطأ؛ أما مصادر تمويلها إنها بواسطة شركة مساهمة (الوطنية للطباعة والنشر) كونها مجموعة من التجار وليس بالضرورة أن تعبر عن مصالحهم؛ ويوضح بأنهم يوزعون ٦ آلاف نسخة في اليوم في داخل الجمهورية؛ وفي إثيوبيا وجيبوتي وبريطانيا وبعض دول الخليج؛ وكلتا الصحيفتين تصدران باللغة المحلية؛ إضافة إلى عدد واحد أسبوعي باللغة الإنجليزية؛ وإلى الآن لم يصدر القانون الخاص بالصحافة والمطبوعات.

* * * * *

# المملكة الأردنيّة الهاشميّة




تتميز المملكة الأردنية الهاشمية بأنها تقع شمال شرق السعودية وغرب العراق؛ عاصمتها عمان؛ وتقدر المساحة بحوالي ٩٦,١٨٨ كيلو متراً مُربعاً بطول شاطئ ٢٦ كيلو متراً؛ تتميز التضاريس بأن أخفض نقطة هي البحر الميت ٤٠٨ تحت سطح البحر؛ وأعلى نقطة هي جبل الروم ١٧٣٤م؛ واللغة الرسمية العربية؛ ويبلغ عدد السكان حوالي ٥٦١١٢٠٢؛ عملة المملكة الأردنية الهاشمية الدينار الأردني؛ وهي عضو في جامعة الدول العربية.

تتمّع المملكة الأردنية الهاشمية بمناخٍ يختلف من الغرب إلى الشرق؛ فالمُناخ جافٌ في الغرب وصحراوي في الشّرق. وتحتلّ الصّحراء ٨٠ % من الأراضي الأردنيّة ويستقرّ السُكان في غرب البلاد؛ وتفصل خطوط السكّك الحديدية الصحراء عن غرب البلاد. ويبلغ مُعدّل الحرارة ٧ ° درجاتٍ مئويّةٍ في الأراضي المُرتفعة في فصل الشتاء؛ بينما تكون ٣٠ ° درجة مئويّة في الصّيف.

ولا تأخذ الزّراعة الأهمية البالغة في الأردن؛ لكنّه يوجد تخصيص ميزانية خاصّة لرّي الأراضي الزّراعية مُنذ عام ١٩٧١م؛ حيث أقامت المملكة مشروعاً للرّي بإنشاء قناة الغور التي تمتدّ من بُحيرة طبرية شمالاً إلى البحر الميّت جنوباً. وحتّى عام ١٩٩١م تمكّنت هذه المشاريع من ري ٦٣ ألف هكتار من الأراضي الزّراعية. ومن أجود الزّراعات التي تمتاز بها المملكة الأردنية الهاشمية ما يلي: -

١ - زراعة الخضراوات؛ كالبطاطس؛ والطماطم؛ والخيار؛ والباذنجان.

٢ - زراعة القمح؛ والشّعير والحبوب.

٣ - زراعة البُرتقال؛ والليمون؛ واليوسفي.

٤ – زراعة الفاكهة؛ كالبطيخ والعنب والموز.

في الأردن ثروةٌ كبيرةٌ من البوتاس والفوسفات الذّي يُصدّر في أكثره إلى الأسواق العالمية؛ وتقوم الأردن بتحويل هاتين المادّتين إلى أسمدةٍ تُستَعمل لتخصيب الأراضي الزّراعية.

أما بالنسبة للصّناعة في الأردن؛ فإنه قطاعٌ مُتحرّكٌ؛ والفضل في ذلك يعود إلى المصانع التي ينشئها الأردنيّون؛ ومن هذه الصّناعات السجائر؛ والأسمنت؛ والمواد الغذائية؛ والسّماد؛ والجلد.

أما من النّاحية الاقتصادية فيواكب نمو حركة الاقتصاد الأردني تحويلات مالية مُهمّة من الأردنيّين العاملين في الخارج؛ وبالأخص أولئك الذّين يعملون في منطقة الخليج العربي. ولقد فتح الأردن أبوابه أمام الأجانب ليستثمروا أموالهم فيه؛ وحافظوا على وضعه الاقتصادي الجيّد رغم انخفاض نسبة المُساعدات التّي كان يتلقّاها من الخارج؛ أما بالنسبة لقطاع السياحة فإنه مُهمٌّ في الأردن حيث إنّه يمتاز بمواقع مهمّةٍ تجتذبُ السّائحين كُلّ عامٍ؛ ومن تلك المواقع موقع جرش؛ وموقع مدينة البتراء؛ وقلعة الكرك؛ والبحر الميّت ممّا جعل الأردنيين يعتمدون على السّياحة في تأمين ١٠ % من النّاتج القومي الإجمالي.

* * * * *

## البحر الميت



يُعتبر البحر الميت من أشد بقاع الأرض انخفاضاً حيث يقع على انخفاض أربعمائة متر تحت سطح البحر؛ ويُوجد البحر الميت على بُعد خمسة وخمسين

كيلو متراً في الاتجاه الغربي من العاصمة عمان.

أما بالنسبة لمياه البحر الميت فلا يعيش فيه أي كائن حي؛ وذلك بسبب كثافة الأملاح الموجودة فيه؛ ولكن هذه الأملاح تُعطي الماء خاصيته العلاجية والتي ما زال الناس يستشفون فيها مُنذ آلاف السنين؛ كما أن هذه الأملاح ذاتها تكوّن المواد الخام لإنتاج البوتاس وأملاح الاستحمام العلاجية؛ والمُنتجات التجميلية التي يتم تسويقها في مُختلف أنحاء العالم؛ ومع أن مياه البحر الميت ساكنة هادئة في مُعظم الأيام إلا أنها تضطرب وتتلاطم أحياناً حيثما يلتقي ماء البحر بصخور الشاطئ فإنها تصطبغ بلون الثلج إذ تُغطيها الأملاح البيضاء بطبقة كثيفة لامعة تُعطي المنطقة طابعاً سريالياً غريباً.

*****

# العقبة

تعتبر مدينة العقبة؛ الميناء الأردني على البحر الأحمر؛ مدينة فريدة وجميلة بشكل ذات خصوصية. فهي غنية بالجبال الأرجوانية الوعرة التي يتغير لونها وشكلها مع تغير أوقات النهار. وعلى شواطئ العقبة؛ يستجم الزوار تحت أشعة الشمس قبل الغطس في المياه الباردة المنعشة. ولقد بقيت العقبة محافظة على تقدم منخفض؛ حيث أنه من بين العديد من الفنادق المبنية على الشاطئ لا يوجد فندق يحوي غرفا تزيد عن مائة وخمسين. ويعتبر المشهد الطبيعي في العقبة مثيرا للانطباع؛ حيث الشاطئ الضيق؛ والميناء الوحيد في البلد المحاط بالجبال المزينة بأشجار النخيل. وتقع منطقة الميناء في شرق المدينة.



إن ما يجعل العقبة فريدة هي الأسرار التي تزخر بها مياهها؛ حيث يوجد في الأعماق بعضا من أكثر الشعب المرجانية جمالا في العالم. وفي الغالب فإن تلك الشعب تجعل من الغطس أمراً مثيراً للعجب والدهشة. ولقد تم اكتشاف أكثر من ١٤٠ نوعا من الأحياء

المرجانية في مياه العقبة؛ ومن بينها العديد من الأنواع التي تستوطن في هذا الإقليم. ويعتبر التزلج على الماء في العقبة تجربة ممتعة على القارب الزجاجي. كما وأن الصيد من على الشاطئ يعد أمراً ممتازاً نظراً لعمق المياه القريبة من الحافة. كما ويمكن أيضا القيام بالصيد من القوارب.

بنيت قلعة العقبة في الأصل كقلعة صليبية وتحولت الآن إلى متحف. وكان المماليك قد أعادوا ترميمها في القرن الرابع عشر. ويتم الآن في مركز المدينة في العقبة؛ التنقيب عن مدينة أيلة الإسلامية المحاطة بالأسوار والتي بنيت في القرن السابع. ويعتبر الحصن الذي بني في القرن الرابع عشر واحدا من المعالم الرئيسة التي تجب



مشاهدتها في العقبة والذي يقع إلى جانب الشاطئ. ويضم ذلك الحصن مركزا للزوار فيما يحوي قسم آخر مُتحفاً.

*****

## الكرك

يعود تاريخ مدينة الكرك الأردنيّة إلى العصر الحديدي نحو سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد؛ وتَعاقَبَ عليها المؤابيّون والآشوريون والأنباط واليونان والرومان والبيزنطيون. وكان للمدينة تاريخ حافل مع صلاح الدين الأيوبي الذي حارب الملك أرناط؛ وكانت أهمية الكرك في ذلك الحين أنها كانت تحمي القدس لَما لموقعها الإستراتيجي من دَور في الحيلولة دون اللقاء بين عرب الشام وعرب مصر ولكونها محطة مراقبة على طريق الحجّاج. وكان ملكها أرناط محاربًا شرسًا مغامرًا؛ وقد وجّه صلاح الدّين ثلاث حملات للكرك حتى تمّكن في عام ١١٨٨ من احتلال القلعة الحصينة. وكان أرناط متحصنًا فيها ويخشى الخروج؛ لكنّه في معركة حطين وقع أسيرًا فضربه صلاح الدّين بسيفه ولقي حتفه.

وازدهرت مدينة الكرك في عهد الدولة الأيّوبية أيّما ازدهار فتجدّدت أبواب القلعة وترمّمت أسوارها وأعيد بناء قراها ونمت زراعتها؛ وبقيت الكرك تنعم بالإزدهار والطمأنينية على الرّغم من الخلافات التي اشتدّت بين السّلاطين الأيوبيّين. وعندما تعرّضت المنطقة لغزو المغول واحتل الظاهر بيبرس الكرك؛ اعتنى بها وحفر خنادق جديدة حول المدينة وقلعتها؛ فعاشت الكرك مجددًا حياةً هادئةً إلى أن



احتلّها العثمانيون في عام ١٥١٦م؛ ونظراً لبعدها عن السُّلطة المركزية العثمانية؛ تخاصمت قبائلها فيما بينها على التحكم والسيطرة. وعاشت الكرك إبان الحكم التركي فترة من الحُكم البغيض.

* * * * *

# جـرش

ترتفع جرش؛ المدينة ألاردنية؛ قرابة ستمائة متر عن سطح البحر؛ ويعود تأسيسها إلى عهد الإسكندر الكبير في القرن الرّابع قبل الميلاد. لكنّ بعض الآثار فيها تُبيّن أنّ مدينة جرش من العصر البرونزي؛ نحو ٢٥٠٠ قبل الميلاد. وتعود بعض الآثار التّي اكتُشفَت في شمال جرش إلى العصر الحديدي.

نَعمت هذه المدينة بالهدوء والاستقرار والسّلام وتأثّرت كثيرًا بالحضارة الرّومانية؛ وأصبحت من المُدن العشر. وتعاقبت عليها العصور وانتشرت فيها الدّيانة المسيحيّة حتّى أصبح لها في عام٤٥١ أسقف. ثم احتلّتها جيوش الفرس ودمّرت كنائسها. ووصلها العرب المُسلمون؛ بقيادة شرحبيل بن حسنة؛ في زمن الخليفة عمر وسيطروا عليها؛ وذلك في عام ٦٣٥ ميلاديًا. لكنّ الزّلازل المُتلاحقة التّي ضربت تلك المناطق أدّت إلى انهيارها الكامل.

كتب عنها ياقوت في كتابه (معجم البلدان) قائلاً: - جرش؛ هذا اسم مدينةٍ عظيمةٍ كانت؛ وهي الآن خرابًا. حَدّثني مَن شاهدها؛ وذكر لي أنّها خرابة وبها آبار عاديّة تدلّ على عظمةٍ. فقال: (في وسطها نهرٌ جارٍ يدير عدّة رُحى عامرةً إلى هذه الغاية. وهي في شرقي جبل السّواد من أرض البلقاء وحوران؛ ومن عمل دمشق وهي في جبلٍ يشتمل على ضياع وقُرى. ويُقال للجميع جبل جرش؛ اسم رجلٍ؛ وهو (جرش بن عبد الله).



ويُخالط هذا الجبل جبل عوف. وإليه يُنسب حمى جرش؛ وهو من فتوح شرحبيل بن حسنة؛ في أيّام عمر).

بقيت جرش مجهولةً حتّى عَثَر عليها سائح ألمانيٌّ سنة ١٨٠٦. وفي سنة ١٨٧٨؛ أرسل الحاكم التّركي مجموعةً من الشّركس للعيش فيها.

كشفت الحفريات الحديثة أنّ سورًا كان يحيط بالمدينة يبلغ امتداده خمسة كيلو متراتٍ ونصف كيلو متر. أمّا عرض السّور فَمِن مترين إلى ثلاثة أمتار ونصف المتر. وقد أمرَ الإمبراطور ترايانوس بِشَقّ طريقٍ من مدينة بصرى إلى البحر الأحمر؛ عُرِفَت باسم طريق النّصر. وجاءها الإمبراطور أدريانس (١١٧-١١٨) في طريقه لاحتلال بصرى



الشّام. وقد أحسن الإمبراطور معاملة أهل المدينة ممّا دفعهم لأن يبنوا له قوسًا؛ إكرامًا له؛ قاوم عاتيات الزّمن وبقي قائمًا حتّى يومنا هذا. وطول القوس ٣٧ مترًا وعرضه ٩ أمتار؛ ويبلغ ارتفاع البوّابة الرئيسة الوسطى عشرة أمتارٍ وعرضها خمسة أمتارٍ تقريبًا.

إلى الغرب من قوس النّصر؛ تقع البركة وهي عبارة عن مستطيلٍ طوله ١٥٠ مترًا وعرضه ٥٥ مترًا وعمقه ١٢ مترًا وفيه أربعة مصارف. والمُتجوّل بين آثار جرش سَيَجِدُ المدرج الرّوماني الواقع شمال البركة والمقبرة وهيكل زفس؛ ثم سيصل المدرج الكبير الذّي يقع للشّمال الغربي من هيكل زفس ومقاعده في الجنوب؛ ممّا يحمي المُشاهدين من أشعّة الشّمس.

* * * * *

# عجلون

تقع مدينة عجلون الأردنية الشهيرة بقلعتها التّاريخية التي تُسمّى أيضًا قلعة الرّبض على مقربةٍ من جرش. وتجذب هذه القلعة أعدادًا كبيرةً من الزائرين لما لها من قيمةٍ تاريخيةٍ. فقد بناها عز الدين بن أسامة بن منقذ أحد قادة صلاح الدّين الأيوبي؛ ما بين عامي ١١٤٨ - ١١٨٥ لتقف في وجه التّوسع الإفرنجي الصّليبي وتحافظ على طرق المواصلات مع دمشق وشمال سورية. ويُعرَف الجبل الذي أقيمت عليه القلعة باسم جبل عوف؛ نسبةً إلى بني عوف الذين أقامت عشيرةٌ منهم في هذا الجبل أيّام الفاطميّين. أمّا المدينة فإنّها تحمل اسم راهب كان يدعى عجلون ويقيم في ديرٍ قديمٍ في المنطقة. وللقلعة شكلٌ هندسيٌ مربّعٌ ولها أربعة أبراجٍ يتكوّن كلّ برجٍ منها من طبقتين. وقد أضيف البرجان الواقعان إلى يمين المدخلِ الحالي للقلعة بعد معركة حطين؛ وكذلك الخندق المحيط بالقلعة الذي حُفِرَ ليكون خطًا دفاعيًا. ويقع مخزن المياه الكبير على يسار المدخل؛ وهناك خمسة مخازن أخرى للمياه داخل القلعة التي تتنوّع فيها الأبنية الدّاخلية والرّدهات والغرف. وتتميّز عجلون بجمالها الطّبيعي وغاباتها الكبيرة وطقسها الرائع صيفًا ووفرة منتجاتها من الزيتون وأنواع الخُضار والفواكه كافةً.

* * * * *

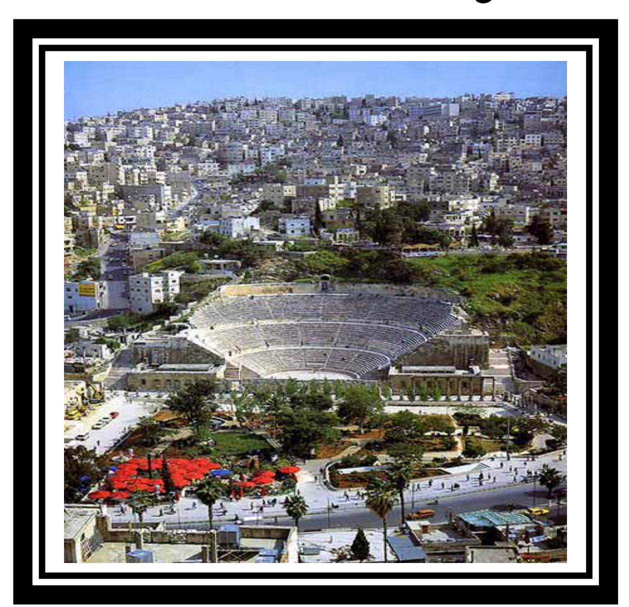
## مأدبا



مأدبا مدينة أردنية تقع جنوب عمان. ويبلغ عدد سكانها حوالي أربعين ألف نسمة. وتشتهر بفسيفساء رائعة تمثل خريطة فلسطين والقدس تعود إلى القرن السادس الميلادي. وتوجد هذه الفسيفساء (الخريطة) داخل كنيسة القديس جاورجوس التابع للكنيسة الأرثوذكسية اليونانية. وتقع مأدبا على الطريق السريع المتجه جنوبا من عمان عاصمة الأردن. وقد بني الطريق إلى جانب طريق أثري عمره يفوق الخمسة آلاف سنة ويمر بالعديد من المواقع الأثرية. يقع جبل نيبو حيث مدفن النبي موسى على مسيرة عشر دقائق من مأدبا. وكان المسيحيون البيزنطيون قد أقاموا على الجبل كنيسة صغيرة مربعة الشكل جرى توسيعها لاحقا.

* * * * *

## عَـمَّان



عمّان عاصمة المملكة الأردنّيّة الهاشمية؛ وأكبر مدينةٍ فيها. تبلغ مساحتها مع الضّواحي٨٠ كيلو مترًا مربّعًا. تقع عَمَّان في وسط البلاد على سيف الصّحراء فوق جبال صغيرةٍ متقاربةٍ؛ يبلغ عددها١٤ جبلاً؛ ويمرّ بها الخطّ الحديدي الضّيّق الذّي كان يربطها بسوريا شمالاً وَبِمَعان فالجزيرة العربية جنوبًا.

تُعدُّ عمَّان مركزًا تجاريًا وصناعيًا مهمًا؛ إذ يشهد قطاع الصّناعة تطوّرًا ملحوظًا يتمثّل بصناعة الأسمنت والفوسفات وتكرير البترول والبلاستيك والجلود والمواسير وصناعة

المواد الغذائيّة؛ كالمكرونة والبسكويت؛ وصنع السّجائر والتّنباك؛ وقطع الرّخام وصقله. وفيها المتاجر الغنيّة بأنواع السّلع المُصنّعة في الدّاخل والمستوردة من الخارج. وهناك أنواع المصنوعات اليدويّة والحِرَف وصُنع الزُّجاج والصّدَف والتّطريز؛ وصنع القلاّدات والنّحت على خشب الزيتون؛ وصناعة الأدوية. وتشتهر عمَّان بمطارها الدّولي المُتطوّر؛ وبجامعةٍ علميّةٍ راقيةٍ تضمّ مُختلف الاختصاصات والفروع. وأبرز معالم عمَّان مدينتها الرّياضية الكبيرة ومدينة الحُسين الطبّية التّي يقصدها المرضى من مختلف الأقطار العربية؛ وتُجرى فيها أدقّ العمليّات وأخطرها؛ ومن معالم عمَّان أيضًا؛ المسرح الرّوماني الكبير؛ والقلعة ومسجدها الجامع.

عمَّان مدينةٌ قديمةٌ جدًا؛ ذُكِرَت على أنّها (عمون) عاصمة العمونيّين الذين قامت مملكتهم في تلك المنطقة؛ سنة ١٢٠٠ ق. م؛ وبعد العمونيّين خضعت عَمَّان لحكم الآشوريين فالبابليّين. وفي القرن الثّالث ميلاديًا؛ دخلت في حكم الإغريق؛ وسُمّيت (فيلاديلفيا) نسبةً إلى أحد ملوكهم؛ وكان إسمه فيلاديلفيوس؛ ويُطلق عليه إسم (بطليموس الثّاني) وكانت عمَّان بوّابة الشّام وأحد أهمّ منافذ التّجارة بين الشّرق والغرب نظرًا لموقعها الإستراتيجي؛ إذ أن القوافل كانت تعبرها حاملةً تجارة الهند والصّين عبر البحر الأحمر؛ فيما كان يُعرَف يومئذٍ بطريق البخور. فتحها العرب سنة ٦٣٥؛ بعد أن كانت بأيدي الرّومان منذ سنة ٣١ ق. م؛ ولقد وصف المؤرّخون العرب عَمَّان فأثنوا على مكانتها التّجارية؛ وقالوا: إنّها كانت قصبة البلقاء؛ وإنّها كانت ذات قرى ومزارع؛ وفيها عدّة أنهارٍ وطواحين تديرها الماء. وكان لها جامعٌ في طرف السّوق؛ مُفَسفَس الصّحن. وكان قصرٌ جالوت على جبلٍ يطلّ عليها؛ وفيها لعب سليمان بن داوود عليهما السلام.



* * * * *

# دولــة الكويت




تقع دولـة الكويـت في شبة الجزيرة العربيـة المتواجـدة في قـارة آسـيا؛ تحديـداً علـى رأس الخلـيج العربي تحيط بها كـل مـن العـراق والمملكـــة العربيـــة الســـعودية والخلــيج العربــي. وعاصــمتها الكويــت؛ وتُعتــبر إحـدى أصـغر الـدول مسـاحة في العـالم حيـث تشغل مساحة تُقـدر بــ ١٧,٨٢٠ كم مربعاً؛ وتبلغ أقصى مسافة لها من الشمال الى الجنوب ٢٠٠ كيلو متراً؛ كما تبلغ أقصى مسافة لها من الشرق الى الغرب ١٧٠ كيلو متراً.



قـدر عـدد سـكان الكويـت بموجـب البيانـات الإحصـائية لعـام ١٩٩٩م بــ ١. ١١٥,٩٩١ نسمة؛ ويتمركز العـدد الأكـبر مـن السـكان حـول المُـدن القريبـة الواقعـة على طول سـاحل الخلـيج الفارسـي و٤٥ % مـن السـكان هُـم مـن أبنـاء الكويـت الأصليين أمـا النسـبة الباقيـة مـن السـكان فهُم من العـاملين الأجانـب؛ وتبلـغ نسـبة الوفيـات في الكويـت ٤ في الألـف وهـي نسبة منخفظة جداً.

واللغة العربية هـي اللغـة الرسميـة للـبلاد بالإضـافة إلى اسـتعمال اللغـة الإنكليزيـة بشكل واسع؛ المناخ: حار ورطب.

المساحة ١٧٨١٨ كم$^{٢}$؛ العاصمة: مدينة الكويت.

الكويت دولـة عربيّة مسـتقلةٌ وعضـوٌ في جامعـة الـدّول العربيـة. واقعـةٌ في الطّـرف

الشمالي الشّرقي من جزيرة العرب؛ وعلى ساحل الخليج العربي. يحدّها من الشّمال العراق؛ ومن الغرب والجنوب المملكة العربية السّعودية والعراق والمنطقة المُحايدة التي تبلغ مساحتها ٤٦٠٠ كيلو متراً مربّعاً. عدد سكانها حوالي مليون ونصف مليون نسمةٍ. هي ملكية مشتركة مع المملكة العربية السّعودية؛ وتقوم الدّولتان باستغلال موارد المنطقة النّفطية. أمّا من الشّرق؛ فهي واقعة على طول السّاحل الشّمالي من الخليج العربي؛ وتتناثر أمامها مجموعة من الجُزُر الكبيرة والصّغيرة؛ وأهمّها: جزيرة بوبيان في أقصى شمال الخليج – وهي من أكبر جزرها – وجزيرة فيلكة؛ وجُزُر حسكان؛ وعوهة؛ والعكاز؛ وأم النّمل. تبلغ مساحة الكويت ١٧,٨١٨ كيلو مترًا مربّعًا؛ والعاصمة هي مدينة الكويت؛ باسم البلد. وأهمّ مُدُنها: الأحمدي وحولّي والسالمية والشعبية. اللّغة الرّسمية هي العربية؛ والعملة هي الدّينار الكويتي.

أراضي الكويت عبارة عن سهول رمليّةٍ تتخللّها بعض الواحات الخصبة؛ والتلال أو الجبال القليلة الإرتفاع؛ وأشهرها جبل اللّياح؛ وجبل الزّور. وليس في البلاد أنهر دائمة الجريان؛ بل ثمّة أنهر تتشكّل إثر هطول الأمطار الغزيرة فتجري في أوديةٍ؛ وسرعان ما تنضبّ وتجفّ. وأشهر هذه الأودية: وادي الباطن؛ ووادي الشق؛ وهما في المنطقة الشمالية والغربية.

مناخ الكويت مناخٌ صحراويٌّ حارٌ شديد الرّطوبة على السّاحل؛ ويصل معدّل الحرارة إلى ٤٥ درجةٍ مئويّةٍ في الصّيف و٢٠ درجة مئويّةٍ في الشّتاء.

ليس للزراعة أيّة حصّةٍ تُذكَر في النّشاط الاقتصادي؛ ولا تشمل المُنتجات الزّراعية سوى الخُضر والفاكهة؛ وأهمّها: البندورة؛ البصل؛ الشّمام والبلح.




تُعتَبر تربية الماشية النشاط الزراعي الرّئيسي التّقليدي في البلاد؛ ويطال هذا النّشاط تربية الأغنام والطّيور والجِمَال.

إنّ أهمّ ما تعتمد عليه الكويت في اقتصادها هو النّفط. فهو عصبُ الحياة وثروتها الوطنية الأولى. وتُعتَبر الكويت من أولى البلدان المُنتجة والمُصدّرة للنّفط. فدولة الكويت تُمسِك؛ بالإضافة إلى المنطقة المحايدة؛

برُبع الاحتياط العالمي للنّفط؛ أيّ ١٣,٢ مليار طن.

يدور النّشاط الصّناعي في الكويت حول تكرير النّفط. وتبلغ طاقة التّكرير القصوى ٣٠ مليون طن؛ وهي كميّة قليلة بالنّسبة لكمية الإنتاج. والصناعة في الكويت هي صناعةٌ حرفيّةٌ وتختصّ أيضًا بصناعة المواد الغذائية وبناء سُفُن الصّيد.

تحكم أسرة الصّباح العربية الكويت منذ زمنٍ طويلٍ. وكانت البلاد قد نالت استقلالها النّاجز من بريطانيا سنة ١٩٦١. ومن أشهر أمرائها السّابقين: الأمير أحمد جابر الصّباح الذي حكم الكويت منذ سنة ١٩٢١ حتى سنة١٩٥٠. وفي عهده عُقِدَت اتّفاقية البترول وتطوّرَ اقتصاد البلاد.

وأهم مدنها: [الأحمدي] [الكويت] [جزيرة فيلكا].




أهم المُدن: الأحمدي؛ ميناء عبد الله.

المنتجات الزراعية: (بالطن): -

١ - الخضراوات ٧١٠٠٠.

٢ - الماعز ١٥٠٠٠.

٣ - الأبقار ١٢٠٠٠.

٤ - الأغنام ١٢٠٠٠.

٥ - الأسماك ٧٧٥٠.

مُنتجات الطاقة: -

١ - البترول ٨٩. ٦٠ مليون طن.

٢ - الغاز الطبيعي ٥,٩٧ مليار متر$^{٢}$.

٣ - كهرباء ١٦. ٨٨ مليار كيلو واط.

أهم الصادرات: -

البترول حيث بلغت نسبة الصادرات منه حوالي ٩٣,١ %.

* * * * *

## مدينة الكويت

مدينة الكويت هي عاصمة دولة الكويت وأكبر مدينةٍ فيها. تقعُ عند رأس عجوزة

ورأس الأبيض على الخليج العربي؛ وأمامها لجهة الشمال جون الكويت. وأهم مناطقها: السالمية في الجنوب والشويخ في الغرب. وميناء الشويخ هو ميناء الكويت الأساسي ومن أهم موانىء الخليج. وثمّة ميناء عبد الله والشعيبة حيث حقول النفط الغنية ومعامل تكريره وتصديره؛ وحيث نرى ما يناهز الأربعة والثلاثين مصنعًا وشركةً إنتاجيةً ومعملاً لتصفية المياه وتحليتها وضخّها. وإلى الشرق من الكويت تقوم جزيرة فيلكا السياحية حيث توجد آثار يونانية؛ منها رأس الإسكندر وتمثال أفروديت. وفيها المطار الدّولي المتطوّر الذي يربطها بمختلف عواصم العالم.

الكويت عاصمة ناشئة متطوّرة؛ عرفت الازدهار منذ أن اكتُشِف النّفط عام ١٩٣٤ في دولة الكويت. فيها نهضةٌ عمرانيةٌ وشوارع فسيحة وحدائق كبيرة وبيوت مال ومصارف وشركات تأمينٍ وجامعات ومعاهد ومدارس؛ وأهمها جامعة الكويت الوطنية؛ وهي تضم مختلف الفروعٍ والأقسام والتّخصصات. ويفد إليها طلاّب العلم من بلدان عدّة. كما أن فيها معهد الكويت الوطني للتكنولوجيا التطبيقية والمعهد التجاري والمعهد الصناعي والمعهد الصحي للبنات ومعهد التربية للمعلمين والمعلمات.

من أهم الصّناعات القائمة في الكويت الصّناعات البتروكيميائية؛ وتتمثل بتكرير البترول وإنتاج البنزين والكيروسين وزيت الغاز والغازولين؛ والصّناعات الكيماوية وتتمثل بصناعة البلاستيك والمنظفات؛ والصّناعات الغذائية والمعدنية وصناعة مواد البناء على اختلافها.

ومن معالم الكويت خزّانات مياهها المعلقة؛ وتعرف بالأبراج؛ وهي مبنية على أحدث الطّرق الهندسية وفن العمارة. ولقد استُخدِمَ في هذه الأبراج خمسون طنًا من الألمنيوم المفرّغ؛ وهي مُدعّمة بجسور داخليةٍ وعدد الأبراج ثلاثة: الأصغر للإنارة؛ الأوسط وفي وسطه كرة تستعمل كخزانٍ للمياه؛ والأكبر وارتفاعه ١٨٧ مترًا ويتخلّله كرتان؛ السّفلية وهي أكبر الكرات؛ يُستخدم نصفها العلوي كمطعمٍ وصالةٍ للاستراحة ونصفها السفلي كخزان للمياه.

أما الكرة العلوية فهي أصغر الكرات حجمًا وفيها استراحة دوّارة. والكرات الثلاث مكسوّة من الخارج بأقراصٍ مُطليةٍ بثلاث طبقاتٍ من المينا الملوّنة. يبلغ عددها ثلاثين ألف قرصٍ بسبعة ألوانٍ مختلفةٍ ما بين الأزرق والأخضر والرمادي؛ وبثلاثة أقطار بطول ٤٠ و٣٠و٢٣سم.



تحضن مدينة الكويت المتحف الوطني الغني بالتّحف والآثار. كما أنّ فيها مركز الطب الإسلامي؛ وهو من أحدث المراكز الطّبية في العالم للعلاج بالأدوية المُستقاة من النباتات. ومن أبرز معالم مدينة الكويت أسواقها القديمة؛ وأهمها السوق الداخلي؛ وهو يضم متاجر الحدادين الذين يزودون تجار السفن بكل لوازم البناء؛ وسوق الجت لبيع العطور؛ وسوق الصفاة؛ وسوق الحريم حيث البائعات اللواتي يتاجرن بالملابس الشعبية الفولكلورية المصنوعة من أثوابٍ مُطرّزةٍ وعباءات ولوازم تجميل طبيعيّة كالحناء والديرم وهو لحاء شجر يصبغ الشفاه.

في الكويت عدد من المساجد الحديثة والأثرية وأهمها مسجد المطران ومسجد القطامي ومسجد السّوق الكبير ومسجد ناهض ومسجد السرحان ومسجد الخالد ذو المئذنة ذات القمّة الكمثرية ومسجد الخليفة ومسجد سعيد ذو المئذنة ببدن قصير ومسجد براك الدّماك ومسجد الدولة الكبير الذي تم بناؤه سنة ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م وهو من أجمل مساجد الكويت؛ وتبلغ مساحته ٤٥ ألف متر مربع؛ ومسجد لؤلؤة؛ ومسجد ابن خميس.

والجدير بالذكر أنّ الكويت كانت في القديم؛ قبل اكتشاف النفط؛ من أهمّ محطّات التجارة على طريق قوافل التّجارة بين الهند والغرب.

* * * * *

## أبراج الكويت

افتتحت أبراج الكويت عام ألفٍ وتسعمائة وتسعة وسبعين ميلادية وتقع على الخليج العربي في منطقة الشرق؛ وتعتبر الأبراج إحدى المعالم الحضارية المميزة في الكويت؛ ويحتوي هذا المشروع على ثلاثة أبراج رائعة. البرج الرئيسي ويضم مطعم الأفق ومقهى وقاعة دسمان للحفلات الخاصة والمناسبات؛ البرج الأوسط وهو عبارة عن خزان للمياه؛ البرج الصغير وهو الذي يتحكم في الكهرباء التي تزود هذه المنطقة من مدينة الكويت كما ينير البرجين الرئيسيين. الكرة الكاشفة على ارتفاع مائة وثلاثة وعشرين متراً فوق البحر؛ وتدور دورة كاملة كل نصف ساعة حيث تتيح الفرصة لمشاهدة المناظر الخلابة في الكويت.



* * * * *

## الجزيرة الخضراء




تقع الجزيرة الخضراء في الكويت وتبلغ مساحتها سبعمائة وخمسة وثمانين ألف متر مربع. ويربطها بالبر ممر طوله مائة وأربعة وثلاثون متراً. وهي جزيرة اصطناعية تم اكتسابها من البحر بعد ردمه؛ وتستقبل هذه الجزيرة عشرات الآلاف من الجمهور في عطلات نهاية الأسبوع. وتحتوي الجزيرة على بحيرة مياهها من مياه

الخليج المتغيرة تأتيها وتغادرها من تحت جسرين طبقاً لظاهرتي المد والجزر. ويوجد في الجزيرة عدة مطاعم ومركز خدمة نموذجي ومسرح مكشوف؛ كما يوجد البرج السياحي الذي يرتفع إلى خمسة وثلاثين متراً. وتوجد قلعة للأطفال مزودة بخنادق مائية وشلالات صغيرة.

* * * * *

# جزيرة فيلكا

جزيرة فيلكا هي إحدى الجُزُر المحيطة بالكويت؛ وهي جزيرة قديمة آهلة بالسكان. تبعد عن الكويت نحو ثلاثين كيلو مترًا. طولها ١٢ كم وعرضها ستّة كيلو متراتٍ.

اتّخذها قديمًا الإسكندر الكبير قاعدةً لجنوده وذلك بسبب موقعها الجغرافي المُميّز.

في عام ١٩٣٧؛ وبينما كان بعض العمّال يشيدون قصرًا لأحد أمراء الكويت؛ وجدوا حجرا قديمًا منقوشًا عليه بعض الكتابات؛ فأرسل المسؤولون الرّموز المنقوشة إلى المتحف البريطاني في لندن لدراستها. وتبيّن أنّ الرّموز المنقوشة هي كتابات يونانية تعود إلى العصر الهيليني ما بين القرن الرابع والقرن الأول ق. م. وكان اكتشاف هذا الحجر سببًا في استدعاء الحكومة الكويتية البعثة الدانمركية التي بدأت التّنقيب عام ١٩٥٨. وبنتيجة التنقيب وجدت قطع فخارية يعود تاريخها إلى العصر البرونزي (نحو ٢٥٠٠ ق. م)؛ بالإضافة إلى قطعٍ فخاريةٍ أخرى تعود إلى العصر الهيليني (نحو ٣٠٠ ق. م). ووجدت قلعة مربّعة الشّكل؛ لها أربعة أبراجٍ من الجهة الغربية وبوابة شمالي القلعة يحيط بها سور مزدوج مربع؛ وقد أحاطوه بخندق حول القلعة. ويبدو أنّ اليونانيين اتّخذوا القلعة حصنًا يردّ عنهم الغُزاة. أمّا حفريات عام ١٩٥٩ فقد كشفت عن معبدٍ يونانيٍ قديمٍ وعددٍ كبيرٍ من الأختام وبعض المنازل السكنية وكمياتٍ كبيرةٍ من الفخّار وقطع كثيرةٍ من النحاس. وأهم اكتشافات حفريات عام ١٩٦٠ هو حجر إيكاروس؛ وهو اسم جزيرة (فيلكا) الذي سموها به على اسم جزيرةٍ يونانية. كما عُثِرَ على تمثالٍ لرأس الإسكندر وآخر لأفروديت.

كما عُثِرَ على عددٍ لا بأس به من الفخّار والتماثيل الصغيرة؛ وعددٍ من النقود المعدنية ترجع إلى عهد الملك الإسكندر؛ وعلى أحد وجهيّ العملة صورة هرقل؛ وعلى الوجه الآخر صورة الإله زيوس. كما اكتُشِفَ في ذلك العام المعبد اليوناني في داخل القلعة.

وعُثِرَ على كميةٍ من الخرز والعقيق اليماني؛ وكتابة مسمارية.

وكشفت حفريات فيلكا عام ٦١/ ٦٢ عن معبدٍ آخر وثلاثة أفران لحرق الفخار وعدة بيوت؛ ومطابخ وحمّام وكمّيات كبيرة من التماثيل والأختام والفخار.

* * * * *

# شاطئ المسيلة

يقع شاطئ المسيلة على طريق الفحيحيل السريع في الكويت؛ ويعتبر من أجمل شواطئ الكويت وأكبرها حيث يبلغ طوله حوالي ثلاثمائة وخمسين متراً. كما يوجد به ثلاثة أحواض كبيرة للسباحة أحدهم متعدد المستويات والآخرَيْن للأطفال. وتبلغ مساحة الشاطئ الإجمالية ثلاثة وسبعين ألفاً وستمائة متراً مربعاً تقريباً يتوزع عليها عدد من الحدائق والمساحات الخضراء وممرات للمشي.



ويستطيع الأطفال أن يستمتعوا بكثير من الألعاب وخاصة لعبة العنكبوت التي تنفرد بها شركة المشروعات السياحية وقطار المسيلة. كما يوجد مطعم للمأكولات الخفيفة ومقهى شعبي؛ ولعشاق السمر والموسيقى تقام الأمسيات الجميلة على أنغام أشهر الفرق الفنية.

* * * * *

# دولـة الإمارات العربية المتُحدة

إذا كان للثروة النفطية دور في ازدهار بعض بلدان الوطن العربي فإن الفضـل الأكـبر في ازدهار دولـة الإمارات العربية وجمالها المتكامـل يعـود إلى الدولـة الاتحاديـة؛ وهـذا مـا يشعر به من يتجول بين الإمارات السبع حيث تعجبه الحركة الاقتصادية النشـطة؛ وتُغريـه الطبيعة الخلابة بجمالها ويدهشـه العمـران بحداثتـه وشموخـه؛ ولكنـه لا يلبـث أن يـنحني إجلالا أمام كبرياء الثقافة وعظمة التراث.




تقـع الإمـارات في جنـوب شـرق شـبه الجزيـرة العربيـة؛ وعاصـمتها أبـو ظـبي؛ وتبلـغ مساحتها ٨٢٨٨٠ كـم[٢]؛ وطـول شـواطئها علـى الخلـيج العربـي حـوالي ١٣١٨ كـم؛ وعُملتهـا الـدرهم؛ وهـي عضـو بجامعـة الـدول العربيـة؛ وبالأوبـك؛ وبمجلس التعاون الخليجي.

والإمارات دولـة عربية فدرالية تضم سبع إمارات مُستقلة؛ تقع جنوب غربـي آسـيا؛ وتمتد على طول الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية عند الطـرف الجنـوبي مـن الخلـيج العربي. وتأسست الإمارات العربيّة المتحدة عام ١٩٧١م من الإمارات السبع التّاليـة: أبـو ظبي؛ دبي؛ الشّارقة؛ الفُجَيْـرة؛ عجمـان؛ أم القـوين؛ ورأس الخيمـة؛ وجميعهـا يقـع علـى ساحل الخليج العَرَبي. وبجوارها عدد آخر من الجُزر المُتناثرة في الخلـيج؛ وبعضـها موضـع تنازع بين دولـة الإمارات وإيـران؛ وهـي جزيـرة أبـو مُوسـى؛ وجزيـرة طنـب الكـبرى؛ وجزيرة طنب الصّغرى. أمّا أكبر الجُـزُر القريبـة مـن شـاطئ الإمـارات فهـي جزيـرة أبـو الأبيض الواقعة تجاه مدينة طريف في أبي ظبي وهي مركز سياحي جميل.

ومُناخ دولـة الإمارات العربيـة المُتحـدة صـحراوي؛ ويُصـبح أكثـر بـرودةً في الجبـال الشّرقية؛ ويُمكن لدرجات الحرارة أن تُقارب ٥٠ ° في الصّيف.

وتنال الزّراعة مُساعداتٍ كبيرةً من الدولة؛ وتتألف الموارد النباتية من خضـر وفواكـه تنمو في المناطق المَروية؛ وتُشكّل تربيـة الماشـية نشـاطاً اقتصـادياً مُهمـاً؛ وتربيـة الـدّواجن

تسمحُ بتحقيق الاكتفاء الذّاتي من حيث البيض ولحم الدّواجن.

تشتهر دولـة الإمارات بإنتاج النّفط وصيد الأسماك واستخراج اللّؤلؤ؛ وفيها زراعـة النّخيل والموز والحمضيات؛ ففي شهر مارس من عام ١٩٩٧م مُنح المغفـور لــه بـإذن الله سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولـة الإمارات شـهادة البانـدا الذهبيـة الـتي يمنحها الصندوق العالمي للحفاظ علـى البيئـة وهـي المـرة الأولى الـتي تُمـنح فيهـا الجـائزة لرئيس دولـة في العالم.

وقد حمـل شـهادة التقـدير إليـه الأمـير فيليـب دوق أدنـبره؛ وهـو الـرئيس الفخـري للصندوق العالمي للحفاظ على البيئة. كما منح سمـو الشـيخ زايـد في ١٥ يونيـو ١٩٩٧م شهادة الدكتوراه الفخرية في مجال الزراعة من جامعة عين شمس تقديراً لجهوده في مشاريع التنمية الزراعية؛ هذا غير جوائز أفضل المُدن العربية أخيراً؛ ومن قبل في ديسـمبر ١٩٩٥م قام الدكتور جاك ضيوف المدير العام لمنظمة الأغذية والزراعة الدولية (فاو) بتكريم الشيخ زايد لإنجازاته في نشر الخضرة في صحارى البلاد؛ واعترافاً بأنه قـد تم تحقيـق هـذا الإنجـاز العظيم بأسلوب فعَّال؛ ومع نظام للري يستفيد من كل قطرة مياه متوفرة.

وأهمّ الصّناعات في دولـة الإمارات العربية تتمثّـل في صـناعة المـواد الغذائيـة؛ وبهـا صناعات معدنية وبتروليّة وكيميائيّة متطورة.

أما التعليم في الإمارات فكان لـه الحظ الأكبر من نصـيب الأسـد؛ حيـث أن اهتمـام الدولة به قد فاق الحدود؛ ويتمثل ذلك في جامعة الإمارات العربية المتحدة: وبدأ التفكير في إنشاء جامعة الإمـارات العربيـة المتحـدة منـذ تكونـت الدولـة الاتحاديـة في ديسـمبر عـام ١٩٧١م؛ وقد بدأت جامعة الإمارات بالفعل في العام الجامعي ١٩٧٧م / ١٩٧٨م بـأربع كُليات هي الآداب؛ والعلوم؛ والتربية؛ والعلوم الاقتصـادية والإداريـة؛ وفي عـام ١٩٧٨م أنشئت كُليـة الشـريعة والقـانون؛ وفي عـام ١٩٨٠م تقـرر إنشـاء كُلـيتي العلـوم الزراعيـة والهندسية وبدأت الدراسة الأولى في العام الجامعي ١٩٨٠ / ١٩٨١م؛ وفي الثانية في العام الجامعي ١٩٨١م / ١٩٨٢؛ وفي عام ١٩٨٦م أنشئت كُلية الطب والعلوم الصحية.

ثمة مراكز علمية بحثية تتبع هذه الكليات؛ والتخصصات التي تضمها كُل واحدة مـن هذه الكليات؛ والأهداف المنوطة بمراكز البحث العلمي التي تتبـع هـذه الكليـات؛ تصـب كُلها بشكلٍ عام في تحقيق الأهداف المُحددة لجامعة الإمارات العربية المُتحدة؛ والـتي تُشـير إليها وثيقةٍ جامعية على النحو التالي: -

١ - إعداد الطاقات البشرية المُدربة نظرياً وتطبيقياً في مستويات المُختصين والباحثين والخُبراء لتلبية مُتطلبات خطط التنمية الشاملة في الدولة.

٢ - العناية بدراسة الحضارة الإسلامية والعربية والخليج العربي؛ وإضافة النتائج إلى الحضارة الإنسانية عموماً.

٣ - مُتابعة تقدم العلوم؛ وإجراء ونشر البحوث والدراسات العلمية والتطبيقية؛ وبخاصة تلك التي ترتبط بخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الدولة.

٤ - تقديم الاستشارات والمعلومات والخدمات في مجالات العلوم والتقنية للمؤسسات الحكومية والخاصة في الدولة.

٥ - تنمية الطاقات البشرية في المؤسسات الحكومية والخاصة.

بلغ عدد الطلاب والطالبات المقبولين في الدفعة الأولى عند افتتاح الجامعة ٥٠٤ طلاب وطالبات؛ ووصل عدد الطلاب في الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي ٩٠ / ١٩٩١ إلى ٩٥٦٤ طالباً وطالبة.

* * * * *

## نظام الدراسة بالجامعة

تأخذ جامعة الإمارات العربية المتحدة بنظام (الساعات المُعتمدة)؛ وهو نظام معمول به في الجامعات الأمريكية والعديد من الجامعات العربية الحديثة وبخاصة في دول الخليج والجزيرة العربية؛ وهو نظام يقوم على تعيين الساعات الدراسية التي يُشترط إكمالها؛ والنجاح فيها طبقاً للمستوى الذي تُحدده الجامعة للحصول على شهادة البكالوريوس في تخصص مُعين؛ وهو نظام يتسم بالمرونة والحيوية؛ كما يمنح الطالب مساحة أكبر في اختيار المُقررات الدراسية التي يدرسها؛ ويستجيب للفروق الفردية بين الطُلاب؛ ويُنمي لديهم مهارات التعلم الذاتي.

* * * * *

## هيئة التدريس بالجامعة

مما يلفت النظر في إطار البحث في المعلومات الأولية المتاحة أن هيئة التدريس بمختلف كليات الجامعة تضم نخبة ممتازة من الأساتذة العرب القادمين من جامعات عربية أو أوربية أو أمريكية؛ بالإضافة إلى عدد من الأساتذة الأجانب وبخاصة في كلية الطب.

وفي ضوء الفكر التربوي المُعاصر تعددت مهام الجامعة من التعليم والبحث العلمي إلى خدمة المُجتمع؛ كما أكد هذا الفكر ضرورة أن تتواءم برامج التعليم وموضوعات البحث العلمي؛ وأنشطة خدمة المُجتمع؛ مع ظروف الوطن الذي تنشأ فيه الجامعة؛ ومع احتياجات خطط التنمية فيه.

حين تم التخطيط لوضع التخصصات العلمية في كليات الجامعة؛ ولإنشاء مراكز للبحث العلمي في هذه الكليات ولبرنامج خدمة المجتمع؛ كانت فكرة التلاؤم مع ظروف دولة الإمارات؛ وخطط التنمية فيها واضحة تماماً أمام كل المسئولين عن هذه الخطط؛ فهُم لا يرون الجامعة مُجرد مقاعد للدراسة؛ أو بُرجاً عاجياً يعيش العاملون فيه بعيداً عن احتياجات خطط التنمية في وطنهم؛ وما تفرضه من أولويات؛ يمكنك أن تلقي نظرة على خريطة التخصصات في مختلف الكليات لترى كيف أنها تُماثل نظيراتها في الكليات الجامعية العربية والعالمية من ناحية الوفاء بالمُتطلبات الأكاديمية؛ كما أن هُناك تخصصات عديدة تستجيب بخاصة لظروف بلدهم واحتياجات خطط التنمية فيه.

* * * * *

## دائرة الزراعة

أنشئت الدائرة عام ١٩٦٧م؛ فكانت هي الخطوة العملية الأولى قبل إنشاء الجامعة؛ وللدائرة أنشطة مُتعددة في مجالات استصلاح الأراضي؛ والتجارب الزراعية؛ والإرشاد؛ والتسويق؛ والتصنيع الغذائي؛ كما يبدأ عمل الدائرة في مجالات استصلاح الأراضي باختيار الموقع المُناسب في ضوء دراسات جدوى للموقع من حيث استواء الأرض وقُربها من الماء؛ ثُم بتقسيم الأراضي المُختارة إلى مزارع كبرى ووسطى وصغرى؛ ثم بتوفير المكونات الأساسية للمزرعة من مبان ومضخات وآلات زراعية وتسوير كُل مزرعة سواء بالأسلاك أو بزرع أشجار تكون بمثابة مصدات للرياح وللرمال؛ ثم يتم توزيع هذه المزارع على أهالي المنطقة مجاناً؛ ويتوفر لكل مزرعة مرشدان زراعيان يقيمان فيها بصفة دائمة.

وتقوم الدائرة من خلال الأقسام المُختصة بها بتوفير البذور والأسمدة المُناسبة والقروض وأدوات الإنتاج التي يُقدم بعضها مجاناً وبعضها بثمن مُخفض حوالي ٥٠ %؛ وبتوفير الإرشاد والنصائح اللازمة من خلال قسم الإرشاد الزراعي؛ ثُم في النهاية تقوم الدائرة بتسويق المحصول المُنتج بأسعار مجزية في الغالب لحفز المواطنين على الاستمرار في مهنة الزراعة؛ ولخلق مُجتمعات مُستقرة وثابتة؛ كما تقوم بتصنيع جُزء منه في مصنع الدائرة.

توجد في الدوائر محطات تجارب زراعية مهمتها الأساسية القيام بأبحاث لتحديد أفضل البذور والنباتات والأسمدة واختيار أكثرها ملاءمة للتربة والمناخ؛ وقد أصبحت هذه المحطات بعد إنشاء الجامعة؛ وكُلية العلوم الزراعية؛ واحدة من أهم قنوات الاتصال بين الكُلية والمُجتمع؛ ومنذ سنوات صدر قرار بتكوين لجنة مشتركة من الجامعة والدائرة؛ تعقد اجتماعاتها بصفة مستمرة؛ وتقوم بتنسيق العمل البحثي العلمي بين الدائرة والجامعة؛ كما تُوفر الدائرة فُرص التدريب الميداني لطلبة كُلية العلوم الزراعية؛ كما يتم التعاون بين الدائرة والكلية في مجالات إعداد الندوات والمُؤتمرات العلمية؛ واقتراح موضوعات البحث العلمي التي تُظهر العمل الميداني في دائرة الزراعة أولوية الاحتياج لها.

*****

## المُجمع الثقافي

يتكون هذا المُجمع من ثلاث مُؤسسات أقدمها مركز الوثائق والدراسات بأبي ظبي الذي تأسس عام ١٩٦٨م... والتطور العُمراني والتكنولوجي في دولة الإمارات كان سريعاً وبارزاً للعيان في سنوات قليلة؛ وشعر المسئولون في الدولة أنه يجب أن يكون هُناك جهاز لخدمة التطور الثقافي ليواكب التطور العمراني؛ ويُعبر عن الروح الإنساني الكامن فيه.

ومن هُنا فقد جمعت هذه المُؤسسات الأربعة في هذا المُجمع لكي تتكامل جهود العاملين فيها وفق خطة شامله نحو هدف واحد وهو التنوير وخدمة الثقافة والمعرفة؛ وتوفير قنوات اتصال بين منتجي الثقافة ومبدعيها من ناحية وبين الجمهور المُتلقي من ناحية أخرى.

والمؤسسة بدأت مبكراً في الاهتمام بالفن التشكيلي عن طريق إقامة معرضين أساسيين في العام أحدهما مفتوح للجميع والثاني للفنانين المتميزين سواء من أبناء الدولة أم المقيمين فيها؛ وهذان المعرضان الأساسيان ترصد لهما الجوائز المناسبة من خلال لجنة تحكيم على مستوى رفيع؛ ويقتني المُجمع الأعمال البارزة من هذه الأعمال ويعرضها في صالاته وقاعاته؛ وإلى جوار هذين المعرضين يقام العديد من المعارض على مدار العام؛ مثل معرض المرسم الحر؛ ومعرض رسوم الأطفال الناشئين؛ ومعرض للصور الفوتوغرافية؛ ومعرض التراث والحرف اليدوية والآثار. ودائماً كانت هُناك ندوات وحلقات نقاش حول هذه المعارض؛ ومحاضرات متخصصة في مناقشة القضايا الفنية.

كما يُمكن القول بأن تجربتهم في هذا المجال بدأت تتبلور مُنذ عام ١٩٨٨م حين بدأت بعرض ٣٢ فيلماً سينمائياً في هذا العام بعد أن نجحت في صياغة علاقات فنية إيجابية مع الجهات المعنية بالفن السينمائي في العديد من الدول فقامت بعمل أسابيع سينمائية للفيلم التركي والتونسي والسوفييتي والإيراني وعن أفلام المخرج الأسباني (لويس بونويل)؛ والمخرج المصري (يوسف شاهين)؛ والمخرج الفلسطيني (ميشيل خليفي)؛ بالإضافة إلى ذلك أصدرت مجلة (سينما) المتخصصة؛ وقد صدر منها حتى الآن ١١ عدداً كانت منها ستة أعداد مُتخصصة في مجالات بعينها.

* * * * *

## دار الكُتب الوطنية

دار الكُتب الوطنية أنشئت عام ١٩٨٤؛ وبدأت في تقديم خدماتها للجمهور عام ١٩٨٦؛ وهي مثل أي دار كُتب وطنية أخرى تهدف إلى جمع وحفظ مفردات الإنتاج الفكري الوطني؛ كما تسعى إلى جمع المصادر الأساسية؛ والمقدار المُمكن من مفردات الإنتاج العالمي.

وهُناك القاعة الرئيسية للقراءة؛ وقاعة خاصة بالدراسات والكتب التي تهتم بمنطقة الخليج العربي وقضاياها؛ وقاعة للرسائل الجامعية؛ وقاعة للمخطوطات؛ وقاعة للدوريات؛ وقاعة للمواد السمع بصرية؛ بالإضافة إلى الأقسام الفنية التي تقوم بمهام التزويد والفهرسة والتصنيف؛ وهي تضم ٣٥٠,٠٠٠ مُجلد عربي؛ و٥٥,٠٠٠ مُجلد أجنبي؛ كما أنه لديها في قسم المخطوطات قُرابة أربعة آلاف مخطوطة أصلية في مُختلف علوم القُرآن؛ والحديث؛ وعلوم اللغة العربية؛ وعلوم الفقه؛ وعلوم الطب والزراعة والبيطرة... إلخ. هذا إلى جانب قرابة ٢٠٠ مخطوطة باللغة التركية ذات الحرف العربي؛ وباللغة الفارسية في مختلف الموضوعات. كما أن لديها حوالي ٣٠٠ مخطوطة مصورة يرجع بعضها إلى حوالي ١١٠٠ عام. كما أن لديها مجموعة جيدة من الدوريات تصل إلى ٧٢٩ دورية؛ منها دوريات شهيرة كالرسالة والثقافة وأبولو. وتَعرف الإمارات هذه الأيام حياةً اقتصادية مزدهراً؛ فأبو ظبي مثلاً اقتصادها ثابت ومتين لأنّه يقوم على عائدات النّفط (٨٠ % من نفط الإمارات)؛ وإمارة دبي تقع بين أبي ظبي والشّارقة؛ وهي مرفأ ومنطقة حُرّة؛ كما يُمكن للأجانب فيها تملّك العقارات والمُؤسّسات التّجارية من دون مُشاركةٍ من السُكان الأصليّين.

وإمارة الشارقة تقع بين أم القوين ودُبي؛ ولكن للأسف فلقد استُهلِكَت مواردها النّفطية؛ ويرتكز اقتصادها الآن على صناعة النسيج؛ والأسلحة؛ وهي متطورة في هذا المجال جداً؛ وتشتهر أيضاً بزراعة الحبوب وصيد اللّؤلؤ والنخيل.

تقع إمارة أم القوين بين رأس الخيمة وعجمان؛ وتشتهر بصيد اللّؤلؤ والأسماك وبناء المراكب الشّراعية المعروفة بالضّو.

تقع إمارة الفُجَيرة على ساحل بحر عُمان إلى الشمال من عُمان؛ وتشتهرُ بالحمضيات والتّبغ وزراعة الموز وصيد الأسماك.

تقع إمارة رأس الخيمة قُرب مَضِيق هرمز؛ وهي غنية بالزّراعة وصيد الأسماك واللّؤلؤ؛ ولكنّ هذه الإمارات تفتقر إلى الموارد وتعيش على المُساعدات التي توفّرها السُّلطة المركزية من موارد النّفط؛ وقد جعل الشّعب الإماراتي من الإمارات العربية مركزاً مُهماً للتّجارة والسّياحة؛ فلقد ارتقت جداً في مجال الصناعة؛ كما أن مرتبتها أصبحت الثّالثة في احتياطي البترول العالمي؛ والرّابع في احتياطي الغاز الطّبيعي؛ والثّامن في البترول المُستخرج؛ والسّادس عشر في الغاز الطّبيعي المُستخرَج.



كما يُلاحظ أن عاصمة كُل إمارة تحمل نفس اسمها؛ ودين الدولة الرسمي الإسلام؛ كما يعيش أربع أخماس السُكان في المناطق الحضرية؛ وتُعد مدينة أبي ظبي بمثابة العاصمة الاتحادية وأكبر مُدن دولة الإمارات؛ كما إنها ميناء ومركز تُجاري هام؛ ومع بداية الثمانينيات من القرن التاسع عشر؛ بدأت بريطانيا ببسط نفوذها على هذه الدويلات؛ ومع بداية القرن العشرين؛ تمكنت بريطانيا من السيطرة على الشئون الخارجية للدويلات الإماراتية وقامت بحماية استقلالها؛ عرفت الدويلات باسم الدول المهادنة؛ وقد ظلت تحت الحماية البريطانية حتى عام ألفٍ وتسعمائة وواحد وسبعين ميلادية عندما حصلت على استقلالها الكامل.

ولقد شهد العام نفسه أيضاً اتحاد ست إمارات؛ اتحد بعضها مع بعض مكونة الإمارات العربية المتحدة؛ ثم التحقت بها في عام ألفٍ وتسعمائة واثنين وسبعين ميلادية إمارة رأس الخيمة.

وكانت دولة الإمارات في بداية القرن العشرين تندرج داخل نطاق الدول المُتخلفة أو الفقيرة؛ إذ كان سُكانها يكسبون قوت عيشهم من حرفة صيد الأسماك؛ واللؤلؤ؛ ورعي الإبل؛ وكذلك زراعة وتجارة التمور. وكان لاكتشاف البترول في الخمسينيات من



القرن العشرين؛ أثره في الثراء المُفاجئ للدولة من جهة؛ وفي جذبها نحو النمو والتطور الصناعي الحديث ونمو المدن الحديثة من جهة أخرى؛ كما ترك العديد من سُكانها حِرفهم التقليدية؛ وعملوا على استبدالها بأعمال ترتبط بتصنيع البترول وغيرها من الميادين أو المجالات الحديثة للعمل والرزق. وبحلول السبعينيات؛ أصبحت الإمارات العربية المُتحدة إحدى الدول التي تتميز بارتفاع دخولها الفردية؛ أو التي يرتفع فيها نصيب الفرد من الدخل القومي.

* * * * *

## مدينة أبي ظبي

ما بين رمال الربع الخالي القاحلة؛ ومياه الخليج الساخنة عالية الملوحة؛ ثمة ملحمة من مائة وثلاثين مليون شجرة وثلاثة وعشرين مليون نخلة. ولكي نحيط ببعض من أطراف هذه الملحمة الخضراء؛ التي قادها صاحب القدم



الخضراء؛ رئيس دولـة الإمارات؛ كان علينا أن نرنو إليها من الأعالي؛ مـن فـوق هضـبة؛ ومن قمة جبل؛ ومن نافذة طائرة محوِّمة.

كعادتها؛ أبو ظبي؛ والإمارات جميعاً؛ تُفاجئك وأنت تطـل عليهـا مـن الجـو بإدهـاش علاقة الماء باليابسة؛ فثمة غزل واضح بين الماء والأرض بها؛ فجُزرها تتطلـع إليـك وهـي مُحاطة بفيروزية الميـاه؛ ومياه توغـل في الأرض بألسـنتها فتلمـع حـول اليابسـة؛ وأرض تشف فوقها رقائق المياه فيتألق عِناق الرمل والبحر.



هذه رؤية رومانتيكية بالطبع؛ لأنها من نافذة الطائرة؛ ولكن من عـرف الاقـتراب يُـدرك أن هـذا الوجـه يخفـي وجهـاً آخـر يحفـل باحتدام الصـراع الطبيعـي؛ فهـذه الأرض المكونة لدولـة الإمـارات العربية المُتحدة والبـالغ مسـاحتها أكثــر مــن ٨٣ ألـف كيلـو مـتر مُربع تمتد سواحلها المُطلة على الشاطئ الجنوبي من الخليج العربي بمسافة ٦٤٤ كيلو مـتراً من قاعدة شبه جزيرة قطر غرباً؛ وحتـى رأس مسـندم شـرقاً؛ ويتواصـل امتـداد سـاحلها على خليج عمان بطول ٩٠ كيلو متراً أخرى عند إمـارة الفُجيــرة أي ٤٣٧ كيلـو مـتراً؛ ويُواجه فيها البر البحر من جهة؛ ومن جهة أخرى تُحدق بـالأرض رمـال الصـحراء الـتي تبلغ أوجها في كُثبان الرُبع الخـالي العاليـة المهولـة. كمـا تُعتـبر مدينـة أبـي ظـبي عاصـمة الإمارات العربية المُتحدة.

ولمدينة أبي ظبي مطار دولي كبير ومرفأ ناشط بفضل عمليات الأعمـار الـتي شـهدتها المدينة؛ والإمارة مُنذ الستينيات مـن القـرن الماضـي؛ واليـوم تتمتـع بمركـز تجـاري كـبير؛ والبترول الذي اكتُشف في الخمسينيات من القرن الماضي قد بدّل حياة الناس هُنـاك علـى جميع الأصعدة بالإمارة وشريكاتها بالإمارات العربية المُتحدة.

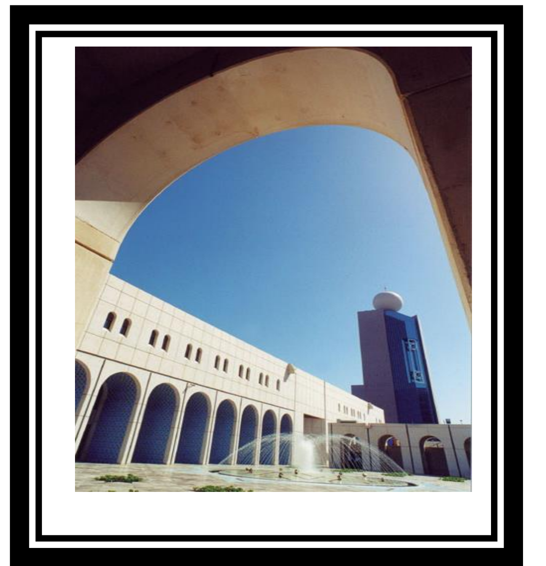
وأهم ما يُميز أبا ظبي شُجيرة القرم؛ كمفردة من مفردات جهود الحفاظ على البيئـة في دولـة الإمارات؛ ويمكن اعتبارها إلهاماً بيئيا مبكراً أهتدت إليه الفطرة السوية للشيخ زايـد (رحمه الله) رئيس الدولة قبل أن تُبلوره المفاهيم البيئية العلمية في طرحها الحديث.

فهذه الشُجيرة (القرم أو المانجروف) كادت تنقرض بعد أن كانت من غابـات الأرض المغمورة برقيقة مياه الخليج الدافئة الضـحلة؛ ومـع زحـف التخضـير الـذي بدأتـه دولـة الإمارات عموماً وإمارة أبي ظبي خصوصاً أي مُنذ قُرابة عقود ثلاثة لا غير؛ فراحت اليـد الخضراء تُعيد استنبات شُـجيرات القـرم علـى السـاحل الإمـاراتي؛ وفي غضـون العقـود الثلاثة عادت غابات القرم تغطي مساحات شاسعة من الأرض المغمورة بالميـاه الضـحلة. وهذه الشجرة المكونة لهذه الغابات الساحلية معجزة في حد ذاتهـا؛ فمـن شـبكة جـذورها يتكون مرشح (فلتر) يأخذ الماء بعد تصفيته من الملح وبذلك ترتوي شجيرة القرم من مـاء زلال رغم حياتها المغمورة الجذور في الماء المالح. وفي المفهـوم البيئـي الحـديث تكـون مـا يُسمى **Microclimate** أو نظاماً بيئياً مُصغراً؛ فالشـجرة تنمـو فتجـذب إليهـا في المـاء كائنات بحرية دقيقة تتغذى على جذورها؛ أمـا في الجـو فهـي تجتـذب الحشـرات والهـوام. وعلى هذا النحو تنمـو سلسـلة التكامـل والتكافـل والتنـوع البيئـي؛ فالكائنـات البحريـة الدقيقة تجتذب الأسماك والحشرات؛ والأوراق الخضـر تجتـذب الطيـور؛ فتمـوج غابـات القرم بزخم الحياة؛ سواء كان عالم من الأسماك ينمو ويتكاثر؛ وأسراب مـن الطيـور تحـط وتعشش؛ وأشجار طافية على الماء تنظف الهواء لأنفاس البشر وكل ما يعـيش علـى الـبر؛ وتسر العيون التي يفعمها بالراحة والرحمة ذلك التجـانس الربـاني بـين الأزرق والأخضـر وتدرجاتهما في السماء والبحر والبر.

هذا المجال البصري الذي تنساب فيه (الهارمونية) اللونية المتناغمة من تـدرجات الأخضـر والأزرق؛ أي لونا النبات والماء والسماء؛ هي عُنصر مُهدئ وعظيم التأثير على الجهاز العصـبي والوظـائف النفسـية؛ لأن العـين كنافـذة للجهـاز العصـبي المركـزي علـى العـالم الخـارجي؛ وكمُستهلك أعظم للطاقة المُقررة للجهاز العصبي المركـزي؛ بسـبحها المرتـاح في المجـال اللـوني الوديع المتناغم تقود إلى حالة من الارتياح **Soothing** تنعكس على الجسد والنفس عموماً.

وأي دراسة عن معدلات الجريمة أو الانهيارات العصبية ستكشف أنها في مدينـة مثـل (أبو ظبي) أقل كثيراً من أي مدينة من المُدن التي تُعادي الأشجار والزهور والخُضرة؛ وتتميز كذلك بأشجار (الاسباثودا) التي جاءت من إفريقيا الاستوائية لتتألق في أبي ظبي بأوراقهـا العريضـة الدائمـة الخُضـرة وأزهارهـا الناريـة الحمـراء الكـبيرة. فهـذا الاختيـار ضـرب عصفورين بحجر واحد كما يُقال؛ إذ وفر شجرة عالية الاحتمال قادرة على التأقلم؛ إضافة لجمالها اللافت وخضرتها الدائمة؛ وجاءت أنواع مُتعددة من الأشـجار مـن أرجـاء الـدُنيا لتقف على شاطئ الخليج في (أبو ظبي)؛ وهي أشجار اللوز الهنـدي؛ والمطـاط مـن الهنـد؛

والصبار الهندي من الفلبين والمكسيك؛ والدراداكسيا ونخيل واشنجطونا من أمريكا الشمالية؛ ونخيل الجوز من جُزر المحيط الهندي؛ واليوهينيا (خُف الجمل) من الصين؛ والأكاسيا من استراليا؛ وغيرها الكثير من الأشجار. واستمرارية الزهور والخضرة تقف وراءها مشاتل ضخمة لتربية وإكثار الأشجار والشُجيرات وزهور الزينة.



وتُقدر كمية المنصرف من مشتلي (الخالدية) و(المنهل) وحدهما في عام واحد بأكثر من مليون ونصف مليون شتلة شجرية؛ وأكثر من عشرين مليوناً من شتلات الزهور؛ وتتميز أبو ظبي أيضاً بالشُعاع الثقافي على مستوي الإمارات الأخرى حيث الازدهار الثقافي على ضِفاف الخليج؛ فالإمارات العربية تحتضن المجمعات والمراكز الثقافية؛ ومنها مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث؛ وجائزة سُلطان العويس؛ والمُجمع الثقافي في أبي ظبي؛ ومركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية؛ ومكتبة الملك عبد العزيز؛ ومكتبة الشيخ حسن بن محمد آل ثان؛ ومؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري؛ وجائزة الشيخ عبد الله مُبارك الصباح للآداب والفنون.

هذه التجمعات والمراكز مصابيح للثقافة تُضيء على شواطئ الخليج؛ وكُلها كانت ثمرةٌ لمُبادرات أفراد وهبوا قلوبهم وأموالهم من أجل تقدم العلم والثقافة العربية. لقد آمنوا بأن هذا هو الطريق الأمثل لبناء الإنسان العربي لذا فقد زرعوا هذه المشاريع الطيبة في أرض الخليج الطيبة.

* * * * *

# مُجمع ثقافي أبي ظبي

المُجمع الثقافي في أبي ظبي هيئة عامة مستقلة تهتم بنشر الثقافة وإثراء الفكر والقيام بدور ثقافي مُميز؛ وذلك من خلال العديد من الأنشطة الثقافية المناسبة من إدارة دار الكُتب الوطنية؛ وتنظيم الندوات والمُحاضرات والحلقات الدراسية والمسابقات الثقافية؛

ثُم إقامة المعارض الفنية؛ فهُناك معارض للكُتب؛ ومعارض للفنون التشكيلية؛ هذا بالإضافة إلى تشجيع الحركة الأدبية والفنية عن طريق عمل الأبحاث؛ ونشر الكُتب التُراثية والكُتب الحديثة؛ ومُتابعة تاريخ دولة الإمارات العربية من خلال جمع الوثائق المُتعلقة بالدولة؛ ومنطقة الخليج العربي كُلها.

ويقع مقر المُجمع في مدينة أبي ظبي؛ وهو يتألف من ثلاثة مبان؛ اثنان منها في وسط المدينة؛ أما المبنى الثالث فيقع في مدينة زايد الرياضية؛ والمبنى الأول وهو المبنى الرئيسي قد بُني على الطراز العربي الإسلامي؛ ويتميز بأقواسه الكثيرة؛ ويضم الوحدات التنظيمية للمُجمع مثل مجلس الأمناء؛ وهو السُلطة العليا التي ترسم سياسة المُجمع وتصريف أموره؛ والأمانة العامة التي تتولى تنفيذ السياسات والخطط المُقررة.

ومقر دار الكُتب الوطنية والتي تتسع لحوالي مليوني مجلد وبها مكتبة متخصصة تعنى بشؤون الخليج إضافة إلى وحدة لجمع المخطوطات تحوي نحو أربعة آلاف مخطوطة أصلية؛ ومكتبة خاصة برسائل الدكتوراه والماجستير في شتى الموضوعات؛ ومكتبة سمعية وبصرية؛ ومكتبة للدوريات العربية والأجنبية.

كما يضم هذا المبنى مقر مُؤسسة الثقافة والفنون ومرافقها التي تختص وتهتم بتنمية الوعي والمهارات والذوق الثقافي والفني في إطار الثقافة العربية الإسلامية؛ كما تهتم بالطفولة والمواهب الناشئة؛ فهناك مركزٌ للطفولة يهتم برعاية الأطفال في مجال الإبداع الفني واكتساب المعرفة؛ كما أن هناك مرسماً حراً يرعى المواهب ويصقلها بالتدريب. والمبنى الثاني هو مبنى تاريخي يُسمى بقصر الحصن وهو مقر مركز الوثائق والدراسات؛ وينحصر نشاطه في جمع صور الوثائق المتعلقة بدولة الإمارات ومنطقة الخليج والوجود العربي في شرق إفريقيا؛ بالإضافة إلى جمع الكُتب والمخطوطات المتعلقة بالدولة ومنطقة الخليج وجمع الروايات التاريخية والشفوية؛ وتوثيق أنشطة مجلس التعاون لدول الخليج العربية؛ وجمع المصورات الفوتوغرافية والتسجيلية والخرائط؛ بالإضافة إلى إصدار سلسلة من المطبوعات التوثيقية السنوية والمؤلفات التاريخية عن الدولة والمنطقة.

والمبنى الثالث هو مبنى الأرشيف الوطني؛ ويتكون من جناحين وهو مخصصٌ لحفظ الوثائق التي تخص دولة الإمارات ومنطقة الخليج العربي بعامة؛ وقد روعي في تصميمه الاحتياطات اللازمة لحفظ المُستندات من التلف بتوفير درجات حرارة ورطوبة مُناسبتين؛ وأهم صناعات أبي ظبي تتمحور حول البترول والأسمنت وإنتاج الأنابيب المعدنية؛

وللإمارة نشاطات واسعة في مجالات المال والنقل والاتصالات.

كما توسعت المدينة خلال الأربعين عام الماضية وشهدت حملة إعمار كبيرة وسريعة؛ وتُعد اليُوم مدينة حديثة جيدة التخطيط؛ ويتضح ذلك في التخطيط الجمالي لجُزر أبي ظبي التي تشتهر بها على مستوي الإمارات الأخرى؛ ومنها جزيرة صير بني ياس؛ وهي من أكبر الجُزر في إمارة أبي ظبي؛ وتبلغ مساحتها ٢٥٠ كيلو متراً مُربعاً؛ هذا خلاف عشرة كيلو مترات تم ردمها لتكون امتداداً جديداً للجزيرة؛ وتُسمى (الجزيرة الخضراء) وقد خُصصت لزراعة الفاكهة (موالح؛ موز؛ رُمان؛ أناناس؛ مانجو) وأصناف مُتعددة من الفاكهة يصعب تعدادها؛ ويصعب تصور أن تُثمر في منطقة الخليج؛ بل في جزيرة وسط مياه الخليج؛ وتتميز فاكهة هذه الجزيرة بالطعم اللذيذ؛ والصفات الجيدة.

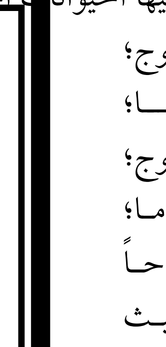
ولا تتوقف محاولات توطين الخير في الجزيرة؛ فقد نجحت زراعة السنترة والمانجو والشيكو والجوافة والباباي والرمان والتين والتفاح والخوخ والبوملي والجريب فروت والليمون الحلو والموز والعنب والتين الشوكى والزيتون (المنتشر بكثرة في الجزيرة) والخروب والمشمش والبطيخ والتمر والرطب؛ لكن إرادة التحدي الأخضر لا تكف عن محاولة إعمار الجزيرة بمزيد من الثمار فهي تشهد حالياً تجارب عديدة لزراعة الجوز وفواكه القشدة والعنب الياباني والتركي والمغربي...

مُنذ تم اتخاذ القرار والجزيرة تتطور ببطء مدروس في البداية (حيث كانت كمية المياه المُستعملة في حدود عشرة آلاف جالون تُنتجها وحدة تحلية محدودة) لكن مُنذ سنوات بدأت الجزيرة انطلاقتها الخضراء المُتسارعة إذ وصلت طاقة وحدات التحلية في الجزيرة إلى ٤ ملايين جالون؛ ومع زيادة كمية المياه العذبة راحت مساحات التشجير تمتلئ بأحواض ومساقى للطيور الحيوانات.

وبحيرتين صناعيتين مُبطنتي القاع برقائق ومواد عازلة تمنع التسرب؛ وعلى ضفاف هذه البُحيرات؛ وتحت مظلاتها تتجمهر أسراب من الطيور؛ وهُنا وهُناك تتناثر أبراج للحمام تطوي المأوي في قلبها الأخضر الموسوم بأشرطة بيضاء؛ فهي ليست كأبراج الحمام الداجن تفتح أبوابها على الخارج وتختبئ في مآويها فخاخ الصيد فلا صيد هُنا بل إن الصيد محظور في أبي ظبي مُنذ ١٥ عاماً بأمر الشيخ زايد؛ فبعد أن كان صيد الغزلان والطيور مألوفاً في الإمارات؛ وبعد أن تحول الصيد مع مجيء السيارات وبنادق الصيد الحديثة إلى تهديد لتوازن البيئة صدرت تشريعات حظر الصيد؛ وانتشرت في دولة الإمارات كلها؛ ففي

الفجيرة حظر حاكمها الشيخ حمد بن محمد المشرقي صيد الفهود المارية والقطط البرية في الجبال؛ كما منع صيد الغزلان البرية التي تعيش في المناطق النائية؛ أما على صعيد الحياة البحرية فقد أصدرت وزارة الزراعة والثروة السمكية قرارا حظرت فيه إمساك السلاحف أو أخذ بيضها؛ وتقوم بتغريم الصيادين الذين ينتهكون القرار.

لم تكن الجزيرة سهلاً خالصاً ولا جبالاً مُتصلة؛ بل كانت وسطاً متناغماً ترعاه إرادة ذوق إنساني حسن؛ اعتمدت مشاريع الزراعة والتشجير بالجزيرة على إزالة الجبال الصخرية عند الشاطئ أولاً لتوفير مرافئ رسو الزوارق والسفن؛ ثُم في الوسط بعد ذلك؛ ومع تسوية دائمة للتربة الخصبة التي أغناها مطر المواسم الغزيرة مدارج من الخُضرة؛ وبراري فسيحة؛ وأصناف من غزال الريم تجري كأنها حقل من السنابل تطوف عليه ريح هينة؛ وتتزاحم جماعة غزلان المها البيضاء مُبتعدة بلا دُعر إذا مررت بها؛ بينما الزرافات تشرئب في غاب مسيج إذ إنها تأتى على خضرة الأشجار فيتم نقلها من مكان لآخر لتستعيد المساحة التي أجدبت خُضرتها.



الجزيرة تتحول بتسارع إلى محمية ترتع فيها الحيوانات المجلوبة من داخل البلاد أو من خارجها مثل أبو ملعقة؛ والحمام المتوج؛ والنعام؛ والغزلان؛ والكنجارو؛ والمها؛ والزراف؛ والصقور والكُركى المتوج؛ والوضيحي (أو العربي) وظبي الماء؛ واللاما؛ والجاموس الإفريقي؛ والتجربة تُثبت نجاحاً مُشجعاً على مدى السنوات التي عاشتها حيث راح مُعدل التكاثر للحيوانات على أرض الجزيرة يزداد؛ ويُوجد الآن جيل ثالث من بعض الحيوانات التي كانت مهددة بالانقراض كالمها العربي والغزال العربي (الديماني) والمها الإفريقي والماعز النوبي.



إلى جانب التوالد الملحوظ بين قطعان الغزلان التي يقترب عددها من ثلاثين ألفاً؛ لقد تكيفت الحيوانات الآتية من الخارج حتى وصلت إلى درجة التوالد في بيئة الجزيرة؛ وهي أعلى درجات التكيف؛ ومن الحيوانات التي وصلت إلى هذه الدرجة المها الإفريقية؛ وأبو حراب؛ وأبو عدس؛ وظبي ايلند؛ وظبي الماء؛ واللاما (أو الجمل الأمريكي) والزراف؛ والأنتيلوب الأسود؛ وظبي تيالا؛ وغزال طوسون؛ وكبش أروى (البربري)؛ وغزال أمبالا؛ والإبل الأرقط؛ إلى جانب أسراب من الطيور التي تأقلمت مع مناخ الجزيرة واتخذت من غابها مأوى لها برغم أن مواطنها بعيدة ومختلفة في إفريقيا واستراليا وجنوب القارة الأمريكية مثل النعام الإفريقي؛ ونعام الإيمو؛ ونعام الكاسوري؛ والحباري؛ وطائر التم الأبيض؛ وأبو منجل؛ والحمام المتوج.

ولقد مضت حلول التأقلم في طريقها إما بالتطبع أو بالتطبيع عبر حلول مُبتكرة وبسيطة؛ فالجمل الأمريكي (اللاما) من الجيل الأول كاد ينفق في فصول الصيف حيث الرطوبة المُربعة والقيظ؛ لكن مُجرد توفير أحواض للاستحمام ومظلات راقية عبرت بالجمل الأمريكي إلى الأمان؛ وتوالد؛ وجاءت سُلالته قادرة على التأقلم أكثر مع البيئة التي ولدت فيها. ومن المؤشرات المُهمة على تصاعد نجاح التجربة هي تلك الظاهرة التي تتحول فيها الطيور المُهاجرة إلى طيور مُقيمة؛ فهذه لا تُقيم إلا حيث تكون الحياة أفضل والأمان أكثر. وهذا ما حدث مع طائر الفلامنجو (الفانتير) وطيور الحبارى؛ فقد راقت لها الحياة في صير بنى ياس فاستقرت واستوطنت. وهناك حكاية طريفة عن طائر البشاروش الذي لم يبلغ حد القدرة على التكاثر في الجزيرة لأسباب وراثية قوية؛ فقد عرفنا أن البشاروش بعد أن يفقس بيضه ويشتد عود صغاره تأتي بها للجزيرة لتلتمس المأوى والأمان.

* * * * *

# مدينة دُبـي

شهدت مدينة دبي خلال السنوات القليلـة الماضـية ثـورة تكنولوجيـة وإعلاميـة غـير مسبوقة عربياً وإقليمياً تستهدف حجـز موقـع بـارز لدولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة في العصر المقبل والذي بدأت ملامحه بالتشكل مع نهايات القرن الماضي. ذلك العصـر الـذي لا مكان فيه للحديث عن النفط كمورد وحيد للطاقـة أو عـن الأنشـطة الاقتصـادية الـتي بات يطلق عليها مجازاً الاقتصاد القديم.

مدينة دبي التي تمكنـت عـبر تاريخهـا مـن تحقيـق سمعـة تجاريـة مرموقـة في المنطقـة استقرأت المستقبل جيداً؛ وعرفت طريقها نحو الاقتصاد الجديد عبر دخولها بوابـة اقتصـاد المعرفة والميديا والمعلوماتية والتي من أجله تم البدء بإنشاء ثلاثة مشاريع تكفل لدبي تحقيـق مرادها؛ وهي مدينة دبـي للإعـلام ومدينـة دبـي للإنترنـت وأخـيراً المولـود الجديـد قريـة المعرفة.

تُعدّ دُبي من أحدث مُدن الإمارات العربية المتّحدة وأكثرها تطـوراً وازدهـاراً. وتقـع على ساحل الخليج العربي بين الشّـارقة وأبـو ظـبي؛ وهـي إمـارةٌ عاصـمتها دُبـي وتبلـغ مساحتها ٣٨٨٥ كيلو متراً مُربّعاً. وتشهد دُبـي نهضـةً عُمرانيّـةً عظيمـةً؛ ففيهـا عمـارات حديثة وفنادق راقية وشوارع فسيحة وحدائق زاهية؛ وهي مركز تجاري وماليّ مُهمّ.

يعيش القطاع الصّناعي في إمارة دُبي تطوراً ظاهراً. وتنتشر في دبي المصـانع الحديثـة. وأهمّ صناعاتها صناعة سبك الألمنيوم وإسالة الغاز الطّبيعي. وفيها مُجمّـع دوبـال؛ وهـو أكبر مجمّعٍ لصناعة الألمنيوم في الشّرق الأوسط؛ وهو مزوّد بوحـدة تحليـة للميـاه؛ طاقتهـا الإنتاجية عشرون مليون جالون يومياً.



تُحافظ دبي علـى أسواقها الشّـعبية ذات الطّابع القديم؛ ونـذكر مــن أهمّهــا: ســوق الدّيرة؛ سـوق الخيـام؛ ســوق بنــدر طالــب. وفي دبي مطـارٌ دولـيٌّ كـبيرٌ سـاهم كـثيراً في

تنشيط السّياحة بعد حصوله عام ١٩٩٢على جائزة أفضل تسهيلات الشّحن في العالم.

تُعتَبر دبي اليوم من أهمّ المرافئ الخليجيّة الحديثة؛ واسم مرفأها (مرفأ جبل علي) الّذي يقع في الجنوب الغربي من المدينة؛ وفيه منطقة تُجاريّة حُرة.

وقد زادت نسبة الاستثمار فيها على المليار دولار سنوياً. تعمل في هذه المنطقة الحرّة أكثر من ٤٥٠ شركةٍ من ٥٣ دولة. وثمّة توقّعاتٍ أن يزيد الرّقم عند نهاية هذا القرن على ١٢٠٠ شركةٍ. حافظت دبي على المكانة الأولى في رابطة موانئ الحاويات في الشّرق الأوسط؛ كما أنّها حصلت على جائزة سوق السّفر العالمي لعام ١٩٩٢م.

وعلى الصّعيد التّجاري؛ هناك ما يقارب ٢٥ ألف شركةٍ في دبي تُمارس مختلف النّشاطات والأعمال التّجارية. وفي قاعات المعارض؛ تُقام المعارض والمؤتمرات العالميّة. وفي دبي؛ يُقام سباق الرّالي للسّيارات. وهناك السّوق الحرة في مطار دبي؛ وهي من أهمّ الأسواق الحرّة في العالم من ناحية التّنوع والأسعار والنّوعية. وبفضل ذلك نالت عدة جوائز تقديريّة مهمّة. وفي دبي أضخم ملاعب الجولف في العالم... ودرجت دبي على إقامة شهر التّسوق الذي لقيٍ رواجاً وشهرةً عالميةً؛ ممّا زاد من شُهرتها العالمية؛ فأصبح شهر تّسوق دُبي عادةً سنويةً.

* * * * *

## مدينة للإعلام

تبعاً للمتغيرات الحاصلة في العالم أخيراً وبخاصة في أوربا وأمريكا الشمالية والتي تتجه نحو الاعتماد على اقتصاد التجارة الإلكترونية والتكنولوجيا أو ما يمكن تسميته بالاقتصاد الجديد؛ وهو عكس الاقتصاد القديم القائم على مجموعة الأنشطة الشائعة مثل المقاولات والاستيراد والتصدير والسياحة وغيرها؛ فقد قررت دبي تحويل اقتصادها إلى اقتصاد المعرفة.

والمسيرة نحو هذا الهدف بدأت مُنذ عام ١٩٩٦م برغبة من ولي عهد دُبي ووزير الدفاع الفريق أول محمد بن راشد آل مكتوم.

وعن الخطوات المبدئية لتحويل اقتصاد دبي إلى اقتصاد المعرفة تم وضع خطة عمل وبرامج ودراسات تكفل تحقيق الهدف بتحويل اقتصاد دبي إلى اقتصاد المعرفة وتلخصت الخطة بضرورة خلق ثلاثة مشاريع رئيسية هي بمنزلة أهداف مرحلية تضمن الوصول إلى الهدف النهائي؛ وتلك المشاريع هي ما يلي: -

**١ - تداخل المعلومات والتكنولوجية:**

ويهدف هذا المشروع إلى خلق بيئة تستطيع استقطاب الشركات المعنية بحيث يحدث الاندماج والتداخل في مدينة دبي والإمارات الأخرى.

**٢ - استقطاب المواهب الذكية:**

والاقتصاد الجديد لن يُبنى على بنايات ومصانع فقط؛ بل على الأفراد وقوة العقل؛ وحتى الآن في دُبي لا تزال نسبة الحاصلين على الشهادات العليا أو المهتمين بمجال البرمجة قليلة جداً؛ ومن هُنا كان لابد من خلق بيئة تجذب الكفاءات والمتميزين كي يُمكن الاستفادة من خبراتهم؛ وتكوين نواة قادرة على تحمل مسئولياتها في المستقبل.

**٣ - المضمون:**

من غير الصحافة والإعلام والإنترنت لن تستطيع دُبي ترويج ما لديها من مشاريع؛ لذا وضعت هذه النُقطة المُهمة في الحُسبان.

وهذه الأهداف الثلاثة الرئيسية المذكورة تحتاج إلى إنشاء مشاريع متكاملة تضمن تحقيقها؛ ومنها على سبيل المثال ما يلي: -

١ - تحويل حكومة دُبي إلى حكومة إلكترونية؛ وتم وضع برنامج مُدته (١٨) شهراً؛ وقبل نهاية المدة بحوالي أسبوعين تم الإعلان عن تحول حكومة دبي إلى حكومة إلكترونية.

٢ - مدينة دُبي للإنترنت؛ ومُهمتها توفير بيئة تكنولوجية لاستقطاب شركات التكنولوجيا وشركات التجارة الإلكترونية.

٣ - مشاريع واحة دُبي الإلكترونية؛ وهي تعمل كحاضنة لشركات الإنترنت الجديدة؛ وتهدف إلى مُساعدتها على الانطلاق؛ ورأس مال هذه الواحة مُخصص للاستثمار في هذه الشركات لمُساعدتها.

* * * * *

## مدينة دُبي للإعلام

مدينة دُبي للإعلام وهي تستهدف ضمن استراتيجيتها أقساماً مُعينة في الإعلام مثل القنوات الفضائية؛ والتي اكتشفنا بعد قيامها بأبحاث ودراسات حولها أن أغلبها يخسر غالباً؛ وبخاصة القنوات المُوجهة لمنطقة الوطن العربي وتعمل في عواصم أجنبية؛ وقد قامت بتوفير البيئة الملائمة لتلك القنوات والتي من أهم عناصرها شركات الدعاية

والإعلان العالمية؛ والتي يتمركز أغلبها في مدينة دبي؛ وهو ما أدى في النهاية إلى انتقال بعض الفضائيات العربية بالكامل مثل ( M. B. C ) من لندن إلى دُبي.

النشر... وهُنا تم القياس بالطريقة نفسها التي قاموا بها مع القنوات الفضائية؛ ولكن هذه المرة تم استقطاب الشركات المُتخصصة في حقوق النشر؛ وأيضاً الصُحف العربية الكُبرى المُتمركزة خارج الوطن العربي.

خدمات التسويق... وتضم شركات الدعاية والإعلان وشركات العلاقات العامة وشركات الأبحاث الكبرى؛ كما أن هُناك أيضاً مشاريع مُهمة كصناعة الكُتب التي نشطت سوق المطابع والإنتاج الرقمي والمُوسيقي.

* * * * *

## مدينة دُبي للإنترنت

إنَّ ثورة التكنولوجيا التي اجتاحت العالم في فترة التسعينيات كشفت عن وجود فجوة تكنولوجية في منطقة الخليج والشرق الأوسط؛ كما أن توجه الكثير من المؤسسات الخاصة والحكومية في العالم المُتقدم نحو إدارة أعمالها باستخدام التكنولوجيا ساهم في زيادة اتساع تلك الفجوة؛ فبالرغم من ضآلة عدد سُكان دول الخليج وتوافر الكثير من الأموال لديهم؛ فهم لا يزالون مُتأخرين تكنولوجياً.

غير أن إمكانيات المدينة وبنيتها الأساسية التي وجدت قبل ٣٠ عاماً لهذا الغرض وغيره تُساعدها على تحقيق ذلك الهدف وهو استقطاب الشركات العالمية في مجال التكنولوجيا التي كانت في السابق تُدير أعمالهما في المنطقة بالريموت كونترول؛ أما الآن فقد تم توطينها ودمجها في أسواق دُبي التي استفادت من ذلك وحصلت خدمات أسرع وأرخص. وبما أن البنية الأساسية وحدها لا تكفي لتحقيق أهداف مدينة دُبي للإنترنت؛ لذا واكبتها عملية استحداث شاملة للقوانين والتشريعات المعمول بها تهدف إلى القضاء على البيروقراطية؛ وبما يكفي لجذب الشركات العالمية؛ ومن أهم تلك التشريعات الجديدة ما يتعلق بملكية الشركات والرسوم والضرائب والحصول على عمالة وحرية البيع والشراء وجميعها وضعت تحت مظلة مدينة دبي الحرة للتكنولوجيا والإعلام؛ وعلى أساسها أنشئت مدينة دبي للإنترنت؛ وما يهمنا في هذا الصدد هو استقطاب من لديهم الأفكار الجديدة في عالم الإنترنت ومنطقة الشرق الأوسط مليئة بمثل هذه النوعيات المُتميزة التي اضطر الكثير منها للهجرة للدول الغربية بهدف تنفيذ أفكارهم؛ وهُناك

لديهم بيئة خصبة مُهيأة لاستقبال وتمويل الأفكار والمشاريع الجيدة.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

# البحرين




البحرين دولـة عربيّةٌ عضـو في الجامعة العربيـة؛ وهـي عبـارة عـن جزيرةٍ كبيرةٍ هـي جزيـرة البحـرين؛ وتتبعهـا اثنتـان وثلاثـون جزيـرة أهمّها سـترة؛ والمحـرّق؛ وجـدّة؛ وأم النّعسان؛ ونبيه صالح؛ والمحمدية أو أم الصّـبيان؛ وتُعتـبر البحـرين أرخبيل في الخليج العربي.

تقع البحرين في الخليج العربـي إلى الشـرق مـن المملكـة العربيـة السّعودية؛ حيث تتّصـل بهـا بجسـرٍ طولـه ٣٠كم؛ وأُنجِـزَ بنـاؤه أواخـر عام ١٩٨٦م؛ وسُمّيَ جسر الملك فهد.

مساحة البحرين ٦٩٢ كيلـو مـتراً مُربّعـاً؛ وهـي أصـغر الـدّول العربيـة؛ وعاصـمتها المَنامة؛ وعُملتها الدّينار البحراني؛ ولُغتها الرسميـة هـي العربيـة؛ وتتميـز تضاريسـها بـأن أخفض نقطة هي الخليج العربي ٠م؛ وأعلى نقطـة هـو جبـل الـدُخان ١٢٢م. كمـا يبلـغ متوسّط طولها من الشّمال إلى الجنوب ٥٠ كم؛ ومتوسّـط العـرض ١٥ كيلـو مـتر؛ وأهـمّ مُدنها: المحرّق؛ ومدينة عيسى؛ والرفاعان؛ أما عن مُناخها فهو حارٌّ جداً ورطب.

حكَمَ البُرتغاليّون البحرين عام ١٥٢٢م؛ ثُم حكمها العُثمانيون عام ١٦٠٢م وتمّ تحرير الجزيرة عام ١٧٨٣ على أيدي آل خليفة؛ وتحولت إلى محميةٍ بريطانيّةٍ عام ١٨٢٠م؛ وظلّت هكذا حتّى عام ١٩٧١م؛ وهو تاريخ نيلها للاستقلال.

البحرين قديمةُ العهد؛ وهي (دلمون) القديمة التي اشتهرت في العهد السّـومري؛ وذلـك في الألف الثّالثة قبل الميلاد؛ ولما جاء الإسلام كانت في طليعة مَـن اعتنـق الـدّين الجديـد؛ ولقد أضافوا للأرض الضيقة شيئاً مـن رحابـة نفوسـهم فاتسـع المـدى؛ مـدى في الزمـان والمكان. بدأ الزمان دورته عندما تفجرت ينـابيع الأرض وتـداخل الواقـع في الأسـطورة. وحوّل الجهد الإنساني المكان الصغير إلى وطن متنـوع قـادر علـى احتـواء كـل الأحـلام؛

وصمدت البحرين طويلاً لتقلبات الزمن ولكل الذين طمعوا في موقعها آلمهم وما زالت تواصل تجربتها إلى اليوم بعد أن جفت ينابيع الأرض ولم تجف الينابيع المتدفقة داخل الإنسان.

يُوجد عدد قليل من الأراضي الزراعية في البحرين؛ ففيها زراعة النّخيل والخضار والفاكهة؛ ولكنها تُشتَهر بصيد اللّؤلؤ.

حصلت البحرين للعام الثاني على التوالي على المركز الثالث بين أفضل الدول التي تتمتع بالحُرية الاقتصادية في العالم. وجاء هذا بناءً على الدراسة الميدانية التي أجرتها مؤسسة التراث الأمريكية وفق مقاييس مُحددة طُبقت على ١٤٢ دولة. وتقيس هذه الجمعية الحُرية الاقتصادية وفق عوامل عشرة. ويكفي أن تحصل الدولة على تقدير ممتاز لخمسة من هذه العوامل حتى يتم تصنيفها. فالبحرين ليس بها أي نوع من الضرائب على دخل أو أرباح الشركات ولا القيمة المضافة؛ وهذا مما يشجع المُستثمر الأجنبي وبخاصة ذلك النوع الذي يهمه أن تكون لديه حرية نقل الأموال دون التعرض لأي اقتطاع ضريبي. وكذلك استطاعت البحرين أن تُرسي سياسة نقدية سليمة جعلت للدينار سعراً مُستقراً لا يتأثر بالتضخم إلا في أضيق الحدود.

ويرجع تاريخ انتقال البحرين من الزراعة والغوص عن طريق البحث عن البترول يتمثل فيما يلي: -

عندما مر المؤرخ والجغرافي العربي بالبحرين في القرن التاسع الميلادي أدهشه جلد الغواصين في البحث عن اللؤلؤ؛ ففي هذا الجو الحار وتلك المياه الممتلئة بالأسماك الخطرة يقضي هذا الغواص الأعزل العاري الجسد دقائق طويلة تحت الماء بحثاً عن المحار؛ وقد يبلغ عدد الغطسات حوالي خمسين مرة في اليوم الواحد؛ وفي مقابل كل هذا المجهود لا يتناول إلا وجبة واحدة في آخر اليوم من الأرز والسمك وقليل من التمر؛ ولذلك فقد كان هؤلاء الغواصون أشبه بالهياكل العظمية؛ وهذه المهنة لم تتغير كثيراً مُنذ مرور المسعودي؛ وقد ظلت المهنة الأساسية في البحرين حتى انهار سوق اللؤلؤ في العالم بعد ظهور اللؤلؤ الصناعي في الثلاثينيات.

فالغوص هو أشق مهنة عرفها الإنسان بعد العبودية؛ وعاش الغواص في حالة من العوز الدائم فهو يقترض قبل بداية الموسم من النوخذة أي ربان السفينة؛ ويظل يسدد لسنوات عديدة دون أن ينتهي هذا الدين أبداً حتى بعد موته؛ وفي بعض الأحوال فإن

النوخذة يستولي على بيت الغواص إذا مات قبل أن يسدد دينه؛ ويؤكد المؤرخ البريطاني (ب. و. هاريسون)؛ أنه خلال سبع سنوات عاشها في البحرين لم ير غواصا قد استطاع أن يسدد دينه أبداً؛ ويُضيف: -

- يُعرف الغواص كعبد ما بقي من حياته؛ بل إن العبد يستطيع الهرب والظفر بحريته؛ ولكن عبد الغوص لا يستطيع الفكاك من دينه أبداً.

ولم يكن الغوص هو مصدر المُعاناة الوحيد في البحرين؛ فالفلاح البحريني عانى كثيراً وهو ينتزع الخُضرة من بين ثنايا الأرض المالحة؛ فقد كانت الينابيع قبل أن تجف مياهها الآن هي مصدر الحياة على هذه الأرض؛ والبحرين مدينة بوجودها إلى شجرة وحيدة هي النخيل؛ فقد أعطت هذه الشجرة النبيلة الثمر الحلو؛ الذي كان طعاماً رئيسياً بجانب الأرز والسمك؛ وأعطته السعف الذي يستخدم في بناء المنازل وصنع الأثاث والسلال؛ ومن ليفها صنع الحصر؛ والحبال؛ ومن أعوادها صنعت مصائد الأسماك ومن بقاياها الجافة جاء الوقود؛ ولقد أعطته النخلة كُل شيء ما عدا الثياب؛ ولكن الأرض اعتبرت ملكاً للسلطات الحاكمة والعاملين عليها أصبحوا كالأجراء؛ أما الذين تمسكوا بأرضهم فقد فُرضت عليهم الضرائب العالية لانتزاعها منهم؛ وكان الفلاح في البحرين يُعاني مثل مُعاناة الغواص تماماً؛ وكانت عائلته أيضاً تعيش تحت التهديد المُستمر بقطع رزقها؛ وبدا في العشرينيات من هذا القرن أن الخلاص الوحيد من عذابي الغوص والزراعة هو في اللجوء إلى صناعة النفط.

ويتمثّل الإنتاج المَنجمي في النفط والغاز الطبيعي؛ ويقوم النّشاط الصّناعي على ثلاثة محاور هي: تكرير البترول؛ وإنتاج الألمنيوم؛ ورصيف الإنشاء في المنامة الذي يسمح بتصليح ناقلات النفط؛ وتتمتّع البحرين باقتصادٍ سليمٍ؛ وهو يرتكز على الموارد النّفطية والنّشاطات الصّناعية مثل الألمنيوم ومُشتّقاته؛ وترميم السُفن؛ وعلى النّشاط المصرفي.

ولكن حتى النفط لم يخفف من عذاب أهل البحرين كثيراً؛ فقد بدأ الحفر في أول بئر للبترول في ١٦ أكتوبر عام ١٩٣١وكان هذا هو أول بترول عربي يظهر في هذه المنطقة بعد البترول الإيراني؛ ورغم أنه لم يكن بالغزارة المطلوبة فإنه لفت الأنظار بشدة إلى الثروة الكامنة تحت أرض هذه المنطقة العربية؛ وقد تدفق العُمال البحرينيون على الشركة بحثاً عن العمل؛ ولكن شركة (بابكو) التي أخذت امتياز استخراج النفط في البحرين؛ لم تجد فيهم المهارة الكافية؛ وبدلاً من تدريبهم على هذا العمل الجديد؛ فضلت الاستعانة

بعمالة من الهند؛ وأبعدت البحرينيين إلى الأعمال غير المُهمة؛ ولم تكن تعطيهم من الأجر أكثر من روبية يومياً؛ فكانت الشركة تهدف بطبيعة الحال إلى إبعادهم عن أي مناصب قيادية حتى لا تقوى شوكة الأهالي ضدها؛ وبدأ أهل البحرين رحلة جديدة لم تختلف في مشقتها عن حياتهم السابقة؛ ولكن الاختلاف الوحيد هو أن وعيهم أخذ بالتفتح؛ وقد تكونت بينهم طبقة عُمالية أخذت تتعلم وتكتسب المهارة يوماً بعد يوم؛ وكان من الطبيعي مع تفتح هذا الوعي أن يبدأوا في التمرد على هذا الإجحاف الواقع عليهم من الشركات البريطانية.

وبالطبع كانت هُناك تفرقة في المعاملة وفي الأجر بين البحريني والهندي اللذين يقومان بنفس العمل؛ بل كان هُناك الكثير من الأماكن والمنشآت داخل الشركة لا يسمح للبحريني بالدخول إليها؛ وتسبب هذا في حالات متكررة من الاحتجاج والتمرد ما لبث أن تبلور في أول إضراب قام به عمال مصفاة النفط في عام ١٩٤٣م؛ وتبعه إضراب آخر أكبر وأشد في العام التالي؛ وكانت مطالب العُمال بسيطة وإنسانية إلى حد كبير لا تهدف فقط إلا للمُطالبة بمنع الإهانة عنهم؛ ورفع أجورهم ومساواتها مع زملائهم من الهنود؛ وإعطائهم يُوم عطلة مدفوع الأجر؛ وعلاج المصابين منهم أثناء العمل؛ ولعلنا نرى من خلال هذه المطالب أن الحد الأدنى لم يكن متوافراً لهم؛ ولم تستجب الشركة لهذه المطالب إلا بدرجة متدنية؛ وعوقب قادة الإضراب بالفصل عن العمل؛ ولكن العمال البحرينيين أخذوا درسا قاسياً من هذا الإضراب؛ فلقد أدركوا أن الشركة لن تفيدهم كثيراً وأن الحل هو الاعتماد على تنظيمهم الذاتي؛ ولذلك فقد ظلوا يواصلون الاحتجاج والمطالبة بتوفير برامج تدريبية أكثر كفاءة بالنسبة لهم حتى يتمكنوا من الوصول إلى أماكن أكثر تقدماً في الشركة؛ ولم تملك الشركة أخيراً إلا الخضوع إلى ذلك الأمر؛ وكان هذا تتويجاً لنضال تلك الحركة التي استمرت على قوتها ورغبتها في التطور والمعرفة حتى مطلع السبعينيات من هذا القرن عندما حصلت البحرين على استقلالها.

وحتى هذا الاستقلال لم يكن سهلاً؛ فبعد أن رحل البريطانيون؛ بقيت الأطماع الإيرانية قائمة؛ ولكن جاء تدخل المجتمع الدولي لصالح هذا الاستقلال من خلال الاستفتاء الذي أشرفت عليه الأمم المتحدة واختار فيه أهل البحرين حُكمهم الذاتي واستقلالهم عن أي دولة أخرى؛ ولكن التجربة الديمقراطية الوليدة لم يكتب لها النجاح؛ فلقد حُل المجلس النيابي المُنتخب في عام ١٩٧٥م بعد عامين فقط من انتخابه ولم يعد مرة أخرى؛ وبدا أن البحرين على أبواب نفق مظلم آخر. ويقول المفكر البحريني محمد جابر

الأنصاري مُعلقاً على ذلك: -

- لقد دخلت البحرين على المستوى السياسي في طريق مسدود منذ أن حل المجلس الوطني في عام ١٩٧٥م حتى الآن؛ وأهم شيء في ذلك المشروع الجديد الذي طرحه سمو الشيخ حمد هو محاولته الخروج من هذا الطريق المسدود؛ ولقد كانت البحرين تتقدم اجتماعياً واقتصادياً؛ ولكن على المستوى السياسي نجد أن السلطة السياسية قد انفردت بالتشريع والتنفيذ؛ وأحدث هذا نوعاً من الاحتقان ارتفعت ذروته في عام ١٩٩٤م في الاضطرابات التي شهدتها البحرين؛ إن التجربة الديمقراطية التي شهدتها البحرين في السبعينيات لم تكن مشجعة؛ فقد أراد المرحوم الشيخ عيسى بن سلمان أن يبدأ بداية جديدة فمنح الشعب دستوراً ومجلساً وطنياً واسع الصلاحيات؛ وكانت هذه الصلاحيات تحمل في داخلها بذور التصادم المستمر بين السلطتين التشريعية والتنفيذية؛ وأعتقد أن الكويت تعاني من هذا الأمر؛ ولكن التجربة البحرينية في ذلك الوقت تدخلت فيها القوى الخارجية وجعلتها تلعب بالقوى الدينية والطائفية بحيث أعطت السلطة مبررا لحل البرلمان فقد كانت القوى الإقليمية في الخليج غير مرتاحة لهذا الأمر؛ وفي طليعتها شاه إيران الذي ضغط ضغطا شديدا من أجل حل المجلس حتى لا تنتقل عدوى الديمقراطية إلى بلاده؛ لقد كان هناك جانب من السلطة غير مرتاح لهذه التجربة الديمقراطية؛ كما أن مزايدات الكتل البرلمانية قد ارتفعت إلى درجة غير معقولة؛ حتى أن بعض وزراء الحكومة قد قالوا في هذا الوقت؛ إنه إذا أردنا أن نمرر من البرلمان مشروع أي قانون؛ كان علينا أن نظهر عدم رضائنا عنه؛ أما إذا كنا راضين فلن يمر القانون؛ لذلك فإن هذه الإصلاحات الجديدة تهدف أولا إلى الخروج من عنق الزجاجة؛ ولكن لم يكن من الممكن العودة إلى المجلس السابق مما قد يعطل الحياة الدستورية مرة أخرى؛ لذلك طرح الشيخ حمد فكرة المجلسين؛ المجلس التشريعي المنتخب؛ ومجلس الشورى المعين؛ والأمل أن يخلق نظام المجلسين نوعاً من التوازن؛ ويؤدي إلى نوع من المرونة في الحركة؛ وقد تكونت لجنة لتعديل الدستور وتحديد العلاقة بين المجلسين؛ وفيما عدا ذلك لن يكون أي خروج عن أحكام الدستور السابق؛ ولكن من المؤكد أنه فيما يختص بالأمور التشريعية سوف يكون هناك برلمان واحد.

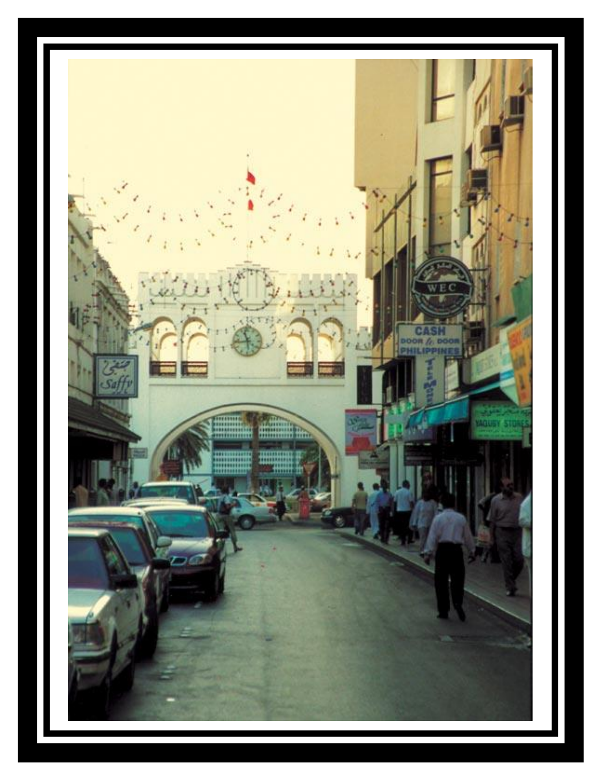
الإنسان البحريني هو نتاج للجهد والكدح المستمر؛ ولم يعش في وئام أبداً مع الطبيعة المُحيطة به؛ ولم ينعم بعطاياها فلم يكن لديها ما تُعطيه له سوى العمل ومزيد من العرق؛ لذا فقد كان وما زال جلداً؛ وكأن خلاياه قد قُدت من ملح وصخر؛ وهو عندما

يخوض معركة التغيير السياسي والاجتماعي اليوم يُدرك أنه قد استحق هذا الأمر.

وتُعتبر جامعة الخليج التي بدأ التفكير فيها كمشروع جماعي طموح على المستوى الشعبي في عام ١٩٧٥م مع بدايات الطفرة النفطية ثم تبنت قمة مجلس التعاون الفكرة ودفعت بها إلى المُختصين من أهل الفكر والتربية لتحظى بأوفر الفرص على مستوى الدراسة والتخطيط والمُراجعة؛ وكما يقولون: أنضجت على نار هادئة.

يكفي أن نشير هُنا إلى أنه تم إيفاد حوالي ٧٠ خريجاً إلى جامعات أوربا وأمريكا للحصول على درجات الماجستير والدكتوراه وليكونوا أعضاءً في هيئة التدريس في الجامعة وقبل إنشائها. ثم بدأ تنفيذ الفكرة وترجمة الرؤى والتصورات والخطط والبرامج إلى حقائق ملموسة فوق أرض الواقع.

ثُم مرت أعوام كان الناس ينتظرون خلالها أن يتحقق الحلم؛ وأن يعطي العمل العلمي الجماعي الرائد نتائجه المرجوة من كل أهل الخليج؛ بل من كل أبناء الوطن العربي باعتبار أن مثل هذا المشروع ليس سوى مجرد نموذج للعمل العلمي الجماعي يؤذن نجاحه في مجال بإمكان تكراره في مجالات أخرى؛ وبين أقطار عربية أخرى وبدلاً من أن يتلقى الناس في الخليج أخبار النتائج المأمولة؛ سمعوا عن صعوبات على طريق الإنجاز ومشكلات تظهر ثم تظهر وعود بحلها؛ وجهود من أجل الحل...




ولأن الحلم كان غالياً وعزيزاً ويمثل خطوة صحيحة أكيدة على طريق التقدم المرجو لأبناء هذه المنطقة ولأبناء الأمة العربية كلها؛ وقبل أن نتحدث عن الصعوبات التي ظهرت والجهود التي تُبذل لحلها والتغلب عليها؛ يجب أن نتحدث عن مشروع جامعة الخليج ذاته؛ ما فكرته؟ وما مُبرره؟ وفي

أي شيء تختلف جامعة الخليج عن أي جامعة وطنية في أي دولة من دول الخليج؟

تقول إحدى الوثائق التربوية الصادرة عن مجلس التعليم العالي الذي انعقد في الرياض في الفترة من ٢٣ - ٢٥ يونيو عام ١٩٧٩م لُمناقشة أوراق العمل والوثائق المقدمة من دول مجلس التعاون الخليجي لبلورة مشروع جامعة الخليج؛ بشأن التأكيد على الخصائص الأساسية لتصور طبيعة الجامعة: -

- إنها جامعة نوعية متخصصة تركز على البرامج الدراسية التي لا توجد في الجامعات الوطنية أو توجد بشكل لا يلبي احتياجات دول الخليج مجتمعة.

إنها جامعة مستوى وليست جامعة إعداد؛ إنها مُؤسسة للدراسات العُليا والبحوث؛ إنها مركز استقطاب ثقافي وفكري؛ إنها ذات هيكل إداري مرن يُناسب طبيعتها المُتميزة.

ولتحقيق هذه الأهداف على أسس وطيدة وراسخة دعت الهيئة التأسيسية للجامعة المخولة من قبل المؤتمر العام السادس لوزراء التربية في دول الخليج إلى انعقاد (ندوة التصورات المستقبلية لجامعة الخليج العربي). وقد شارك في هذه الندوة (٥٧) شخصية علمية وقيادية وفكرية من دول الخليج والوطن العربي والعالم الإسلامي؛ والدول المتقدمة في العالم؛ بالإضافة إلى المنظمات التربوية والعلمية العربية والإسلامية والدولية.

ولعل في إلقاء نظرة سريعة على بعض ما ألقي في الندوة من محاضرات وأبحاث ودراسات ما يعطى فكرة عن المدى والآفاق التي طمحت إليها هذه الندوة؛ فتحت عنوان: (العالم في القرن الحادي والعشرين) تحدث الدكتور أحمد زكى يماني عن منطقة الخليج؛ كما تحدث د. م. ج مورافيسك عن الدول الصناعية و د. سعد الدين إبراهيم عن الدول النامية. ثم تحدث عالم الذرة الباكستاني المعروف الدكتور عبد السلام عن العلوم الأساسية في العالم العربي والإسلامي؛ واستعرض الدكتور محمود محمد سفر الإطار المرجعي الذي يمكن أن تقوم به جامعة الخليج في نقل التكنولوجيا واستنباتها؛ وتحدث الدكتور كمال القيسي عن مشروع إنشاء أكاديمية للتعريب كما تناول الدكتور سيد دسوقي المحتوى العلمي لمشروع معهد عربي للترجمة؛ ود. محمد الأحمد الرشيد عن دور جامعة الخليج في التطوير والنمو التربوي؛ ود. تشارلز برازي ود. هـ هولشر ود. ميشيل توماس عن نظم المعلومات والمكتبة والحاسب الآلي في جامعة الخليج العربي.

وتتجلى آيات الفن البحريني التقليدي في جميع فنون التطريز والنقش والنحت والزخرفة الجصية والصباغة والحِدادة؛ وصناعة الفخار وغيرها من صناعات تقليدية.

هناك طائفة من الحرف تميزت بها البحرين وأصبحت بفعل ارتباطها بتاريخ المنطقة تشكل علامة مضيئة لا يمكن تجاهلها؛ وقد أعلنت هذه الحرف حضورها المادي منذ القدم؛ ويرجع ذلك الحضور لنمطية الوضع الاقتصادي والاجتماعي والتطور الذي شهده المجتمع البحريني؛ فصناعة السفن التقليدية التي انتشرت في مدن وقرى البحرين أحد هذه الشواهد؛ ففي مدينتي المحرق والمنامة أكثر من حوض لصناعة مثل هذه السفن؛ يقوم على هذه الصناعة (قلاليف) مهرة اشتهروا بالمهارة وإتقان الصنعة؛ وتقوم هذه الصناعة على الأخشاب المستوردة من الهند وشرق إفريقيا؛ وهي أخشاب الساج وأخشاب الصنوبر؛ وتمتاز بمقاومتها للرطوبة ويدخل في هذه الصناعة المسامير وفتايل القطن وزيت (الصل) وأهم الأدوات التي يستخدمها القلاف في صناعته هي القدوم والمنشار والمطرقة.

وتحتل النخلة مكانة بارزة في تاريخ البحرين وحضارتها؛ وتشكل بشموخها فخراً واعتزازاً ورمزاً للحياة والعطاء المتجدد؛ فكما اتجه البحار والغواص للبحر للاستفادة من الأسماك واللآلئ اتجه الفلاح البحريني للأرض وتعلق بالنخلة واهتم بزراعتها؛ حتى صارت الجزيرة غابة من النخيل مما استدعى أن يطلق عليها بلد المليون نخلة؛ فكانت النخلة مورداً من موارد الغذاء ومادة مهمة من مواد بناء منزله التقليدي؛ فإنتاج النخلة يدخل في جميع الأدوات التقليدية المستخدمة في المنزل؛ فكانت بيوت البحرين القديمة تبنى من جذوع النخلة وسعفها وجريدها إضافة إلى الحجارة البحرية والطين والجص.

كما تقوم على سعف النخيل صناعات كثيرة؛ فمن السعف الأخضر اللين كان البحرينيون يصنعون الحصائر التي تستخدم لفرش أرضية المنازل؛ كما تستخدم هذه الحصر كبساط ينشر عليها ثمار النخلة حتى يجف ويصبح تمراً؛ كما تصنع من خوص النخلة أنواعاً عديدة من السلال الخوصية؛ والقفة تستخدم بعضها كأوعية لحفظ حاجيات المنزل؛ والقفة الصغيرة تستخدم لحفظ أدوات الخياطة؛ وتكون القفة في العادة مزخرفة وذات نقوش جميلة؛ أما الكبيرة منها فتستخدم لحفظ الحبوب كما كانت تستخدم لحفظ الملابس؛ أما السلال أو (الزنبيل) فتستخدم في نقل الأتربة والحجارة وأعمال البناء؛ كما تستخدم أنواع من السلال في حفظ السمك أثناء عرضه للبيع؛ وهناك نوع آخر من السلال الكبيرة يطلق عليها اسم (المرحلة) وهي عادة ما تستخدم لنقل الأدوات والحاجيات الكبيرة والثقيلة الحجم كالخضراوات والأسماك؛ وتوضع فوق ظهر الدابة حيث تتدلى من الجانبين على شكل مرحلتين لحفظ التوازن.

ومن الصناعات التقليدية الرائجة في البحرين صناعة الحلوى؛ وقد عرفت هذه الصناعة منذ زمن بعيد؛ حيث توارث هذه الصناعة بعض الأسر البحرينية أباً عن جد وتفننوا في أسلوب صنعها. وربما تكون صناعة الحلوى قد عرفها أهل البحرين من مدينة مسقط في سلطنة عمان؛ فقد ارتبط اسم هذه الحلوى باسم الحلوى المسقطية؛ إلا أن حلاوة البحرين اشتهرت في منطقة الخليج في السنوات الأخيرة؛ فالحلوى العمانية تصنع من نفس المواد الخام التي توجد في عمان مثل النشا والسمن البلدي وماء الورد والزعفران؛ أما حلوى البحرين فإن معظم محتوياتها مستوردة من الخارج؛ فالسكر والنشا وكذلك ماء الورد والزيت مستورد من الخارج؛ وقد اشتهرت البحرين بهذه الحلوى وهناك أسر بحرينية في مدينتي المحرق والمنامة تقوم بصنع هذه الحلوى. وأصبح الإقبال عليها من قبل الأهالي والزوار واضحا وبصورة ملحوظة وذلك لما تتمتع به من جودة وطعم لذيذ.

كما تُعد صناعة الفخار من أقدم الصناعات التقليدية في البحرين؛ وتمارس هذه الصناعة في الوقت الحالي بقرية عالي القريبة من التلال الأثرية الموجودة في القرية؛ وقرية عالي مشهورة بصناعة الفخار منذ القدم؛ وفي العادة يجلب الطين المخصص لهذه الصناعة من منطقة الرفاع لما تمتاز به تلك القرية من نقاوة ولون أبيض طبيعي؛ بالإضافة إلى طينة حمراء وأخرى ذات لون بني؛ وبعد معالجة الطين وتجهيزه يمارس الخزاف صناعته حيث يقف في حفرة تغطي نصف جسمه واضعا أمامه الدولاب والذي يديره بواسطة دولاب آخر يحركة من الأسفل برجله؛ ثم يقوم الخزاف بوضع كمية من الطين حسب حجم الإناء أو الوعاء الذي يريد تشكيله؛ ويحرك الدولاب السفلي برجله فيتحرك الدولاب العلوي.



وتعد حياكة النسيج واحدة من أهم الحرف التقليدية التي عرفها الإنسان في البحرين؛ وكانت هناك أسر بكاملها تتعاطى هذه الحرفة؛ وكانت هذه الحرفة تلبي معظم احتياجات السكان من ملبوسات وأشرعة وغيرها والتي تدخل في صناعتها الخيوط النسيجية؛ وتعد قرية بني جمرة من أشهر القرى في هذه الصناعة حتى وقتنا الحاضر؛ وكانت القرية تضم في الماضي قرابة مائة مصنع لحياكة النسيج؛ ولم تكن هذه المصانع

سوى ألواح متواضعة بنيت من سعف النخيل يحتمي فيها النسّاج وأسرته من حرارة الشمس ويكاد الجميع في قرية بني جمرة يعملون في هذه الحرفة لأنها كانت في ذلك الوقت مصدر رزق جيد لهم؛ وكانت قريتهم سوقاً رائجة يؤمها الناس لشراء حاجاتهم؛ كما كانت منسوجاتها تصدر إلى مناطق الخليج والمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية.

وقد أولت البحرين لهذه الصناعات التراثية جانباً من اهتمامها إيمانا منها بأن الاحتفاء بالتُراث تأصيل لموروث حضاري يعكس ثقافة الشعوب وعاداتها وتقاليدها ومن هذه الاهتمامات إقامة احتفالات سنوية ترعاها وزارة الإعلام ممثلة في مُتحف البحرين الوطني؛ فقد أقيمت قرية تراثية في الساحة الخارجية لمُتحف البحرين الوطني؛ وهذه القرية تجمع بين ثلاث بيئات؛ وهي البيئة البحرية؛ والبيئة الزراعية؛ وبيئة المدينة أو البيئة الحضرية؛ فبيئة المدينة تتمثل في عدد الدكاكين الخاصة بأسواق المدينة وعددها نحو ٣٦ دكانا إضافة إلى مسجد وبيت بحريني تقليدي متكامل بجميع مرافقه بالإضافة إلى وجود بعض الأجزاء الخاصة بالعمارة البحرينية التقليدية.

أما البيئة البحرية في القرية التُراثية فمُرتبطة بساحل البحر؛ وهناك بحيرة صناعية تحوي مجموعة من السفن التقليدية مثل الشوعي والجاليوت بالإضافة إلى قوارب صغيرة؛ وبجانب البحيرة ورش لصنع القراقير والسفن والشباك وكل الأمور الخاصة بالبحر؛ أما البيئة الزراعية فتتمثل في العرشان والزاجرة وهي آلة سقي المزروعات من خلال الآبار والعيون؛ كما توجد بعض المصاطب وأماكن للفرق الشعبية والمقاهي الشعبية؛ وقد تم صنعها بالطريقة التقليدية بالسعف والجندل والمواد القديمة ويقام فوق هذه القرية سنوياً مهرجان سنوي تراثي بالإضافة إلى الاحتفالات السنوية للعيد الوطني؛ كما يتم تصوير بعض الأفلام التلفزيونية التي تمثل الماضي والمسلسلات القديمة.

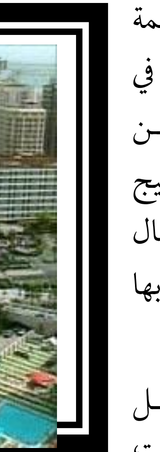


إن القرية التراثية تبرز الجوانب التراثية الخاصة بالأنشطة التي يقدمها مُتحف البحرين فهي تساهم في فعاليات العيد الوطني كما تستقبل وفودا من طلبة المدارس؛ كما أن للقرية التراثية دورا فاعلا في إبراز الجانب الحضاري والجانب الثقافي ونقل الواقع المعيش في

الماضي؛ ففي كل عام وفي شهر أبريل بالذات تقام مهرجانات خاصة بتراث البحرين القديم حيث يوجد في كل مهرجان نحو ٨٠ إلى ٩٠ حرفة قديمة يتم ممارستها في هذه القرية وهي حرف تختص بالنساء وأخرى خاصة بالرجال داخل دكاكين القرية وخارجها؛ كما أن كل مهرجان يتناول موضوعاً معيناً؛ فقد كان موضوع المهرجان الأول للتراث والثقافة الغوص على اللؤلؤ وكان ذلك عام ١٩٩٢؛ أما المهرجان الثاني فكان عن الحرف والصناعات التقليدية أما المهرجان الثالث فكان عن النخلة؛ أما الرابع فكان عن صناعة السفن التقليدية؛ والمهرجان الخامس كان عن الخيول العربية؛ لأن البحرين تشتهر بوجود أفضل الخيول العربية؛ أما المهرجان السادس فكان عن الأزياء التقليدية؛ فكل عام هناك موضوع معين يتم تداوله داخل ساحة المهرجان وتقدم فيه المحاضرات والفعاليات الخاصة بكل موضوع... وأهم المُدن: [المنامة] و[المحرق].

* * * * *

## المنامة



المنامة هي عاصمة البحرين؛ وأكبر مدنها؛ تقع في القسم الشّمالي الشّرقي من البلاد على ساحل الخليج العربي؛ وأمامها إلى الشّمال الشرقي جزيرة المحرق؛ تتّصل بها عن طريق جسر فوق البحر.

تكثر فيها أشجار النّخيل وفيها عيون مياهٍ عذبةٍ كثيرةٍ؛ وتنتشر في غرب البلاد بساتين الحمضيّات وسائر أنواع الأشجار المُثمرة؛ وميناؤها الرّئيسي هو ميناء سليمان. وتقوم عنده مصانع تعليب الأسماك ومطاحن الدّقيق ومعامل الآلات الثّقيلة وأحواض لبناء السّفن وإصلاحها. ومطار المنامة الدّولي مطار حديث يستقبل مُختلف أنواع الطّائرات. تكثر فيها المعاهد العلمية والصناعية والزراعية. وهي تُعَد مركزاً من أهم المراكز المالية في منطقة الخليج العربي. وكذلك فهي تشتهر بحقول النفط الغنية.

* * * * *

# معالم المنامة الحديثة والقديمة

في المنامة معالمٌ حديثةٌ وقديمةٌ تُشكّل حضارة عريقة جداً من حيث العُمران والازدهار؛ وهذه المعالم تتمثّل فيما يلي: -

١ - الجسر المُعلّق الذي يقعُ إلى الشّمال الغربي في المنامة وهو يربط البحرين بالمملكة العربية السّعودية ويبلغ طوله ٢٥ كيلو متراً وهو جسر المحبّة؛ آخر جسر الملك فهد.



٢ - الأسواق الشّعبية القديمة؛ وأهمّها سوق الأربعاء الزّاخر بالمُنتجات المحلّية والصّناعات الشّعبية وسوق الحدّادين وسوق التّبغ والتّنباك.

٣ - بيت القرآن أو (مُتحف الحياة) الذي يضمّ أندر النُّسخ القرآنية في العالم.

٤ - منارتا مسجد الخميس وهو من أقدم المساجد؛ وأُقيمَ في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز.

٥ - محميّة العرين حيث تتمّ رعاية الحيوانات النّادرة حفاظاً عليها من الانقراض.

٦ - قلعة البحرين الشّهيرة وهي قلعة إسلامية قديمة تعود إلى القرن السّادس عشر الميلادي.

٧ - قلعة عراد بين المحرّق وشبه جزيرة المحرّق.

٨ - (بيت سيادي) العريق وهو مُتحف فنّي ضخم.

٩ - المُتنزّهات ومن أشهرها عين عذارى حيث الحدائق النّضرة والمسابح الرائعة.

١٠ - مُتحف البحرين الوطني الذي تُعرَض فيه المُجسّمات الحرفية؛ وهو من أحدث المتاحف الوطنية في الشّرق.

١١ - جامعة الخليج وهي من أحدث الجامعات في الشّرق.

* * * * *

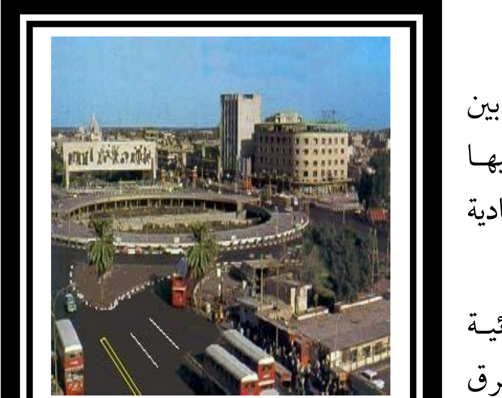
# العراق




عاصمة العراق هي بغداد؛ وتبلغ مساحتها حوالي ٤٣٧٠٧٢ كم٢؛ بطول شاطىء ٥٨ كم؛ وتتميز تضاريسها بأن أخفض نقطة هي الخليج العربي ٠م؛ وأعلى نقطة هي قمة غير مُسماة ٣٦١١م؛ ولغة العراق الرسمية هي العربية والكردية؛ ويبلغ عدد سكانها ٢٥٣٧٤٦٩١ نسمة.

عُملة العراق الدينار العراقي؛ وتُعتبر العراق عضو في جامعة الدول العربية؛ ومُنظمة أوبيك.

والعراق دولة عربيّةٌ مُستقلّةٌ في غرب آسيا؛ وعضو مُؤسّس في جامعة الدُّول العربيّة؛ يحدّها من الشّمال تركيا وإيران؛ ومن الغرب سوريا والأردن؛ ومن الجنوب المملكة العربية السّعودية والكويت؛ ومن الشّرق إيران؛ ولها منفذٌ وحيدٌ على مياه الخليج العربي؛ هو شطّ العرب الذي ينتهي عند مدينة الفاو.



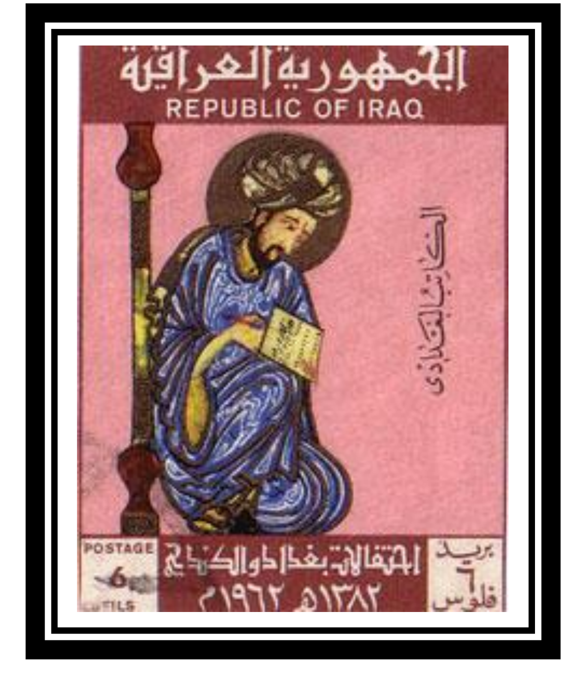
أراضي العراق عبارة عن سهول رُسوبيّةٍ بين دجلة والفرات؛ وهي مِن أغنى السّهول؛ وفيها إلى الغرب بادية الشّام؛ وإلى الجنوب الغربي بادية السّماوة؛ حيث الصّحارى والرّمال.

تكثر في جنوب العراق المُستنقعات المائية أو ما يُعرف بالأهوار. وفي الشّمال والشرق ترتفع الجبال؛ وأشهرها: جبل سنجار وارتفاعه ١٥٤٣ متراً؛ وجبل راوندوز في الشّمال الشّرقي وارتفاع قمّته ٣٤٦٠ متراً. أشهر أنهار العراق: دجلة والفرات؛ وهُما يُكوّنان؛ عند القرنة؛ ما يُعرف بشطّ العرب الذي يصبّ عند الفاو على الخليج العربي.



العراق بلدٌ قديمٌ جداً؛ كان مهد الحضارات السّومرية والأكادية والآشورية والبابلية. فُتِحَ العراق في السّنوات الأولى مِن حُكم العرب المُسلمين؛ وكان خاضعاً في معظمه لسُلطان فارس. وفي العهد العبّاسي كانت العراق بعاصمتها بغداد؛ مركز الخلافة الإسلامية وقطب العالم؛ حتّى جاء المغول ودخلوا بغداد؛ فدمّروها وقضوا على الخلافة؛ عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م. وبعد المغول؛ جاء دور العثمانيّين الذين استولوا عليه عام ١٦٥٨م.

وبعد ذلك؛ في مطلع العقد الثالث من هذا القرن؛ خضع العراق لسلطة الانتداب البريطاني؛ وما نال استقلاله إلاّ عام ١٩٣٢. وكان نظام الحُكم فيه ملكياً؛ حتّى جاء انقلاب عام ١٩٥٨ الذي قضى على المُلكية وأُعلِنَ النّظام الجمهوري. مناخ العراق شبه استوائي يميل إلى القاري؛ مُعتدل البرودة في الشّتاء وحار جداً في الصّيف. الأمطار قليلةٌ في الشتاء إلاّ في الجبال الشمالية؛ وتتناقص في اتّجاه الجنوب. وفي أقصى الجنوب؛ المُناخ مداري وصحراويّ؛ وهناك فصلان فقط خلال العام: الشّتاء والصّيف.




الزّراعة العراقية غنيةٌ بالمحاصيل؛ وتسمح المُنتجات الزّراعية العراقية بتجنّب وقوع المجاعة؛ ومن الصّعب وضع إحصاءاتٍ زراعيّةٍ دقيقةٍ لأنّ الزراعة أصبحت منطقةً واسعةً للسّوق السّوداء. أهمّ زراعاتها زراعة البلح والقمح والشّعير والبطيخ والعنب والأرز والسّمسم والقطن والتّبغ والذّرة وتمر النّخيل والذي تُعدّ فيه العراق الأولى في العالم؛ إذ تنتج ٨٠% من مجموع الإنتاج العالمي.

تُربّى الماشية في العراق كالأغنام والطّيور والأبقار والأحصنة والجمال والثّيران؛ كما يتمتّع العراق بأرضٍ غنيةٍ بالنّفط؛ وهي من الدّول الكُبرى المصدّرة للنّفط الذّي تنتشر آباره شمال البلاد وجنوبها. أهمّ مواردها: البترول والغاز الطّبيعي. ويحتل احتياطي النّفط العراقي المركز الثاني في العالم.

قبل حرب الخليج؛ كان العراق ينقل نفطه من طرقٍ ثلاثة: -

خط أنابيب يجتاز سوريا ويصل إمّا إلى طرابلس في لبنان أو إلى بانياس في سوريا؛ وخط الأنابيب المتوجّه إلى فاو - أيّ الذي يصل الخليج العربي؛ وأخيراً إلى سيلهان عبر تركيا. وأهمّ الصّناعات في العراق تتمثّل في صناعة تكرير بتروكيمياء وسماد.

وقد تعرّض العراق في عام ٢٠٠٣م لعدوانٍ قادته الولايات المتّحدة الأمريكيّة بذريعة امتلاكه أسلحة دمار شامل؛ أدّى إلى سقوط بغدادٍ في التّاسع من نيسان من العام نفسه؛ ومعها سقوط نظام حزب البعث في العراق.

اعترف الأمريكيّون وشركاؤهم البريطانيّون بخلو العراق من الأسلحة ذات التّدمير الشّامل؛ وما زال هذا البلد العربيّ العريق خاضعاً للاحتلال الذّي يواجه حركة مُقاومةٍ شعبيّةٍ عنيفةٍ بدأت مع اليوم الثّاني لسقوط بغداد؛ وما تزال مستمرة بِوَتيرةٍ مُتصاعدةٍ. وأهم مُدنها: [البصرة] [الموصل] [بغداد] [سامراء] [كربلاء] [الكوفة] [العمارة] [الحلة].

* * * * *

## بغداد



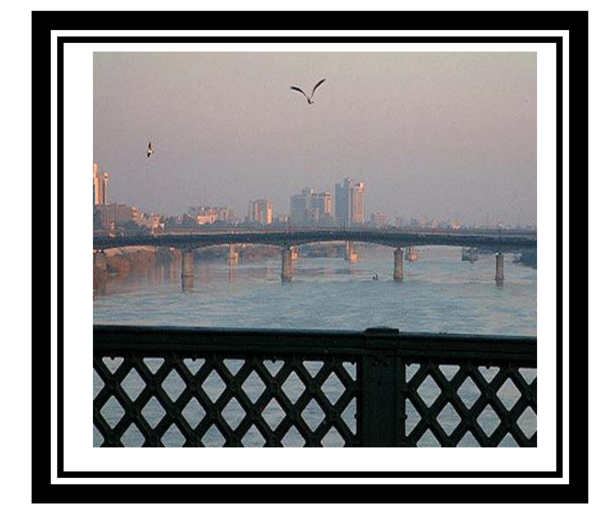
يعود تاريخ بغداد؛ عاصمة العراق؛ إلى النّصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد؛ حيث ازدهرت فيها مستوطناتٌ بشريةٌ عديدةٌ؛ منها مدينة (شادوبم) التي تُعرَف اليوم باسم (تل حرمل) والتي بيّنت الدراسات عن وجود جامعةٍ فيها. وبالقرب من شادوبم كان هناك مركزٌ حضريٌ آخر يُعرَف باسم زارلو.

وفي الجانب الغربي من دجلة

كان العديد من المراكز الحضرية الرّئيسية؛ منها مدينة دوركوريكالزو التي زخرت أبنيتها بقصورٍ مُزيّنةٍ وبرج مدرج ومعابد ودور سكن وشوارع.

وتوصّلت التنقيبات إلى أنّ زمن تأسيس المدينة يعود إلى عهد الملك كوريكالزو (القرن الخامس عشر ق. م) كما اكتُشِفَ في بغداد عددٌ من الآثار التي تمثّل مراكز حضارية من العصرين الآشوري والبابلي.

أمّا تأسيسها الجديد فيعود إلى الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور؛ الذي أسّس أولاً مدينة المستديرة؛ وكانت خالية من كل المنشآت الترفيهية. ولمّا قرّر الخليفة المنصور بناء العاصمة الجديدة واختار لها الموقع الصالح؛ أمر بتخطيطها على الأرض بمادةٍ قابلةٍ للاشتعال؛ فأشعل فيها النّار ليلاً؛ فظهر له شكل مدينته؛ فاختار لها المُهندسين الذّين أشرفوا على بنائها. هكذا شُيِّدت المدينة التي دعاها المنصور (دار السّلام)؛ وأحيطت بخندق وأسوار تحميها من الأخطار.



شهدت بغداد خلال سنواتٍ قليلةٍ تطوراً حضارياً واسعاً؛ ممّا دفع بالخليفة المنصور إلى تشييد مدينةٍ في الجانب الشّرقي من نهر دجلة سمّاها الرّصافة. ومنذ ذلك الحين صارت بغداد رائدة في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثّقافية والعلمية.

وقد بلغت أوجها في عهد الخليفة هارون الرّشيد حيث بلغ فيها العمران ذروته؛ فأُقيمَت الجوامع والمساجد؛ ودور العُلماء والقصور الفخمة الفارهة.

وبعد أن نقل الخليفة المُعتصم بالله العاصمة إلى سامراء عَرَفت بغداد فترة انحطاطٍ؛ لكنّ سرعان ما عادت لتكون هي العاصمة من جديدٍ.

في عهد الخليفة المُعتمد تركّز التّوسع الحضاري في الجانب الشرقي؛ أي في الرّصافة التي أحاطها الخليفة المُستظهر بسورٍ ضخمٍ؛ وتمّ ربط دفتيّ دجلة بثلاثة جسورٍ أساسيةٍ؛ واستُعمِلَت الزّوارق والقوارب في دجلة كوسائط للنقل بين الرصافة والكرخ. وبذلك صارت بغداد بمنشآتها ومرافقها تضمّ أكبر تجمّعٍ سكاني باعتبارها عاصمةً من عواصم العالم الإسلامي.

أخذ النّهوض الحضاري المتميّز الذي شهدته بغداد يتآكل بعد استحواذ جماعاتٍ غير عربيةٍ على السّلطة؛ مُمهّدةً بذلك للغزو المغولي؛ فبدأ بريق الحضارة يخبو حتى صارت مركزاً لولايةٍ في أطراف الدولة العثمانية بعد أن كانت عاصمة العالم. وقد ظلّت محصورةً داخل أسوارها القديمة طيلة عدّة قرونٍ من القهر والاستعباد الأجنبي.

في القرن التّاسع عشر شهدت بغداد بوادر نهوض الصّراع السّياسي بين أحزاب الدّولة العثمانية الذي أدّى إلى استحداث بعض الإصلاح في بغداد؛ كذلك فإنّ فتح قناة السويس قد أدّى إلى تفكّك اقتصاد المقايضة في العراق وربطه بالاقتصاد العالمي. وبعد هزيمة العُثمانيين في الحرب العالمية الأولى وسقوط العراق تحت النّفوذ البريطاني؛ عادت لتصبح عاصمةً لدولة العراق الحديث.

كان أوّل تطويرٍ عُمراني خارج المدينة القديمة استيطان القوات البريطانية المُحتلّة في منطقتي الهنيدي والوشاش؛ ثمّ أعقبه التوسع العمراني في منطقة حزام دجلة. وكان صدور نظام الطّرق والأبنية عام ١٩٣٥م مؤشّراً على اهتمام السّلطات على التّوسع العمراني. وكانت أوّل خطةٍ عمرانيةٍ لبغداد في عام ١٩٣٩م؛ أعدّها فريقٌ ألمانيٌ تمّ بموجبها توسيع خدمات الماء والكهرباء وفتح شارع الكفاح وشارع الشّيخ عُمر في الرّصافة. وفي أوائل الخمسينيّات بات الامتداد الشّريطي في حزام نهر دجلة يُغطّي المنطقة الممتدّة من مدينة الكاظمية في الشمال حتّى معسكر الرّشيد في الجنوب. وقد ساعد إنجاز سدّ الثرثار وانحسار خطر الفيضان إلى حدٍ كبيرٍ في هذا التّوجه.

كان لفتح الطُّرق السّريعة في جانبي الكرخ والرصافة الأثر الكبير في التحضر العمودي على النهر؛ وركنت بغداد إلى إعداد تصميمٍ أساسي تمّ تحديثه في التّصميم الإنمائي الشامل لعام ١٩٧٣ الذي شرّع بقرار مجلس قيادة الثّورة.

وأولى تنفيذ هذا التّصميم أهميةٌ بالغة المتنزهات والمناطق الترويحية والمساحات الخضراء والعديد من الملاعب الرياضية والمسابح ومراكز التّرفيه والتسلية؛ وفي مقدّمتها (جزيرة بغداد) السياحية التي تشملُ كازينوهات ومطاعم ومسابح ومرافق رياضية ومسرحاً مفتوحاً وبرج الماء المُشيّد بارتفاع ٦٥ متراً. ومع هذا فقد فَقَدَت بغداد البعض من منشآتها خلال حرب الخليج الأولى؛ ثم ما حصل بعده من القصف المُتتابع للمدينة من طرف أميركا وحلفائها أثناء حرب الخليج الثانية. وما زالت المدينة تعيش تحت بؤرة التوتر والاحتلال.

* * * * *

# المُوصل

الموصل هي ثالث أكبر المدن العراقية وتقع في شمال العراق على نهر دجلة. وهي مركز محافظة نينوى وإحدى أهمّ المدن العراقية التي تلعب دوراً مميّزاً في قطاعيّ التجارة والصّناعة.



وأهمّ صناعاتها صناعة المُوسلين، نُوع من الثياب المصنوعة من خيوط الحرير؛ وكلمة (موسلين) مُشتقّةٌ من كلمة (موصل)، وإنتاج السُّكر وصناعة الكبريت.

وتشتهر الموصل بحقول النّفط الأهم في العراق؛ وفيها مصافي عين زالة المشهورة. وبالقرب منها توجد آثار نينوى المدينة التّاريخية القديمة. وفيها مطار مدنيّ؛ وتنشط فيها حركة التّجارة كونها على الخط الحديديّ العريض الذي يصل بغداد بالمُدُن السّورية الشّمالية كالقامشلي ودير الزور وحلب. وهي تتّصف بصحة هوائها وعذوبة مائها؛ وعلى العموم؛ فهي حارّة صيفاً وباردة شتاءً.

الموصل مدينةٌ قديمةٌ اعتُبِرَت ذات يومٍ باب العراق ومفتاح خُراسان؛ ومنها كان يُقصد إلى أذربيجان؛ وقديماً قالوا: -

- بلاد الدّنيا العظام ثلاثة: نيسابور باب الشّرق؛ ودمشق باب الغرب؛ والمُوصل لأنّ القاصد إلى الجهتين قلّما لا يمرّ بها؛ حتّى أنّها سُمّيَت بالموصل لأنّها وصلت بين الجزيرة

والعراق؛ وقيل أيضاً لأنّها تصل بين دجلة والفرات؛ وقيل لأنّ الملك الذي بناها اسمه الموصل؛ وهو راون بن بيوارسف؛ وأوّل من ساوى طرقات الموصل في العهد العربي الإسلامي وبنى عليها سوراً كان مروان بن محمّد بن مروان بن الحكم؛ الْمُلقّب بالحمار؛ وهو آخر خُلفاء بني أميّة.

وكان هذا السّور فيما بعد يشتمل على جامعين اثنين: أحدهُما بناه نور الدين محمود في وسط السوق؛ وهو طريق الذّاهب والآتي؛ والآخر نشز من الأرض في صقعٍ من أصقاعها قديم؛ وهو الذي بناهُ من قِبَل مروان بن محمّد؛ ومن مشاهير الموصل في القديم السرّي بن أحمد الرّفاء؛ وهو شاعرٌ ذَكَرَ المُوصل كثيراً في أشعاره. ومن أهل الموصل الذين عُرِفُوا بالعلم والفضل: عبد العزيز بن حيان بن جابر بن حريث أبو القاسم الأزدي المَوصلي المُتوَفّي عام٢٦١ هـ.

ومن أبرز معالم الموصل اليوم مئذنة الجامع النّوري المائلة؛ وتُعرَف باسم الحدباء؛ وهي من أشهر معالم المدنية؛ ومن أقدم المآذن في العالم الإسلامي؛ وسور نينوى القديم وقد أُعيد بناؤه من جديدٍ وهو من بقايا مدينة نينوى الآشورية؛ وباب السّراي؛ السّرج خانة؛ ودار التوتنجي التي أعيد ترميمها من جديدٍ وهي من أقدم الدُّور الموصليّة؛ وقباب جامع النبي يوسف المخروطية الشّكل؛ والملاك المجنّح حكيم آشور وطبيبها الذي يعود تاريخه إلى آلاف السّنين ومعبد آلهة الشمس حيث الأعمدة والتّماثيل الآشورية؛ وآثار النّمرود؛ وجنوب غرب الموصل كانت عاصمة الإمبراطورية الآشورية الثّانية.

* * * * *

## سامُراء



سامراء من المدن العراقية القديمة والمُقدّسة؛ وكانت يوماً عاصمةً للدّولة العباسية لمدّة ستين عاماً؛ وتقع المدينة على الضّفة الشّرقية لنهر دجلة وتبعد نحو ١١٨ كم إلى الشّمال من العاصمة بغداد. ويحدّها من الشمال تكريت؛ ومن الجنوب بغداد؛ ومن الغرب الرّمادي؛ ومن الشّمال الغربي الموصل؛ ومن الجنوب الشّرقي ديالى.

بُنيَت مدينة سامراء لتكون عاصمة الإمبراطورية العبّاسية. وكان المكان الذي شُيِّدَت عليه المدينة مستوطناً منذ أقدم العصور؛ وكان لسكّانه نصيب من الحضارة؛ تمتّد إلى عصورٍ سحيقةٍ. ولّما انتقل المُعتصم العبّاسي من بغداد إلى سامراء؛ راح يفتّش عن موضعٍ لبناء عاصمته الجديدة. فلمّا كان يتحرّى المواضع؛ وصل إلى موضعٍ يبعد عن بغداد ١١٨ كم؛ فوجد فيه ديراً للمسيحيّين؛ فأقام فيه ثلاثة أيّامٍ ليتأكّد له مُلاءمة المحل؛ فاستحسنه واستطاب هواءه؛ واشترى أرض الدير بأربعة آلاف دينار. وأخذ في عام ٢٢١ هـ بتخطيط مدينته التي سُمّيت (سُرّ مَن رأى)؛ وعندما تمّ بناؤها انتقل مع قادته وعسكره إليها. ولم يمض إلاّ زمنٌ قليلٌ حتّى قصدها الناس وشيّدوا فيها مباني شاهقة وسُمّيت بـ(العسكر)؛ واشتهرت بسامراء؛ وهي كلمة مُشتقة من (سُر مَن رأى) يوم كانت المدينة عامرة وُمزدهرة؛ ثم أصبحت (ساء من رأى) لّما تهدّمت وتقوّضت عمارتها. كان يُحيط بالمدينة سور مُضلّع على شكلٍ يميل إلى الاستدارة؛ يبلغ طول محيطه ٢كم؛ ولايتجاوز قطره ٦٨٠م؛ مبني بالجصّ والآجر ويصل ارتفاعه إلى ٧ م؛ وكان له ١٩ بُرجاً؛ وأربعة أبوابٍ هي: باب القاطول؛ وباب الناصرية؛ وباب الملطوش؛ وباب بغداد. وظلّ هذا السور ماثلاً للعيان حتى عام ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٦م.

وأكثر بيوت المدينة مبنيّة بالآجر؛ وتنتشر في أرجائها الحدائق العامة والخاصّة. وفُتِحَ فيها مُتحف وُضِعَت فيه المخطوطات والمصوّرات المهمّة عن آثارها؛ وفي مدخل المدينة يقع مشروع الثّرثار الذي يقي بغداد من الغرق؛ وتنتشر المحلاّت في سامراء في محلّة العابد؛ محلة البوجول؛ محلة البوبدري؛ محلة البونيسان؛ المحلة الغربية؛ محلة القاطول؛ محلة القلعة؛ المحلة الشّرقية.

أمّا شوارعها فأهمها: شارع الخليج؛ وشارع السّريحة (يُعرَف بشارع الأعظم). وشارع الحير الأوّل؛ وشارع أبي أحمد بن الرشيد؛ وشارع برغمش التّركي. ومِن أهمّ جوامع المدينة جامع سامراء الكبير الذي شيّده المُعتصم عند بداية بناء المدينة عام ٢٢١ هـ؛ وجامع القلعة؛ ومسجد حسن باشا؛ ومسجد حميد الحسون؛ ومسجد سيد درويش؛ ومسجد البورحمان؛ ومسجد علي بن أبي طالب؛ ومسجد الحاج صالح الرّحماني؛ ومسجد الأرقم؛ ومسجد أولاد الحسن؛ وجامع الفاروق. كما ويُعتَبر جامع أبي دلف وملويته والذي يبعد نحو ١٥ كم عن شمال المدينة من الآثار العبّاسية المُهمّة في المدينة.

من معالمها الأثرية: المئذنة الملوية؛ والنافورة؛ وقصر بلكوارا (شيّده المُعتزّ عام ٢٤٧ هـ)؛

وقصرالعاشق والمعشوق (شيده المُعتمد العبّاسي عام ٢٦٤ هـ)؛ قصر المُعتصم (الجوسق الخاقاني)؛ وقصر المُختار؛ والقصر الوزيري؛ وقصر العروس؛ والقصر الجعفري؛ ومدينة المتوكّلية (على بُعد ١٠ كم شمال مدينة سامراء)؛ وقصر الجص؛ وبركة السّباع؛ والقبة الصّليبية؛ ودار العامة؛ وتلّ الصّوان؛ وسور سامراء.

* * * * *

## الكُوفة



مدينة عراقية. سُمّيت الكوفة لاستدارتها أو لاجتماع النّاس بها؛ وقيل سُمّيَت (كوفة) لموضعها من الأرض؛ وذلك لأنّ كل رملةٍ يخالطها حصى تُسمّى كوفة؛ وقيل غير ذلك.

قال ابن حوقل: مدينة الكوفة قريبةٌ من مدينة البصرة في الكبر؛ وهواؤها أصحّ؛ وماؤها أعذب؛ وهي على الفُرات. وبناؤها كبناء البصرة.

وقال القزويني: هي التي مَصَرَها الإسلاميّون بعد البصرة بسنتين يأتيها الماء بعذوبةٍ وبرودةٍ؛ وأمّا البصرة فيأتيها الماء بعد تغيّره وفساده.

يُنسَب إلى الكوفة الإمام أبو حنيفة؛ وسُفيان الثوري؛ وأبو أميّة شريح القاضي؛ وأبو عبد اللّه سعيد بن جُبير؛ وأبو الطّيب المُتنبي أمير الشُعراء. وفيها جامعٌ معروفٌ بمشهد علي وولده الحسين عليهما السّلام؛ وإليه يحج الشّيعة.

* * * * *

# قطـر

بسرعة فائقة تركض قطر نحو الغد؛ ساعية إلى انتهاز فرصة تاريخية؛ منحها مخزون هائل من ثروة الطبيعة؛ واستثمارها في تنمية العباد والبلاد؛ قفزات هائلة بدأتها تلك الدولة الخليجية؛ في الصحة والتعليم والإعلام والرياضة؛ ترافقت مع اعتناء ودود بتراث زاخر عطرته رائحة البحر وحكاياته الجميلة.




عند مُنتصف الساحل الغربي يبدو أن ذلك الطابع لم يتوقف عند حدود الجغرافيا؛ ولم ينقطع على مر التاريخ. ولعله يُفسر الطموح الآني؛ والمُستقبل الكبير لهذه الدولة العريقة.

قطر دولةٌ عربيّةٌ مستقلّةٌ وعضوٌ في الجامعة العربية أوبيك؛ ومجلس التعاون الخليجي؛ وتقعُ في شبه جزيرة العرب على الخليج العربي؛ وهي عبارة عن شبه جزيرةٍ تُحيطُ بها مياه الخليج من جميع الجهات إلاّ من جهة الجنوب والجنوب الغربي؛ حيث دولة الإمارات العربية المتّحدة والمملكة العربية السّعودية. وعلى طول شواطئ شبه الجزيرة القطريّة تنتشرُ مجموعةٌ من الجُزُر الصّغيرة؛ أشهرها: الدّرافيل؛ أم حبيش؛ جُزُر حوار في غرب البلاد؛ الجزيرة العالية وجزيرة السّافلية في الشّرق.

العاصمة الدّوحة؛ وأهمّ مُدُنها: مسيعيد؛ والكرعانة؛ وعين خمّار؛ والسّامريّة؛ والغرافة؛ والرّيان؛ وأم باب؛ والوكرة؛ وعدد سُكّانها حوالي ٥٢٠ ألف نسمةٍ؛ وتتميز تضاريسها بأن أخفض نُقطة هي الخليج العربي ٠م؛ وأعلى نُقطة هي مُرتفعات دوخان ١٠٣م؛ ولغتها الرّسمية هي العربية؛ وعملتها الرّيال القَطَري.

أراضي قطر عبارة عن سهول رمليّةٍ تتخلّلها بعض الواحات الخصبة والجبال الصّغيرة الصّخرية التّي لا يزيد ارتفاع أعلاها عن ٧٥ متراً؛ ومُناخها حارٌ رطبٌ؛ وأمطارها قليلة؛ وليس فيها أنهار تُذكَر؛ بل هي مجرّد أوديةٍ تجري فيها السّيول إثر هطول الأمطار الغزيرة وسرعان ما تنضب.



في قطر زراعة محدودةٌ أهمّها: الخُضر؛ والفاكهة؛ والبلح؛ والحبوب؛ وتُربّى بها الماشية (الأغنام والماعز)؛ وفيها مصايد للأسماك؛ واللّؤلؤ.

عُرِفَت قطر مُنذ القِدَم؛ وكانت على طريق تجارة القوافل؛ بين الشّرق والغرب.

حكمها البُرتغاليّون في القرن السّادس عشر للميلاد؛ وأقاموا فيها حصوناً وقلاعاً؛ وفي عام ١٧٧٦م سيطر عليها البريطانيّون. وفي عام ١٨٦٨م حكمتها أسرةٌ عربيّة هي أسرة آل ثان؛ وما زالت هي الحاكمة حتّى اليوم. وفي عام ١٩٧١م أُنجِزَ استقلال قطر تماماً وانضمّت إلى جامعة الدّول العربية. وأثمن ما في قطر ثروتها النّفطية؛ وفيها مناجم للبترول والغاز الطّبيعي.

يقوم الاقتصاد القطري على النّفط والغاز الطّبيعي الذي تملك ثالث أكبر احتياط منه في العالم؛ وأوّل احتياطٍ في العالم للشّخص الواحد. ويُوفّر النّفط اليوم للقطريّين مستوى معيشياً مرتفعاً جداً؛ وما تزال أمام قطر سنين طويلة من الازدهار والغِنى. وسوف يصبح الغاز؛ في المستقبل؛ المورد الرّئيسي للبلاد؛ بوجود حقل الشّمال الضّخم؛ وقامت مشاريع ضخمةٌ في العام ١٩٩٤م تناولت إنتاج الغاز الطّبيعي؛ أبرزها مشروع ( قَطَر غاز ) الذّي يهدف إلى تسييل ٩ مليارات متراً مُكعّباً في العام للحصول على ٦ ملايين طن غاز طبيعي مُسيّل. وتعمل قطر على مشروعٍ آخرٍ يهدف إلى إيصاله إلى باكستان عبر خطٍ للأنابيب.

* * * * *

# مُتحف قطر الوطني

ومُتحف قطر الوطني يمثل أحد المعالم الثقافية البارزة؛ وقد بدأت فكرة إنشائه عام ١٩٧٢؛ وقد استقر رأي الأكثرية أن يكون مبنى المُتحف الوطني مجمعاً صغيراً كان يقطنه أحد أمراء قطر.

ثم وضع القائمون على المُتحف مخططات لإقامة مبنى جديد هو مبنى مُتحف الدولة في ذات الموقع على أن يكون تصميمه مسايراً لطراز ونمط المباني القديمة دون أن يكون منافساً لها.

ولما كانت قطر فخورة بتقاليدها باعتبارها مكاناً يلتقي فيه تياران تاريخيان على غاية من الأهمية وهما الصحراء والبحر؛ فقد اقترح إنشاء بحيرة صناعية فيها نماذج من سفن الخليج التقليدية؛ كما اقترح بناء مُتحف بحري ومعرض للأحياء المائية؛ وعلى ذلك فإن مُتحف قطر الوطني الذي افتتح في يونيو عام ١٩٧٥ يتألف من أربعة أقسام رئيسية هي مبنى القصر القديم؛ ومُتحف الدولة ثم البحيرة والمُتحف البحري ومعرض الأحياء المائية.

ويعد مُتحف قطر الوطني من أكبر المؤسسات الثقافية في الشرق الأوسط تقدما وأرفعها شأنا في منطقة الخليج؛ وقد اكتسب منذ افتتاحه شهرة عالمية وعربية كمشروع تراثي وحضاري كبير.

وقد أخذت مرافق المُتحف بالتوسع منذ ذلك الحين؛ وأصبحت منشآت المُتحف وأقسامه تغطي مساحة خمسين ألف متر مربع؛ حيث يضم المُتحف خمسة أقسام رئيسية؛ القسم القديم وهو مجموعة من المباني القطرية التقليدية الطراز ويعرض بها حاليا مواد من صميم البيئة العربية القطرية قبل عصر البترول؛ والقسم الثاني وهو مبنى مُتحف الدولة وهو مبنى حديث خصص لعرض الإثنوجرافيا والتاريخ الطبيعي والعلوم والفنون الإسلامية والتاريخ الحديث والبترول وما يتعلق بالحياة العربية في الحاضرة والبادية؛ وكذلك الأسلحة وأدوات الغزل والنسج ثم الجمل والحصان والصيد والعادات والتقاليد؛ أما القسم الثالث فهو القسم البحري أو معرض الأحياء المائية؛ وقد خصص لعرض عينات من الأسماك والأحياء المائية الموجودة في مياه الخليج العربي إلى جانب المعروضات عن حياة البحر والصيد والغوص وتجارة اللؤلؤ؛ والقسم الرابع هو البحيرة الصناعية وتضم مجموعة من السفن التقليدية المعروفة في منطقة الخليج العربي مثل سفينة الشوعي؛ وسفينة السنبوك؛ وسفينة البوم.

أما الحديقة النباتية فهي خامس أقسام الُمتحف؛ وهي مخصصة لاستزراع أنواع النباتات الصحراوية في مختلف مناطق العالم مما سوف يجعلها مستقبلاً مختبراً طبيعياً لدراسة تلك النباتات بأنواعها. ومن الأمور التي أعطت أهمية خاصة تجميع مواد من المجتمع القطري بشطريه البدوي والحضري تعكس تقاليد ومهارات وصناعات هذا الشعب؛ وقد قامت وزارة الإعلام بتوجيه نداء إلى الشعب تحث أفراده فيه على إحضار مواد يشعرون أنها قد تهم الُمتحف إلى مركز تجميع رئيسي في الدوحة؛ وكان نتيجة ذلك أن ازدادت مجموعات محتويات الُمتحف عدداً وقيمة.

الُمتحف مؤلف من خمسة أقسام هي: القصر القديم؛ والقصر الحديث؛ والُمتحف المائي؛ وحديقة الُمتحفح والبُحيرة.

ويُشاهد الداخل دون عناء الُمنخفض المائي الطبيعي (البحيرة)؛ وقد أعيدت إليها الحياة بعد أن جددت وأصلحت وملئت بالماء من الخليج؛ وفيها تعرض نماذج من السفن وقوارب الصيد التي كانت مستخدمة في مياه الخليج؛ وهي نماذج أصلية وكذلك تحتوي على أنواع من الأحياء المائية الكبيرة؛ وأما الحديقة فإنها تتوسط مباني القصر؛ وفيها من مختلف أنواع النباتات المعروفة في قطر.

ومُقابل القصر القديم شُيد مبنى عُرف بالقصر الحديث ورُوعي في بنائه انسجامه مع القصر القديم إذ بُني في مستوى مُنخفض عن أسوار القصر القديم كي لا يُؤثر على المنظر العام للقصر؛ والعُمر والمنشأ؛ وفي الُمتحف أيضاً مصورات جغرافية (خرائط) منها الخريطة الشاملة لدولة قطر والمصورة بوضوح بواسطة الأقمار الصناعية؛ ويقول البعض: إن طائرات (الأواكس) التي ساهمت في حرب تحرير الكويت ١٩٩١م لم تكن مجرد مراقبة لحركات القوات العراقية وإنما كانت لها أهداف أخرى كدراسة تربة الجزيرة العربية؛ وفي الُمتحف خرائط ترصد جغرافية المنطقة منذ ملايين السنين.

ويحس الزائر الذي يتجول في مُتحف قطر وكأنه يحلق راحلاً نحو أعماق الماضي حيث الفئوس اليدوية والرقائق الحجرية والمديّ وما شابه ذلك من أدوات تعود إلى العصر الحجري؛ ومن بين هذه الأدوات (الوسم) وهو بمنزلة ختم كانت تطبع بها جلود البهائم؛ ولكل قبيلة ختمها الخاص الذي تطبع به أنعامها لكيلا تختلط بأنعام الآخرين.

وتتوزع بين أجنحة الُمتحف أجهزة التلفزيون التي تبث برامج عن القهوة العربية وكيفية إعدادها؛ وعن صناعة السدو وبناء بيت الشعر وبرنامج عن الصقور وتربيتها؛ في

قسم الفنون والحرف الإسلامية قسم خاص بنسج السدو وهناك مجسم أيضاً عن بيت الشعر وبنائه ومحتوياته من أدوات الضيافة؛ وأواني صنع اللبن والزبد ولعل أبرز هذه الأشياء (الشكوى) أداة الحصول على الزبد ومن ثم السمن.

وأمام البيت الهودج وهو يوضع على ظهر الجمل لتجلس عليه سيدات المجتمع أثناء السفر قديماً؛ ومن ينسى غزليات عمر بن أبي ربيعة بحبيبته التي كانت على هودجها مسافرة بين حراسها هو يراقبها بحرقة قلب.

ومُتحف قطر الوطني يحتوي على صور جميلة للصقور وإلى جانبها أمتعتها وبعض اللوحات التي تعرف بتربيتها والعناية بها؛ فالصياد يقدم للطير وجبة واحدة يومياً تسمى (العشاء) متى ما كان تقديمها؛ ولكن غالباً ما يقدمها له بعد العصر وقبيل الغروب أي بعد فترة التدريب وذلك لكيلا يصاب الطير بالخمول بعد تناول طعامه ولأن الجو يكون مائلاً للاعتدال؛ ومن الأمتعة الخاصة بالصقر البرقع الذي تغطي به عيونه لكي تقل حركته فلا يصاب بأذى فيما لو تحرك في النطاق الضيق الذي هو محبوس فيه.

والرحلة البرية التي أثارتها في مخيلاتها مقتنيات مُتحف قطر تقتضي التوقف في جناح جيولوجي جمع صخوراً وأحجاراً لا تقتصر على ما في قطر أو الدول التي تجاورها؛ بل جمع أشكالاً مُختلفة صفها تحت عنوان (من كُل قطر حجر)؛ وكانت بعض هذه الحجارة شبيهة بالكائنات الحية من حيوانات وزهور؛ حتى أن بعضها عُرف بزهور الصحراء؛ ومع هذه الصخور التي تحكي مجريات حقبات غائرة في أعماق القدم وضعت الأحجار الكريمة وهي أيضاً متعددة الأشكال والأنواع والمصادر فهناك الكهرمان والعقيق؛ ومجموعة أحجار كريمة أهدتها رئيسة وزراء باكستان إلى المُتحف بعد أن زارته؛ وفي المُتحف أيضاً صخور متنوعة منها البلورية والرسوبية والنارية والمتحولة.

وضم المُتحف من التاريخ المُعاصر أول جهاز للتنقيب عن النفط في دولة قطر؛ فقد اكتشف البترول في قطر بمُنتصف الثلاثينيات وبالتحديد في عام ١٩٣٩م؛ ونشبت الحرب العالمية الثانية فأهمل حتى وضعت الحرب أوزارها لتصدر قطر أول شحنة نفط في ١٩٤٩م.

ومما يذكره المُؤرخ اليوناني هيرودوت: أن أول من سكن قطر هم القبائل الكنعانية الذين اشتهروا بفنون الملاحة وأما من العرب فقد سكنتها قبائل العرب البائدة من طسم وجديس النازحة من اليمامة جنوب شرق نجد؛ كما استوطنتها العرب العاربة؛ من قحطانية؛ وعدنانية كبني تميم؛ وعبد قيس.

ومُتحف قطر الوطني لا تنبع أهميته من قيمة مقتنياته فحسب وإنما من قيمته المعمارية أيضاً ففيه القصر القديم الذي استخدمت في تشييده المواد التقليدية المتاحة من حجر ورمل وحصى؛ وطلي بالجص الأبيض وصُمم بحيث يتكيف مع المناخ والمتطلبات اليومية للحياة الاجتماعية؛ وطبقاً لهذا الأسلوب كان القطريون يقيمون منازلهم. وقد زينت جدران غرف هذا القصر بلوحات منقوشة بدقة وتجاور هذه اللوحات طاقات أو أبراج هوائية حرصاً على التهوية الطبيعية حيث لا مكيفات ولا سواها من مصادر التكييف الطبيعي.

وقد شيد هذا القصر كمسكن ودار لحُكم الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثان عام ١٩٠١م؛ وسكنه في مُنتصف الثلاثينيات؛ ومن ثم تركه لينتقل إلى الريان؛ وبقى القصر على حاله حتى عام ١٩٧٢م حيث أولته الحكومة شيئاً من العناية فأعادت تحديثه ليكون مُتحفاً تُراثياً.

ويكاد هذا القصر يحكي مسيرة العصر الحديث في قطر؛ وفي مسكن مؤسسة الشيخ عبد الله بن جاسم كانت الأمتعة كالصناديق الخاصة بالنقود المعدنية و(الصندوق المبيت) وهو خشبي مزخرف وبمنزلة خزانة ملابس؛ وفي المسكن كرسي متحرك؛ قالوا: إنه هدية من الملك سعود رحمه الله إذ أنه عندما زار قطر أراد أن يُسلم على صاحبه الشيخ عبد الله ابن جاسم ولكن هذا الأخير كان مُقعداً لكبر سنه فأهداه الملك سعود الكُرسي المُتحرك وكان هدية مُميزة في ذلك الزمن.

وإذا كانت العبرة ليست بالشيء بل بما يختبئ وراءه من قصص وأحداث مُهمة تركت صداها حتى وقتنا الحاضر؛ كان لابد من الوقوف أمام بعض المُقتنيات بتمهل؛ فعلى جُدران غُرف مساكن القصر القديم تُوجد صوراً لكُلاً من الشيخ عبد الله بن جاسم وابنيه الشيخ حمد والشيخ علي؛ وقد حكم هذا الأخير قطر لأكثر من عشر سنوات؛ وفي عهد هذا الرجل بدأ استثمار البترول؛ ومن بصماته التي تركها في حياة القطريين ذلك المرسوم الذي أصدره آمراً بمجانية التعليم والكهرباء والماء والعلاج ولا يزال ذلك المرسوم سارياً حتى اليوم.

وبين غُرف القصر المهمة غرفة المجلس وقد بدا على كراسيها وخزنها ومحتوياتها الفخامة وقد أثثت في عهد علي بن عبد الله بن جاسم.

ومن الجميل في هذا القصر القديم غرفة (الخلة)؛ فهي غرفة العروس؛ وجدران هذه

الغرفة مغطاة باللون الأخضر؛ وعليها علقت اللوحات التشكيلية الجميلة؛ وأيضاً صفت المرايا المتلاصقة على نسق واحد؛ وسمعنا أن للزواج في قطر عاداته المميزة فبدل أن تزف العروس إلى بيت العريس يحصل العكس؛ ويزف العريس إلى بيت أهل عروسه؛ وهناك يقيم سبعة أيام؛ ولهم من هذه العادة غاية وهي أن تأنس الفتاة لعريسها.

وفي ثالث الأيام تُقام ليلة البنات حيث تأتي رفيقات العروس بهداياهن ويلتففن حولها في حفل عشاء ومُسامرة؛ وفي سابع الأيام تُقام حفلة عشاء لها في منزل أهل زوجها؛ وتكون هذه الدعوة أبدية لا تعرف إلى بيت أهلها سبيلاً إلا في الزيارات؛ وخُصصت إحدى غرف القصر لأدوية التطبب بالأعشاب وزينت جدرانها بصور عن الحجامة والعلاج بها؛ كما شملت الغرفة بين محتوياتها أدوات الكي؛ وفي هذه الغرفة (قطيع) أي زاوية مقطوعة عن الغرفة بمنزلة مغسلة أو مكان للاستحمام.

وللحلي نصيبها في المُتحف أيضاً؛ فإحدى قاعاته خُصصت للحُلي والمجوهرات؛ فقد جُمعت الأنواع التي تتحلى المرأة الخليجية بشكل عام والقطرية بشكل خاص؛ ومن هذه الحُلي: المرية والقلادة والحلق وطاسة السعد والنكلس والمرتعشة والعميلة وهذه الأخيرة هي خيوط ذهبية أو سلاسل تُزين العباءة.

وبين خزائن الحلي جمعت أيضاً أدوات صياغة الذهب؛ وتناسقت الأوسمة أيضاً في خزائن علقت على جدار إحدى القاعات لتحكي مكانة قطر وحكامها عند زعماء العالم وزياراتهم الودية للدول العربية الشقيقة والأجنبية الصديقة؛ وهذه الأوسمة والنياشين مهداة إلى حكام قطر من قادة تلك الدول.

ويحتوي القصر القديم أيضاً على قاعة الكتّاب وأدواتها التي تستخدم قديماً مثل الكتابة على الجلود والنقش على الحجارة وإلى جانبها الأقلام القديمة والحبر؛ وهذه القاعة تؤدي دور المدرسة قديما؛ ومن إحدى القاعات تطل الدلال بأشكالها وأحجامها؛ فالقهوة هي الضيافة الأساسية؛ وإلى جانب الدلال أواني وأدوات إعداد القهوة العربية كالمهابيج والمواقد وأواني التحميص.

ويحتوي المُتحف على مقتنيات تخص عالم البحر؛ والبحر دوره أساسي في حياة القطريين وما في المُتحف من السلاح؛ وذلك عن قصد لأن لكل من هذين المجالين مُتحفاً خاصاً به؛ فالقسم الثالث من مُتحف قطر الوطني هو القسم البحري أو ما يُعرف بالمُتحف المائي؛ وهو مؤلف من طابقين؛ العلوي فيه أسماك كبيرة محنطة مع بعض

السلاحف والحيوانات الصدفية؛ وبجوار هذه الحيوانات المائية قسم للتعريف ببناء المراكب أو صناعة السفن قديماً؛ وهي من الصناعات التي نشطت في دول الخليج.

والطريف أن صُنّاعها لم يستخدموا المسامير فيها وإنما كانوا يشدون ألواحها ويشبكونها ببعضها البعض بربطها بخيوط ألياف النخيل؛ أو جوز الهند؛ ومن المراكب المعروفة في عصر ما قبل النفط السنبوك؛ والبتيل؛ والشوعي؛ والجلبوت؛ والبقارة.

ولمهنة الغوص وصيد اللؤلؤ التي سادت قطر وجاراتها أهمية خاصة في المُتحف المائى؛ فقد خصص قسم للتعريف بكيفية تصنيف اللآلئ وفق أحجامها وأنواعها وأوزانها وما يحتاج إليه الغواصون من أدوات كالمغارف والسكاكين التي تفتح بها المحارات وأكياس الغواصين والأثقال التي تشد الغواص إلى جوف البحر.

وفي الطابق السفلي حيث الأحواض أو الخزانات المائية المضاءة والتي تعيش فيها الحيوانات المائية كأسماك السولي والشعري والهامور والحياسة والسوس والبياح والصافي والشنينوه؛ وعلى حيوانات أخرى مثل قنفد البحر ونجمة البحر وخيار البحر والربيان والقشريات وأم الربيان وسرطان البحر ولخمة البحر؛ وقد خصصت بعض الخزانات لنوع معين خاصة إذا كان هذا النوع مؤذيا لغيره.

ويضم هذا المُتحف ستة عشر خزاناً أو حوضاً مائياً واجهتها المطلة على ممرات الزوّار وهي زجاجية وأحجامها مختلفة تتراوح بين ٥٠٠ و٥٠٠٠ جالون تقريباً وتضخ المياه إليها من الخليج مباشرة ولكن تتم تصفيتها من البكتريا الضارة قبل وصولها؛ وتتم تغذية هذه الحيوانات المائية ثلاث مرات أسبوعياً؛ وحددت الوجبات لكيلا تصاب الحيوانات بالتخمة؛ وتحتوي الأطعمة على العناصر اللازمة من دهون وبروتينات وما إلى ذلك ويتم تصنيعها في قطر وهذا مما يخفف أعباء الاستيراد وتكاليفه الباهظة.

في المُتحف مُختصون يقومون برصد الحالة الصحية للحيوانات المائية وتبدو حالتها الصحية من خلال حركتها فإن زادت الحركة بشكل غير طبيعي فإن مشكلة ما طرأت على المياه وإن بدأت السمكة تحك جسدها بأطراف الحوض فإن طفيليات ضارة تكون قد التصقت بجراشفها؛ وهناك أمراض خطيرة يجب تلافيها قبل أن تنتقل إلى باقي الحيوانات.

وتفحص الخزانات بشكل دوري ويتم ترميمها وطليها لكيلا يحدث أي تسرب منها كما يتم تنظيفها بشكل دوري وفق خطة محددة لكل خزان؛ وإن ماتت سمكة ما فإن فحصا دقيقا

يجري عليها؛ ليعرف سبب موتها لكيلا ينتقل المرض الذي أصابها إلى مثيلاتها.

وعندما اُفتتح المُتحف المائي في ٢٢ / ١٠ / ١٩٧٧م؛ وكان أول مُتحف من نوعه في منطقة الخليج؛ ومُنذ ذلك الحين يفتح أبوابه للزوار؛ ويتعاون المُتحف المائي مع جهات مُختصة مثل إدارة الثروة السمكية؛ ومركز البحوث العلمية؛ والتطبيقية وإدارة حماية البيئة في قضايا تخدم البيئة وتحد من تأثير التلوث.

ويوجد أيضاً في المُتحف بعض الأسلحة القديمة أو مساند الأسلحة النارية؛ نظراً لوجود مُتحف خاص بالسلاح؛ ويشغل ذلك المُتحف ثلاثة مبان كبيرة كل واحد منها مؤلف من طابقين. وفيما يبدو أن الوفاء لهذه الأسلحة آت من كونها ضرورية في بيئة العرب الصحراوية القاسية التي عرفت السيوف والنبال والرماح المستوردة والمصنوعة محلياً؛ وكذلك الدروع والدرقات والخوذات التي تتوزع اليوم في جنبات المُتحف وقد كان الفرسان يرتدونها لتقيهم ضربة سيف أو طعنة رمح؛ ومع إطلالة القرن السادس عشر عرف السلاح الناري بأنواعه؛ وقد كان الرجل المتسلح ببندقية أو بمسدس مثار إعجاب الآخرين وتتغزل به الحسناوات في أغانيهن ليس في قطر وإنما في معظم بلداننا العربية.

رتبت الأسلحة على مناضد وفي خزائن وعلى مساند بحيث يتاح للزائر رؤيتها؛ ولهذه الأسلحة سواء كانت تقليدية مما عرف في صحراء العرب أو نارية تواريخها وأنواعها التي كتبت على بطاقات بجانبها؛ ويمكن للباحث أن يرصد تطور السلاح من خلال هذا المُتحف؛ ومما يسترعي الانتباه حقا دور الصانع الفني منذ القديم؛ فكثيرة هي السيوف والخناجر المنقوشة والتي كان لقبضتها أشكال عديدة كأن تكون القبضة على شكل رءوس الجوارح أو على شكل رأس نمر أو حصان؛ ورسمت على بعض السيوف مطاردات الوحوش والغزلان أو كتبت عليها آيات قرآنية أو أبيات شعر أو عبارات تدل على الإباء والحمية. والفنان الذي ينقش النصال والقبضات ينبغي أن يتميز بقدرات وبراعة لأن أمامه نصلاً طويلاً ضيقاً غير منتظم السعة ورغم ذلك استطاع أن يزخرفه؛ وبعض السيوف لها قبضات بديعة من العاج أو الخشب النفيس المحلى بالنقوش الدقيقة.

وجميل أن يُشاهد الواحد منا السيف وقد زين به مكان أو وضع داخل المُتحف أو حمله شاب ليؤدي به رقصة العرضة بعدما مر عليه زمن لا يراه أحد إلا مشهوراً على الرقاب أو يقطر الدماء؛ وأتقن صناع السيوف صنعتهم فجاءت السيوف متعددة النصال منها ذات شعبتين وبعضها مسننة وبعضها ذات حدين؛ ويضم المُتحف السيوف التي

أهديت إلى حكام دولة قطر ومعظمها يعود إلى مطلع هذا القرن؛ ومع السيوف اجتمعت البيارق وبعض الخناجر وأبرزها خنجر الشيخ أحمد بن علي بن عبد الله آل ثاني ويعود لمنتصف القرن العشرين.

ويعد مُتحف السلاح والذي اشترته الدولة من الشيخ حسن بن محمد بن علي آل ثان وفيه أكثر من ٢٣١٥ قطعة بيتا للثقافة العسكرية وتجتمع فيه البنادق الخليجية والعربية ومجموعة الأسلحة النارية وملحقاتها والتي تشمل بنادق فتيل وجرح ومقمع ومارتيني وبنادق عثمانية تعود لبداية القرن العشرين؛ كما يحتوي على أحزمة طلقات بعض البنادق والرشاشات وقذائف مدافع وقنابل؛ ويحتوي المُتحف على مجموعة من رءوس سهام وحراب وفئوس تعود للعصر البرونزي؛ ومن لا يعرف قيمة هذه القطع قد لا يحملها من أرضها لو وجدها كما يقال.

وتزين جدران المُتحف صور بعض الفرسان والأبطال وصوراً لبعض المعارك؛ وتتنوع البنادق من حيث أشكالها أو أشكال حرابها وسبطاناتها وأخامصها ويظهر جلياً تطور البندقية عبر العصور؛ ومن الإنجازات المهمة التي قامت بها وزارة الإعلام والثقافة ترميم الكثير من القلاع والبيوت التقليدية وبعض المساجد القديمة للحفاظ على المعالم القديمة وهذه المباني بنيت بالطريقة التقليدية وبالمواد الخام المتوافرة في ذلك الوقت وهو الجص والحصى والجندل والباسجيل والمنقور؛ وهي مواد كانت تجلب من إفريقيا عن طريق السفن ويقوم بترميم هذه البيوت العمال والفنيون القدامى فهم أعرف بهذا النوع من البناء.

وتقوم إدارة المتاحف والآثار بوزارة الإعلام باستخدام هذه البيوت التقليدية المرممة لتكون متاحف أو معارض؛ فقد استخدمت الفرق الموجودة في قلعة الكوت كمعرض دائم للوحات الفنانين التشكيليين؛ كما استخدم مبنى آخر أعيد ترميمه كبيت للتقاليد الشعبية يصور الحياة في قطر منذ نحو مائة عام؛ وهذا البيت يمثل الديوانية أو المجلس والمطبخ القطري وغرفة الزواج ومحتوياتها في ذلك الوقت.

* * * * *

## الدّوحة

الدّوحة هي عاصمة دولة قطر؛ وأكبر مدينةٍ فيها؛ وتقعُ في واحةٍ خصبةٍ واسعةٍ على السّاحل الشّرقي للخليج العربي؛ وفيها مطارٌ دوليٌّ متطوّر؛ ويستقبل المُسافرين من أنحاء العالم كافّةً؛ ومرفأ الدّوحة البحري مُهمٌّ إذ يُصدَّر منه النّفط. وبالقُرب من الدّوحة تقوم

المصانع المُهمة؛ وهي مصانع تكرير النّفط والصّناعات البتروكيميائيّة؛ ومعامل لتحلية المياه.



ومن الدوحة تتفرّع الطّرق الرّئيسة المُعبّدة المُتّجهة إلى الرّويس وأبي الظّلوف شمالاً؛ وإلى رخان في الشّمال الغربي؛ وإلى غار البريد وأبي سمرة في الجنوب الغربي؛ على حدود المملكة العربية السّعودية؛ وإلى مُسَيعيد على شاطئ الخليج العربي.

تتحلق الدوحة خليجاً مُستديراً صغيراً يقع في المنتصف من الشاطئ الشرقي لشبه جزيرة قطر. ويبتدئ قوس هذا الخليج بميناء الدوحة وينتهي بفندق شيراتون الدوحة الذي يبدو كأنه هرم عصري يرتفع على مرسى يطفو فوق المياه! وتواجهه جزيرة صغيرة تسمى جزيرة النخيل. وعلى امتداد الكيلو مترات السبعة التي يجري خلالها نهرا الشارع الواسع المطل على فيروزية الماء! لا ينقطع النخيل عن تسييج الضفتين والسموق في الجزيرة الفاصلة بين نهري الشارع. وتتواصل حدائق الشاطئ على امتداد شارع الكورنيش! وتتواصل أيضاً ملامح الإصرار القطري على صون التراث المعماري العربي الخليجي القديم برغم الانخراط في التحديث. وفي هذا الشأن تعد الدوحة من أكثر العواصم الخليجية احتفاظاً بملامحها التراثية معمارياً. سواء بالحفاظ على القديم وترميمه أو بدمج الطراز العربي الخليجي في تصميم الأبنية الحديثة ابتداء من مبنى الديوان الأميري حتى مساكن موظفي الدولة الكبار والصغار على حدٍ سواء.

ولا تكتفي الدوحة بصون تراثها المعماري البديع والمريح للعين والنفس عند واجهة الكورنيش فحسب! فهي تفعل ذلك حتى أعمق أعماقها. يتمثل ذلك في حي الريان الذي يبعد سبعة كيلو مترات عن مركز المدينة! وفي الضاحية الشمالية التي تبعد عن المركز

ستة كيلو مترات.

اللون الأبيض الناصع لأبنية أليفة تتنفس بارتياح في المساحات الشاسعة وسط النخيل! والسمات واضحة: نقوش الجص العربية حول الأقواس والأسوار والأبراج تأخذ شكل القلاع الخليجية القديمة! والأبواب من الخشب الثقيل المصفح والمحفورة صفحته بالنقوش! والسقوف القديمة من الخشب وسعف النخل ما زالت تحيا في قمة الحداثة. بينما الباجادير (أو ملقف الهواء)؛ ولا يزال يرفع رأسه فوق الأبنية الحديثة بواجهاته الأربعة المفتوحة تستقبل الهواء من أي اتجاه يكون وتحيله إلى داخل الأبنية لتبترد أجوافها بلا أجهزة تكييف ولا مراوح.

شيء إنساني جميل تحس به في الأبنية الرائعة المطلة على الكورنيش وهو المقهى الشعبي المؤسس على نمط قلعة تتناسق داخل أسوارها البنية الحمراء عدة كتل معمارية ذات قباب وأبراج وأقواس! وباجاديرات... بالطبع.

الدوحة مدينة تصر على ألا تتنازل عن شخصيتها أمام ضرورات وصراعات التحديث؛ وهي مُعادلة صعبة لكن العناد القطري الجميل يقوى على حمل شقي المُعادلة؛ وأمام هذا التطور السريع والمُتغيرات المتوالية في فكر الإنسان وتوجهاته يجد هذا الجيل المُخضرم مُحاولة الموازنة بين الماضي والحاضر وتطلعات المستقبل.

المُهم أن تعرف كيف تقدم الماضي لجيل الحاضر والمُستقبل؛ هذا الماضي يجب ألا يُقدم بجمود ودون أخذ المتغيرات بعين الاعتبار. وفي تصوري أن هناك شقين لكيفية طرح الماضي. أولهما تاريخي يعتمد على التدوين وعلى الذاكرة والتسجيل؛ والثاني آداب وسلوكيات؛ وحرف وصناعات وفنون؛ وهذه يجب أن نُحافظ عليها ويعطيها الجيل الحاضر لجيل المستقبل حتى يكون هُناك تواصل بين الأجيال على أن يطوّع الجيد والجميل ليبقى مُستمراً؛ وليربط هذا الجيل بجذوره وأصالته العريقة.

بيت التقاليد الشعبية الذي يُعد هو نفسه كمبنى أحد نماذج العمارة الخليجية النادرة القديمة؛ حيث يُعتبر البُرج الهوائي (باجدير) مفتوح على الجهات الأربع؛ وذلك كي يُؤمن تياراً مُستمراً من الهواء اللطيف للغُرف الداخلية خلال الصيف الطويل الحار؛ كما أن مُحتويات البيت هي ذاتها محتويات البيت القطري القديم؛ أما الأسواق القديمة فهي على حالها؛ ومنها سوق (الواقف) الذي سُمي هكذا رُبما لصغر حوانيته وتفرعات دروبه الضيقة الظليلة؛ والتي يدور فيها المتسوق وسط الزحام دُون أن يُفكر في الجلوس.



وفي منطقة الشحانية في الجهة الغربية بمدينة الريان التي تبعد ٤٥ كيلو متراً عن قلب الدوحة كانت قطعان المها (أو الوضيحي) تسرح آمنة في هذه المحمية التي تستهدف المحافظة على هذا الحيوان الذي أوشك على الانقراض من الجزيرة العربية لولا جهود دول الخليج البيئية ومنها قطر. وإذا كان الغزال العربي تراثاً بريا عربيا تصر على استعادته قطر في محمية الشحانية! فالشحانية أيضاً هي موضع عالمي معروف في دنيا الخيول العربية الأصيلة إذ يتم في مزارعها استيلاد أصفى السلالات من الحصان العربي! وفي هذه المزارع يوجد ٩٠ حصاناً من أثمن خيول العالم ترتع في رحاب ٣٠٠ هكتار من الأرض الخضراء المحفوفة بالنخيل والأسوار والبوابات المشيدة من الحجر الأبيض على النمط الخليجي القديم.

إنَّ التُراث البري للبادية العربية يجد في قطر رعاية كبيرة تصل إلى درجة العشق ابتداء من التصقير (أي القنص باستخدام الصقور) وحتى سباق الإبل! أما البحر الذي تحيط مياهه بشبه جزيرة قطر من كل ناحية! فإنه يشغل موقعه من قلب الحنين القطري للقديم! وثمة رحلة قصيرة جميلة بالقوارب التقليدية تنطلق من شاطئ خليج الدوحة الشمالي إلى جزيرة صغيرة تتمركز في الوسط واسمها جزيرة النخيل.

وحتى لا تنقرض صناعة السفن وقوارب الصيد التقليدية في قطر أنشئت ورشة

أميرية لصناعة وصيانة السفن التقليدية من أبرز إنجازاتها صناعة سفينة تسمى البتيل على يد (قلاف) (أي بنّاء سُفن) قطري مشهور من جيل الآباء الذين عاصروا زمن الغوص والصيد! وطول هذه السفينة الكبيرة يبلغ ١٢٥ قدماً وعرضها ٣١ قدماً! وتتسع لنحو ٢٠٠ شخص! وهي لا تزال تنقل القطريين للقيام برحلات بحرية ذات طابع تقليدي! رغم أنها مزودة بكل إنجازات الملاحة البحرية الحديثة حفاظاً على أرواح الأجيال الجديدة التي يشغلها الحنين إلى البحر بينما بعد بها عهد مصارعته.

الدوحة! هي كل خليج ملتف في بلاد العرب! وهي الشجرة وارفة الظل! ومن ثم تتعدد الدوحات فهناك دوحة في عمان وأخرى في الكويت! لهذا كثيراً ما يشار إلى العاصمة القطرية باسم (دوحة قطر)! وهي دوحة يلتف فيها الخليج وتتفيأ بظلالها ملامح تراث يقاوم الاندثار! لكنني أعتقد أن الدوحة إذ تحمل اسم قطر لتمييزها! فإن قطر يصح أن تحمل بكاملها معنى الدوحة! خاصة من زاوية التاريخ.

لقد سُجلت أوضح الهجرات البشرية العربية إلى قطر فيما قبل الغزو الأوربي حيث كانت بلاد العرب مفتوحة لارتحال أهلها. وفي هذا السياق (ارتحل المعاضيد من بني تميم من مشارف واحة جبرين في نجد إلى شبه جزيرة قطر! وكان أبرز هؤلاء المعاضيد الشيخ ثاني بن محمد الذي وجد في المشارف الشمالية لشبه جزيرة قطر منتجعاً طيباً حيث تقع مظان اللؤلؤ الذي كان آنذاك عصب الحياة الاقتصادية في الساحل الشرقي لشبه جزيرة العرب).

ويعتبر بهو فُندق شيراتون الدوحة جزيرة فضائية؛ حيث يدفع الإنسان لأن يرفع وجهه كثيراً نحو الأعالي؛ فالفندق مشيد على شكل هرم من أحد عشر طابقاً فوق لسان من الأرض امتد في عرض الماء بإرادة الفعل البشري؛ وهي عملية تُسمى (دفن البحر) إذ يتم عبرها زيادة مساحة اليابسة عن طريق ردم مساحات من مياه الساحل؛ وأحياء شاسعة من الدوحة لم تكن في السابق غير مساحات من البحر.

ولقد لعبت الريح لعبتها بالفعل مع هذه الأرض وهؤلاء الناس لكن رحمة الله ظلت واسعة ففي زمن الغوص كانت الريح مُواتية لتجارة اللؤلؤ الطبيعي في الخليج عامة؛ وقطر خاصة؛ وما إن استتب الأمر للؤلؤ المُستزرع الذي توصل إليه العالم الياباني ميكيمو توكوكيشيو عام ١٨٩٠م؛ حتى بدأت تجارة اللؤلؤ الطبيعي في الكساد أمام غزو اللؤلؤ المُستزرع الرخيص؛ وراحت الأزمة تشتد في الخليج وتقسو على قطر؛ وعند ذروة الأزمة

أدركت رحمة الله الناس.

فالنفط المخبوء في طبقات العصر الجوروي العائد إلى ١٨٥ مليون عام خلت أعلن عن وجوده؛ ولحكمة قدرية تماماً لم يستطع المنقبون اختراق طبقات الصخور إليه إلا عام ١٩٣٩م ليتدفق (زيت الصخر) ويعوض كساد لؤلؤ البحر؛ وإن أرجأت الحرب العالمية الثانية وتداعياتها تصدير أول شُحنة نفط قطرية إلى أواخر عام ١٩٤٩م.

ومع ذُروة العطاء النفطي كان طبيعياً أن يكثر الحديث عن مخاوف النضوب؛ ولكن الأرض والبحر عاودا فتح باب الأمل للقطريين باتساع قرنين قادمين من الزمان؛ فطبقات العصر البرمي من الأرض في يابسة قطر وتحت سطح مياهها الإقليمية والتي يعود تاريخها إلى ٢٧٠ مليون عام تحتوي على مخزون هائل من الغاز الطبيعي المُنفرد يجعل من قطر ثاني أكبر مُمتلك للغاز في العالم وذلك يتمثل في حقل رأس لفان.

حيث يقع حقل غاز الشمال الذي بدأ اكتشافه عام ١٩٧١م في المياه القطرية شمال شرق شبه جزيرة قطر ويمتد جُزء صغير منه تحت اليابسة؛ ويُغطي في مُجمله مساحة قدرها ستة آلاف كيلو متراً؛ أي ما يُعادل نصف مساحة الأرض القطرية كُلها؛ وتبلغ احتياطيات الحقل من الغاز القابل للاستخراج نحو ٢٥٠ تريليون قدم مُكعب؛ وتزيد احتياطياته الإجمالية على ٥٠٠ تريليون قدم مُكعب.

حقل هائل هذا شأنه كان لابد له من مشروع طموح للتطوير؛ حيث تتدرج مراحله صعوداً إلى المرحلة الأولى؛ حيث ظهرت الحاجة إلى استغلال غاز حقل الشمال خلال عقد الثمانينيات لدعم الطلب المحلي من الغاز! والذي لم يف به مكمن الخف البري بدخان! وبدأ تنفيذ المرحلة الأولى من التطوير في منتصف عام ١٩٨٧م؛ وتم إنجازها وتشغيل مُنشآتها في مطلع عام ١٩٩١م بطاقة إنتاجية قدرها ٨٠٠ مليون قدم مُكعب يومياً من غاز حقل الشمال؛ وينتج عنها ٧٥٠ مليون قدم مُكعب من الغاز الخفيف؛ ونحو ٥٠ ألف برميل من سوائل الغاز الطبيعي والمُكثفات للتصدير.

في هذه المرحلة كان لابد من استحداث منشآت وإقامة شبكة أنابيب خاصة بالمشروع ومحطات ضخمة لمُعالجة الغاز؛ وهي تنقسم إلى منشآت بحرية تتألف من محطة إنتاج بحرية تقع على بُعد ٨٠ كم شمال شرقي الساحل القطري في مياه يبلغ عُمقها ٥٢ متراً؛ وتضم هذه المحطة منصتي آبار؛ وقد تم حفر ٨ آبار من خلال كُل منصة؛ ومنصة مُعالجة وتتم بها معالجة الغاز المستخرج من الحقل قبل نقله إلى مسيعيد عبر خطي أنابيب مُنفصلين؛

ومنصة المرافق العامة وتضم جميع الأنظمة الداعمة والمساندة للمنشآت البحرية كتوليد الكهرباء ومكافحة الحريق ومياه التبريد وغاز الوقود؛ ثُم منصة السكن وتُوفر سُبل إقامة مشمولة بكُل الخدمات اللازمة لإقامة ٧٥ شخصاً؛ وأخيراً منصتان لدعم الجسور بين كُل هذه المُنشآت.

إنها مدينة لكن هذه المدينة الصناعية العائمة وسط الخليج في مياه قطر الإقليمية لا تبقى معزولة في البحر فثمة شبكة هائلة من الأنابيب توصلها بالبر لاستكمال معالجة الغاز تمتد بعد المعالجة الأولى في المحطة البحرية ٨٠ كيلو متراً حتى رأس لفان عبر خطي أنابيب مُعتمدين قطرهما ٣٤ بوصة للغاز الجاف؛ و ٢١ بوصة للمُكثفات؛ ويُواصل خطا الأنابيب سيرهما على البر.

ولن ينتهي دور مسيعيد في المُستقبل؛ بل يتعزز برغم بروز نجم جديد يتألق لطاقة الغاز في منطقة رأس لفان التي تبعد ٧٠ كيلو متراً عن الدوحة؛ ولا شك أن رأس لفان هي إطلالة البر القطري على حقل الشمال الواقع في البحر؛ وهي إطلالة عالمية الطموح أسست لإقامة مدينة صناعية جديدة ضخمة على مساحة ٤٠ كيلو متراً مُربعاً؛ ولتضم عدداً كبيراً من المُجمعات الصناعية التي تعتمد على الغاز من منشآت مُعالجة وتسييل وتصدير الغاز وتصنيع البتروكيماويات وتكرير المُكثفات؛ وإنشاء ميناء حديث لخدمة هذه الصناعات.

لقد تم إرساء عقد عالمي لتصميم وبناء رأس لفان في ٧ سبتمبر عام ١٩٩١م؛ وكانت السنوات الست التي مضت مُنذ ذلك الحين ساحة محدودة لإنجاز كبير بين مُنشآت المُعالجة والتخزين وجسور وأوناش التصدير.

ثمة قناة ملاحية بطول ٥ كم وعرض ٢٨٠ متراً وعمق ١٥ متراً تحت سطح البحر تم حفرها وتعميقها؛ وحوض للسُفن مساحته ٢ كم$^{٢}$ وبعمق ٣١,٥ متر تم استكماله؛ وحاجز أساسي للأمواج بطول ٦ كم؛ وآخر خلفي بطول ٥ كم مُكتملاً مع مرسيين لتحميل ناقلات الغاز المُسال؛ ومرسيين آخرين لتحميل المُنتجات السائلة والبتروكيماويات.

كذا أرصفة تحميل ناقلات البضائع الجافة وشحن المعدات الثقيلة. هذا غير مرافق الميناء المُختلفة من مبان؛ وطُرق وشبكات صرف وإنارة ومياه وإدارة العمليات البحرية والمستودعات وكافتيرياً ومباني الشرطة والجمارك والمسجد ومحطات الإطفاء. هذا غير مدينة العاملين في رأس لفان بكل خدماتها المعيشية والترفيهية والطبية... إنه مشروع كبير

يتأهب للعمل؛ وقد عرف الاكتمال.

الدّوحة مدينةٌ تُجاريّةٌ مُهمّةٌ؛ وتنشُطُ فيها حركة التّجارة وتنتشر فيها بيوت المال والمصارف وشركات التّأمين؛ وتتميّز بأنّها مدينة تشهد نهضةً عمرانيّةً حديثةً. ومن معالم الدّوحة قلعتها الشهيرة؛ والمسجد الكبير ذو المنارة المميّزة؛ والقصر وبرج السّاعة. وفي الدّوحة عددٌ من المعاهد العلميّة والكليّات الدّينية؛ وبها جامعة قطر التّي تضمّ مُختلف الأقسام والتّخصصّات؛ كما أنّ فيها مصائد لاستخراج اللّؤلؤ وصيد الأسماك.

لم تكن المُجمعات التُجارية الضخمة قادرة على إبعاد رائحة التراث التي يمكن أن تتسلل إلى زائر الدوحة؛ فعلى طول شارع الكورنيش الذي يلف المدينة؛ تطالع المرء مجسمات منمقة لدلال القهوة الخليجية؛ ونماذج ضوئية لسفن الصيد القديمة؛ فيما تنبعث رائحة أسماك البحر المختلطة برذاذ المياه.

مدينة تراها من البعد فتستعيد ذاكرتك مشهد حي مانهاتن في نيويورك؛ حين تكون واقفاً على الشاطئ الآخر؛ أو كنت قادماً إليه عبر المياه؛ حيث ترى الأبراج متناثرة بطول ساحلها متخذة أشكالاً متمايزة؛ لكن فندق الشيراتون بمبناه الهرمي كان الأكثر جذباً للعين؛ حين تمتد الرؤية لتضيف إلى المشهد العام مساحة متسعة من مياه ذات زرقة صافية كانت في بدايات صيف يوليو تمنح المنظر جمالاً فائقاً. وتتميز الدوحة بتنظيم دورات للألعاب والأنشطة الرياضية ويتمثل ذلك في قرية الألعاب الآسيوية في مدينة حمد الطبية.

وتتميز الدوحة بالمتاحف منها المُتحف الإسلامي؛ حيث تعود فكرة إنشاء مُتحف الفن الإسلامي إلى بداية عهد أمير قطر الحالي؛ الذي يعتبر جامعاً لمقتنيات وتحف ذات قيمة تاريخية وأثرية وفنية عالية جداً؛ وقد كانت مجموعته التي أهداها إلى المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث هي النواة الأولى والأساسية لمجموعة مقتنيات قطر؛ وعلى أثر ذلك تقرر إنشاء المُتحف الإسلامي وبدأ البحث عن الشكل الذي يجب أن يكون عليه. ورأى أمير قطر أن يكون المُتحف مُتخصصاً بالفنون الإسلامية ويضم الأعمال الفنية عبر العصور ويكون المعيار الأساسي للمعروضات هو المستوى الراقي للفن والجمال؛ الذي يميز كل قطعة ويكون المعماري الذي يصممه واحداً من ألمع المعماريين العالميين ومن ذوي الخبرة العريقة في أعمال مشابهة؛ وبالفعل فقد تم إسناد إعداد وثائق التصميم إلى مؤسسة الآغا خان التي لها باع طويل في هذا الجانب.

وانتهى الأمر بتكليف المعماريين العالميين الكبار لوضع التصميمات اللازمة

للمُتحف؛ الذي بدأ بالأبحاث والدراسات الموسعة؛ واطلع على مختلف العصور الإسلامية ومميزاتها وحضارتها وفنونها؛ وعندها بدأ النشاط الدءوب لتعزيز مجموعة مقتنيات قطر من التحف الفنية الإسلامية.

أما المُتحف الإسلامي فيقوم على جزيرة في البحر ترتبط باليابسة بجسرين للزوار والموظفين؛ ويتكون المُتحف من بناءين؛ الأول هو المُتحف؛ والآخر هو المبنى التعليمي. أما الطابق السفلي (السرداب) فيمتد على كامل الجزيرة ويضم المخازن الرئيسية والخدمات الهندسية؛ وبعضاً من المكاتب الإدارية. أما مبنى المُتحف فيضم قاعات عرض مؤقتة ودائمة ويتوسطه بهو هو عبارة عن فناء واسع يتوسط المبنى؛ وتقوم حوله أجزاء المُتحف. وأهمها: في المستوى الأول المعرض المؤقت وقاعة المؤتمرات وكافتيريا وغيرها؛ ومن المستوى الثاني إلى الرابع مساحات لعرض المقتنيات بمساحة لا تقل عن ١٥٠٠م$^{2}$؛ وفي المستوى الخامس الإدارة ومطعم لخدمة كبار الزوار؛ أما المساحة الكلية للمعارض فهي تتجاوز الـ ٤٥٠٠م$^{2}$ عدا مخازن المجموعات؛ والتي تتجاوز الـ ٢٠٠٠ م$^{2}$ ومركز الصيانة والترميم بمساحة لا تقل عن ٤٠٠م$^{2}$.

أما المبنى الثاني فيضم في طوابقه المستوى الأول وفيه مكتبة متخصصة ومركز للصيانة والترميم للمقتنيات؛ ويمتد هذا المركز إلى السرداب؛ أما المستوى الثاني فيضم المركز التعليمي الذي يضم قاعات تعليمية وورشات تدريبية وتفصل بين المبنيين حديقة واسعة هي عبارة عن الحديقة الشرقية؛ صممت بإيحاء من العمارة الإسلامية؛ ومن جهة أخرى هناك الحديقة الشمالية تنتهي بمرسى لليخوت.

وإلى جانب مُتحف الفن الإسلامي هناك مشاريع أخري منها المُتحف العلمي والمُتحف البحري (الأكواريوم)؛ والحي الثقافي؛ وهناك المكتبة الوطنية؛ التي تضم في بنائها أكثر من مليوني كتاب؛ وستحتوي على مُتحف للمخطوطات والمسكوكات والتاريخ الطبيعي؛ وفن المستشرقين بمساحة ٤٥٠٠م$^{2}$. وتشتمل المكتبة الوطنية على قاعات للمعارض الفنية بمساحة ٤٥٠٠م$^{2}$؛ أيضاً إضافة إلى قاعة متميزة للمؤتمرات؛ ليكون منارة ثقافية تطل على الخليج العربي.

ويجري العمل في الوقت نفسه في مُتحف التصوير الضوئي وهو مُتحف آخر يضم مجموعة قطر من آلات التصوير والمعدات والتجهيزات المتعلقة بها؛ وكذلك مجموعة من الصور التاريخية المهمة؛ وتعتبر مجموعة قطر في حقل التصوير واحدة من أهم المجموعات

في العالم؛ وصُمم المُتحف بطريقة مبتكرة؛ ويضم المُتحف أيضاً مساحات واسعة للعرض واستوديوهات ومعامل للتصوير ونادياً للمصورين المحترفين ومكتبة متخصصة.

وتزامناً مع هذه المشاريع المستحدثة يجري في الوقت الحالي تطوير مُتحف قطر الوطني ومجموعته القيّمة. وتشتمل التصاميم التي تعبر عن التجانس بين الماضي والحاضر؛ والقصر القديم والمبنى الحديث؛ على توسعة المُتحف؛ ليضم قاعات عرض جديدة لتاريخ قطر الطبيعي والإنساني والحضاري؛ بالإضافة إلى الفنون التي وجدت على أرضها؛ كما سيضم المشروع أيضاً مكتبة ومعارض متخصصة بالتراث القطري في البر والبحر؛ ويتحدث القطريون بزهو عن مشاريع أخرى قادمة يجري الإعداد لها؛ فهُناك مُتحف للسيارات وللمُتحف الرياضي ومُتحف السلاح؛ ومركز مُتخصص لصيانة القطع الأثرية؛ ومُتحف مُتخصص في النفط والغاز. وفي الدوحة يحظى الإعلام بأهمية كبيرة؛ ويلقى في الوقت نفسه دعماً غير محدود؛ وإذا كانت التجارب الحديثة في الصحة والتعليم إضافة إلى الغاز قد أصبحت دلائل مميّزة على قطر المستقبل؛ فإن الإعلام الذي قدم له ذلك البلد الخليجي تسهيلات غير محدودة قد بات أيضاً إحدى العلامات الدالة عليه.



من المتاحف القطرية المعروفة؛ وهو في الأصل قلعة عسكرية كانت سجناً لمعاقبة المجرمين. وتتميز قلعة الدوحة بأسوارها العالية وأبراجها ومزودة بكافة الإمكانيات الدفاعية لصد أي هجوم. وفي عام ١٩٧٨م قامت وزارة الأشغال العامة القطرية بتجديد القلعة وإضافة بعض الزخارف وفتح باب جديد لها يطل على الشارع الرئيسي. ثم تحولت القلعة بعد ذلك بحوالي ست أو سبع سنوات إلى مُتحف للفنون التشكيلية والحرف والصناعات اليدوية.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

# السعودية

المملكة العربية السّعودية دولـة عربيّة عضـو في جامعـة الـدّول العربيّـة أوبيـك؛ ومجلـس




التعـــاون الخليجـــي؛ وتقـــع في الجنـوب الغربـي مـن قـارّة آسـيا. وهـي تؤلّـف القسـم الأكـبر مـن شبه جزيرة العـرب الواقعـة علـى البحر الأحمر والخليج العربي وبحر العـرب في المحـيط الهنـدي؛ والتّـي تضـمّ كُـلاً مـن المملكـة العربيـة السّـــعودية والـــيمن والكويـــت والبحـــرين وقطـــر والإمـــارات العربية المتحدة وعُمان.

يحدّها من الشّمال العراق والأردن؛ ومن الغرب شبه جزيرة سيناء والبحر الأحمـر؛ ومـن الشّرق الكويت والبحرين وقطر والإمارات العربيّة المُتّحدة وعمان؛ إضافةً إلى الخليج العَربـي. أمّا جهة الجنوب؛ فيحدّها اليمن وعمان؛ وتتميز تضاريسـها بـأن أخفـض نقطـة هـي الخلـيج العربي ٠م؛ وأعلى نقطة هي جبل السـوداء ٣١٣٣م؛ تبلـغ مساحـة المملكـة ٢٢١٨٠٠٠ كيلو متراً مربّعاً؛ اللغة الرسمية العربية؛ عملتها الرّيال السّعودي؛ عاصـمتها الريـاض؛ أهـمّ مُـدُنها: مكّة المكرمة؛ المدينة المنوّرة؛ جَدّة؛ الطّائف؛ الظّهران؛ الدّمام؛ وبريدة.

أسّس المملكة العربية السعودية عبد العزيز بن سعود؛ أمير نجـد وملـك الحجـاز عـام ١٩٢٦م؛ ثُـم أعلنها مملكةً عام ١٩٣٢م في أقاليمها المُهمّة: نجد؛ عسير؛ الحجـاز؛ الإحسـاء وتهامة. أرضها عبارة عن مجموعة مـن الهضـاب الصّـحراوية الرّمليّـة الواسـعة؛ تتخلّلهـا بعض الواحات. وأهمّ صحاريها: صحراء النفوذ الكبرى والـدّهناء والربـع الخـالي. فيهـا عددٌ من الجبال؛ أهمّها: جبل شمّر في الشمال؛ وجبل طويق وجبال السّـراة؛ وهـي عبـارة عن جبال مدين والحجاز وعسير في الغرب؛ بمُحاذاة السّاحل الواقـع علـى امتـداد البحـر الأحمر. أعلى قمّةٍ فيها تقع إلى الشّمال من أبها؛ ويبلغ ارتفاعها ٣١٣٣ متراً. أهمّ سهولها: سهول الإحساء الغنيّة بالواحات وآبار البترول؛ وسهل تهامـة في الجنـوب الغربـي. وأهـمّ أوديتها الداخلية: وادي الدّواسر ورانية وبيشـة ونجـران والرّقّـة والسّـرحان؛ وهـي تمتلـئ

بالمياه إثر سقوط الأمطار الغزيرة العابرة؛ وسرعان ما تجفّ فتتحوّل إلى مستنقعاتٍ سريعة الجفاف والفَوَران. في عام ١٩٨٦م تمّ تدشين الجسر الذّي يربط المملكة العربيّة السّعودية بالبحرين.

مُناخ المملكة قاريّ جاف شديد الحرارة؛ ورطب على السّواحل؛ أمطارها قليلة ورياحها متقلّبة؛ أهمّها ريح الصّبا والدّبور.

تطوّرت الزّراعة بشكلٍ ملحوظٍ في السّنوات الأخيرة؛ وهي ذات طبيعة مزدوجة؛ فمن جهةٍ هُناك البدو أصحاب الإنتاجية والرأسمالية الضّئيلة جداً؛ ومن جهةٍ أخرى الإنشاءات والتّجهيزات الحديثة التّي استلزمت استثماراتٍ طائلةً؛ وتستعمل الزّراعة ٩٥ % من المياه المُستهلكة في البلاد؛ وتُزرَع بالمملكة السّعودية الحبوب؛ وخصوصاً القمح الذي أضحت تُنتجه بكثرةٍ؛ وتُصدّر منه إلى الخارج.

وفيها الكثير من أشجار النّخيل؛ ولا سيما في المدينة المنوّرة ومنطقة الإحساء والقطيف والهفوف والقصيم.

وأهمّ الإنتاج الزّراعي يتمثّل في زراعة البندورة والبطيخ والشّمام والعنب والبصل والبطاطا والشّعير والحمضيّات والتين والذُّرة البيضاء وبذر السّمسم. تُربّى فيها الماشية؛ خاصّةً الأغنام والأبقار والماعز والجِمَال. وتقوم ثروة البلاد المَنجميّة على الغاز الطّبيعي والنّفط؛ وتُعتبر المملكة العربيّة السّعودية في طليعة الدّول المُنتجة للنّفط والمُصدّرة له (الأولى في إنتاج البترول واحتياطيه في العالم).

ومن حيث السياسة يعتبر مجلس الشورى السعودي تجربة رائدة مستمدة من الشريعة الإسلامية: لم يعد مجلس الشورى في السعودية وليداً؛ ولكنه أصبح مؤسسة ناضجة لها دورها الفعَّال في نسيج الحياة السياسية؛ فالمجلس الذي يضم نخبة من ذوي الفكر والاختصاص في كل مناحي المجتمع السعودي يخطو بثبات إلى سنته الرابعة؛ وفي كل يوم يكسب التجربة السياسية في المملكة طابعاً ديمقراطياً نابعاً من الشريعة الإسلامية.

والشورى في الإسلام مبدأ وعقيدة؛ والذي يحكم في المجتمع الإسلامي هو الشريعة وليس الإنسان؛ وقد كان أمر الشورى واضحاً في الآيتين الكريمتين: **{وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ}** و**{أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}** وهاتان الآيتان أساسيتان في تحديد العلاقة بين ولي الأمر والشعب؛ أما أمر الشورى وطرائقها فشأنهما متروك للناس ضمن ضوابط معينة خاصة بالشرع الإسلامي وبالبيئة الإسلامية.

موضوع الشورى قديم ولكن أشكاله متعددة وهو يتطور تبعاً لتطور المجتمعات فقد وجد في التاريخ الإسلامي ما كان يُسمى بديوان المظالم وكان هذا الديوان مقراً للنظر في الاختلافات بين الأشخاص من جهة؛ أو بين الأشخاص والحاكم من جهة أخرى؛ سواء كان حاكم مدينة أو منطقة أو إقليم.

ومُجتمع المدينة المنورة في العهد الأول للإسلام أمكن تطبيق الشورى فيه بطريقة مباشرة ويومية؛ إذ كان يضم بضعة آلاف من الناس.. ولكن الوضع الآن يختلف مع اتساع رقعة مثل رقعة المملكة العربية السعودية التي تضم الآن مئات المدن وملايين السكان. وبسبب ذلك الاختلاف تركت الشريعة شكل الشورى لتغير الظروف والأحوال مع عدم القفز عن الواقع ولا الإقدام على تجاوز المراحل.

وكان خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز قد أصدر في أول مارس ١٩٩٢م أربعة مراسيم ملكية تضمنت صدور النظام الأساسي للحكم ونظام مجلس الوزراء ونظام مجلس الشورى ونظام المناطق وفي ١٦ سبتمبر ١٩٩٢م أصدر أمرا بتعيين معالي الشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير رئيساً لمجلس الشورى وفي ١٥ يوليو ١٩٩٣م تم تعيين عبد الله نصيف نائباً لرئيس المجلس ثم تم تعيين الدكتور حمود البدر أميناً عاماً للمجلس في ١٤ أغسطس ١٩٩٣م فيما تم في ٢٠ من نفس الشهر تعيين أعضاء المجلس الستين.

وأصدر خادم الحرمين الشريفين رحمه الله في ١٩ سبتمبر ١٩٩٣ أمراً بتعيين أعضاء مجالس المناطق البالغة ١٣ منطقة منها ٣ مناطق تضم ٢٠ عضواً وهي مكة المكرمة والمدينة المنورة والرياض فيما خصص ١٥ عضواً لكل منطقة من المناطق العشر الباقية. ولِفهْم طبيعة مجلس الشورى بالسعودية لا بد أن نعرف طبيعة الصلة القائمة في المملكة بين المسئولين والرعية؛ بدءاً من المجالس المفتوحة إلى كل اللقاءات الأخرى المستمرة منذ تأسيس المملكة العربية السعودية.

وتتكامل الرؤية مع الاختيار الذي تم لأعضاء مجلس الشورى الستين؛ فهم من خيرة رجالات الدولة الذين خبرتهم دوائرها وجامعاتها ومعاهدها العلمية والدينية والمؤسسات الخاصة وحقول الثقافة والعلم والإعلام.

ويضم مجلس الشورى السعودي كفاءات من كل أنحاء البلاد؛ من المناطق الوسطى والغربية والشرقية والشمالية والجنوبية.

يضم أساتذة جامعات ورؤساء تحرير صحف ومجلات؛ وقادة عسكريين سابقين؛ ورجال أعمال ناجحين؛ ووكلاء وزارات وشخصيات إسلامية ومدرسين في معاهد دينية؛ ومفكرين وأطباء ومهندسين؛ وعلماء تاريخ وجغرافيا وسياسة؛ وأساتذة قانون وخبراء زراعة ويتميزون بخبرة في الحياة العملية كل في مجاله.

إن هذا المجلس الجديد يختلف في مهمته وطبيعته عن المجلس السابق. فقد شمل التطور الذي شمل كل نواحي الحياة في المملكة طبيعة المجلس الجديد وشكل أطره بما يتماشى مع أي تنظيم برلماني في العالم من إجراءات ولوائح داخلية.. ومجلس الشورى مجلس معين يختلف في اختصاصاته عبر البرلمانات العالمية الأخرى؛ فكل عضو فيه وإن كان قد أتى من منطقة ما من مناطق المملكة فإنه يمثل المملكة ككل؛ فالإقليمية والطائفية والحزبية لا وجود لها في المملكة؛ فكل عضو يعمل لمصلحة المملكة ككل؛ إذ أن لكل منطقة في المملكة مجلساً خاصاً بها هو الذي يسعى لمصالحها ويهتم بشئون المواطنين فيها.

ولم يحدث طوال السنوات الثلاث الماضية وحتى الآن أن بحث أو عالج أي من الأعضاء قضية تخص منطقته الخاصة؛ لأن هذه الخصوصية سواء كانت إقليمية أو قبلية أو حزبية مرض ينخر في أوصال الحياة البرلمانية ويصيبها بالهزال ويوجهها وجهة غير سليمة؛ لأنك دائماً ما تجد العضو المنتمي لحزب ما أو ذا التوجه الأيديولوجي المعين يصوت لصالح حزبه أو وفقاً لتوجهاته الأيديولوجية حتى لو تعارضت مع مصالح وطنه العليا. والمملكة والحمد لله سلمت من هذا الداء؛ ولذلك كان كم الإنجازات جيداً؛ بل كان فوق المتوقع؛ فقد ساهم المجلس مساهمة فعالة في دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية؛ ودرس العديد من الأنظمة واللوائح والمعاهدات والاتفاقات الدولية وقدم اقتراحاته بشأنها؛ وناقش التقارير السنوية التي تقدمها الوزارات والأجهزة الحكومية الأخرى واقترح ما يراه حيالها..

وكان آخر ما نوقش هو نظام المطبوعات والنشر؛ وقد انتهت منه وهو في طور إعداد الصياغة؛ وقد وضع منهج قلَّ أن يوجد مثيله في المجالس المنتخبة عند بحث لهذا النظام؛ فعندما جاء هذا النظام من مجلس الوزراء جُمع كُل من له صلة بهذا الأمر من صحفيين وإعلاميين وكُتاب وناشرين؛ وكُل الفعاليات التي تهتم بالإعلام؛ وجُمع كُل هؤلاء في المجلس وأُجريت معهم لقاءات وعُقدت اجتماعات استمرت ثلاثة أيام؛ وكانت لقاءات مُثمرة وبناءة؛ وذات رؤية موضوعية عميقة أسهمت في إخراج نظام المطبوعات

والنشر بصورة مثالية.

كما استحدثت لجنة تسمى لجنة الاقتراحات تستقبل مقترحات المواطنين وتدرسها ومن ثم تُحال إلى اللجنة المُختصة؛ وقد كرس هذا الأمر مُشاركة المواطنين في إثراء عمل المجلس بآرائهم ومُقترحاتهم؛ أما الشكاوى فإنها تُحال إلى الوزارات المُختصة.

وعن تقويم عمل المجلس في تلك الفترة فإن النتائج باهرة بل فوق المُتوقع؛ والجميع راضٍ كُل الرضا عما قدمه المجلس في هذه الفترة من عُمره؛ فقد قام بالواجب وأدى ما عليه وما تفرضه عليه مصلحة الوطن العُليا.

ولا أعتقد أن هُناك مجالاً للمقارنة بين نظام الشورى الإسلامي والنظام الديمقراطي؛ فمجلس الشورى ليس مجلس تشريع؛ لأنه لا يملك أن يُحل حراماً أو يحرم حلالا. فالديمقراطية لها مبادؤها وأطرها الخاصة بها التي لا يُمكن أن تتلاءم مع نظام الشورى؛ لأنه أصلاً يملك المبادئ التي أعطته إياها الشريعة الإسلامية السمحة.

وهذه المبادئ تحتاج إلى أطر وتنظيمات ولوائح؛ فعلى سبيل المثال: شريعتنا تحثنا وتأمرنا بالحفاظ على البيئة وتحثنا على اتباع إجراءات الحجر الصحي بمعناه الحالي؛ وهما مبدآن موجودان منذ ١٤٠٠ عام؛ ولكننا لم ننظمهما أو نضع لهما القواعد المرعية؛ وذلك نظراً للجمود الذي أصاب العالم الإسلامي لفترة من الفترات سبقنا فيها غيرنا من الأمم في تنظيم وتعقيد ذلك؛ وهذا لا يسلبنا حقنا في السبق بهما على العالم من حيث وجود المبدأ نفسه.. فنحن هنا لا نشرع بل ننظم مبدأ كان موجوداً أصلاً أما الديمقراطية الغربية والبرلمانات الغربية فإنها تشرع لأن دولها لا تملك القواعد الشرعية التي تحكم حياتها؛ وهم يضعون من القواعد والقوانين ما يشتهون حتى لو خالف قانونهم دينهم. ولكن هُنا؛ والحمد لله؛ لا يُمكن أن يُسن قانوناً أو لائحة تتعارض مع حُكم من أحكام شريعتنا الغالية.

يتكون المجلس من رئيس و٦٠ عضواً يختارهم الملك؛ ويشترط في العضو أن يكون سعودي الجنسية بالأصل والمنشأ وأن يتمتع بالصلاح والكفاءة؛ ومدة المجلس ٤ سنوات هجرية؛ وراعى النظام إتاحة الفرصة لتجديد المجلس بصفة مستمرة بحيث يراعى عند تجديده اختيار أعضاء جدد لا يقلون عن نصف أعضاء المجلس.

وقد حددت اختصاصات المجلس بمناقشة الخطة العامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية وإبداء الرأي نحوها؛ ودراسة الأنظمة واللوائح والمعاهدات والاتفاقات

الدولية والامتيازات واقتراح ما يراه بشأنها؛ وتفسير الأنظمة؛ ومناقشة التقارير السنوية التي تقدمها الوزارات والأجهزة الحكومية الأخرى واقتراح ما يراه حيالها.

وقد شكل مجلس الشورى في أولى جلساته التي عقدها يوم الأحد الموافق: ٢٠ / ٧ / ١٤١٤ هـ للجان المُتخصصة اللازمة لمُمارسة اختصاصاته وهي: لجنة الشئون الاجتماعية والصحية؛ لجنة الشئون المالية والاقتصادية؛ لجنة الشئون الإسلامية؛ لجنة الخدمات والمرافق العامة؛ لجنة الشئون التعليمية والثقافية والإعلامية؛ لجنة الأنظمة والإدارة؛ لجنة الشئون الخارجية؛ لجنة الشئون الأمنية.

ورؤساء هذه اللجان الثمانية يكوّنون مع الرئيس ونائبه الهيئة العامة للمجلس المناط بها وضع جدول أعماله ومساعدة الرئيس في تسيير أعمال المجلس.

وهُناك أيضاً الأمانة العامة للمجلس التي تتولى كل الخدمات المساعدة من إدارية وفنية وبحوث ودراسات وكمبيوتر وغير ذلك من الأدوات التي لا يستغني عنها المجلس لإثراء عمله.

ومن فضل الله سُبحانه أن أرسى هذا المجلس القواعد العامة واللوائح المنظمة لعمل الكثير من مرافق المملكة؛ ولم تتأخر أي جلسة طوال السنوات الثلاث الماضية عن موعد انعقادها؛ ولم تتأجل أي جلسة لعدم اكتمال النصاب.

وهذا يعد إنجازاً كبيراً إذا قورن بأي مجلس نيابي آخر في العالم. ويتميز مجلسنا بميزة قلما تتوافر لأي مجلس نيابي آخر؛ وهي أن أعضاءه مُتخصصون وأصحاب خبرة وأساتذة جامعات؛ ومُساهماتهم مشهودة كُل في مجاله؛ وهذا يُساعد على إثراء النقاش؛ وسُرعة الإلمام بكُل جوانب ما يعرض عليهم مما يُيسر عملية اتخاذ القرار المُناسب.

إنَّ مُهمة الأمانة العامة هي العمل على أن يؤدي المجلس دوره بفعالية تامة؛ وذلك بمتابعة معاملات المجلس والأنظمة واللوائح التي ترد إلى المجلس ودراستها وعرضها على المجلس؛ وحضور الجلسات واجتماعات الهيئة العامة؛ وتشرف على تحرير المحاضر؛ وتبليغ مواعيد الجلسات وجدول الأعمال للأعضاء وصياغة قرارات المجلس وإعدادها؛ إضافة إلى أي أعمال تحال إليها من المجلس أو الهيئة العامة أو من رئيس المجلس؛ ويكون الأمين العام مسئولاً أمام رئيس المجلس عن شئون المجلس المالية والإدارية. وعند نهاية السنة المالية تعد الأمانة العامة للمجلس الحساب الختامي؛ ويرفعه رئيس المجلس للملك للنظر في اعتماده.

كما أن الأمانة العامة أنشأت مركزاً للحاسب الآلي يقوم على النظام المفتوح يحتفظ بالدراسات والبحوث والمناقشات في المجلس مما يتيح للعضو وهو في داخل قاعة الجلسة أن يراجع ما يريده من آراء ودراسات وبحوث تختص بالموضوع المثار للنقاش.. فالأمانة العامة توفر للأعضاء ما يساعدهم على أداء عملهم على أكمل وجه.

كما أن المجلس لديه قاعدة للمعلومات متطورة بالإضافة إلى مركز لتدريب الموظفين الذين يعملون بالمجلس وهو يقوم بتدريبهم على التعامل مع المعلومات. وكيفية إدخالها واستعادتها؛ ولدينا قاعدة جيدة؛ كذلك لدينا اشتراكات في أنظمة المعلومات مع مدينة الملك عبد العزيز للتقنية؛ ومركز الملك فيصل للدراسات والبحوث؛ ويمكننا الدخول لأي مركز في العالم لطلب المعلومات.

وأيضا فإن المجلس مربوط بشبكة حاسبات شخصية تتيح لكل عضو من أعضاء المجلس الاتصال بأحدث شبكات المعلومات في العالم للحصول على أي معلومات مهمة سواء من بنوك المعلومات العالمية أو من أرشيف المجلس؛ وهذه الحاسبات مربوطة بشبكة عالية التقنية عبر الألياف الضوئية لضمان سرعة ونقاوة الاتصال.

والخدمات التي تقدمها شبكة المعلومات تتيح للعضو متابعة جميع ما يصدر عن المجلس من قرارات وما يرد إليه من دراسات وأنظمة ويستطيع أن يتابع محاضر جلسات المجلس والقوانين الصادرة والواردة للدراسة.

وعبر هذه الشبكة يستطيع رئيس المجلس متابعة مشاريع الأنظمة (القوانين) المحولة للجان للدراسة؛ وما تم فيها من عمل وأين وصلت مراحل مناقشتها. كما أن مركز المعلومات طوّر برنامجاً حديثاً يتم من خلاله إدخال نظام الاقتراع وتبادل الرسائل وإعطاء حق الكلام في الجلسة. كل ذلك عبر شبكة اتصال بالكمبيوتر وبطريقة اللمس. ولدى المجلس أربعة أنظمة هي: -

١ - أنظمة المعلومات الخاصة بعمل المجلس.

٢ - الأنظمة الداعمة لعمل المجلس (المكتبة - قواعد المعلومات).

٣ - نظام المكتبة (الإعارة - التزويد - الدوريات - التكشيف).

٤ - أنظمة المعلومات الإدارية والمالية.

أما عن مبنى مجلس الشورى فإنه بناء رائع يدل على أهمية ما تبذله حكومة خادم الحرمين الشريفين لهذا الصرح الذي يُشيد بالدولة السعودية التي تضع للشورى مكانة

مُهمة في نظام الحُكم؛ وتوفر لها كُل الإمكانيات؛ والمساحة الإجمالية للأرض المقام عليها المبنى ١٣٨ ألف متر مربع ومساحة المباني ٥٦ ألف متر ومساحة الحدائق المحيطة بالمجلس والتي زرعت فيها أجمل الأشجار والأزهار ٤٥ ألف متر مربع؛ وقُطر القبة الرئيسية ٤٨ متراً؛ وارتفاعها الخارجي ٤٢ متراً؛ وارتفاعها الداخلي ٣٠ متراً؛ وعدد المكاتب بالمجلس ٥٦٠ مكتباً؛ ومنها ٣١٥ مكتباً للأعضاء والمُوظفين؛ و ١٤٥ مكتب سكرتارية.

مساحة صالة اجتماعات مجلس الشورى الرئيسية ١٩٣٦ متراً مربعاً وعدد صالات الاجتماعات ٣٦ صالة بمعدل ١٥ مقعداً لكل صالة ومجموع المقاعد في كل قاعات الاجتماعات ٨٢١ مقعداً. المكتبة المركزية للمجلس تتكون من صالة محاضرات مجهزة بـ ١٨ مقعداً؛ وهُناك صالة بحث مغلقة مجهزة بعشر طاولات دراسية و٢٠ مقعداً؛ وهي مُجهزة بست عشرة طاولة مكتب؛ هذا بالإضافة لغُرفة مراقبة بها ٨١ مقعداً؛ وغُرفة مُراقبة القُبة؛ وغُرفة الإدارة.

ترتبط الصّناعة في المملكة العربية السّعودية بالنّفط والغاز الطّبيعي؛ تكريراً وبتروكيمياء؛ وأهمّ المُنتجات الصّناعية فيها: الأسمنت؛ القطران؛ قضبان الفولاذ؛ الإتيلين؛ العلف؛ غليكول الإتيلين؛ الإيتانول الصّناعي؛ ديكلورور الإتيلين؛ السّتيارين؛ الصّودا الكاوية؛ الأزوت؛ حمض السّيتريك؛ الميلامين؛ والأوكسيجين. وفي مرافئها تنشطُ صناعة بناء قوارب الصّيد؛ إضافةً إلى صناعة الخزف والجلود؛ وهُناك أيضاً تحلية مياه البحر التّي تقوم على نزع الملح من مياه البحر (حوالي ١٠٠ مليون متر مُكعّب من الماء في العام)؛ وليست هذه الكمية بشيءٍ يُذكَر أمام ٩٥٠٠ مليون متر مُكعّب توفّرها سنوياً المياه الجوفيّة والتي تستهلكها الزّراعة.

وفي موازاة ذلك؛ تشهد المملكة العربية السعودية هذه الأيام نمواً كبيراً في مجال الصّناعات الزّراعية والغذائية وصناعة المواد الاستهلاكية التّي تقوم على رؤوس الأموال الخاصّة.

تمتاز المملكة بمكانتها الدّينية الفريدة؛ إذ تضمّ أقدس مدينةٍ إسلاميّةٍ؛ هي مكّة المُكرّمة؛ مهبط الوحي ومركز البيت الحرام؛ والمدينة المُنوّرة (يثرب قديما)؛ ودار الهجرة؛ ومقام النّبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ وبها قبره الشريف؛ وأهم مُدنها: [مكة المكرمة] [المدينة المنورة] [أبها] [الخبر] [الرياض] [الطائف] [بُريدة] [جدة] [خيبر] [عنيزة] [ينبع] [جلاجل]؛ ومُدنها الأثرية [العلا] [مدائن صالح].

* * * * *

# مكـة المكرمـة

كُلنا جميعاً نتوجه إلى مكة؛ ولكنها لا تتبدى لنا بسهولة؛ ولا نستطيع رؤيتها عن بُعـد؛ وتبقى أشبه بمفاجأة كامنة وسط قفـر مـن الأرض؛ تبـدو أمامنـا سلاسـل مـن المُـدرجات البُركانية التي تأخذ شكل السبحة؛ وترتفع تدريجياً لتتحول إلى سلسلة من جبال الجرانيـت المتجهمة؛ ويمتد بينها طريق الأسفلت ناعماً كأنه نهـر جـاف؛ وهـو نفـس الطريـق الـذي سارت عليه القوافل مُنذ آلاف السنين؛ ووطئـت عليـه قـدما الرسـول الكـريم صـلى الله عليه وسلم؛ ونعبر نفق (كدي) الـذي يخـترق حصـار الجبـال؛ لتبـدو مكـة أخـيراً مُتألقـة بالضوء؛ ومُفعمة بالحياة؛ وهاجعة في واديها الضيق تحـيط بـه المرتفعـات الجبليـة مـن كُـل جانب؛ ونتوقف لنلتقط أنفاسنا في انبهار؛ وهـا هـي أم القـرى حيـث لا يُوجـد مكـان في تلك الأرض إلا وهُناك قلب يهفـو إليهـا؛ ولا توجـد مجموعـة بشـرية غـير معزولـة؛ ولا يُوجد فيها من يتجه إليها وجداناً وعقـلاً في كُـل يـوم... ولا يمكـن أن تكـون إلا معجـزة سماوية تلك التي قادت نبي الله إبراهيم إلى هذا الوادي الخفيض وسط جبال (السـروات) بكُتلها السوداء التي تبعث الرهبة في النفس؛ ولابد أنه منطق المُعجزة نفسـه الـذي يتخطـى المنطق البشري؛ وهو ما جعله يترك زوجته ورضيعها في هذا المكان المُقفر؛ رُبما لأنه المكـان الوحيد الذي لا يطمع فيه أحد حتى الذئاب؛ إنها لحظات غريبة تعطلت فيها كـل قـوانين الصحراء؛ فالماء قد انفجـر في عـين سـيالة مـن تحـت قـدمي الرضـيع البـاكي وأمـام الأم الولهانة. كما أن قبيلة (جُرهم) المُهاجرة قد توقفت مذهولة أمام هـذه المـرأة الوحيـدة؛ ولم تحاول أن تستولي على البئر بالقوة كما يقتضي منطق الوجود؛ ولكنها اسـتأذنت لتبقـى في جوارها؛ وكانت السيدة (هاجر) تتوق إلى حمايتهم بقدر ما هُم عطشـى إلى مائهـا؛ وظلـت قوانين الصحراء مُعطلة تاركة الفُرصة لحدوث المُعجزات والخوارق التي لم تتوقـف في هـذا الوادي الضيق؛ لذا لم يكن غريباً أن يقف الرسول عليه الصلاة والسلام فوق صـخرة مـن صخور جبل أبو قبيس وهو يقول: -

**«والله إنـك لخيـر بـلاد الله؛ وأحـب أرض الله إلـى الله؛ ولـولا أننـي أُخرجـت منـك لمـا خرجت»**.

مكة المُكرمة من أشهر مدن العالم وفيها البيت العتيق الـذي يحـجّ إليـه المسـلمون مـن مشارق الأرض ومغاربها؛ وتُسمّى مكة وأم القرى؛ وهي مدينة ترتفع عـن سـطح البحـر بنحو ٣٣٠ متراً. وتعـود عمارتهـا إلى عهـد الـنّبي إبـراهيم. وكـان يعـيش بنـوه في الخيـام

والمضارب حتى عاد قُصي بن كلاب من الشّام في القرن الثاني من الهجرة فبنى فيها المساكن والبيوت حول الكعبة؛ ومن ثم أخذت تزيد عُمراناً إلى الآن.

تمتدّ هذه المدينة من الغرب إلى الشرق في وادٍ مائلٍ من الشمال إلى الجنوب؛ مُنحصر بين سلسلتي جبال تكادان تتّصلان ببعضهما من جهة الشرق والغرب والجنوب؛ أي على أبواب مكة الثلاثة؛ ولذا لا يُشاهد أبنيتها القادم عليها إلاّ وهو على أبوابها. والسّلسلة الشّمالية منها تتركب من جبل الفلج (الفلق) غرباً؛ ثُم جبل (قيقعان)؛ ثُم جبل (الهندي)؛ ثُم جبل (لعلع)؛ ثُم جبل (كداء)؛ وهو في أعلى مكة؛ ومن جهته دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح.

أمّا السّلسلة الجنوبيّة فإنها تتركّب من جبل أبي حديدة غرباً يتلوه جبل أبي قبيس إلى شرقيهما ثم جبل خندمة. وكُل سفوح هذه الجبال من الحرم تراها عامرةً بالبيوت والمساكن التي تتدرّج إلى قلب الوادي. ضمن هذه المساكن بعض الدّور القديمة؛ فنرى دار ابن عباس في المسعى على يمين السالك إلى المروة.

وفي الشمال الشّرقي للحرم آثار دار أبي سفيان المشهورة. والحرم الشريف يقع بين هذه البيوت مائلاً إلى الجهة الجنوبية ممّا يلي جبل أبي قبيس. وفي هذه الجهة دار الخيزران؛ يتلوها شرقاً شعب بني هاشم ويُسمّى شعب علي ثم شعب المولى ثم شعب بني عامر. وفي الجهة نفسها أيضاً كانت مساكن بني عبد المطلب؛ وسكن فيها أيضاً كثير من الأشراف. وأمّا باقي قُريش فكانوا في الجهة الأخرى من الحرم؛ ويقصد مكة زمن الحج المُسلمون من العالم الإسلامي أجمع؛ فترى فيها جميع الجنسيات والألوان المُختلفة. وقد أدت التوسعات الحديثة للحرم المكّي الشريف إلى جعل هذا الحرم قادراً على استيعاب أكثر من مليوني حاج في مُوسم الحج؛ وهي تؤمّن لكُل الحجيج جميع وسائل الراحة والعناية لإتمام مناسك حجّهم على خير ما يُرام.

وفي السنوات الأخيرة أيضاً بدأ الحرم المكي يشهد موسماً كبيراً مشابهاً لموسم الحج؛ وذلك في شهر رمضان المُبارك؛ وبخاصّة في العشر الأواخر منه؛ حيث يؤم المسجد الحرام المُسلمون من أنحاء العالم كافةً لتأدية مناسك العُمرة.

جميع أهالي مكة من المُسلمين؛ ولا يدخلها غير المُسلم مُنذ العام التاسع للهجرة التي نزلت فيه الآية الشريفة: **{إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا}** [سورة التوبة ٢٨].

فكان عليّ رضي الله عنه يُنادي في مُوسم الحج الذي أعقب نزول هـذه الآيـة: - ألا لا يحجّ بعد عامنا هذا مُشركٌ.

وكان المُراد بذلك منع المُشركين من الحج وعدم دخـولهم البلـد؛ وفي اجتمـاع المجلـس الوزاري لمنظمة العالم الإسلامي تم إقرار مشروع باختيار عاصمة ثقافية للعـالم الإسـلامي؛ وكان من الطبيعي أن تكون مكة هي أولى هذه العواصم؛ يُؤهلها لـذلك مكانتهـا الروحيـة والتاريخية؛ التي لا يمكن أن تقارن بأي عاصمة أخرى؛ وفي الندوة التي عقدتها وزارة الحـج السعودية بهذه المناسبة؛ أجمع المشاركون على أن تستمر الندوة للعـام القـادم وهـي تحمـل العنوان نفسه حتى يمكن استيفاء المزيد من الأبحاث حول تاريخ هذه المدينة الخالدة.

ولا يوجد بلد يحمل أسماء بقدر الـتي تحملـها مكـة؛ فقـد أوردت لنـا كتـب التُـراث حوالي أربعين اسماً لها منها: بكة؛ أم القرى؛ البلد الأمـين؛ أم رحـم؛ القادسـية؛ سـبوحة الحرم؛ المعطشة؛ الرتاج؛ أم المشاعر... وغيرها أسماء كثيرة؛ وتحمل كُلها دلالات مُختلفـة على الدور الذي قامت به مكـة علـى المستوى المـادي والروحـي؛ ومنـذ أن رفـع سـيدنا إبراهيم أعمدة البيت العتيـق؛ وقـد أصـبح لكـل حجـر في هـذه المنطقـة تـاريخ مـذكور؛ وأصبحت أصغر الوقائع جديرة بـالحفظ والتـدوين؛ ولابـد أمـام تـاريخ طويـل كهـذا أن يختلط خيال الأسطورة بمداد الواقع؛ ولكن المُؤكد أن هذا الوادي قـد أصـبح محـوراً مُهمـاً تتصارع فيه القبائل للحصول عليه والظفر بسيادته؛ وكان الصراع ضـارياً فالـذين طـردوا منه كانوا أكثر من الذين استقروا فيه.

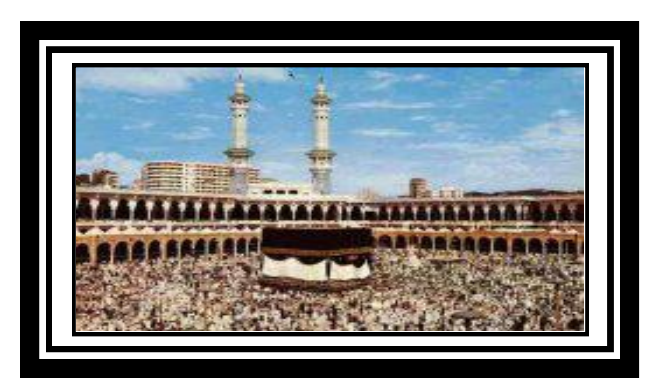
كانت قُريش هي القبيلة التي طـال اسـتقرارها في شـعاب مكـة؛ وهـي الـتي أدركـت الأهمية التجارية للبيت الحرام فأحاطته بالأصنام التي تمثـل آلهـة كـل القبائـل؛ واختـارت موعداً مناسباً لموسم الحج؛ يكون في فصل الخريف في أعقاب الانتهاء مـن سـوق عكـاظ؛ بل إنها بدلت في طقوس الحج لتتناسب مع مصالحها وفرضـت علـى الحجـاج أن يلبسـوا ملابس خاصة أعدتها لهم أو يطوفوا عرايا؛ فلقد مزجت قريش وفق عبقريـة خاصـة بـين التجارة والطقوس الدينية؛ وصنعت لنفسها مكانة مميزة فوق كل القبائـل؛ هـذا إضـافة إلى أنها وهبت أهم مقومات الثقافية؛ فلقد خرج منها رسول الله الذي أنـار العـالم بالإسـلام؛ والعربية هي لُغة القرآن؛ ولُغة الحياة.

مع قدوم الإسلام تطهرت مكة من أدران الوثنيـة؛ واسـتعاد البيـت العتيـق قُدسـيته؛ ولكن مكة عوقبت عقاباً قاسياً؛ فحتمية وقـائع التـاريخ الـتي لا تـرحم لم تـنس لهـا أنهـا

أرغمت آخر الأنبياء على الهجرة منها؛ لذا تحول مركز الثقل السياسي منها إلى المدينة المنورة رغم أن الأمراء والخلفاء كانوا من قريش؛ ورضيت مكة مؤقتاً على مضض؛ ولكن هذا المركز العنيد وأصل الابتعاد عنها؛ اتجه شمالاً إلى دمشق ثم شرقاً إلى بغداد ثم غرباً إلى القاهرة؛ ورغم أن مكة قد شهدت العديد من الثورات وحركات التمرد فإنه قد تم سحقها بعنف؛ ولعل أبلغ دليل على ذلك هي حركة ابن الزبير الذي ثار على سلطة بني أمية ونادى بخلافته في دولة عاصمتها مكة.

كان ابن الزبير طفلاً سماوياً؛ متديناً مثالياً؛ لا أحد يدري إن كان يصلح ليكون حاكماً؛ أم لا ولكن الزمن لم يكن صالحاً؛ كانت أمه هي أسماء بنت أبي بكر؛ وكان هو أول مولود للمهاجرين بعد أن استوطنوا المدينة؛ وكانت اليهود قد أشاعوا أن المسلمين قد أصابهم العقم ولن يستطيعوا الإنجاب بعد اليوم.

وعندما ولد عبد الله بن الزبير بدا كأنه بشرى من السماء؛ وحمله الرسول عليه الصلاة والسلام وظل يطوف به كل أرجاء المدينة؛ ولكن جيوش بني أمية لم تعامل ابن الزبير بهذا الدلال؛ لقد حاصرته داخل البيت الحرام؛ ورمته بالمنجنيق حتى دمرت الكعبة على رأسه؛ ولم يكتفوا بقتله ولكنهم مثلوا بجثته؛ وعندما انتهى المحاربون من ذلك طافوا جميعاً حول بقايا البيت الحرام شاكرين الله لأنه نصرهم على عدو الله؛ ترى من كان عدو الله ومن كان نصيره؟



ربما عادت هذه الفاجعة بالخير على دور مكة ومكانتها؛ فقد أبعدتها تماماً عن معترك السياسة بكل ما فيها من دسائس وألاعيب؛ وأصبحت كما قدر الله لها مدينة خالصة للعبادة؛ على حد تعبير الأديب السعودي حسين بافقيه؛ وأصبح الحرم هو الملاذ الحقيقي للفقهاء والشعراء وعلماء اللغة والمنطق والفقه والشريعة ورواة الأحاديث وجوابي الآفاق والزُهاد والتائبين والرُكع السجود.

وكان من عوائد أهالي مكّة أن كبراءهم يرسلون أولادهم وهم في نعومة أظفارهم

إلى البادية؛ فينشأون فيها على البداوة التامة دون شظف البشر حتّى إذا ترعرعوا عادوا إلى مكة وقد تعلّموا العربية الصحيحة مع بعض لهجات القبائل؛ وحفظوا أشعارهم وأحسنوا ركوب الخيل والرّماية.



ومن عادة أهل مكة التّأنق في المأكل والمشرب واللّباس. وترى في مساكنهم كثيراً من أدوات الزّخرف والزّينة والرياش الثّمينة وخصوصاً البسط العجميّة نادرة المثيل. ومن عاداتهم تقديم الشّاي في أي وقتٍ تحيةً للقادم عليهم وإقامة المآدب ويتفاخرون بكثرة صنوف الطعام المتغايرة في شكلها وطعمها؛ فمنها الهندي والعربي والشّامي والمصري والتركي.

أفراح أهل مكة ومآتمهم غاية في البساطة. فمن عاداتهم في زواجهم أنهم يدعون الأهل والأصدقاء؛ فيأتي الرجال ويجلسون في الأماكن المُعدّة لهم خارج البيت. أمّا النساء فيدخلن المنزل فيجدن على باب قاعة الجلوس قصعةً كبيرةً مملوءةً بمعجون الحنّاء فتحني المرأة يدها ثم تدخل وتجلس مع باقي النسوة؛ ثم يزففن العروس إلى عريسها ويعدن إلى بيوتهنّ. ومن عاداتهم الاصطياف بالطائف والهدى فوق جبال كرا التي ترتفع عن سطح البحر ١٧٦٠ متراً وفيه جنات كثيرة.

تحظى مكة المُكرّمة بمكانةٍ ساميةٍ ومقدّسةٍ لدى المسلمين. فهي قبلتهم جميعاً وفيها الكعبة المشرّفة والمسجد الحرام. وفيها تقام مناسك الحج فيقبل عليها الحجّاج من مختلف بقاع الدّنيا وتقام فيها مناسك العُمرة. وبالقرب منها غار حراء الذي شهد نزول الوحي لأوّل مرةٍ على النّبي محمد ﷺ.

لقد تطورت شخصية أهالي مكة على مر العصور؛ مثلما تطور عمرانها؛ فمُفتاح مدينة مكة المكرمة هو الحج؛ كما أنه مفتاح شخصية المكيين؛ ويتمثل ذلك في قبول الآخر والانفتاح عليه؛ والدعوة إلى حواره؛ بدرجة رفيعة من (التسامح والتعددية)؛ ويُقسم أهل مكة العام لفترتين (المُوسم) أي موسم الحج؛ و(البصارة) وهي تشمل بقية أيام العام؛ وما

يصدم الحاج في الموسم في هذه المدينة التي يتخيل أنها مثالية هو سعي أهلها إلى الربح من ورائه بأي وسيلة؛ فقد ظل الموسم لسنوات طويلة مصدر الدخل الحيوي لأهل مكة؛ ينتظرونه من العام للعام؛ وأهم المهن التي كان يُفضل أهل مكة امتهانها دوماً هي مهنة الطوافة؛ ولكن من المؤكد أن الذي يرى أهل مكة خارج موسم الحج يجدهم عذبي المعشر؛ مولعين بالمرح؛ كرماء لدرجة التبذير؛ يكرسون جهودهم لحياتهم الاجتماعية؛ وإن الذي يراقب حياتهم عن كثب يجد بجانب الخشونة والفظاظة التي عند بعضهم أناساً نبلاء المعشر؛ كريمي الصفات أتقياء ذوي ورع وصلاح.

ومن الصعب أن تعثر على أهل مكة خلال موسم الحج؛ فهم يتحولون إلى قطرات غير مُميزة وسط الزحام العظيم؛ ولا تخلو مكة أبداً من الغُرباء؛ فالزوار لا يكفون عن رحلات العمرة طوال العام؛ كما أن العاملين والمقيمين فيها هُم عينات واقعية لكل العالم الإسلامي؛ وقبل أن يسود مُصطلح العولمة كانت مكة هي المثل الحقيقي للقرية العالمية التي تتشارك فيها كُل الملامح البشرية؛ ومن المُؤكد أن أهل مكة قد تأثروا بكُل هذه الطبائع الوافدة عليهم.

لقد تداخل هذا الفسيفساء البشري في تلك الملامح المكية المؤتلفة على حد تعبير؛ وعلى الرغم من تكونها من عناصر مُختلفة فإنها تصب في النهاية في جِماع الشخصية المكية؛ وخليط في خلقهم؛ وتراهم قد جمعوا إلى طبائعهم وداعة الأناضولي؛ وعظمة التُركي؛ واستكانة الجاوي؛ وكبرياء الفارسي؛ ولين المصري؛ وصلابة الشركسي؛ وسكون الصيني؛ وحِدة المغربي؛ وبساطة الهندي؛ ومكر اليمني؛ وحركة السوري؛ وكسل الزنجي؛ ولون الحبشي؛ بل تراهم جمعوا بين رفعة الحضارة وقشف البداوة.

ربما كانت رحلة الحج إلى مكة من أصعب الرحلات في تاريخ البشرية؛ ولعلها مُعجزة حقيقية أنها استمرت وتواصلت خلال مئات من السنوات بالرغم من الموت والقحط والحروب وانتشار الأوبئة وقلة المياه وهجوم البدو؛ ولقد ظل توافد الحُجاج على هذه المنطقة مُتواصلاً؛ بل إن الأعداد كانت في ازدياد رغم شدة المخاطر؛ ولقد كان الرحيل إلى مكة حلماً أقوى من مخاوف الموت؛ بل إن الموت نفسه عُد ثمناً رخيصاً من أجل الوصول والتعلق في أستار الكعبة؛ فلقد كانت رغبة الجميع في التوبة والغُفران حارقة. ولم يتصور أحد أن تُوهب له هذه الأشياء دون القيام برحلة الحج.

لم يكن جوزيف كونراد يدري بالضبط ماذا يعني الحج؛ فقبل أن يكون كاتباً من أشهر

الروائيين الذين كتبوا باللغة الإنجليزية كان بحاراً ونصف قرصان يعمل في بحار آسيا الجنوبية على ظهر سُفن ضخمة ومُتهالكة تمخر وسط بحار العواصف؛ سفينة أشبه بالتوابيت العائمة؛ يصف كونراد في روايته الشهيرة (لورد جيم) كيف تتحول هذه السُفن في موسم الحج إلى شاحنات للبشر؛ آلاف من البشر الفقراء يخرجون من كُل موانئ آسيا المُسلمة ليتكدسوا في القيعان المُظلمة وسط البضائع والفئران دون نسمة من الهواء النقي أو وجبة حقيقية من الطعام؛ ولا تنتهي الرحلة إلا وقد ماتت منهم أعداد كبيرة؛ وبعد ذلك يبقى الجزء الأكبر رعباً في هذه الرحلة داخل الصحراء العربية نفسها. فلقد ظل الطريق إلى مكة والمدينة على حالته البدائية مُنذ ظهور الإسلام حتى وقت قريب من أوائل القرن الماضي؛ ويبدو أن كُل الحُكام المُسلمين على اختلافهم قد اتحدوا على إبقاء الحجاز منطقة بعيدة ومعزولة من الصعب الوصول إليها أو الخروج منها؛ وكانت مُهمة الولاة - أمويين وعباسيين وفاطميين وعثمانيين - هي تحويل الصحراء بينهم وبين الحجاز إلى حجاب عازل؛ ولم يكن أحد منهم يتذكرها إلا في مناسبتين؛ عندما تهب ثورة أو تمرد فيقمعونه بمُنتهى العُنف؛ أو عندما يخطر لأحد الأمراء أو الخُلفاء أن يقوم بالحج؛ وفي هذه المُناسبة تحفر بعض الآبار المُؤقتة التي سُرعان ما تردمها الرمال؛ أو يسترضون بعضاً من القبائل التي ما تلبث أن تعود لدأبها السابق من السرقة والنهب؛ لم يتذكر مكة والمدينة إلا فُقراء المُسلمين والعُلماء بقلوبهم المتوهجة التي تُرى في مجاورة الحرم عودة إلى منابع العلم الأولى.

ولكن ظل الحرم بعيداً ونائياً؛ لا توجد حوله إلا قبائل جائعة لا تجد في موسم الحج إلا فُرصة كُبرى للاستغلال؛ ولا تجد في الحجاج إلا ضحايا يجب مص دمهم وقتلهم إذا لزم الأمر. وقد زادت حدة هذا الأمر في عهد الأشراف؛ وهُم من سُلالة آل البيت؛ وقد توالوا على حُكم مكة والمدينة بتشجيع من الحكام الفاطميين وأصبح لهم نوع من الاستقلال الذاتي؛ وقد قاموا ببعض الإصلاحات العمرانية والإدارية؛ إلا أنهم كانوا شديدي القسوة على حُجاج بيت الله فقد فرضوا الضرائب لا على رأس الحاج فقط ولكن على متاعه وعلى الدابة التي يركبها؛ وفي عهد صلاح الدين الأيوبي بلغ من جشع أحد هؤلاء الأشراف أنه كان يفرض على رأس كل حاج سبعة دنانير ذهبية كاملة؛ وكان يحبس الحُجاج وجِمالهم في حظائر ضيقة في ميناء جدة؛ وبالرغم من سطوة صلاح الدين فإنه أدرك أن القوة لن تجدي نفعاً مع هذا الشريف؛ لذا فقد اتفق معه على أن يرفع هذه الضريبة الجائرة في مقابل شحنات من القمح يُرسلها له كُل عام؛ وأوقف صلاح الدين

خراج عدة قرى في مصر من أجل هذا الغرض؛ بل ويُقال أيضاً: إن صلاح الدين أبطل ثمانين نوعاً من الضرائب والمكوس كانت تُفرض على الحجيج؛ ولابد أنه حتى سيور نعال الحاج لم تكن تنجو من الضريبة. وعلى أية حال فلم يستمر هذا الاتفاق طويلاً؛ فما إن مات صلاح الدين وكف خُلفاؤه عن إرسال القمح إلى الشريف حتى عاد إلى سيرته في حبس الحجيج وسلب أموالهم.

يصف لنا إبراهيم رفعت باشا أمير الحج المصري في مذكراته الشهيرة كيف كان العُربان يُحاصرونه ويفرضون عليه الرسوم والإتاوات رغم أنه كان رجلاً عسكرياً وبصحبته حامية من العساكر؛ ولكنه كان يُدرك أن المُقاومة لن تتسبب إلا في خسارة المزيد من الأرواح؛ ولكنه ما إن ينتهي من التفاوض مع قبيلة حتى تظهر له قبيلة أخرى تُطالب بإتاوات جديدة؛ بل إن دلائل القوافل أنفسهم كانوا يتعمدون تضليل القوافل بعيداً عن الطرق المألوفة حتى يتركونها فريسة للصوص الذين سبق الاتفاق معهم.

وكان الأمر يتحول إلى مذبحة حقيقية إذا ظهر من القافلة أي نوع من المقاومة؛ وعلى حد تعبير الإمام محمد رشيد رضا فإن الحُجاج الوحيدين الذين كانوا يشعرون بالأمان هُم الحجاج الأفارقة لأنهم كانوا يسيرون على أقدامهم دون أن يملكوا من حُطام الدنيا شيئاً يُمكن أن يُسرق؛ وقد كتب الشاعر أحمد شوقي قصيدة طويلة بعنوان (ضج الحجيج) يستصرخ فيها السلطان العثماني عبد الحميد أن ينقذ رعاياه المسلمين من سطوة العُربان؛ ولم يكن الشاعر يُدرك أن السلطان قد بات عاجزاً عن صيانة عاصمة مُلكه؛ بل وحياته نفسها من سطوة الإنكشارية؛ وأن الأقدار كانت تعد العدة لخروج رجل آخر من عُمق الصحراء هو الذي سيُعيد الأمان المُفتقد لحُجاج بيت الله؛ ويضع الأساس لإنشاء أول دولة حديثة هو سمو الملك عبد العزيز بن سعود رحمه الله.

كانت المُشكلة الأخرى التي تواجه الحجيج في تلك الصحراء الجافة هي الماء؛ فقد كان سعره في موسم الحج يرتفع إلى أسعار مضاعفة؛ وربما ندر وجوده تماماً؛ فبئر زمزم وغيرها من عيون مكة لم تكن في متناول الجميع وكان يتولى أمرها من يتحكم فيها ويفرض السعر الذي يراه؛ كما أن معظم الماء الذي كان متوافراً كان مالحاً ومتسخاً ومليئاً بالرمل؛ وكان الحمالون يأخذون الثمن مضاعفاً إذا كانت خيمة الحاج بعيدة بعض الشيء؛ بل إن الحجاج كانوا يتوضأون من نفس الحوض الذي تشرب منه الدواب.

وقد كتب ميرزا داود وزير الوظائف في إيران عن الحج: –

- لا أستطيع أن أنسى منظر تلك المرأة المصرية التي يبس لسانها من العطش؛ وعرضت عليَّ سواراً في يدها مُقابل جرعة ماء؛ فلما أعطيتها الماء ورفضت أخذ السوار منها عمدت إلى يدي فقبلتها؛ وأرادت السجود أمام شخصي الحقير؛ ولقد وهبت اليوم كل ما لدي من ماء فلم يبق لدي شيء منه حتى للوضوء.

ولكن هذا لا يُعد شيئاً أمام انتشار الأوبئة؛ فلم تكن تقتصر على موسم ومكان الحج؛ ولكنها كانت ترحل مع الحجاج إلى بلادهم؛ أي أنها تخرج من مكمنها الضيق إلى عالم واسع حيث تصبح الكارثة محققة؛ وإنصافاً للحقيقة فإن مكة بريئة من تخليق هذه الأوبئة؛ فهي منطقة جافة؛ مرتفعة الحرارة دوماً بصورة لا تسمح للجراثيم بالنمو والتكاثر؛ ولكن الالتقاء السنوي للحجاج هو الذي كان يخلق هذه المشكلة؛ وإذا أضفنا إلى ذلك قلة المياه وندرة النظافة الشخصية؛ كما أن نحر الذبائح وتركها في العراء أياماً طويلة حتى تتعفن؛ كل هذا يقلب موازين البيئة في هذه البقعة الضيقة؛ وقد كانت المشكلة دوماً تأتي مع حجاج الجنوب من الهند وجاوة وماليزيا وإندونيسيا الذين يحملون أمراضاً مثل الكوليرا والطاعون كانت تستوطن في بلادهم بشكل دائم؛ وعندما يحدث الاحتكاك بينهم وبين المسلمين القادمين من الشمال مثل حجاج الشام ومصر والمغرب العربي يحدث الانتقال لهذه الأمراض المميتة. ويُعد الوباء الذي حدث عام ١٨٦٥م هو أكبر الأوبئة التي شهدها العالم والذي استمر فترة طويلة؛ فقد عادت الباخرة البريطانية (سيدني) من جدة وهي محملة بأكداس من الركاب المرضى بالكوليرا؛ ورغم أن القبطان الإنجليزي كان قد ألقى في البحر عشرات من الجثث إلا أنه كذب عندما وصل إلى ميناء السويس وقال للسلطات: إن كل شيء على ما يرام؛ وبعد يومين فقط انتشر الوباء في مدينة السويس؛ وكان أول ضحاياه هو الربان وزوجته.

ثُم بدأ انتشار الوباء إلى كُل بلدة عاد إليها الحجاج بواسطة القطار؛ وفي خلال ثلاثة أشهر فقط كان قد حصد ٦٠ ألف شخص؛ ومن الإسكندرية تسلل الوباء إلى أوربا فاجتاحها؛ كما اجتاح آسيا الوسطى؛ بل إنه عبر المحيط الأطلسي ليستقر في مدينتي نيويورك وجودالوب؛ ولم يختف الوباء إلا بعد تسع سنوات كاملة.

أما المُعجزة الثانية بحق فهي أن مُعظم هذه المشاكل قد انتهت وأغلقت الفخاخ أفواهها؛ وتقلصت أعداد الموتى إلا بسبب التدافع والزحام؛ إن من يشاهد تلك الأعداد الغفيرة من الحجيج التي تنام على الأرصفة والشوارع والأنفاق وحتى في المناطق الجبلية

المُنعزلة دون خوف يُدرك مدى الأمن والسكينة اللذين تسودان مكة الآن؛ كما أن مصادر المياه مُتوافرة ومجانية في كُل مكان؛ وقد تحولت الدّواب التقليدية إلى أساطيل من الحافلات والسيارات؛ وارتفعت نسبة الرعاية الصحية إلى درجة مُذهلة؛ ورغم أن مكة واحدة من أكثر مُدن العالم ازدحاماً فإنها من أكثرها نظافة؛ ومن يعرف التاريخ ويتأمل الحاضر يُدرك أن ما يحدث اليوم هُو مُعجزة حقيقية. ولا يُوجد منظر أشد وقعاً في النفس من مشهد الكعبة المشرفة وهي مكسوة باللون الأسود الذي أصبح لونها التقليدي منذ عشرات السنين؛ وفي موسم الحج تُرفع هذه الأستار قليلاً حتى تبتعد عن الأيدي المُتدافعة التي يُمكن أن تُمزقها؛ وحتى يرى الجميع أيضاً أحجار البيت المُتواضعة الخالية من أي زينة؛ وتعود بهم الذكرى إلى أصله الصحراوي.

ومع صعود الدولة الفاطمية وفي ظل العلاقة المميزة التي أقامتها مع أشراف مكة انتقلت مسئولية صُنع الكسوة إلى مصر؛ وفي عهد المماليك أنشئت أول دار لصنع الكسوة في مصر وضمت خيرة الخياطين والمطرزين والخطاطين في مصر؛ ولذلك فقد أوقف المماليك على هذه الدار ريع خمس قرى ما لبثت أن زيدت إلى سبع منها سنديس وسنتريس وغيرهما؛ وكان العمال قبل أن يدخلوا هذه الدار يتوضأون بالماء المعطر بالورد ويأخذون في التكبير طوال وقت العمل؛ وبواسطة هؤلاء (الأسطوات) أخذت الكسوة شكلها الأساسي: اللون والنقشة والحرف المكتوب؛ وكان خروج الكسوة من مصر مُتجهة إلى مكة يوماً مشهوداً في كُل عام؛ إذ يتقدمها الجند وأمير الحج المصري والمحمّل على ظهره الهدايا إلى أهل مكة وتخرج القاهرة كلها لتراقبه وسط الموسيقى والتكبيرات والابتهالات حتى تأخذ القافلة وجهتها الأخيرة للرحيل.

وفي عام ١٩٦٥م تصاعدت الخلافات السياسية بين السعودية ومصر بسبب حرب اليمن ورأت السلطات السعودية أن الكسوة قد تُستغل بشكل سياسي؛ كما أن التطور الغامر الذي شهدته المملكة كان قد أصبح يوفر لها القدرة على القيام بصنع الكسوة؛ وكان أن رفضت تسلم الكسوة المصرية وأبقت الكسوة القديمة على الكعبة عاماً كاملاً حتى استطاع مصنعها الخاص أن يصنع الكسوة الجديدة وأن يضيف إليها مع تراكم السنوات المزيد من النقوش والتجديدات.

كانت مكة وما زالت مُحرمة على غير المسلمين؛ ولكن هذا لم يمنع المُستكشفين الأوربيين من مُحاولة دخولها؛ فقد كان لديهم نوع من الإصرار والهوس الذي جعلهم

يدفعون بحياتهم إلى حافة الخطر وإلى أن يغيروا مصائرهم؛ كان فيهم لصوص وأفاقون ومُغامرون وعُلماء وقساوسة وجواسيس محترفون خرجوا من كُل بُلدان أوربا؛ دافعهم واحد هو الرغبة في معرفة المنابع الأولى لهذا الدين والتأكد من أن تلك القوة لن تعود للانبعاث من جديد؛ تتفاعل داخلهم مشاعر تختلط فيها النظرة الرومانسية لاكتشاف الصحراء مع الدوافع الاستعمارية والتحدي الديني في أرض الدين الذي طالما تحداهم؛ وبعضهم كان مُنصفاً مثل الدنمركي كارستان نبيهور الذي يقول: -

- ما إن تقترب من هؤلاء العرب حتى تُدرك أن تاريخهم يعود مُباشرة إلى العصور السحيقة التي تلت الفيضان؛ إننا في أوربا مُغرمون بتخيل أنفسنا كآباء للبشرية؛ معجبون بالمغامرات الساذجة التي نقوم بها؛ حتى اللغة التي نتحدث بها مازالت خاضعة للتشكل اليومي؛ ماذا يُمثل هذا كُله أمام العراقة العربية؟

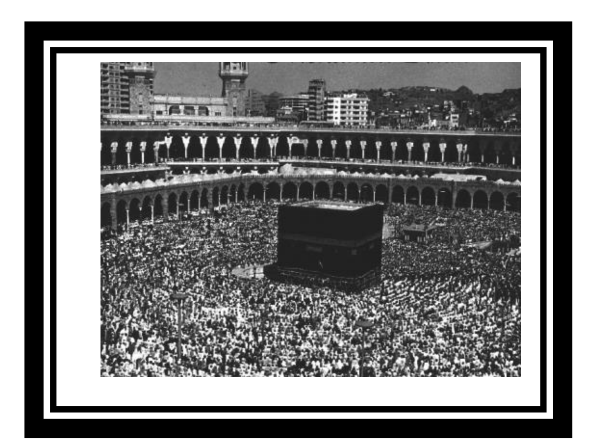
بدأ فارس صليبي يُدعى رينارد دي شتالو رحلة التسلل للأراضي المقدسة في عام ١١٨٠م؛ كان يريد هو وجيشه أن يصلوا إلى المدينة المنورة ليهدم مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام وفي حقيقة الأمر كان يُريد أن يسرق الكنوز التي كانت الأساطير تقول: إنها مدفونة في قبر الرسول عليه الصلاة السلام؛ ولكن ما إن هبط بجنوده على شاطئ البحر الأحمر؛ حتى وجد فُرسان الصحراء العربية في انتظاره؛ كان مُعظمهم عُزَّل وعرايا ولكنهم دافعوا باستماتة أمام الجنود الصليبيين المتحصنين بالدروع الحديدية؛ وسقط الفارس دي شتالو؛ وسيق أتباعه إلى منى حيث تم قتلهم جميعاً. ولم يجرؤ جيش صليبي بعد ذلك على عبور الصحراء؛ ولكن محاولات المغامرين لم تتوقف؛ فقد خرج أفاق إيطالي يدعى لودفيكو فارسيما من فينسيا عام ١٥٠٢م؛ وسافر إلى سوريا واستطاع أن يتنكر كحاج وأن يلتحق بإحدى القوافل التي خرجت من دمشق؛ كان رأس فارسيما مملوءاً بخرافات عصر النهضة؛ لذا فقد قدم وصفاً غير واقعي للأماكن المقدسة؛ بحيث يُرضي تصورات العقل الأوربي عن غرائب هذه الأرض؛ فقد أكد مثلاً أن هُناك حيواناً يُشبه وحيد القرن يعيش داخل الحرم المكي ويختار فرائسه كُل يُوم من بين الحجيج؛ وبعد أن انصرف الحجيج اختبأ فارسيما وظل يتجول في الصحراء لُمدة سبعة أشهر كاملة حتى ذهب إلى عدن وتم القبض عليه بوصفه جاسوساً.

وتوالت محاولات المغامرين؛ بعضهم أصابه الفشل؛ والبعض الآخر استطاع التسلل بالفعل؛ وقدموا شهادات متفاوتة القيمة؛ ولكن أهمهم كان كارسن نبيهور الذي

استشهدنا بقوله من قبل؛ فقد كان الشاهد الأخير على رحلة الموت التي شملت البعثة التي كان هو عضواً من أعضائها؛ كانت البعثة مكونة من ستة أفراد؛ طبيب وعالم نبات ولغوي وجيولوجي وعالم طبيعة ورسام هو نيبهور؛ وقد أرسل البعثة ملك الدنمارك فريدريك الثاني وكانت مهمتها اكتشاف الصحراء العربية؛ أو بالأحرى الأماكن التي حدثت فيها وقائع الكتاب المقدس.

تجول نيبهور كثيراً في الصحراء العربية بعد أن حطت بعثته في اليمن؛ ومات أفرادها واحداً بعد الآخر؛ وواصل هو السفر شمالاً حتى وصل إلى منطقة الحجاز؛ ولكنه لم يستطع الاقتراب من مكة؛ فقد أخبره الأهالي أن هناك قوى سماوية تحرس هذه المنطقة من دنس الأغراب؛ فما إن يقترب أي كافر حتى تخرج عليه كلاب مسعورة جائعة تنهشه نهشاً؛ وأخاف ذلك نيبهور فاكتفى برسم معالم منطقة الحجاز بما فيها من وديان وجبال.

ولكن الصحراء العربية لم تعرف مغامراً مثل بورخارت زعم أن الرحيل إليها لم يكن هدفه الأول؛ كان ما يريده هو الذهاب إلى إفريقيا واكتشاف منابع النيل؛ ولكنه ذهب أولاً إلى سوريا ليتعلم اللغة العربية؛ وعاش في حلب بين السكان المحليين؛ وتطبع بطبائعهم وأجاد لغتهم؛ حتى أصبح حجة في علوم الدين وقيل إن والي مكة نفسه لم يكن يستطيع أن يكتشف أنه ليس مُسلماً؛ وكانت خطته هي أن يذهب إلى الحج ثم يعود مع إحدى القوافل الإفريقية إلى مدينة تمبوكتو حيث يبدأ رحلة عُمره؛ وبمعونة والي مصر الذي كان في هذا الوقت محمد علي باشا استطاع بورخارت أن يلتحق بقافلة الحج المصرية؛ ولكن كُل شيء تغير عندما وصل إلى مكة؛ فلقد وقع في عشق المكان وقال: -



- إذا سئلت عن مكان أتمنى فيه الإقامة إلى الأبد فإن هذا المكان هو مكة.

وقد تُرجم هذا العشق في حوالي ٣٥٠ صفحة من الكلمات الحارة ووصف مكة بطريقة لم يُدع فيها مجالاً لمستكشف آخر.

أما الرحالة الذي لم يهدأ فقد كان ريتشارد بيرتون؛ ويمكن القول: إنه

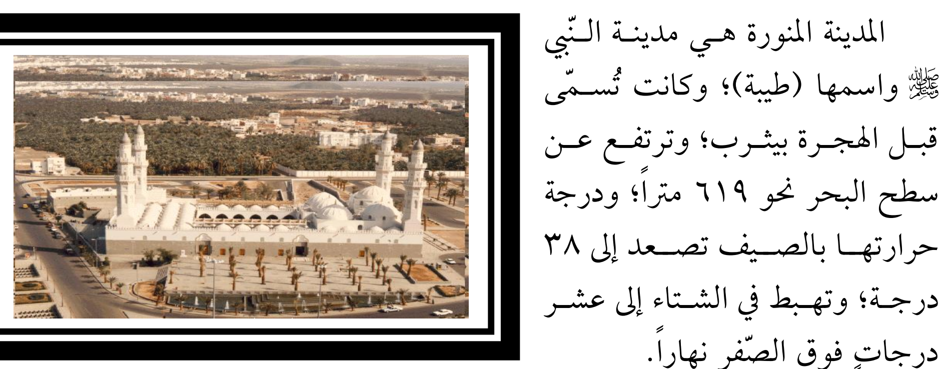
كتب عن الصحراء العربية موسوعة كاملة؛ تحدث فيها عن الصقور والطقوس الدينية والآثار والثعابين والجبال والغناء؛ كان يملك مهارة فذة في تعلم اللغات؛ وقيل إنه كان يستطيع التكلم بحوالي ٢٩ لغة؛ وسافر إلى القاهرة حيث أجاد اللغة العربية؛ وتردد على الأزهر ليعرف المزيد عن تعاليم الإسلام؛ ثم سافر متنكراً مع قافلة الحجاج إلى مكة؛ وقدم وصفاً دقيقاً لهذه الرحلة وبخاصة المدينة المنورة؛ وعندما وصل إلى مكة كان قد أكمل اندماجه حتى أنه استطاع أن يدخل الكعبة؛ وأن يدفع الحجاج لِيُقبل الحجر الأسود وهو يقول: -

- لقد رأيت احتفالات دينية في أماكن عديدة؛ ولكنها لم تكن بكل ذلك الجلال والرهبة مثل مشهد الطواف حول الكعبة.

ولا تنتهي المحاولات؛ ولا يتوقف الرحيل لذلك الوادي الضيق وسط جبال مكة؛ كأن هناك أواصر قوية تشدهم إلى هذا المكان؛ إنه قلب العالم؛ وستظل الدعوة التي أطلقها أبونا إبراهيم لزيارة البيت شوقاً كامناً في أصلاب الأرحام؛ وفي خلايا الأجنة؛ حتى يقبض الله الأرض ومن عليها.

* * * * *

# المدينة المنوّرة



المدينة المنورة هي مدينة النّبي ﷺ واسمها (طيبة)؛ وكانت تُسمّى قبل الهجرة بيثرب؛ وترتفع عن سطح البحر نحو ٦١٩ متراً؛ ودرجة حرارتها بالصيف تصعد إلى ٣٨ درجة؛ وتهبط في الشتاء إلى عشر درجاتٍ فوق الصّفر نهاراً.

رأى بعضهم أنّ كلمة (يثرب) مُحرّفة عن الكلمة المصرية (إتربيس) وأنّ العمالقة قد بنوها بعد خروجهم من مصر. وذهب غيرهم إلى أنّ موسى في طريقه إلى فلسطين؛ وأرسل فرقة من قومه لتكتشف له تلك الجهة؛ فساروا إليها؛ وبلغهم موته فبنوا مدينة إتربيس وأقاموا فيها. وعليه فعمران المدينة يبتدئ من عام ألف وستمائة قبل الميلاد أو ألفين ومائتين واثنتين وعشرين قبل الهجرة.

كانت المدينة مركز لواء مُلحَق بولاية الحجاز ثم جُعِلت متصرفة قائمة بنفسها. وكان فيها عاملان كبيران يقومان بإدارة شؤونها وهما شيخ الحرم والمحافظ؛ وهذا الأخير في يده السّلطة العسكرية التي هي أهم السّلطات. ويتبع المدينة قضاء الوجه أو قضاء ينبع والكور وتيماء. ودومة الجندل والفرع وذو الرمة ووادي القرى وقرى عرينة والسيالة والرهط وكحل ومدين وفدك وخيبر.

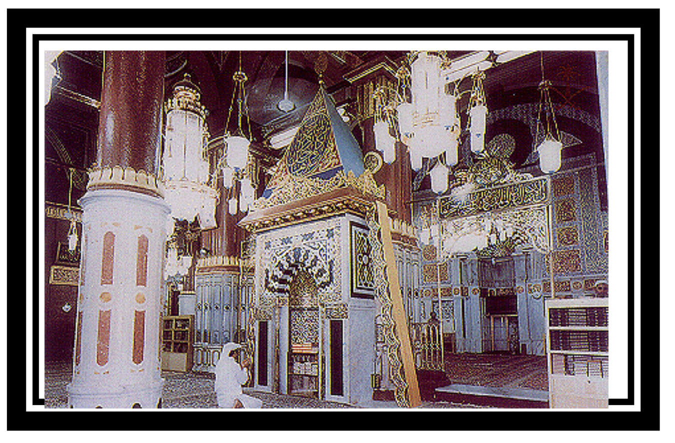
المدينة مبنية في وسط وادٍ شاسعٍ يمتدّ إلى الجنوب. وأغلب مبانيها من الحجر المجلوب إليها من المحاجر القريبة؛ وحارات المدينة نظيفة وضيّقة. وكان سوق المدينة يبتدئ من الباب المصري إلى الحرم الشّريف في شارعٍ ضيقٍ طوله ٥٠٠ مترٍ تقريباً والحركة فيه تكاد تنحصرُ في مُدّة الحج والموسم الرّجبي وهو موسمٌ الزيارة الرّسميةً في بلاد العرب. وتجارة المدينة مدارها على وارداتها الخارجية؛ لا سيّما واردات جاوة والهند والشام؛ وعلى الخصوص في الأقمشة القطنية والصوفية والحريرية والسجاجيد وغيرها. وتجارة البلح فيها هي أكبر التجارات وأوسعها لأن ضواحيها بها كثير من البساتين وفيها نخيل كثير؛ فإنها تُنتج نحو سبعين صنفاً من التّمر.



كان بالمدينة سابقاً مكتباتٌ كثيرةٌ أحسنها مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت؛ وهي قريبةٌ من باب جبريل إلى جهة القبلة. وهذه المكتبة آية في نظافة مكانها وحُسن تنسيقها وترتيب كُتبها وأرضها المفروشة بالسجاد العجمي الفاخر. وفي باب السلام مكتبة للسُلطان محمود ومقدار الكتب التي فيها ٤٥٦٩ كتاباً. وفيها مكتبة للسلطان عبد الحميد الأول تضم ١٦٥٩ كتاباً. وفيها أيضاً مكتبة بشير أغا في زقاق الخياطين؛ وفيها ٢٦٠٣ كتاباً؛ ويُقدّر مجموع هذه الكُتب بثلاثين ألف كتابٍ من الكُتب النّادرة المثال.

كان في المدينة حمامان تُركيان أحدهما داخل المدينة وهو من عمل السّلطان سليمان القانوني والثاني بالمناخة. وفيها خمس تكايا أهمّها التكية المصرية والباقي يسمّونها رباطات. وللمدينة المنوّرة حرم مثل حرم مكّة كان يبلغ قطر دائرته قبل التوسعات

الحديثة في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد وسلفه الراحل الملك خالد نحو كيلو مترين.



في المدينة وضواحيها مزارات كثيرة أشهرها مسجد قباء ومسجد سيّدنا حمزة والبقيع. أمّا مسجد قباء فيبعد عن المدينة مسافة خمسة كيلو متراتٍ. وهو أوّل مسجدٍ بُنِيَ في الإسلام؛ وبناه رسول الله في الجنوب الغربي للمدينة عند دخوله إليها في هجرته؛ وقد جدّد بناءه السلطان عبد الحميد الأول. وبوسط صحنه قبة أُقيمَت على مبرك ناقة النّبي صلى الله عليه وسلم حين قدومه إليها في هجرته من مكة. وأما مسجد سيّدنا حمزة فإنه يُوجد في شمال المدينة في وادي أُحد.

وهذا الوادي مشهور بالواقعة التي حصلت بين المُسلمين والمُشركين في ١٥ شوّال عام ٢ للهجرة؛ وأبلى فيها المسلمون بلاءً حسناً واستشهد فيها سيدنا حمزة عم النبي ﷺ ودُفن فيها؛ شرقي مسجده الحالي. ومن حول قبره أُقيمَت قبور الشّهداء الذين قُتِلوا في هذه الواقعة وعددهم نيّف وسبعون. وفي نهاية الوادي إلى الشمال جبل أحد. وهو جبلٌ صخريٌ من الجرانيت؛ وهو وإن كان من السلسلة الجبلية التي تخترق بلاد العرب إلاّ أنّه يكاد يكون منفصلاً عنها وطوله من الشرق إلى الغرب نحو ستة كيلو متراتٍ.

والبقيع له عند المُسلمين مكانة عظيمة ويُقال له بقيع الغرقد لأنّه كان يكثر فيه هذا النوع من الشجر؛ وبه دُفِنَ نحو عشرة آلاف من الصحابة الكرام؛ وكثير من آل بيت النّبوة منهم سيّدنا علي زين العابدين بن الحسين وولده محمد الباقر وولده جعفر الصّادق. ومن مساجد المدينة المباركة مسجد الرّاية ومسجد الفتح ومسجد القبلتين ومسجد السقيا ومسجد الغمامة ومسجد علي في طريق قباء؛ ومسجد المائدة أمام البقيع من جهة الشرق ومسجد الأحزاب وراء جبل سلع الذي هو على يسار الخارج من الباب الشامي؛ ثم مسجد عروة. كان أهل المدينة

يشـربون مـن آبـار كـثيرةٍ منهـا: بئـر الأعـواف وبئـر أنـس بـن مالـك وبئـر رومـة الـتي اشتراها عثمان بن عفـان لِيُشـرِب المسـلمين منهـا في صـدر الإسـلام. وفيهـا بئـر القـويم وبئر العبّاسية وبئر صفية وبئر البويرة وبئر فاطمة وبئر عروة.

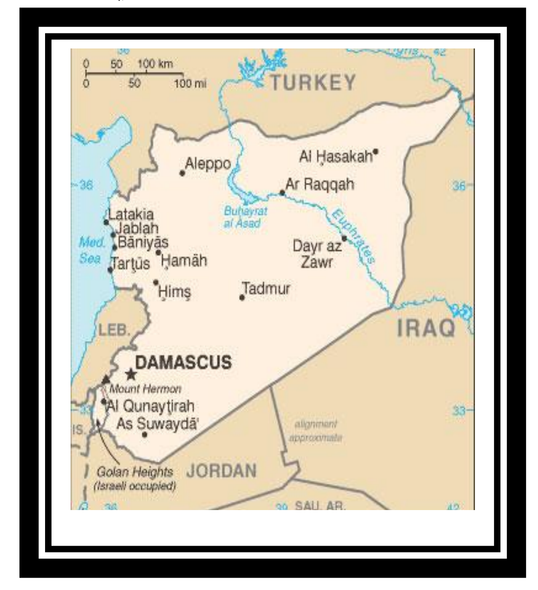
بالمدينـة عيـون مـاء عذبـةٍ منهـا عـين الزرقـاء نسـبةً إلى مـروان بـن الحكـم الـذي أجراهـا بـأمر مُعاويـة وقـتَ أن كـان عـاملاً لـه علـى المدينـة؛ وكـان يُسـمّى الأزرق لزُرقـة عينيـه. ويمـدّ مـاء هـذا العـين مجـرى مـأخوذ مـن عـين في قبـاء أيضـاً يسـمّونها (عـين الـنبي)؛ وماؤهـا يسـير إلى المدينـة. وفي ضـواحي المدينـة؛ عـدا العـين الزرقـاء؛ عـين كهـف غربـي جبـل سـلع؛ وعـين الخيـف وتجـري مـن عـوالي المدينـة؛ وعـين الوادي بجوار قبر حمزة ثم عين السلطان وهي مالحة وتجري من قباء إلى المدينة.

كان في المدينة بالجهة الشّمالية حدائق كثيرة بـالقرب مـن السّـور. كمـا كانـت توجـد حدائق رومية داخل السّور. وفي الجهة الشرقية بساتين وكروم كثيرة مـن النّخيـل. وحـول المدينة أودية كثيرة ينزل فيها كثير من مجـاري السّـيول الـتي تـروي البسـاتين خصوصـاً في الجهات المُنخفضة منها.

* * * * *

# سوريا

الجمهوريّة العربية السورية هي دولة عربيّة مُستقلّة؛ وعضو مؤسّس في الجامعة العربيّة. تقع في غرب قارّة آسيا. يحدّها شمالاً تركيا وشرقاً العراق وجنوباً الأردن وغرباً لبنان والبحر المتوسّط.




تتميز تضاريس سوريا بأن أخفض نقطة هي نُقطة غير مُسماة قُرب بحيرة طبريا ٢٠٠م تحت سطح البحر؛ وأعلى نُقطة هي جبل حرمون ٢٨١٤م؛ واللُغة الرسمية هي العربية؛ وعدد سُكّانها حوالي ١٨ مليون نسمةٍ. وعاصمتها دمشق؛ وأهمّ مُدنها: حلب وحماة وحمص ودرعا واللاّذقية ودير الزّور.

ولغتها الرّسمية هي العربية؛ وعملتها اللّيرة السّورية. تقع بين خطيّ عرض ٣٢ ° و٣٧ ° شمالاً. وأقام بها الآراميون دولتهم بالقرن التاسع ق. م؛ وغزاها الفُرس عام ٣٢٩ ق. م؛ فاليونانيون عام ٣٣٢ ق. م؛ وبها قامت دولة السّلوقيين بين عامي ٣٠٥ و٦٤ ق. م؛ واحتلّها بومبيوس الرّوماني فضمّها لبلاده حتّى جاء العرب ففتحوها بين عاميّ ٦٣٤ و٦٤٠م؛ فأضحت مركزاً للدّولة الأمويّة.



وفي عام ١٥١٦م احتلّها العثمانيون وجعلوا منها ولايةً لهم؛ وفي عام ١٩١٩م وقعت سوريا تحت حُكم الانتداب الفرنسي؛ إلى أن نالت استقلالها نهائياً عام ١٩٤٥م. وفي عام ١٩٥٨م شكّلت مع مصر والجمهورية العربية المتّحدة في عهد جمال عبد النّاصر لتنفصل بعد ذلك عنها عام ١٩٦١م.

سطح الجمهورية العربية السّورية عبارة عن سهولٍ ساحليةٍ؛ وهضاب متّسعةٍ داخليّةٍ تنحدر نحو العراق؛ ويغلب عليها الطّابع

الصّحراوي. وتتخلّل هذه المُنخفضات الصّحراوية مناطق جبليةٍ أهمّها: جبال عبد العزيز في الشّمال (٩٢٠م)؛ جبل البشرى في الوسط (٨٦٧م)؛ وجبل العرب في الجنوب (١٨٠٠ م). وفي الغرب عدّة جبالٍ تُعرَف بجبال العلويّين أو النّصيرية؛ وهي امتدادٌ لسلسلة جبال لبنان الغربية. وفي الجنوب الغربي تقع قمم جبل حرمون أو الشيخ؛ وأعلى قممها يبلغ ارتفاعه ٢٨١٤ متراً. كما إنّ في البلاد عِدّة ينابيع بُركانية؛ وتكثر في منطقة حوران خاصّةً. ويعبر البلاد نهر كبير هو نهر الفُرات الذي ينبع من جبال تُركيا ويجري في اتّجاه سهول العراق. وتتمتّع بواجهةٍ بحريةٍ عريضةٍ على المتوسّط؛ وتُحيط بلبنان من جميع الجهات تقريباً. وأهمّ أنهارها أيضاً نهر العاصي الذّي ينبع من لبنان. ومُناخ سوريا قارّي وجاف في الدّاخل؛ ومُعتدل على السّاحل والجبال الغربية؛ أي شديد الحرارة صيفاً فتصل نهاراً إلى ٤٢ درجةٍ مئويّةٍ؛ وهو شديد البرودة شتاءً وليلاً.

تُعتَبَر سوريا من أغنى البُلدان العربية في الزّراعة؛ وهي في تحسّنٍ مُستمرٍ منذ عام ١٩٩٠م؛ وأهمّ مناطقها الزّراعية: منطقة الجزيرة في الشّمال الشّرقي؛ ومنطقة حوران في الجنوب الغربي؛ وسهول حلب وحماة وحمص. ويُشكّل القُطن الزراعة شبه الوحيدة المُخصّصة للتّصدير. وأهمّ زراعاتها: القُطن والأرز والشّمندر والقمح والحبوب على اختلافها؛ والفاكهة والخُضار (بندورة؛ زيتون؛ عنب؛ بصل) وزيت الزيتون والتّبغ والورود.

يتمثّل الإنتاج المنجمي باستخراج نفطٍ جديدٍ من النّوع الخفيف في حقول اكتُشِفَت حديثاً في دير الزّور والشّام وبصرى وتدمر. أمّا المُقاطعات الجيو نفطية الأخرى في سوريا التّي تُشكّل هدفاً استكشافياً لأعمال التنقيب الحاليّة والمُستقبليّة فهي: مقاطعة جبل عبد العزيز؛ منخفض حمص؛ بادية الشام؛ منخفض دمشق؛ منخفض عفرين؛ نجد؛ حلب؛ ومقاطعة اللاّذقية التي تضمّ مُنخفض الكبير الشّمالي وسهل عكّار. وتقع الحقول المُنتجة التّابعة للشّركة السّورية للنّفط في القسم الشمالي الشرقي؛ وتوضَع هذه الحقول في ثلاث مجموعاتٍ رئيسةٍ؛ هي: -

المجموعة الأولى: حقول الحسكة؛ وتقع إلى الشّرق من مدينة القامشلي.

المجموعة الثانية: حقول الجبّة؛ وتقع في الجنوب؛ وجنوب مدينة الحسكة.

المجموعة الثالثة: تقع في وسط سوريا؛ في منطقة بادية الرّصافة.



وتنتج هذه الحقول مزيج النّفط السّوري الثقيل. أمّا الموارد المنجمية الأخرى فهي: احتياطي بترول؛ وغاز طبيعي (حمص؛ وتدمر)؛ وفوسفات؛ وملح؛ جبس؛ لينيت؛ رخام؛ أسفلت وأسمنت.

تعيش سوريا نهضةً صناعيّةً مرموقةً؛ وتدور الصّناعة السّورية حول تكرير النّفط في مصفاتيّ حمص وبانياس؛ وحول صناعة النّسيج والصناعات الزّراعية - الغذائيّة؛ كما نجد صناعة الهيدروكهرباء؛ والجلد والنّحاس والتّعدين والسّجاد. كما يمرّ الاقتصاد السّوري بمرحلةٍ من الازدهار والنّمو؛ فقد نجحت سوريا في اقتصادها المُنفتِح على الخارج؛ وهي مُستمرة في التّقدم والنّمو.

* * * * *

## دمشق



دمشق هي عاصمة الجمهورية العربية السّورية وأكثر مُدنها سُكاناً؛ وقاعدة مُحافظة دمشق التّي تضمّ أقضية دوما والزبداني والقطيفة والنبك.

تقع دمشق في الجهة الجنوبية الغربية من البلاد؛ إلى الشمال الشرقي من جبل الشيخ؛ في سهلٍ فسيحٍ ومُنبَسطٍ؛ ويخترقها نهر بردى الذي يسقي بساتينها وجنانها؛ ويطلّ عليها لجهة الشّمال جبل قاسيون. وهي مركز مُحافظة دمشق؛ ومركزٌ مُهمٌّ من مراكز التّجارة والصناعة والزراعة والثقافة.

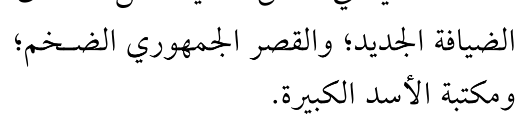
تشتهر دمشق بالصّناعات الكيماوية والمعدنية والكهربائية وصناعة المواد السّكرية والحلويات والمرَبّات؛ وصناعة الغزل والنسيج بسبب انتشار زراعة القطن فيها؛ ومطاحن

الحبوب والصّناعات البلاستيكية؛ وصناعة الجلود والأحذية وغيرها كثير ممّا يدل على أن الصناعة تُمثّل قطاعاً مُتطوّراً ونشيطاً في الجمهورية العربية السورية حيث تعتمد على صناعاتها المحليّة. وأسواق دمشق عامرةٌ دائماً بالمُنتجات والسّلع؛ حيث تعرَض أصنافاً متنوّعةً من السّلع؛ ويقصدها التّجار من جميع البلدان العربية والأجنبية. وأهمّ أسواقها: سوق الحميدية وهو من أكبر الأسواق الشّعبية؛ ويليه سوق مدحت باشا. والسّوقان ما زالا يُحافظان على طابعهما القديم.

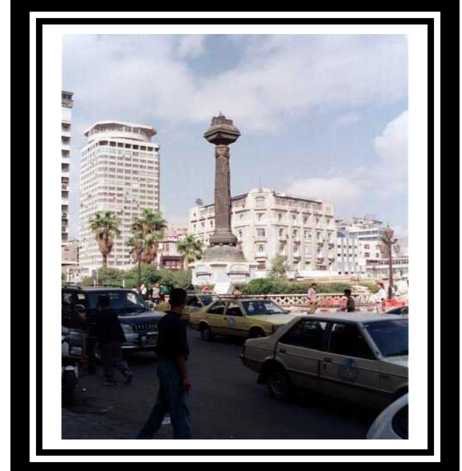
في دمشق جامعة علميّة عريقة تضمّ مُختلف أنواع التّخصصات. وفيها قصر آل العظم والمُتحف الحربي والمُتحف الوطني ومسجد بني أميّة التاريخي والعديد من الآثار البيزنطية والعربية وعدد كبير من المساجد التاريخية والمقامات؛ وأهمّها مقام السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب؛ وهو يستقطب العديد من الزّوار الذين يقصدونه من أماكن مُختلفة؛ ومقام القائد صلاح الدّين الأيوبي والعديد من العُلماء والأولياء. كما فيها مزار وكنيسة الرّسول بولس حيث التجأ بعد تحوّله إلى المسيحيّة؛ ومنها انطلق مُبشّراً في العالم القديم.

وفي دمشق معرضٌ تجاري مشهور؛ وفيها مطاران: الأول مطار المزّة؛ وهو مطار قديم يقع إلى الغرب منها؛ والثاني مطار حديث متطوّر يقع إلى الجنوب الشرقي ويبعد عنها حوالي ٣٠ كيلو متراً.

كما شُيّد في دمشق العديد من الفنادق الفخمة الكبيرة؛ وصروح فارعة كقصر



الضيافة الجديد؛ والقصر الجمهوري الضخم؛ ومكتبة الأسد الكبيرة.



وتمّ على طريق المطار إنشاء مركز للمؤتمرات؛ وكذلك مدينة السينما والكليّة العسكرية للبنات ومشروع مجمّع دار الأوبرا.

وتُعتبر دمشق أقدم العواصم في التّاريخ وأعرقها. سُمّيت بدمشق من (الدّمشَقَة) وهي السّرعة؛ لأنهم دَمشَقوا في بنائها؛ أي أسرعوا. وقيل سُمّيت بدمشق على اسم (دماشق بن قاني بن مالك بن أرفخشذ بن سام بن نوح).

وقيل إنّ أوّل مَن بَنى دمشق بيوراسف؛ وقيل جيرون بن سعد بن عاد بن إرم بن سام بن نوح. بناها بعد مولد إبراهيم بخمس سنين. وقيل إنّ بانيها عازر غلام إبراهيم وكان اسمه (دمشق) فسُمّيت باسمه.

وقالوا: إنّ أوّل حائط وُضِع في الأرض بعد الطوفان هو حائط دمشق وحرّان. وفي بعض التّفاسير أنّ دمشق هي الربوة في قوله تعالى: **{وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ}** [المؤمنون: ٥٠].

كانت دمشق قاعدة الآراميّين عام ٩٤٠ ق. م. ح وافتتحها العرب المسلمون في أولى سنواتهم؛ ثم صارت عاصمة الخلافة الأموية. وتوالى عليها العبّاسيون؛ فصارت مركزاً للشّعراء يَفِدُون إليها يمدحون الخُلفاء فيها سعياً وراء التّكسب المادي. ثُم توالى عليها الطّولونيون والإخشيديون والفاطميون والأيوبيّون والمماليك. ودخلها تيمورلنك عام ١٤٠٠م وأحرقها. واحتلّها العُثمانيون سنة ١٥١٦م؛ وحرّرها المصريون عام ١٨٣٢م بقيادة إبراهيم بن محمد علي باشا.

تشتهر دمشق بحسن عمارتها ونزاهة رقعتها ووفرة فاكهتها وكثرة مياهها. وأجمل ما فيها غوطتها التي لم يُر في الزمن القديم مثلها. ونُسِبَ إلى الأحمصي قوله: جنّات الدّنيا ثلاث: الغُوطة في دمشق ونهر بلخ ونهر الأبلّة.

مِن أهمّ مساجد دمشق: مسجد إبراهيم؛ وهو مسجدان؛ أحدهما في الأشعرين والآخر في برزة؛ مسجد باب الشرقي.



على أنّ أهم مساجد دمشق هو مسجد بني أميّة أو المسجد الأموي؛ ويُعَد مثالاً رائعاً من الحُسن والصّنعة في العمارة. بدأ عمارته الوليد بن عبد الملك عام ٨٧هـ. واستمر العمل فيه تسع سنين.

وقد قال عنه أحد عُلماء الآثار الغربيّين: -

- إن لم يكن أعظم الأبنية التي قامت في أرض الإسلام حتى ذلك الوقت فحسب؛

بل أحد ابتكارات فن البناء العالمي في كلّ الأزمان وفي البلاد.

وفي دمشق من الآثار: كنيسة (حنانيا) القديمة؛ وهي تحتفظ بطابعها البسيط في قلب كهفٍ حجري. وقريباً من دمشق دير أثريّ شُيِّدَ على تل صخرى في صيدنايا؛ وهو مزار دينيّ.

وبها أسواق شرقية؛ تُعرَض فيها البضائع محليّة الصُنع ذات الطّابع الشّرقي؛ وخاصّةً الدمشقية؛ كالموزاييك الدقيق الصُنع؛ ونسيج البروكار المصنوع على الأنوال اليدوية؛ وصناعات الخشب المُطعّم بالصّدف والزخرف؛ والمُطرّزات وأشغال الإبرة؛ والآنية النّحاسية المنقوشة.

وأشهر هذه الأسواق: (سوق الحميديّة)؛ وفيه يقع الجامع الأموي؛ وقد بنى السّوق السّلطان عبد الحميد قبل أكثر من مائة عامٍ؛ فسُمّيت باسمه.

أمّا مُتحف دمشق فهو من أجمل متاحف المنطقة وأغناها. وتشمل آثاره العهود: اليونانية والرومانية والبيزنطية والعهد الإسلامي. وأهمّ ما في فرع الآثار السّابقة للفتح اليوناني مجموعة آثار ماري من تماثيل الألباستر؛ وقطع الصّدف؛ ولوحات الفخّار وآثار رأس شمرا (أوجاريت)؛ ومن ضمنها حجر الألفباء الفينيقيّة؛ وبه مجموعة برونزية ثمينة.

وفي دمشق الآثار العُثمانية؛ والتّكية السُليمانية؛ وقصر العظم؛ وهو نموذج جميل للفنّ المعماري في منتصف القرن ١٨؛ وقد حُوِّل إلى مُتحف للتقاليد الشّعبية؛ وصنفت مُنظمة اليونسكو دمشق القديمة مدينة تُراثية عالمية عام ١٩٧٩م.

* * * * *

## المسجد الأموي

يوجد المسجد الأموي في دمشق عند نهاية سوق الحميدية. وقد قام ببنائه الوليد بن عبد الملك في عام سبعمائة وست عشرة ميلادية؛ حين كانت دمشق عاصمة للإمبراطورية العربية الإسلامية.



ومن أبرز ملامح المسجد: المآذن الثلاثة المختلفة؛ والأجزاء العليا التي تم تجديدها خلال حكم الأيوبيين والمماليك والعثمانيين. وللمسجد حجرة كبيرة للصلاة وفناء واسع. أما الجدران الداخلية فهي مغطاة بلوحات الفسيفساء الزجاجية الملونة والمطلية بالذهب؛ حيث تصور مناظر طبيعية خلابة. أما قبة المسجد فهي تتميز بفخامتها ولونها الأزرق الذي يميل إلى الرمادي.

* * * * *

## مسجد خالد بن الوليد

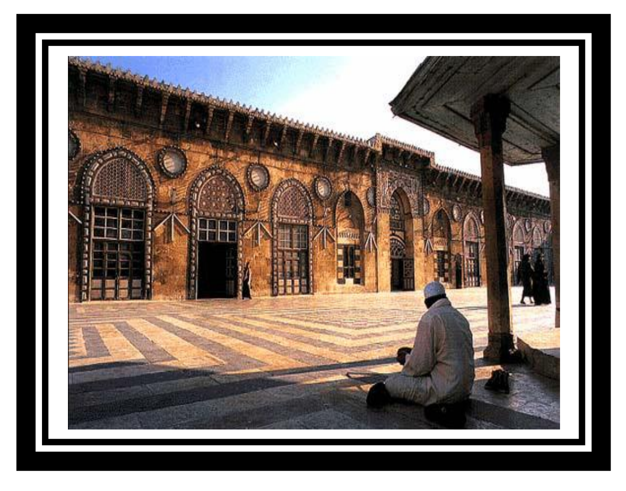
يقع مسجد خالد بن الوليد القائد العظيم للجيوش العربية الإسلامية في حمص ثالث أهم المدن في سوريا. والتي توجد على بعد مائة وستين كيلو متراً شمال دمشق.



يُعد مسجد خالد بن الوليد من أهم الآثار التاريخية المُتبقية رغم الزلازل التي قضت على مُعظم الآثار الموجودة في هذه المدينة؛ وللمسجد مئذنتان طويلتان من الأحجار البيضاء التي تُضفي بعض الضوء على المبنى. ويتجلى فن المعمار السوري الأصيل في الأعمدة الرفيعة التي تتشكل من أحجار بيضاء وسوداء مصفوفة في خطوط عرضية.

* * * * *

## حلب



حلب هي المدينة الثانية في سورية بعد العاصمة دمشق. وتقع في الشمال الغربي من سورية؛ ويبلغ عدد سُكانها حوالي المليوني نسمة؛ وتُعدّ مركزاً تجارياً قديماً وما تزال. فقد اتّسعت تجارتها قديماً لتصل إلى الهند والصين وأقاصي

أوروبا وغيرها. ولذلك تجد الخانات التي بُنِيَت في القرن الثالث عشر قد تحوّلت إلى مقرٍ لإقامة الجاليات الأجنبية والأوروبية منها خصوصاً.



تُعدّ حلب اليوم مركزاً صناعياً كبيراً بالإضافة إلى كونها مركزاً تجارياً مُهماً. كما أنّها مدينة أثريةٌ قديمة. فقد كانت جُزءاً من الإمبراطورية الحيثّية (الألف الثاني قبل الميلاد) وضمّها الآشوريون في عام ٧٣٨ ق. م. وبقيت تحت حُكم الأخمينيّين إلى أن جاء الإسكندر الكبير.

وبعد أن أصبحت من مُمتلكات سلوقوس نيكاتور احتلّها الرومان في العام ٦٥ ق. م؛ وهدمها الفُرس بعدهم. ودخل العرب المُسلمون حلب سلماً بقيادة الصحابيين أبى عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد رضي الله عنهما من باب إنطاكية ووقفوا داخل الباب ووضعوا أتراسهم في مكان؛ فبُنِيَ في ذلك المكان مسجدٌ يعود تاريخ بنائه إلى القرن الهجري الأوّل. وعَرَفت مدينة حلَب فترة ازدهارٍ في عهد الخلافة العبّاسية؛ حتّى جعل الحمدانيّون منها إمارةً مستقلّةً ومزدهرةً. ثم وقعت عام ١٠١٥م تحت حُكم الفاطميين؛ ثُم السّلجوقيين (١٠٨٦ – ١١١٧ م)؛ ثُم الزّنكيين والأيوبيين؛ وغزاها هولاكو القائد التّتري؛ ودمّرها في عام ١٢٦٠م؛ ثمّ حكمها المماليك وبعدهم العثمانيّون (١٥١٦ – ١٩١٨م) وجعلوا منها ولايةً. وفي عام١٩٢٠م جعلها الفرنسيون قاعدة دولة مستقلّةٍ.



من معالم حلب الأثرية: الجامع الكبير (جامع زكريا بن يحيى) حيث يُوجد فيه قبر له؛ وهو المسجد الأمويّ حيث بُني في العصر الأموي الذي كانت أرضه في العهد البيزنطي بستاناً للكنيسة العُظمى. ولّما فتح العرب المُسلمون حلب صالحوا أهلها

على موضع المسجد الذي بُنِيَ في عهد الوليد بن عبد الملك أو في أوائل عهد أخيه سُليمان. وقد تهدّم مرّات وجُدّد. وفيها قلعة حلب الشهيرة التي كانت عاصمة الدّولة الحَمَدانيّة التي وصلت إلى أوجها في عهد سَيْف الدَّوْلَة الحَمَداني الذي أكثر من غزو الرّوم. وفي مواجهة القلعة؛ وقُرب المدرسة السُلطانية؛ وتقع المدرسة الخسرويّة (وهي عبارة عن جامع ومدرسة وتكية) التي أمر ببنائها خسرو باشا العُثماني الذي كان والياً على حلب ابتداءً من عام ١٥٣٧م.

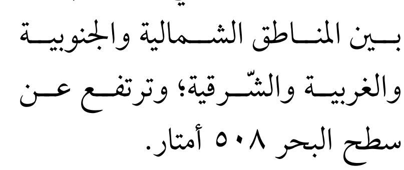
والجامع يحوي إلى الآن الثانوية الشّرعية التي تُعلّم العلوم الشرعية والكونية وتمنح الشّهادة الثانوية. وهكذا كانت الجوامع مراكز للعبادة والعلم والأعمال الخيرية الاجتماعية. وأحصُوا في حلب أكثر من ٦٠ مدرسةٍ أثريةٍ قديمةٍ وأكثر من ٢٥ زاوية دينية تعليميّة. وتتميّز حلب اليوم بكونها مركزاً صناعياً مُهماً؛ إذ فيها العديد من معامل الصّناعات الثّقيلة؛ بالإضافة إلى كونها مركزاً تجُارياً مرموقاً بحُكم موقعها الاستراتيجي القريب من تُركيا والعراق؛ وصنفت مُنظمة اليونسكو حلب القديمة مدينة تُراثية عالمية عام ١٩٨٦م.

* * * * *

## حمص

تُعتبر حمص ثالث مدينة سورية من حيث عدد السكان والأهمية بعد دمشق وحلب. تقع في الجزء الغربي من وسط سورية؛ وعلى الطريق بين دمشق وحلب. تبعد ١٦٠ كم عن العاصمة دمشق؛ وهي مركز أكبر المُحافظات السّورية. وتُعدّ بموقعها المتوسّط همزة الوصل





بين المناطق الشمالية والجنوبية والغربية والشّرقية؛ وترتفع عن سطح البحر ٥٠٨ أمتار.

يبلغ عدد سكّانها ٨٠٠ ألف نسمةٍ؛ وعدد سُكّان مُحافظتها نحو ثلاثة ملايين نسمة؛ وتبلغ مساحتها ٤٢٢١٨ كم أي نحو أربعة أضعاف مساحة الجمهورية اللّبنانية؛ وتُعدّ سوقاً للبادية السّورية. وهي مركز مُهمّ للزراعة كزراعة الحبوب والخضار والقطن والشمندر السُكري. كما إنّها مركز صناعي يهتمّ بصناعة المنسوجات؛ وهي غنية بالمعامل

والمصانع؛ وفيها مصفاة للنّفط. وتقع قلعة حمص فوق تلٍ ارتفاعه ٣٢ متراً. فيها بُرجان يعودان إلى العهد الأيوبي. وتعود بقية تحصيناتها إلى العهدين المملوكي والعُثماني. ولعبت القلعة دوراً مرموقاً في التّاريخ؛ وبخاصّةً في عهد الدّولتين الزّنكية والأيوبيّة وكذلك المماليك. وكان لسور حمص سبعة أبواب اندثرت. وفيها مجموعة من الجوامع الأثرية كجامع: الدالاتي، وجامع الخليفة عمر بن عبد العزيز وفيه قبره؛ ومسجد أبي ذر الغفاري. أما أشهر الجوامع على الإطلاق فهي: جامع الصحابي خالد بن الوليد وفيه قبره؛ وجامع النوري الكبير وكان معبداً وثنياً ثم تحوّل بعد الفتح الإسلامي إلى مسجدٍ رمّمه وجدّده الملك الزّنكي محمود نور الدين؛ فحمل اسمه (النوري).

تتركّز حول هذا الجامع الحمّامات الشهيرة؛ بالإضافة إلى العديد من الأسواق والخانات القديمة. وفي حمص مجموعة كنائس قديمة؛ منها كنيسة ما زالت آثارها قائمة في حيّ آل الزّهراوي؛ ويعود تاريخها إلى القرن الثّالث الميلادي؛ وكنيسة السّيدة أم الزّنار ويعود تاريخ بناء هيكلها إلى القرن الخامس الميلادي.

أمّا الآثار في المُدن التابعة لمُحافظة حمص فهي كثيرة جداً؛ منها مدينة تدمر الصّحراوية الشهيرة. وفي منطقة (تلكلخ) قلعة الحصن؛ ودير مار جرجس؛ ونبع الفوار المُقدّس. وفي منطقة القصير تلّ النبي مَند وطواحين وجسور وقناطر. وفي منطقة الرّستن كهوف أثرية وأقنية رومانية والقبو الأبيض. وفي منطقة المخرم قصر الشّندفيان.

حمص مدينة مُغرقة في القِدَم. وسكنها الإنسان الحجري مُنذ ٥٠ ألف عامٍ ق. م. وتعاقب على سكنها الأموريون؛ والحيثيون؛ والفينقيون؛ والآراميون؛ واليونان؛ والرومان؛ والعرب والأتراك؛ كما وردَ ذكر حمص في التّوراة أكثر من مرةٍ. وقرب حمص وقعت معركة قادش التي انتصر فيها رمسيس الثاني المصري على الحيثيين؛ وعندها هزم أورليان الملكة زنوبيا في ٢٧٢م.

وأصيبت حمص بزلزالين مُدمّرين في عامي ١١٢٧م؛ و ١٣٠٧م. وفي عام ٨٠ ق. م. ظفرت حمص باستقلالٍ إداري إذ حُكِمَت من قِبَل ملوكها المحليّين من أسرة سمسيجرام (٨٠ ق. م. - ٧٩م) الّذين بلغت حمص في عهدهم أوج الازدهار. ثُم عادت حمص ودخلت تحت الحُكم الرّوماني؛ واستقلّت أسرة (السّميذع) العربية في تدمر وحَكَمت سورية أيّام أذينة الثاني (٢٤٥ - ٢٢٦) وزوّجته زنوبيا. ثم حكم حمص الغساسنة العرب برعاية البيزنطيين.

وعرفت حمص في عهد الخلفاء الراشدين شأناً عظيماً حيث كان فتح حمص في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب. وبقي لحمص مركزها المرموق طيلة عهد الأمويين ومطلع عهد العباسيين؛ ثُم انحطّت مكانتها السياسية لأنّها كانت بين آونةٍ وأخرى تُعلن العصيان وتُشعل الثّورات ضد العبّاسيين وولاتهم؛ فلا تحصد إلاّ الخراب والدّمار.



لّما جاء الصليبيون عجزوا عن الاستيلاء عليها لدفاع أهلها عنها. ولما استولى القائد التّتري تيمورلنك على بلاد الشام؛ مرَّ بمدينة حمص فلم يدمّرها أو يستبيحها كما فعل ببقية المُدن السورية؛ بل وهبها لجثمان الصّحابي خالد ابن الوليد؛ وقال: - يا خالد إن حمص هديتي إليك أقدّمها من بطلٍ إلى بطلٍ.

وفي الحرب العالمية الأولى؛ شارك عدد من أبنائها في الثورة العربية؛ وعلّق جمال باشا ثلاثةً من أبطالها على أعواد المشانق عام ١٩١٦؛ وهُم: الشّيخ عبد الحميد الزّهراوي؛ والمُحامي رفيق رزق سلّوم؛ والدكتور عزة الجندي.

ويُوجد في حمص مدينة قديمة تُوضع على مساحة بحدود ١,٢ كم٢ داخل سور المدينة وهي مبنية فوق المدينة الرومانية القديمة وتتميز بشوارعها الضيقة والملتوية؛ وبيوتها المبنية من الحجر والخشب والطين؛ وبأسواقها التُجارية الضيقة والمسقوفة والمُغلقة. ويمر فيها نهر العاصي الذي تغني به الكثير من الشعراء ويقسمها لقسمين يفصلهما عن نهر العاصي منطقة بساتين خضراء تُشكل حزام أخضر للمدينة ولا يسمح بالبناء فيه. وتشتهر مدينة حمص بهوائها العليل ولها مكانة أثرية هامة نظراً لموقعها وتعدد وتنوع آثارها التي تعود لُمختلف العصور.

إنَّ مدينة حمص مدينة قديمة جداً يرجع تاريخها إلى ما قبل ميلاد السيد المسيح بحوالي ٢٣٠٠ سنة؛ وشهدت الحضارات والممالك المختلفة التي مرت على منطقة بلاد الشام بكل أنواعها؛ وظلت زمناً تُعرف بأسماء مُختلفة [صوبا - أميسا - حمس ]؛ وهُناك اختلاف في أصل تسميتها بين المؤرخين؛ ولكن الظهور الحضاري الثابت والواضح للمدينة كان عام

٦٤ قبل الميلاد حين دخلها الرومان أثناء اجتياحهم لبلاد الشام وحظيت برعاية خاصة منهم؛ وتزوج القادة العسكريون الرومان من نسائها اللاتى أنجبن عدداً من القياصرة الذين حكموا الإمبراطورية الرومانية؛ وقد دخلها العرب المُسلمون بعد معركة اليرموك على يد خالد بن الوليد وأبو عُبيدة عامر بن الجراح عام ٦٣٣ ميلادية المُوافق عام ١٦ هجرية؛ ودخلت التاريخ الإسلامي لبلاد الشام مُنذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا.

ومن المعالم الأثرية والتُراثية الهامة في مدينة حمص: قلعة حمص: وتقع في الجنوب الغربي من مدينة حمص القديمة على تل ارتفاعه ٣٢م؛ وفيها بُرجان يعودان إلى العهد الأيوبي؛ أما باقي تحصيناتها فتعود إلى العهدين المملوكي و العُثماني؛ وقد لعبت دوراً مرموقاً في التاريخ وبخاصة في عهد الدولة الأيوبية والمماليك.

* * * * *

## سور حمص

يعود تاريخ بناء السور في أصله إلى الحيثيين والآراميين وقد رممه الروم وأولاه الأيوبيون عنايتهم وقد تعاقبت عليه الكثير من الحضارات؛ وكان يعتبر السور الحصن المتين لحماية المدينة من الأعداء في السابق؛ وحالياً تظهر آثار السور في الجهة الشرقية من المدينة؛ و للسور أبراج دفاعية؛ وله سبعة أبواب لا تزال من حيث الموقع مُحافظة على وظيفتها التاريخية؛ وهي التي تربط المدينة القديمة بالمدينة ككُل وهي: باب تدمر - باب السباع - باب الدريب - باب التُركمان - باب هود - باب المسدود - السوق.

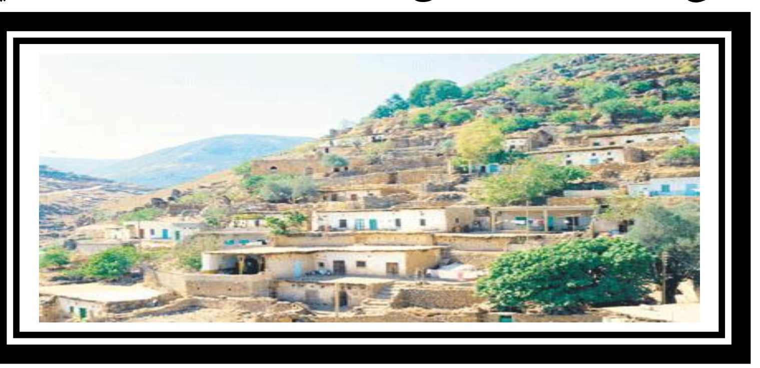
يوجد بحلب مجموعة من الجوامع الأثرية منها: جامع الصحابي خالد بن الوليد: ويعرف بجامع (سيدي خالد) ويقع في الجهة الشمالية الشرقية من مدينة حمص القديمة ويعود بناؤه بوضعه الحالي إلى العهد العُثماني إذ أقيم على أنقاض المسجد القديم الذي كان قائماً وفق الطراز العُثماني ممزوجاً بطراز عربي؛ ويتميز بمئذنتيه العاليتين وقبابه التسع؛ ويضم قبر الصحابي خالد بن الوليد؛ والجامع النوري الكبير: يقع وسط مدينة حمص؛ وقد كان في القديم معبداً وثنياً وتحول بعد الفتح الإسلامي إلى مسجد رممه وجدد بناءه الملك الزنكي محمود نور الدين فحمل اسم (النوري)؛ وقد اعتبر هذا الجامع جامعة القرن الماضي وبداية هذا القرن حيث كان يتم التدريس فيه؛ ويُعد من أقدم أماكن العبادة في المدينة؛ هو ومسجد أبي ذر الغفاري؛ ومسجد الخليفة عُمر بن عبد العزيز.

* * * * *

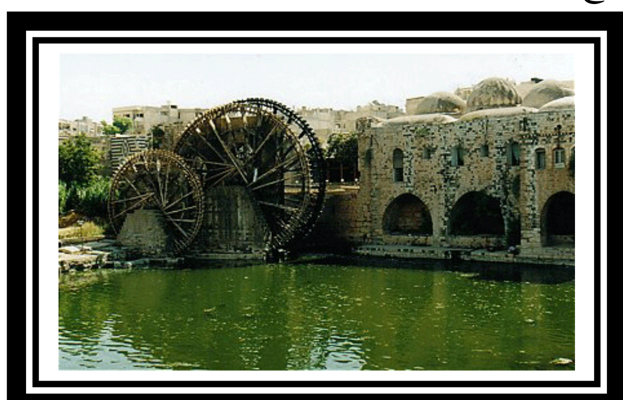
# حماة

حماة هي رابع مدينةٍ سوريةٍ من حيث عدد السكان بعد دمشق وحلب وحمص؛ إذ يبلغ عدد سكّانها نحو نصف مليون نسمةٍ.

تقع المدينة وسط منطقةٍ خصبةٍ على ضفاف العاصي وتبعد عن العاصمة دمشق ٢٠٩ كيلو مترات؛ وترتفع نحو ٣٠٠ متر عن سطح البحر؛ ويمرّ فيها الطريق الرّئيسي الواصل بين دمشق وحلب. وأهمّ ما يميّزها ويقترن باسمها نهر العاصي ونواعيره؛ والذي يقسمها إلى قسمين: الحاضر في شرقيه؛ والسّوق في غربيه؛ وتتناثر بيوتها على ضفّتيه؛ وفي وسطها قلعة أثرية تحتوي على كثيرٍ من القطع الأثرية النّفيسة.



أُطلِقَ على مدينة حماة: (مدينة النّواعير) لكثرتها في المدينة وضواحيها. ويعود تاريخ النّواعير إلى عهد الآراميين؛ وبلغ عددها في مُحافظة حماة ١٠٢ ناعورة؛ بما فيها ١٦ ناعورة في المدينة نفسها. وفي حماة موقعان أثريان مهمّان؛ هما قصر ابن وردان الذي يبعد ٧٠ كيلو متراً شرقي مدينة حماة؛ وقد بُني في عهد الإمبراطور البيزنطي جوستنيانوس الأوّل (٥٢٧ - ٥٦٥ م)؛ وقلعة شيزر الواقعة على بعد ٢٥ كيلو متراً شمال غربي حماة؛ وقد وُرِدَ ذكرها للمرّة الأولى حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد؛ في عهد الفرعون (تحتمس).



* * * * *

# اللاّذقيّة

تقع مدينة اللاذقية السّوريّة على شاطئ البحر الأبيض المتوسّط الشمالي الشرقي في شمال غرب سورية؛ مُقابل أقصى طَرَف قبرص. كانت قديماً مرفأً مهمّاً؛ وهي الآن ميناء رئيسِيّ للجمهوريّة العربية السّورية.



ولّما كانت اللاذقية مسرحاً للحروب الطاحنة والغزوات السالفة والمخربة من قِبَل شعوبٍ كثيرةٍ وتعرّضها للزلازل العديدة.. كُلّ هذا أثّر في اندثار آثارها. فلا عجب ألا نرى فيها أيّة آثار أكانت مدنيّة أم دينيةً مُهمةً. فلَم يتبقّ شيء يُذكَر من سور المدينة ومن مبانيها وشوارعها وأحيائها القديمة.

فمن الآثار الباقية: المسرح الكبير الذي لا يَظهر منه إلاّ أطراف متناثرة هُنا وهُناك؛ إضافةً إلى قُبّة قوس النّصر اليونانية والأعمدة الأربعة التّي شُيِّدَت تكريماً للإمبراطور سبتيموس ساميروس الرّوماني. وفي العهد الفينيقي الذي يعود إلى القرن الثاني عشر ق. م أُطلِقَ على مدينة اللاّذقية اسم (أمانثا)؛ وقيل إنّها (راماثا) و(راميتا) أي (المُرتفعة).





فكلمة اللاذقية بالذّال المُعجمة مكسورة؛ وقاف مكسورة وياء مشدودة ثم هاء في الآخر معناها مدينة عتيقة جداً. وأطلق عليها (فيلون) اسم (راماواثوس) ومعناها (الإله السّامي). وجاءت تسميتها بالشاطئ الأبيض؛ وسمّاها القائد

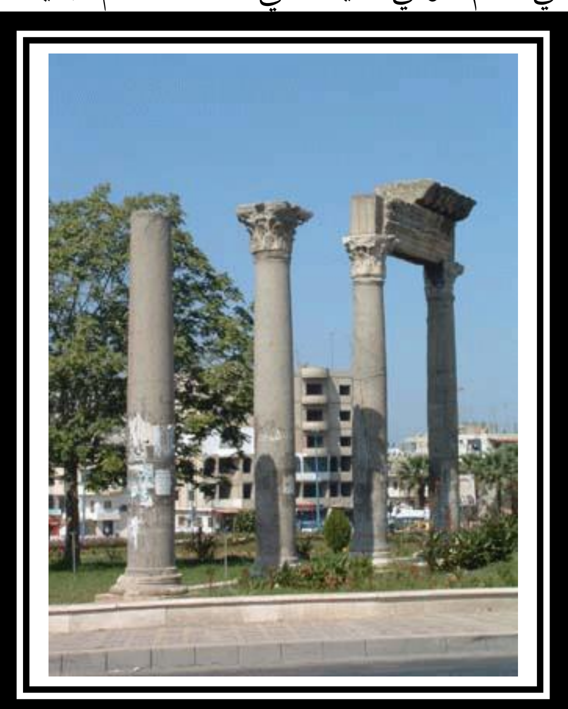
اليوناني (سلوقس نيكاتور) مُجدّد بنائها (لاوذيقيا) أو (لاوذيسيا) نسبةً إلى والدته؛ علماً أنّ مُدُناً كثيرةً أخذت هذا الاسم.

وتمييزاً لها عن بقيّة المدن؛ سُمّيَت بـ(لاذقية البحر) أو (لاذقية الشّام). وشرّفها يوليوس قيصر باسم (جوليا)؛ ودعاها الإمبراطور الرّوماني (سبتيموس ساديروس) سيبتيما السّافرية؛ وأطلق عليها العرب اسم: (لاذقية العرب) ووصفوها بعروس السّاحل. بما أنّ تسمية المدينة تعود إلى القرن الثّاني عشر ق. م. أيّام الفينيقيّين؛ فهذا دليلٌ على قِدَم بناء المدينة. ولكن مُجدّد بنائها هو الحاكم (سلومش نيكاتور) ما بين ٣١٢ و٢٨١ ق. م.؛ وكان ذلك في السّنة الثالثة من موت الإسكندر المقدوني. ولكن أغلب المصادر العربية أجمَعت على أنّ بانيها هو الحاكم (سلوقس). وهناك أسطورةٌ لبنائها؛ مفادها أنّه عندما عزم سلوقس على بناء المدينة؛ توجّه إلى معبد الإله زوس وقدّم له القرابين؛ سائلاً إيّاه أن يهديه إلى المكان المناسب لبناء المدينة. وفيما هو غارقٌ في ابتهالاته وتضرّعاته؛ حطّ على المذبح نسرٌ ضخمٌ واختطف قسماً من الذّبيحة وطار بها.

فانزعج سلوقس وجرى وراء النّسر فقاده المسير إلى صخرةٍ مرُتفعةٍ تُشرف على البحر. وهناك برز له خنزيرٌ بريٌّ فهاجمه؛ فانشغل سلوقس عن ملاحقة النّسر بالتّصدي للخنزير فقتله. ففهم سلوقس أن مشيئة الإله زوس بأن يبني المدينة في هذا المكان. فأمر رجاله بأن يخطّوا بدمّ الخنزير موضع أسوار المدينة؛ ثم فوق جُثّته أقيمت أوّل بناياته وأُطلِقَ على المدينة الجديدة اسم والدته (لاوذيسية).

ولكي تحظى المدينة ببركة الآلهة؛ قدّم لها قرباناً فتاة حسناء تُدعى (أغاني)؛ ثُم أمر بأن يُنصَب تمثالٌ للفتاة ليجلب السّعادة إلى المدينة. إنّ ندرة المُكتشفات الأثريّة التي تعود للعصور الحجرية والتاريخية في المدينة لا يعني أنّ مدينة اللاذقية حديثة العهد.

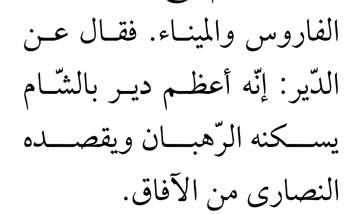
لكن مدينة اللاّذقية قديمةٌ وهذا ما دلّ عليه معنى اسمها: (عتيقة جداً). ووُروَد اسمها في العهد الفينيقي بـ(أمانثا). وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنّه يدلّ على قِدَم المدينة. ناهيك بذلك وجود المواقع الأثرية المجاورة لمدينة اللاذقية؛ مثل رأس ابن هاني الذي يبعد عن اللاّذقية ١١ كم؛ والميناء البيضاء الذي يبعد ١٣ كم شمالي اللاذقية؛ وأوغاريت رأس شمرا التي تبعد ١٦ كم عن اللاّذقية؛ والتي بُنِيَت في الألف الثاني ق. م.؛ وهي المدينة التي أعطت العالم أبجديته المعروفة بالأبجدية الأوغاريتيّة. بالإضافة إلى ذلك؛ وُجِدَ في أوجاريت أوّلُ لحنٍ مُدوّن يعود للألف الثّانية ق. م؛ ويبعد موقع رأس البسيط عن المدينة ثمانية كيلو متراتٍ. وكان قديماً مرفأً محصّناً وقاعدةً يستعدّ فيها المُهاجمون لشنّ الحروب. وهناك أيضاً موقع مار إلياس الذي يُعتَبَر حصناً لمدينة اللاّذقية. وهذا يُشير أن مدينة اللاذقية قديمةٌ جداً. عندما احتلّ الإسكندر المقدوني سورية على إثر معركة إيسوس؛ وقعت مدينة اللاذقية تحت الحُكم المقدوني. وبعد موت الإسكندر آلت سورية إلى حُكم السلوقيين نسبةً إلى سلوقس اليوناني الذي يُعزى له بناء مدينة اللاذقية. وعُدَّت مدينة اللاّذقية واحدة من المقاطعات الأربع التي اعتبرها السّلوقيون مركز سورية العليا. فتأثّرت هذه المدينة بالحضارة الهلنستية. احتل الرّومان سورية على يد القائد (بومبيّ)؛ واستولوا على مدينة اللاذقية عام ٣١ق. م. وأقام الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس ٢٧ ق. م/ ١٤م في المدينة موكب النصر وبنى فيها أبنيةً مختلفةً. في عام ١٩٣م في عهد الإمبراطور سبتيموس ساويروس؛ نالَت اللاّذقية كل الامتيازات التي كانت قبلاً لإنطاكية؛ فدعاها سبتيما (السّافرية) ومنحَ أهلها شرف الانتساب إليه فصاروا يُدعون (سبتيميّين) وشُيِّدَ قوس النّصر في اللاّذقية الباقية آثاره حتّى اليوم. وفي عام ٣٣٠ م انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين: شرقية وغربية؛ فتبعت اللاّذقية الإمبراطورية البيزنطية الشّرقية.



وصلت المسيحية إلى اللاذقية في مطلع تاريخها؛ على يـد المُبشّـرين الأوّلـين. فقيـل إنّ الرسول لوقيـوس اللاّذقـي كـان أوّل أسـقف عليهـا في القـرن الأول المـيلادي؛ ثـمّ جـاء الإسلام؛ فتمّ فتح اللاذقية في عام ٦٣٧م على يـد القائـد عبـادة بـن الصـامت؛ وضُـمّت المدينة إلى أجناد حمص. ولكن هناك فترة من تاريخ اللاذقية غارقة في الظـلام؛ هـي الفـترة المُمتدّة ما بين٦٣٧م و٨٦٣م؛ لا يُعرَف عن اللاذقية إلاّ النّذر اليسير؛ ففـي عـام ٧١٨م في عهد الخليفة الأموي عُمَر بن عبد العزيـز؛ تعرّضـت المدينـة إلى هجـومٍ مـن قِبَـل الـروم؛ فهدموها فأمر الخليفة بإعادة بنائها وتحصينها في سنة ٧٧٨م.

في عام ٨٠٩ م تعرضت المدينة لزلزال عنيفٍ فلـم يبـق باللاّذقيـة منـزلٌ إلاّ وهُـدِمَ فـوق أصحابه؛ ولم ينج إلاّ القليل. وفي عام ١٣٣٩ًم؛ زار ابن بطوطة اللاّذقية؛ وكان أهمّ ما لفته ديـر





الفاروس والمينـاء. فقـال عـن الدّير: إنّه أعظـم ديـر بالشّـام يســكنه الرّهبـــان ويقصـــده النصارى من الآفاق.

وفي عام ١٦٠٦م؛ انتقل لــواء اللاّذقيــة لحكــم فخــر الدين المعني؛ ولكـن في عـام ١٧١٧م أغار القراصنة على لواء اللاذقيـة وأسـروا عـدداً من أهلها وباعوهم في الجزائر؛ ثمّ آلـت اللاذقيـة في عـام ١٨٣١م للحكـم المصـري إبـان حكم إبراهيم باشا على بلاد الشام؛ فـأظهر اهتمامـاً كـبيراً بـأمر المدينـة واتّخـذها قاعـدةً لعساكره. وبعد انسحاب الجـيش المصـري مـن بـلاد الشـام؛ عـاد لـواء اللاذقيـة للحكـم العثماني. اشتركت اللاّذقية مع بقية المناطق السورية بالثّورة على العثمانيين أثنـاء الحـرب العالمية الأولى؛ ورحّبت؛ هي وتلـك المنـاطق؛ بحكـم الملـك فيصـل الـذي لم يـدم طـويلاً. وعندما قامت الدولة الفرنسية المُنتدبة على سورية ولبنان؛ جعلـت مـن اللاذقيـة عاصـمةً لدولةٍ علويّةٍ قامت على الساحل السّوري. ولكن هذا الأمر لم يـدم؛ وعـادت اللاذقيـة إلى حُضن الدولة السورية الواحدة.

من أهمّ آثار اللاذقية قلعة صلاح الدّين التي تمتلك أهمية إستراتيجيّة بسبب موقعهـا.

وقد تمّ بناؤها في عهد الغزوات الصّليبية؛ ووُصِفَت بأنّها أكثر القلاع مناعةً وقوّةً في الشّرق؛ وعظمتُها أنّها تقوم على صخرةٍ شاهقةٍ ملساء الحواف؛ ليس لها سوى ممرّ صخري واحد فقط فوق الخندق الطّبيعي المحفور في الصّخور؛ والوحيد الذي استطاع السيطرة عليها هو صلاح الدين. ولذلك سُمّيَت القلعة باسمه.

أمّا المناطق السياحية التّابعة لها فهي: -

١ - (صلنفة) التي تبعد ٥٠ كم إلى الشّرق عن مدينة اللاذقية؛ وترتفع عن سطح البحر ١٢٠٠م وتُعَدّ من أجمل المَصايف السياحية في سورية.

٢ - (كسب) التي تبعد ٦٥ كم شمال مدينة اللاذقية؛ وترتفع عن سطح البحر ٨٠٠م.

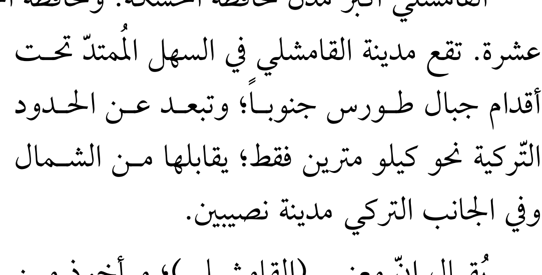
٣ - (سلمى) التي تبعد عن صلنفة ١٢كم وترتفع عن سطح البحر ٨٠٠م.

* * * * *

## القامشلي

القامشلي أكبر مدن محافظة الحسكة. ومحافظة الحسكة هي إحدى محافظات سوريا الأربع عشرة. تقع مدينة القامشلي في السهل المُمتدّ تحت أقدام جبال طورس جنوباً؛ وتبعد عن الحدود التّركية نحو كيلو مترين فقط؛ يقابلها من الشمال وفي الجانب التركي مدينة نصيبين.





يُقال إنّ معنى (القامشلي)؛ مأخوذ من لفظة تركية هي (قاميش). وهذه اللفظة تعني (القصب) باللّغة التركية؛ وذلك لكثرة استنبات القصب على نهر (جعجع) الذي ينبع من الأراضي التّركية ماراً بمدينة القامشلي.

سكّانها نسيج اجتماعي مُتجانسٌ؛ فيه من كُلّ الملل والأقوام والأديان؛ يُشكّلون من خلال ذلك لوحةً فُسيفسائيّةً متآلفةً ومتحابةً. توسّعت مدينة القامشلي في كلّ الاتجاهات؛ وخاصّةً في الجنوب باتّجاه المطار؛ وفي الغرب والشّرق باتّجاه العنترية والهلالية؛ وأصبحتا ضمن أحياء المدينة. وقد نُظّمت الشوارع فيها بشكلٍ مُستقيمٍ ومتوازٍ؛ ضمن تنسيقٍ جميلٍ بين أحيائها وهذه الشوارع؛ وفيها ثمانية وعشرون حياً.

وتبلغ مساحة مدينة القامشلي حوالي ٣٨ كم٢ تقريباً. لم تكن المدينة موجودة حتى عام١٩٢٥؛ وكل ما كان في موقعها الحالي وجواره تجمّعات من البدو الذين كانوا يرعون أغنامهم بمحيطها ويستخدمون مياه نهر (جغجغ) لإرواء قطعانهم. من هذه القبائل (الحريث) برئاسة حسين المقطف. وقصة نشأة المدينة بدأت عام ١٩٢٣ عندما أخذ الوجود السّوري يتغلغل نحو الشمال الشرقي؛ فأحدث قضاء سُمّي قضاء (بياندور) وهي قرية تقع في شرقي القامشلي الحالية بنحو ٢٠كم. ثم انتقل مركز القضاء إلى تلّ (قيرو) وأُطلق عليه اسم (قضاء كرو). وبعد أن تبيّن أن هذا الموقع غير صالحٍ؛ انتقل مركز القضاء إلى القامشلي.



* * * * *

# المالكية

يترك الزّائر مدينة القامشلي السورية مُتّجهاً نحو الشّرق؛ فإذا قطع ثلاثين كيلو متراً؛ وَجَد نفسه يصعد في منطقةٍ جبليةٍ قليلة الارتفاع؛ تتخلّلها هضاب وسهول ووهاد؛ وكثير من مجاري المياه والسهول. فهو أبداً في صعودٍ هيّنٍ أو انحدار خفيفٍ حتّى يصل مدينة المالكية؛ ثم يتركها بعد أن يمرّ من مركزها باتّجاه الشمال. وتتعاقب المشاهد فيظلّ مأخوذاً بها حتّى يبلغ عين ديوار في أقصى الشمال؛ هذه القرية الصغيرة التي شهدت الكسوف الكلي الأخير للشّمس واستقطبت اهتماماً إعلامياً كبيراً إذ استضافت أشهر علماء الفلك في العالم.

تقع مدينة المالكية في أقصى الشمال الشرقي من سورية في محافظة الحسكة التي تُعرَف بالجزيرة؛ في منطقةٍ مرتفعةٍ نسبياً تبعدُ عن العاصمة دمشق حوالي ألف كيلو متر. فيما تفصلها حوالي ست كيلو متراتٍ عن الحدود التركية؛ ونحو ثمانية عشر كيلو متراً عن الحدود العراقية.



تطلّ المالكيّة على نهر دجلة ويشمخ من ورائها جبل جودي في تركيا بقُمّته الشّاهقة التي يُظَن أنّ سفينة نوح وقفت عليه.

في عام ١٩٢٨م أصبحت هذه المدينة ضمن الأراضي السّورية بعد أن تمّ تخطيط الحدود بين سورية وتركيا؛ وتُعرَف هذه المدينة باسم (ديريك). ومنذ ذلك التاريخ أخذت تنمو وتتّسع ودبّ فيها النشاط. تتميّز المالكية ببعض مبانيها القديمة: دار الحكومة (السّرايا) وهي الآن مركز لمديرية المنطقة؛ الكنيسة القديمة والجامع القديم. وما زالت آثار الثّكنة الفرنسية باقية وشاهدة على دخول الفرنسيّين المدينة وحكمها طوال أعوام احتلالهم ما بين ١٩٢٠ و ١٩٤٦ . ولعلّ أشهر ما يُميّز هذه المدينة عن غيرها وجود البترول بمنطقتها المُسمّاة الرّميلان وكراتشوك؛ والغاز في السويدية؛ إضافةً إلى جسرها الشّهير المُسمّى جسر الرومان. البناء في المالكية مُؤلف من ركيزتين قويتين بعرض عشرة أمتارٍ وارتفاع ثلاثة أمتار تقريباً؛ وتقوم القنطرة على هاتين الرّكيزتين بشكل نصف دائرةٍ بيضاويةٍ.

المالكية كثيرة الأمطار والمُعدّل السّنوي فيها يزيد كثيراً على ٥٠٠ م؛ لذلك فهي تُعتَبر من أغنى مناطق الجزيرة بالمياه الجوفية. كما تتميّز بتربةٍ بُركانيةٍ عميقةٍ كثيرة الخصب؛ وتكثُر فيها المروج الطّبيعية التي تنمو في فصل الربيع بحيث تبلغ المتر في بعض الأماكن. ومُناخ المالكية حار صيفاً كباقي أرجاء الجزيرة؛ وبارد شتاءً لارتفاع المنطقة وقربها من الجبال التركية المكسوة بالثلوج في هذا الفصل. ويُعرَف عن مزارعيها إقبالهم على زراعة الأشجار والمشمش والخوخ بأنواعه والقطن والحبوب. يسود نمط الحياة الرّيفية في المالكية؛ ولا شكّ أن الرّابطة الأسرية المتينة هي السائدة وحدها تقريباً ولا وجود للنزعات الفردية. ويتميّز سكان المالكية بفئاتهم المختلفة من أكراد وسريان وأشور وكلدان وبإفراطهم في الكرم؛ إذ يحتلّ الضيف المكانة الأولى في المنزل. كما ينتشر الزواج المُبكر في المنطقة ويغلب الطابع الحديث على طقوس الزواج في المدينة. أمّا في الريف فيسود الطابع التقليدي الذي يختلف من فئةٍ إلى أخرى. ومن أفراح المالكية الأخرى عيد

النّيروز في ٢١ آذار الذي يحتفل الناس به بالخروج إلى الطّبيعة؛ وعيد البربيطة وعيد العمال بالإضافة إلى الأعياد الدّينية إذ يستقبلون الحجّاج بتزيين مداخل بيوتهم بأغصان الأشجار والعبارات الدّينية؛ كما تُنحَر الذبائح وتُقام الاحتفالات.

* * * * *

# السّويداء

مدينة السّويداء السورية؛ قديمة قِدَم التّاريخ. تشتهر بآثارها وبطبيعتها الجبلية السّاحرة. وتقع في أقصى جنوب الجمهورية العربية السّورية؛ وتبعد عن العاصمة دمشق حوالي ١٠٠ كيلو مترٍ إلى الجنوب.



مدينة السويداء هي كبرى مدن محافظة السّويداء. ترتفع عن سطح البحر ١٠٠٠ مترٍ؛ لذلك تُعتبر مصيفاً رائعاً حيث تكوْن درجات الحرارة صيفاً معتدلةً معظم الوقت. تشتهرُ المحافظة بزراعة التّفاح والعنب بكافّة الأنواع؛ وتُعتبَر فاكهتها من أطيب الفاكهة بسبب اعتماد الأشجار على الأمطار وليس على الرّي. تشهد السويداء حركةً عمرانيّةً واسعةً؛ وهي تشتهر أيضاً بفن العمارة؛ حيث تكثر فيها الفيلاّت الجميلة؛ ذات الحجر الأبيض والحجر الأسود.



تحتوي المحافظة بشكلٍ عامٍ على عددٍ من المعامل والمصانع؛ ولكنّها لا تُعتبر مدينةٌ صناعيةٌ. ويعتمد معظم الناس في مواردهم على الزّراعة. يُعدّ جنوب سورية من المناطق الغنية بالآثار والأوابد التّاريخية الهامّة. فكل حجرٍ من أحجاره ترجمان يفصح عن تاريخه الحضاري

الغابر؛ ولكلّ موقعٍ من مواقعه الأثريّة قصة مشرقة من الماضي؛ تلقي ضوءاً وهّاجاً على حضاراتٍ تليدةٍ؛ ازدهرت في هذه البقعة الجميلة من سورية. منذ العصور الحجرية الوسيطة والحديثة ١٢٠٠٠ - ٤٠٠٠ ق. م؛ سكن الإنسان القديم هذه المنطقة التّي تشمل حالياً جبل العرب أو محافظة السّويداء؛ وحوران أو محافظة درعا؛ والجولان أو محافظة القنيطرة؛ وخلّف وراءه آثار مساكنه وكهوفه وأدواته الحجرية والصوانية والفخارية. وقد عرف هذا الإنسان تدجين الحيوان وتربيته؛ واستقر ضمن تجمّعاتٍ زراعيةٍ وقرى منظمة؛ ومارس الزّراعة بعد استنباط العديد من أصناف الحبوب البرّية؛ واعتمد عليها في تأمين غذائه اليومي. وكان قبل ذلك يعيش على الصّيد والالتقاط والجمع. وحبك من أغصان النّباتات والأشجار السّلال وطلاها من الداخل بالطين ليحفظ فيها مواده وقوت يومه. ثم طوّر هذا الأسلوب فصنع الأواني والجرار الفخّارية عندما اكتشف تصلب الفخار قرب موقد النار. ثم اخترع الدولاب؛ فزاد إنتاجه أضعاف ما كان عليه وتحسّنت نوعيته. وعندما اكتشف المعادن كالنحاس والقصدير والحديد ٤٠٠٠ - ٥٠٠ ق. م؛ وصنع منها أدوات مختلفة ومنها أسلحته وحليه.

استقرت في هذه المنطقة مُختلف الموجات القادمة من شبه الجزيرة العربية وما بين النهرين من: أكادية؛ آمورية؛ كنعانية؛ آرامية؛ آشورية؛ نبطية؛ صفائية؛ غسانية. وتعرّضت للغزو اليوناني؛ السّلوقي والبلطمي؛ ثم قدِمت الفتوحات العربية الإسلامية عام ٦٣٥ م.



عُرِفَت مناطق جنوب سورية قديماً باسم (باشان) أو (بازان)؛ خلال العصر الكنعاني في الألف الثانية ق. م. وكانت تمتدّ من جبال الحرمون حتّى شرقي الأردن؛ وحكمها الملك (عوج) ثم خضعت لحكم مملكة دمشق الآرمية خلال الألف الأولى ق. م. وفي أيام الآشوريين حملت تسمية (جبرانوي) أي الأرض المُجوّفة. كما حملت تسميات مختلفة مثل (أورانيتيس) أي بلاد الكهوف والمغائر؛ و(تراخونيتيس) أي بلاد الحجارة الكثيرة؛ و(جولانيتيس) أي منقطة الهضاب ذات التحصينات. وسُمِّيَ جبل

العرب وقتئذٍ (أسلداموس) وكان ذلك خلال العهـود اليونانيـة – الرومانيـة – البيزنطيـة. أما خلال العصر العربي الإسلامي فقد سُمّي جبل العـرب بـجبل (الرّيـان) أي المُرتـوي والمشبع بالخصب؛ حيث تَغنّى به الشاعر الأموي جرير قائلاً: –

يا حبّذا جبل الريان من جبلٍ...... وحبّذا ساكن الرّيان مَن كانا

كمـا سُـمّي في القـرن الحـادي عشـر المـيلادي جبـل (بَـني هـلال) نسـبةً إلى قبيلـة بني هـلال التّـي استوطنته قبـل مغادرتهـا إلى شمـال إفريقيـا. وبعـد هجـرة الأسـر مـن طائفـة المسـلمين الموحّـدين إليـه قادمـةً مـن لبنـان في نهايـة القـرن السّـابع عشـر وبدايـة الثّامن عشر؛ أصـبح يُعـرف بجبـل الـدّروز حتـى عـام ١٩٣٧؛ حيـث أُطلِـقَ عليـه اسـم (جبـل العـرب). ويُعـرَف حاليـاً بمحافظـة السّـويداء. كمـا تُعـرَف حـوران بمحافظـة درعا؛ والجولان بحافظة القنيطرة.

* * * * *

# فلسطين

تقع فلسطين على الشاطئ الشّرقي للبحر المتوسط. عاصمتها القُدس. يحدّها لبنان شمالاً؛ والبحر المتوسّط غرباً؛ ومن الجنوب الغربي مصر؛ وخليج العقبة جنوباً؛ وشرقاً الأردن والبحر الميت؛ ومن الشّمال الشّرقي سوريا؛ وهي عضو في جامعة الدول العربية؛ اللغة الرسمية هي العربية.




تبلغ مساحتها ٢٧٠١٠ كم[٢]؛ وتتميز تضاريسها بأن أخفض نقطة (غزة): البحر الأبيض المتوسط ٠ م (الضفة الغربية)؛ والبحر الميت ١٠٨م تحت سطح البحر؛ وأعلى نُقطة (غزة): جوز أبو عودة ١٠٥م (الضفة الغربية)؛ وتل عاسور (جبال الخليل) ١٠٢٢م.

أهمّ مُدنها: القُدس؛ الخليل؛ غزّة؛ أريحا وحيفا.

كانت فلسطين؛ عبر التّاريخ؛ جزءاً من امبراطورية أو كيانٍ آخر. وقد عُرِفَت بأرض كنعان؛ نسبةً إلى حضارة الكنعانييّن؛ وقد بُنيت مَدينةُ القدس حوالي عام ٣٠٠٠ ق. م.؛ وتعرّضت هذه المنطقة إلى غزوةٍ من اليهود في القرن الثّاني عشر قبل الميلاد؛ وحاولوا فيها إبادة الشّعوب الأصليّة بقسوةٍ ووحشيّةٍ لكنهم فشلوا.

حاول يُوشع بن نون احتلال مدينة القُدس التي كانت تُعرَف بيبوس؛ فقاومه سُكّانها بقوّةٍ؛ وأخيراً تمكن داود بن عيسى من الاستيلاء عليها عام ١٠٠٠ ق. م؛ ثمّ ابنه سليمان الحكيم ثم ولده رحيمام.

ثم انقسمت البلاد إلى دولتين: مملكة يهودا وعاصمتها أورشليم؛ ومملكة إسرائيل وعاصمتها السّامرة؛ ونشبت الحرب بينهما. هاجمهم الأشوريّون واحتلوا القُدس؛ فانقرضت مملكة يهودا عام ٥٨٦ ق. م؛ ثمّ تبعتها مملكة إسرائيل. وفي عام ٣٣٢ ق. م. استولى الإسكندر المقدوني على أورشليم؛ ثمّ الرّومان. وفي عام ٦٦م وبعد ظهور السّيد

المسيح وانتشار المسيحيّة؛ تمكّن اليهود من الاستيلاء على أورشليم. وفي عام ١٣٥م؛ تمكّن الإمبراطور الرّوماني هدريان من إخماد ثورة اليهود؛ ودمرّ أورشليم وطردهم منها.

ودخلت جيوشُ الفرسِ القُدسَ عام ٦١٤م. وفي عام ٦٣٦م؛ اتّجهت جيوش المُسلمين لفتح القدس وبلاد الشّام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب؛ فدخلت بيت المقدس؛ وأصبحت القُدس عربيّة إسلاميّة؛ حيثُ تعاقَب على حُكمها الخُلفاء الرّاشدون؛ فالأمويون؛ فالعبّاسيون؛ فبنو طولون؛ فالأخشيديّون؛ فالفاطميّون؛ فالسّلاجقة؛ فالمماليك؛ فالأتراك المُسلمون وحتّى عام ١٩٤٨م؛ باستثناء فترة الحروب الصّليبية ١٠٩٩ - ١١٨٧م.

احتلّت بريطانيا مدينة القُدس عام ١٩١٧م؛ وأنشأت فيها حكومة عسكرية؛ وتمّ بعد ذلك تعيين هربرت صموئيل حاكماً لها بتأثيرٍ من الحركة الصّهيونية في لندن. ومنذ عام ١٩٣٣م زادت هجرة اليهود إلى فلسطين إثرٍ تفاقم الحركة النّازية في أوروبّا. وتشكّلت حركاتٌ وطنيّةٌ برئاسة الحاج أمين الحُسيني عام ١٩٣٦م لقيادة الثّورة الفلسطينية ضدّ الاستعمار البريطاني؛ وطالبت بالحدّ من هجرة اليهود؛ وعُقِدَ مؤتمران في لندن عاميّ ١٩٤٦م و١٩٤٧م لأجل ذلك؛ ولكنّهما فشلا في الوصول إلى تفاهمٍ بين العرب واليهود. وإثر ذلك أقرّت الأمم المتحدة تقسيم فلسطين إلى دولتين: إحداهما عربية والأخرى يهودية. وتمّ إعلان دولة إسرائيل التّي اعترفت بها كلّ من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي؛ وأنكرتها الدُّول العربية.

قبل أن تنسحب بريطانيا من فلسطين في عام ١٩٤٨م باعتبارها الدّولة المُنتدبة؛ كانت قد أحالت أمر فلسطين إلى الأمم المُتّحدة في عام ١٩٤٧م؛ حيث أخذ بند فلسطين الكثير من المناقشات والمُداولات. وفي النّهاية؛ اتُخذ قرار بتقسيم فلسطين إلى دولتين: إحداهما عربية والأخرى يهوديّة.

وبموجب هذا القرار رقم ١٨١ بتاريخ ١٩٤٧م اعترفت الأمم المتحدة بوجود دولة يهوديّةٍ على مساحةٍ من فلسطين تبلغ ١٤. ٤٠٠ كلم؛ رغم أن حوالي نصف هذه الدّولة كان من السّكان العرب. فقد كان يقطن في هذه المنطقة ٥٥٠ ألف يهوديّ و٥٠٠ ألف عربي؛ ويمتلك فيها العرب ما يزيد على ثلثيّ ما في تلك الدّولة من عقارات. وفي عام ١٩٤٨م أُعلن في إسرائيل رسمياً قيام دولة إسرائيل؛ واعترفت بها الولايات المُتّحدة الأمريكية والاتّحاد السّوفيتي (سابقاً). وفي عام ١٩٤٩م تقدّمت إسرائيل بطلبٍ إلى مجلس

الأمن لقبولها عضواً في الأمم المتّحدة واتّخذ مجلس الأمن قراره رقم ٦٩ لعام ١٩٤٩م القاضي بقبول إسرائيل عضواً في الأمم المتّحدة. وهكذا حقّقت الحركة الصهيونية انتصاراً كبيراً ومهمّا؛ خطّطت له منذ المؤتمر الصّهيوني الأوّل الذي عُقِدَ في مدينة بال (سويسرا) في عام ١٨٩٧م.

بعد هزيمة الجيوش العربية عام ١٩٤٨م؛ وقّعت كُلٍ من مصر ولبنان وسوريا والأردن اتّفاقات هُدنةٍ مع إسرائيل؛ وأنهت العمليات العسكرية عام ١٩٤٩م؛ وكانت مُشكلة اللاّجئين الفلسطينيين الذّين طُرِدوا من أرضهم ووطنهم على رأس الأسباب التي حالت دون عقد مُعاهدات سلام بين إسرائيل والبلدان العربية. فقد كانت الدّول العربية تلحّ بالسّماح للاّجئين بالعودة إلى ديارهم ووطنهم؛ وكان الإسرائيليون يرون أنّ مُشكلة اللاّجئين يجب أن تندرج كجزءٍ من خطةٍ شاملةٍ للسّلام. وفي عام ١٩٥٦م اندلعت الحرب العربية الإسرائيليّة الثّانية بعد أن أعلنت مصر تأميم قناة السّويس ومنعت مرور السُّفن المُتوجّهة إلى إسرائيل أو القادمة منها وأغلقت مضائق تيران. واشتركت في هذه الحرب كُلٍّ من بريطانيا وفرنسا إلى جانب إسرائيل؛ وأنزلتا جيوشهما في مصر؛ ولكنّ الأمم المتّحدة والضّغوطات الأمريكيّة والروسية أجبرت الدّول المتحالفة الثلاث (فرنسا - إنجلترا - إسرائيل) على سحب قوّاتها من مصر. واستمرّت مصر في منع إسرائيل من استعمال قناة السّويس؛ بينما أمّنت قوات الأمم المتّحدة حُرية المرور عبر مضائق تيران.

شهدت السّنوات التالية لحرب عام ١٩٥٦م حالةً من التّوتر الدائم على حدود إسرائيل مع مصر والأردن وسوريا حتّى كان عام ١٩٦٧م؛ حيث اندلعت الحرب العربية - الإسرائيلية الثّالثة. وبِطَلبٍ من مصر؛ انسحبت القوات الدّولية وعاد الجيش المصري وأغلق مضائق تيران؛ فردّ الإسرائيليون بإشعال حربٍ خاطفةٍ ضدّ مصر والأردن وسوريا؛ فاحتلّوا خلالها قطاع غزّة وشبه جزيرة سيناء والضّفّة الغربية ومُرتفعات الجولان في غضون ٦ أيامٍ. ورفضت إسرائيل بعد ذلك الانسحاب من الأراضي العربيّة المُحتلّة ما لم تباشر الدّول العربية بفتح مفاوضات سلامٍ معها. واستمرّت حالة الحرب والتّوتر الشّديد؛ وبخاصة بعد انبثاق حركة المقاومة الفلسطينية وقيامها بعملياتٍ عسكريّةٍ وفدائيةٍ ضدّ الأهداف الإسرائيلية. وقد أوصل هذا الوضع إلى انفجار جديدٍ في المنطقة؛ وهو الحرب العربية الإسرائيلية الرّابعة أو حرب أكتوبر ١٩٧٣؛ حيثُ تمكّن الجيش المصري من اختراق خطّ بارليف على قناة السّويس؛ وتمكّن الجيش السّوري من تحرير قسمٍ من الجولان المُحتلّ. إلاّ أنّ الجيش المصري لم يُتابع زحفه في سيناء؛ فعاد الإسرائيليون

واخترقوا صفوف الجيش المصري في عملية ثغور الدفرسوار وباتوا يُهدّدون المُدن المصرية القريبة من القناة. مما أجبر مصر من عقد معاهدة سلام مع إسرائيل من يومها إلي الآن. وبعد هذه الحرب زادت إسرائيل من مستوطناتها في الضفة الغربية التّي دعتها السّامرة ويهودا للدّلالة على يهودية المنطقة وعلى أنّها جزء من إسرائيل؛ وجعلت عاصمتها مدينة القدس نفسها. وفي عام ١٩٨٢م ضمّت مناطق الجولان السورية إليها.

وكانت هذه المُعاهدة في عام ١٩٧٧م حيث زار الرّئيس المصري أنور السّادات إسرائيل في محاولةٍ لوضع حدٍّ لحالة الحرب بين مصر وإسرائيل؛ ودعمت أميركا هذا الاتجاه حتى أوصلت البلدين إلى توقيع اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٨م؛ ثُم إلى توقيع مُعاهدة سلام بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩م.

وبموجب هذه المُعاهدة اعترفت مصر بإسرائيل مقابل انسحاب الإسرائيليّين من سيناء (وتمّ الانسحاب في عام ١٩٨٢)؛ وإجراء مُحادثاتٍ لحلّ المشكلة الفلسطينية. وأصرّت إسرائيل على عدم إجراء مفاوضاتٍ مع منظّمة التّحرير الفلسطينية مُعتبرةً إيّاها مُجرّد مُنظمةٍ إرهابيةٍ.

وبعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ وخروج الفلسطينيّين إلى تونس؛ ضعفت العمليات الفدائية الفلسطينيّة بنسبةٍ كبيرةٍ من الخارج. إلاّ أن الفلسطينيين في الداخل كانت لهم الكلمة الأولى.

ففي عام ١٩٨٧م انطلقت الانتفاضة الفلسطينية من قطاع غزّة وما لبثت أن شملت جميع الأراضي الفلسطينية؛ فكانت مقاومة الحجر للسّلاح. وكانت أن شملت جميع الأراضي الفلسطينية تحت جناحين: جناح المُقاومة الإسلاميّة (حماس) بزعامة الشيخ أحمد ياسين؛ ومنها حركة الجهاد الإسلامي؛ وجناح حركة فتح التّابعة لمنظّمة التّحرير الفلسطينية برئاسة عرفات. هذه الانتفاضة القوية لاقت دعماً كبيراً من جميع الشّعوب العربية والإسلامية لضرورة استمرارها؛ ذلك أنّها شكّلت ضغطاً كبيراً على الإسرائيليين؛ سواء كان في الداخل أو على الصّعيد العالمي؛ إذ ظهرت للعالم الصورة الواضحة البشعة لكيفيّة تعامل العدوّ الإسرائيلي المُدجّج بالسّلاح مع الشّاب الفلسطيني الأعزل.

هذه الضّغوطات أجبرت الجانب الصّهيوني على القبول بمبدأ البدء بمباحثاتٍ جوهريّةٍ حول موضوع تحقيق السّلام في المنطقة؛ وفقاً لمبدأ «الأرض مقابل السّلام». ولم تتوقّف الانتفاضة الفلسطينية إلاّ عام ١٩٩٣ عندما تمّ توقيع اتفاق غزّة – أريحا ودخول

ياسر عرفات إلى غزّة وتسلّم الحُكم الذّاتي فيها.

بـدء المفاوضـات العربيـة - الإسـرائيليّة عـام ١٩٩١م (اتّفـاق أوسـلو): بـدأت المفاوضات العربية الإسرائيلية لأوّل مرّةٍ في العاصمة الأسبانية مدريد برعاية الولايات المتّحدة الأمريكية وروسيا ممثّلتين بوزير خارجيّة كلّ منهما ووزير خارجية كلّ من سوريا ولبنان ومصر والأردن؛ ومُمثّل عن مُنظّمة التّحرير بالإضافة إلى رئيس وزراء إسرائيل آنذاك إسحق شامير. وبعد ذلك بدأت المفاوضات المنفردة بين كلّ دولة عربيةٍ منفصلةٍ مع إسرائيل. وفي هذه الأثناء كانت تدور مفاوضات سرّية بين كلّ من وفدٍ عن منظمة التّحرير الفلسطينية وإسرائيل في أوسلو (عاصمة النّروج) توصّلا من خلاله إلى اتّفاق؛ أسمياه «اتفاق أوسلو» وُقّع على عهد رئيس وزراء إسرائيل؛ إسحاق رابين؛ الذي اغتيل في عام ١٩٩٥م؛ وعن الجانب الفلسطيني رئيس منظّمة التّحرير الفلسطينية ياسر عرفات؛ وبرعاية الرّئيس الأمريكي بيل كلينتون؛ وذلك في عام ١٩٩٣م.

وقد اعتُبِرَ هذا اليوم يوماً تاريخياً لأنّه وضع حداً للحرب القائمة بين الإسرائيليين والفلسطينيين عقب نكبة ١٩٤٨م. ونصّ هذا الاتفاق على انسحاب الإسرائيليين من مدينتيّ غزة وأريحا وتسليمهما إلى الشّرطة الفلسطينية (التي خضعت للتّدريب في الأردن) وقيام سُلطة مُباحثات الوضع النّهائي وموضوع القدس. وفي أواخر عام ١٩٩٦م؛ وأوائل عام ١٩٩٧م أجرى التّوصل إلى اتّفاق الخليل ثُم بروتوكول تنفيذه؛ وفيه تمّ انسحاب الإسرائيليّين من بعض المناطق في الخليل وتحديد بعض النّقاط المُشتركة بين الجانبين. وكان بنيامين نتنياهو رئيس الحكومة الإسرائيلية آنذاك (١٩٩٦م - ١٩٩٩م)؛ وقد ماطل كثيراً في تطبيق هذه الاتفاقيات والالتزام بها؛ الأمر الذي أدى إلى تأخير عملية السّلام كثيراً والتّشاؤم من وجود نتنياهو على رأس الحكومة الإسرائيلية.

في عام ١٩٩٨م انعكس فشل المُحادثات التّي أجرتها وزيرة الخارجية الأمريكية مادلين أولبرايت؛ مع كُلٍّ من رئيس وزراء إسرائيل نتنياهو؛ والزّعيم الفلسطيني ياسر عرفات في لندن؛ وحدث توتّر في العلاقات الأمريكية الإسرائيلية؛ إذ رفض نتنياهو الذّهاب إلى واشنطن. وبدأ المُنسّق الأمريكي دنيس روس الخاص بعملية السّلام في الشرق الأوسط جولته الجديدة في المنطقة باجتماعٍ مع عرفات؛ وجاءت هذه الزّيارة وسط أجواءٍ ملبّدةٍ بالتّشاؤم بين الفلسطينيّين والإسرائيليّين حول إمكانية التّوصل إلى حلٍّ في المفاوضات حول الانسحاب من الضّفة الغربيّة.

وبدأت الاجتماعات بين نتنياهو وعرفات في«واي بلانتيشن» في الولايات المُتحدة. وقد قطعت هذه المُحادثات مرحلةً حاسمةً؛ وبخاصّة بعد التّدخل الشّخصي للرئيس الأمريكي كلينتون لثلاث مرّاتٍ متتاليةٍ في غضون أربعة أيّامٍ.

ووقّع الفلسطينيون والإسرائيليون اتفاقاً سُمّي إعلان (واي بلانتيشن) في احتفالٍ مُختصرٍ. وأساس هذا الاتفاق هو أن تُعيد إسرائيل بعد ١٢ أسبوعاً ١٣ في المائة من أراضي الضّفة الغربية؛ وتبقى ٣ في المائة محميّات طبيعيّة وذلك مشروط بالتزام أمني فلسطيني. إلاّ أنّ تطبيق هذا الاتفاق لم يكتمل إذ أكّد رئيس حكومة إسرائيل نتنياهو أنّ إسرائيل سوف تُوقف عملية الانسحاب من الأراضي الفلسطينية بموجب الاتفاق؛ إذا استمرّ ياسر عرفات في إصراره على إعلان الدّولة الفلسطينية. وصرّح عرفات بالمُقابل أنّ لا تسويةً دون الاتفاق على وجود دولتين.

وفي خطوةٍ جادّةٍ لإنقاذ اتّفاق (واي بلانتيشن)؛ وصل الرّئيس بيل كلينتون إلى تلّ أبيب ومنها إلى الضّفة الغربيّة حيث أعلن هُناك أنّ الفلسطينيين باتوا قادرين على تقرير مصيرهم على أرضهم؛ فيما أكّد الفلسطينيون إلغاء المواد التي تدعو إلى تدمير إسرائيل في ميثاقهم الوطني. وبعد الانتخابات الإسرائيلية ورحيل بنيامين نتنياهو (الليكود) ومجيء إيهود باراك رئيس حزب العُمّال؛ انتعشت الآمال بحلول السّلام وإمكانية تحقيقه على كُلّ المحاور (الفلسطينية - السّورية - اللبنانية).

بدأت المُفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية الجديدة لتطبيق اتّفاق «واي»؛ وقد تعثّرت هذه المفاوضات كثيراً. وبعد وقتٍ طويلٍ من المفاوضات؛ وقّع المفاوضون الفلسطينيّون والإسرائيليون في ٢ سبتمبر عام ١٩٩٩م اتفاق «واي ٢» في احتفالٍ في منتجع شرم الشّيخ بمصر؛ بحضور وزيرة الخارجية الأمريكية مادلين أولبرايت وإيهود باراك وياسر عرفات وصائب عُريقات وعمرو موسى؛ وزير الخارجية المصرية آنذاك؛ والملك عبد الله الثاني ملك الأردن.

غير أن وصول أرييل شارون (اللّيكود) إلى رئاسة الحكومة؛ أعاد حالة التّوتر إلى أعلى مستوياتها خصوصاً بعد زيارته للمسجد الأقصى مُتحدّياً بذلك معتقدات المُسلمين. فكانت الانتفاضة الفلسطينية الثّانية التي ما لبثت أن تحوّلت إلى مقاومةٍ شعبيّةٍ مسلّحةٍ؛ تصاعدت وتيرتُها مع إصرار إسرائيل على قمعها بوسائل تدمير جماعيّةٍ؛ وذهب ضحيّتها آلاف الفلسطينيين وتدمير آلاف المنازل وجرف البساتين ومساحاتٍ واسعةٍ من

الأراضي الزّراعية وارتكاب مجازر جماعية. ولا تزال المقاومة الشّعبية الفلسطينية مُستمرة. وأهم المُدن الفلسطينية هي: -

- [القدس] [صفد] [طبريا] [عين كارم] [الخليل] [بيت لحم] [الناصرة] [نابلس] [رفح] [بيسان] [رام الله] [عكا] [جنين] [غزة] [حيفا] [يافا].

* * * * *

## القُدس

القُدس من أقدم مُدُن الأرض التّي سُكِنَت مُنذ العصر الحجريّ الأوّل. هُدِمَت وأعيد بناؤها أكثر من ١٨ مرّةٍ. وهي عربيّة النّشأة والجذور؛ وأسّسها الكنعانيون العرب قبل ٥٠٠٠ عام قبل الميلاد حيث سكنها العرب اليبوسيّون وأقاموا مدينتها وأطلقوا عليها اسم (أورسالم) أو (سالم إله السّلام) عند الكنعانيّين. وبالإضافة إلى مدينة السّلام؛ فقد عُرِفَت القُدس بأسماء كثيرةٍ أهمّها: مدينة يبوس؛ مدينة إيليا؛ مدينة بيت القدس.

نشأت النّواة الأولى لمدينة القدس على تلال (الضّهور الطّور) أو (تلّ أوفل) المُطلّة على قرية سلوان؛ جنوب شرق المسجد الأقصى. هذه النّواة هُجِرَت وحلّت محلّها نواة رئيسةٌ؛ أقامت على تلالٍ أخرى؛ مثل: مرتفع بيت الزّيتون بريتا ومرتفع ساحة الحرم موريا ومرتفع صهيون؛ وهي مرتفعات تقع داخل السّور؛ وتُعرَف اليوم بالقدس القديمة. تنفرد القدس بظاهرةٍ دون سواها من المُدن. فهي الوحيدة التي يقدّسها أهل الدّيانات الثّلاثة.

تقع القدس على هضبةٍ وبين كتلتي جبال نابلس من الشّمال؛ والخليل من الجنوب. وترتفع عن مستوى سطح البحر الأبيض المتوسط ٧٧٥ م؛ وتبعد عنه ٥٢ كيلو متراً؛ وترتفع عن مستوى سطح البحر الميّت ١١٥٠٠م. هذا الموقع وهذه المكانة الدّينية جعلا القدس؛ عبر التّاريخ؛ مطمعاً للغُزاة؛ فتعاقب على غزوها العبرانيون والأشوريون والفراعنة والإغريق والرّومان والصليبّيون والأتراك والإنكليز؛ ثم المُنظّمات الصّهيونيّة.

تبلغ مساحة القدس ١٩٩٣١ دونماً؛ عدد سكّانها بلغ؛ عام ١٩٢٢؛ حوالي ٦٢٥٧٧ نسمةٍ؛ وعام ١٩٤٥ حوالي ١٥٧٠٨٠ نسمةٍ. وهي الآن حوالي مليون ونصف مليون نسمة.

تُعتبر القدس من أشهر المُدن السّياحية في العالم؛ فهي محطّ أنظار سكّان العالم أجمع؛ حيث الأماكن المقدّسة والتّاريخية والأثريّة. فالمسيحيّون يؤمّونها لزيارة كنيسة القيامة

والكنيسة الجثمانيّة وكنيسة مريم العذراء وغيرها الكثير من الأديرة. وفيها أكثر من مئة بناءٍ أثريٍّ إسلاميّ؛ إضافةً إلى قبّة الصّخرة والمسجد الأقصى وحائط البرّاق ومدافن ومقامات للصّحابة والتّابعين.



للقدس ٧ أبوابٍ هي: باب العمود؛ باب السّاهرة؛ باب الأسباط؛ باب المغاربة؛ باب النّبي داود؛ باب الخليل؛ باب الحديد.

احتلّت المنظّمات الصّهيونية المُسلّحة الجزء الغربي من مدينة القدس في ٢٨ / ٤ / ١٩٤٨ وفي ٧ / ٦ / ١٩٦٧ احتلّت الجُزء الشّرقي منها؛ وفي ٢٧ / ٦ / ١٩٦٧؛ أقرّ الكنِيْست الإسرائيلي ضمّ شطريّ القدس؛ وفي ٣٠ / ٧ / ١٩٨٠ أُعلِنَت المدينة عاصمةً لإسرائيل.

مُنذ بداية الاحتلال عام ١٩٦٧؛ وشَرَعت سُلطات الاحتلال تنفّذ الخُطط والإجراءات الرّامية إلى تهويد المدينة المُقدّسة. فقامت بربط سكّان القدس الشّرقية إدارياً وقضائياً واقتصادياً وتعليمياً بالواقع الإسرائيلي؛ إلاّ أنّ أخطر الإجراءات وأكثرها تعسّفاً: هو الاستيطان والاستيلاء على الأراضي والمنازل. فقد قامت قوّات الاحتلال بهدم حيّ المغاربة؛ وطَرَدت سكّانه وأجلت قسماً كبيراً من سكّان حيّ الشّرف في البلدة القديمة؛ وصادرت الكثير من الأراضي وأقامت المُستعمرات عليها واستولت على العديد من المنازل العربيّة.

صادرت قوّات الاحتلال أكثر من ٢٣ ألف دونم من أراضي القدس الشرقية ومحيطها. وأقامت عليها أكثر من ٣٥ ألف وحدةٍ سكنيّةٍ؛ في حين يُحرّم على العرب إقامة أيّة وحدةٍ سكنيّةٍ. وما زالت سلطات الاحتلال مستمرةً في مخطّطاتها في مصادرة الأراضي. ويحيط بالقدس حوالي عشرة أحياءٍ سكنيّةٍ يهوديّةٍ وأكثر من ٤١ مستعمرةٍ؛

تُشكّل ٥ كتلٍ استيطانيّةٍ.

*****

# رفـح

تقـع مدينـة رفـح في أقصـى الجنـوب الفلسـطيني؛ وتبعـد عـن مدينـة غـزّة حـوالي: ٣٥ كيلو متراً؛ وعن خان يونس عشرة كيلو مـتراتٍ. يحـدّها مـن الغـرب البحـر الأبـيض المتوسّط ومن الشّرق خط الهدنة عام ٤٨ ومن الجنوب الحدود المصريّة الفلسطينية.

تُعتبر مدينة رفح من المُدن التّاريخية القديمة. فقد أنشئت قبل خمسة آلاف عام وعُرِفَـت بأسماء عدّةٍ. عرفها الفراعنة باسم (روبيهوي)؛ وأطلق عليها الآشوريون اسـم (رفيحـو)؛ وأطلق عليها الرّومان واليونان اسم (رافيا)؛ وأطلق عليها العرب اسـم (رفـح). وممّـا زاد من أهمّيتها عبر التاريخ مرور خـطّ السّـكة الحديديّـة؛ الواصـل بـين القـاهرة وحيفـا؛ في أراضيها؛ وقد اقتُلِعَ هذا الخط بعد عام ١٩٦٧.

قُسِّمت مدينة رفح إلى شطرين بعد اتفاقية كامب ديفيد؛ حيث استعادت مصر سيناء. وإثر هذه الاتفاقية انفصلت رفح سيناء عن رفح الأم. وتُقدّر مساحة مـا ضُـمّ إلى الجانـب المصري بحوالى ٤٠٠٠ دونمٍ؛ وبقي من مساحة أراضيها ١٥٥٠٠ دونمٍ؛ اقتطع منها حـوالي ٣٥٠٠ دونم للمستوطنات.

تُقـدّر المسـاحة المزروعـة في رفـح بحـوالي ٧٥٠٠ دونمٍ؛ تُـزرع فيهـا مُختلـف أنـواع المزروعات كالحمضيات واللوزيات والخضراوات؛ ويعمل في هـذا المجـال مـا يزيـد علـى ألف مواطنٍ. تطوّرت الزراعة فيها وأخذت تَستخدمٍ الوسائل الحديثة والطّرق العلميـة في الزّراعة. وازدهرت الحركة التّجاريـة في رفـح نتيجـةً لتـدفّق رؤوس الأمـوال مـن أبنائهـا العاملين في الخارج. وتقتصر الصّناعة على الصّناعات البسيطة؛ كصناعة الألبان والألبسـة والحلوى؛ بالإضافة إلى العديد من الوُرَش الصّغيرة. ويوجد في مدينة رفح لجنة زكاة رفـح تكفل مئات الأيتام وتعمل على مساعدة الفقراء وتشـرف علـى عـددٍ مـن مراكـز تحفـيظ القرآن.

بلـغ عـدد سـكّانها عـام ١٩٦٧م؛ أيّ بعـد الاحـتلال؛ حـوالي ١٠٨٠٠ نسـمةٍ مـن السّكان الأصليين؛ أمّا عدد سكان مُخيّم رفح فحوالي ٣٩٠٠٠ نسمةٍ.

تأسّست في المدينـة أوّل مدرسـةٍ ابتدائيّـةٍ عـام ١٩٣٦م؛ وتطـوّرت الحركـة التّعليميـة بشكلٍ ملحوظٍ وفُتِحَ العديد من المدارس لجميع المراحل الدّراسية.

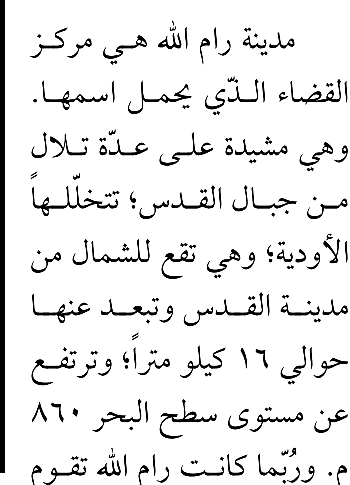
في المدينة فرعٌ للاتّحاد النّسائي الفلسطيني الذي مقرّه الرّئيسي مدينة غزّة؛ ويشرف على مراكز تعليميّةٍ للخياطة والتّطريز؛ وعلى دُورٍ للحضانة ومركز لمحو الأميّة. صادرت سلطات الاحتلال قسماً من أراضي رفح؛ وأقامت عليها مستوطنة (رفيح بام) وهي تقع غربي رفح.

* * * * *

## رام الله

يقع قضاء رام الله بين أقضية نابلس؛ الرملة؛ القدس وأريحا في فلسطين. وكان قضاء رام الله أيام الحكم البريطاني يضمّ بالإضافة إلى ٥٨ قرية؛ مدينتين هُما: رام الله والبيرة. وبعد نكبة ١٩٤٨ ضُمّ إلى هذا القضاء ١٤ قريةٍ من قُرى قضاء الرملة؛ مما زاد قرى القضاء ٧٤ قرية؛ وازدادت مساحته إلى ٨٠٠ كم$^{2}$؛ والمناطق الزراعية برام الله هي: الأرض الوحيدة التى لم تحتل إسرائيل منها شيئاً حتى عام ١٩٦٧م. وتُعتَبر هذه الأرض من أفضل أراضي فلسطين نجاحاً في زراعة الزّيتون.





مدينة رام الله هي مركز القضاء الذّي يحمل اسمها. وهي مشيدة على عدّة تلال من جبال القدس؛ تتخلّلها الأودية؛ وهي تقع للشمال من مدينة القدس وتبعد عنها حوالي ١٦ كيلو متراً؛ وترتفع عن مستوى سطح البحر ٨٦٠ م. ورُبّما كانت رام الله تقوم على بقعة (رامتاييم صوفيم) المذكورة في العهد القديم والتّي تعني (مرتفعات الصوفيين).

يبدو أنّ رام الله لم تكن ذات شأن. ففي الفتح الإسلامي كانت خربةً وكانت الأهمية لجارتها البيرة. إلاّ أن رام الله أخذت تنمو سريعاً حتّى أصبحت عام ١٩٠٢ بلدةً. وفي عام ١٩٠٨ تأسّس فيها مجلس بلدي. وفي الحكم البريطاني أصبحت مركزاً لقضاءٍ يحمل اسمها. وبانتهاء الانتداب البريطاني؛ دخلت رام الله تحت الحكم الأردني؛ شأنها في ذلك شأن بقيّة مدن الضفة الغربيّة وقُراها.

تُعتبر مدينة رام الله من مدن الاصطياف في فلسطين؛ حيث المناخ الجيّد المُعتدل والجنائن الطبيعية الجميلة والفنادق السياحية. وهي من المراكز المهمّة في فلسطين لما تحتله من موقعٍ متقدّمٍ في النّشاطات الاقتصادية والثّقافية والسياسية. ولأنها مركز قضاء؛ فقد استأثرت بالنّصيب الوافر من الخدمات الإدارية والصحية والتعليمية والاقتصادية. وتنتشر في المدينة المحلاّت التّجارية والمصانع؛ حيث توجد فيها معاصر الزّيتون ومطاحن الحبوب ومصنع للسّجائر ومعامل للأحذية ومصانع للبلاط والطوب وغيرها..

أمّا المواقع الأثرية فإنّها تضمّ بقايا مبانٍ صليبيّةٍ: البرج وبوّابة بقنطرة وقاعدة عمود عند الجامع. وتحيط برام الله مجموعةٌ من الخِرب الأثرية: خربة البرج في الشمال؛ خربة السّويكة جنوب البيرة؛ خربة الطيرة وتقع شمال رام الله.

صادَرَت سلطات الاحتلال مساحات واسعة من أراضي رام الله وأقامت عليها العديد من المستعمرات. وقد بلغ عدد المستعمرات حتّى نهاية عام ١٩٨٧ حوالي ٣٠ مستعمرة موزعة على أراضي رام الله وقراها. تضمّ رام الله الآن رُفاة ياسر عرفات؛ أوّل رئيس مُنتخب للسّلطة الفلسطينيّة.

* * * * *

## عكّا

عكّا من المُدُن الكنعانية الفلسطينية. أسّسها الجرجاشيّون الفينيقيّون على موقعٍ يسهل الدّفاع عنه بين رأس النّاقورة وجبل الكرمل وجبال الجليل ومُستنقعات النّعامين؛ ودعوها باسم (عكو) بمعنى الرمل الحار؛ وأَطلق عليها الفراعنة اسم (عكا)؛ واليونانيون اسم (بتوطايس).

شهدت عكّا كلّ الغزاة الذين غزوا فلسطين وقاومتهم على مدى العصور منذ الفراعنة حتّى العثمانيين. ولا ينسى التاريخ تحطّم أحلام نابليون في الاستيلاء على الشّرق تحت أسوار عكا الحصينة.

تُعَد مدينة عكا مركز القضاء الذي يحمل اسمها والذي يقع إلى الشمال الغربي من فلسطين. يحدّه من الشمال الحدود اللبنانية؛ ومن الشرق قضاء صفد وطبريا؛ ومن الغرب البحر المتوسط؛ ومن الجنوب قضاء النّاصرة. ويضمّ القضاء؛ بالإضافة إلى مدينة عكّا التي تقع على الطّرف الشّمالي من خليج عكا؛ حوالي ٥٢ قرية و٨ عشائر بدوية.

كان لأهالي عكا دَورٌ في كلّ الانتفاضات والمُظاهرات والمؤتمرات والثورات الفلسطينية ضدّ الإنكليز واليهود. وبعد انسحاب القوات البريطانية واشتعال الحرب؛ دافع العكّاويون عن مدينتهم حتى امتدّ القتال من دار إلى دار ومن شارعٍ إلى شارعٍ؛ إلى أن سقطت بأيدي المُنظّمات الصّهيونية المُسلّحة وذلك بفضل ما تملكه من أحدث آلات الحرب من المُصفحات والمدافع والزوارق الحربية. وأدّى الاحتلال إلى تشريد بعض أهالي عكا.



تُعتبر عكّا ذات موقع اقتصادي وتجاري بفضل مينائها الذي يُعَدّ من أهم موانئ فلسطين لصيد الأسماك؛ كما تُعتبر ذات موقع أثريّ مهم. فهي تحتوي على العديد من الآثار والمعالم والأماكن الأثرية القديمة من غالبية العصور التّاريخية. فهناك السّوق الأبيض وحمّام الباشا وخان العمدان والقلعة وأسوارها الحصينة والممرّ الألماني وجامع الجزّار وغيرها.

من أبرز أبناء مدينة عكّا: أحمد الشُّقيري مؤسّس وأول رئيس لمنظّمة التحرير الفلسطينية؛ وغسّان كنفاني أحد أبرز فرسان الفكر والقلم الذي اغتالته أيدي الإرهاب الصّهيوني في بيروت بتاريخ ٨ / ٧ / ١٩٧٢م.

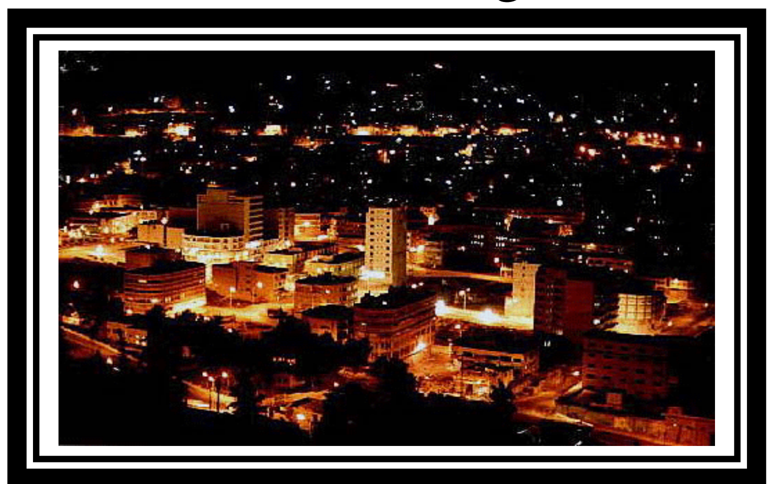
* * * * *

# نابلـس

نابلس مدينةٌ كنعانيّةٌ عربيّةٌ؛ يعود تاريخها إلى ٩٠٠٠ سنة؛ وكان اسمها (شكيم)؛ بمعنى المنكب أو الكتف. وذكرتها رسائل تل العمارنة باسم (سككمي).



موقع بلدة (شكيم) من أجمل مواقع مُدُن فلسطين. فقد أقيمت على وادٍ لا يزيد عرضه على ميلٍ واحدٍ؛ وبين جبليّ عيبال وجرزيم المُرتفعين والمكسووين بالكُروم وبساتين الزّيتون؛ ترويها الينابيع الكثيرة التّي تروي كذلك جنائن المدينة. هذا الموقع الجميل جعل من الصّعب تحصينها وجعلها أقلّ قدرةٍ على الدّفاع. وقد واجهت نابلس؛ كغيرها من المُدن الفلسطينية؛ مراحل الغزو المُختلفة عبر التّاريخ. وفتحها عمرو بن العاص بعد فتح غزّة.



أَقدَمَ مَن سَكَنَ شكيم من العرب كان الحويون والجرزيّون. وإذا كانت فلسطين هي قلب الوطن العربي لربطها شماله بجنوبه؛ فإنّ نابلس هي قلب فلسطين لربطها شمالها بجنوبها. وهي تتمتّع بموقعٍ جغرافيٍ مهمٍ إذ تتوسّط إقليم المرتفعات الجبلية الفلسطينية. ويُعتبر جبل نابلس حلقةً في سلسلة المدن الجبليّة الممتدّة من الشمال إلى الجنوب. وهي تقع على مفترق طرقٍ رئيسةٍ؛ تمتدّ من العفولة وجنين شمالاً حتى الخليل

جنوباً؛ ومن طولكرم غرباً حتّى جسر دامية شرقاً. وتبعد مدينة نابلس عن القدس ٦٩ كيلومتراً؛ وتربطها بمدنها وقراها شبكةٌ جيّدةٌ من الطّرق. ومدينة نابلس هي مركز قضاء يحمل اسمها؛ قضاء نابلس؛ الذي يضمّ إضافةً إليها ١٣٠ قريةٍ كبيرةٍ وصغيرةٍ. ويحدّ قضاء نابلس من الشّمال: قضاءا جنين وبيسان؛ ومن الجنوب أقضية القُدس ورام الله والرّملة؛ ومن الشّرق: نهر الأردن؛ ومن الغرب: قضاء طولكرم.

تبلغُ مساحة أراضي مدينة نابلس٨٣٦٥ دونماً؛ وهي ترتفع عن مستوى سطح البحر ٥٠٠٠م. أمّا عدد السّكان فقد بلغ عام ١٩٤٥ حوالي ٢٣٢٥٠ نسمةٍ؛ وهُم الآن حوالي ٢٧٠ ألف نسمةٍ. وتتكوّن مدينة نابلس من قسمين: البلدة القديمة التي تقوم في وسط المدينة والمعروفة بأزقّتها وأسواقها الضّيّقة؛ والبلدة الحديثة التي أقيمت على الأطراف وعلى سفوح جبلَيّ عيبال وجرزيم. ومدينة نابلس تُمثّل مركزاً اقتصادياً مهماً؛ حيث اشتهرت بصناعة النّسيج والجلود والكيماويّات والصابون والصّناعة المعدنية؛ وهي عامرة بمدارسها ومساجدها الكثيرة.

سُمّيَت جبال نابلس بجبال النّار لَما أبداه أهالي نابلس من ضروب البطولة والبسالة دفاعاً عن الأرض والحقّ؛ وذلك في كلّ الثّورات والاضطرابات والمُظاهرات التّي عمّت البلاد؛ منذ عشرينات القرن الماضي؛ لمواجهة الاحتلالَين البريطاني والصّهيوني؛ شأنها بذلك شأن كلّ المُدُن والقرى الفلسطينيّة. وبعد احتلال عام١٩٦٧ تعرّضت مثل كلّ المدن الفلسطينية؛ إلى هجمةٍ استيطانيّةٍ شرسةٍ حيث أُقيمت العديد من المُستعمرات حَولَها.

*****

## بيت لحم

من أعرق المُدن الفلسطينية. وهي تقع على جبلٍ يرتفع نحو ٧٨٠م عن سطح البحر؛ على مسافة حوالي عشرة كيلو متراتٍ جنوبي مدينة القدس. ومناخها مُعتدل البرودة شتاء؛ أمّا الصيف فلطيف جاف. وتتميّز بيت لحم بهجرة أبنائها إلى الخارج؛ ولا سيما إلى الأمريكيّتين؛ وهي



تأخذ عادةً طابع الهجرة الدّائمة. وقد بدأت هذه الهجرة في النّصف الثاني من القرن التاسع عشر؛ وأخذت تتّسع في بداية القرن العشرين. وتعود هذه الهجرة عدّة إلى أسبابٍ؛ أهمّها: السّعي للعيش في ظروفٍ أفضل نتيجة الفكرة القديمة عن ثروات الأمريكيّتين. ويُقدّر عدد مَن يَعود إلى أصلٍ تلحميٍ في الأمريكيّتين حالياً ما يزيد على ٥٥ ألفاً.

مدينة بيت لحم قديمةٌ في التاريخ. سُكِنَت حوالى عام ٢٠٠٠ ق. م. وكانت تُسمّى بيت (إيلو لاهاما)؛ أي بيت الإله لاهاما. وهذا الإله هو إله القُوت والطّعام عند الكنعانييّن. والأرجح أن اسم المدينة الحالي مُشتقّ من اسم هذا الإله. وربّما كان سبب جعل المدينة بيتاً للإله لاهاما أنّها كانت تقع في منطقةٍ خصبةٍ ترعى فيها الأغنام والمواشي وتنتشر فيها حقول القمح والشّعير والكروم والزيتون. كما إن كلمة بيت لحم تعني بالآرامية (بيت الخبز). وفي بيت لحم وُلِدَ الملك داود.

أمّا أهمية بيت لحم الكُبرى وشهرتها في العالم؛ فقد استُمِدَّتا من مولد السيد المسيح فيها. ويروي إنجيل لوقا (٢: ١ - ٢٠) أنّ مريم ويوسف النّجار ذهبا إلى بيت لحم ليُسجّلا اسميهما في الإحصاء العام؛ بناءً على أمر أغسطس قيصر. وقد ولدت مريم السيد المسيح وهي هناك.



وفي حوالى عام ٣٣٠م بنى الإمبراطور قسطنطين الروماني كنيسةً فوق المغارة التي وُلد فيها السّيد المسيح؛ دُعِيَت (كنيسة القديسة مريم). والمشهور أنّ الذي بنى هذه الكنيسة هى القدّيسة هيلانة أم قسطنطين؛ بين سنتيّ ٣٢٦ و٣٣٣م.

كانت بيت لحم في العصور القديمة متواضعةً. وقد اشتهرت كمركزٍ تجاريٍ في العهد الرّوماني لقيامها على الطريق التجاري التي تربط بين البحر الأحمر وبلادِ الشام. ووصلت شهرتها إلى الذروة بسبب ميلاد المسيح فيها. وقد شهدت المدينة نمواً عمرانياً في أوائل القرن العشرين بسبب تدفّق رؤوس الأموال من أبنائها المُغتربين. وتُشكّل السياحة جانباً مهماً من دخل المدينة. فكون بيت لحم مسقط رأس السّيد المسيح شجّع السياحة وما

يرتبط بها. فتحوّلت إلى حجّ للسّياح على مدار السنة. وقد تطوّرت صناعة التّحف والهدايا والتّذكارات المصنوعة من خشب الزيتون والصَّدف والنحاس والتطريز. وقد دخلت هذه الصناعة في القرن الثاني عشر الميلادي؛ فأتقنها أهل المدينة وأصبحت مصدر الرزق الرّئيسي لمعظم بيوتها. ثم أخذت تتطوّر بدخول الآلة إليها.

تطوّرت في بيت لحم مؤخّراً صناعة التّحف المعدنية والنّحاسية. كما تطوّرت فيها فروع صناعية مُتعدّدة؛ أهمها وأقدمها: صناعة النسيج والتريكو والمكرونة والأثاث المعدني والسّخانات الشّمسية والمسامير والبراغي وهوائيّات التّليفزيون والأدوات الكهربائية والدهانات وأدوات التجميل والصّابون ومبيدات الحشرات. أمّا الزراعة فأهمها: الزيتون والعنب واللّوزيات؛ يُضاف إلى ذلك بعض الخضر الصّيفية. ويُزرع في المنطقة القمح والشعير وبعض البقول.

أمّا الثروة الحرجية في المنطقة فبسيطة؛ وهي الأحراج التي توجد الآن في بقعٍ مُتفرّقةٍ حول الأديرة وبعض مناطق التّحريج.

ومن حيث المباني؛ ففي المدينة طرازان معماريّان مُختلفان: -

- الأوّل قديم في البلدة القديمة حيث القباب والجدران السّميكة المصنوعة من الحجر الكلسي؛ والأبواب والشبابيك على شكل الأقواس. وتلتصق هذه البنايات بعضها ببعض مُقسّمةً البلدة القديمة إلى حاراتٍ مُتراصةٍ ذات شوارع ضيّقة. وكان هذا هو الشّكل الأمثل لتأمين الدّفاع عن المدينة والأحياء قديماً.

- أمّا الطّراز الثاني فهو الطراز الحديث في مناطق السّكن الجديدة. ويتكوّن البناء فيه من الحجر المنحوت من الخارج والأسمنت من الداخل. والشبابيك والأبواب مستطيلة الشّكل؛ والسقف مُسطّح. والبناء السّائد هو البيوت المُستقلّة ذات الطبقة الواحدة. وقد بدأ حديثاً بناء عمارات من طبقاتٍ مُتعدّدةٍ.

* * * * *

# النّاصرة



مدينة الناصرة إحدى أكبر مدن فلسطين وأجملها؛ ولها مكانة خاصّة في نفوس المسيحيين في مختلف أنحاء العالم. وهم يحجّون إليها كما يحجّون إلى القدس وبيت لحم. وقد نُسِبَ إليها السّيد المسيح فدُعِيَ بالنّاصري؛ وعُرِفَ أتباعه بالمسيحيّين تارةً وبالنّصارى تارةً أخرى.

تقع الناصرة في قلب الجليل الأدنى؛ وهي نقطة انتقالية بين منطقة مرج ابن عامر السهلية ومنطقة الجليل الأعلى الجبلية. وقد كان لموقعها الجغرافي أهميةً منذ القِدَم؛ فكانت طرق فرعية تصلها بالطرق الرّئيسة التي تربط بين سوريا ومصر من جهةٍ والأردن وفلسطين من جهةٍ ثانيةٍ.

ولموقع النّاصرة أهميّته التجارية والسياحية والعسكرية. فهي مركز التبادل التجاري لمنتجات البيئات المتنوّعة من حولها. كما أنّها محط أنظار السّياح الذين يفدون إليها لزيارة الأماكن التي ارتادها السّيد المسيح؛ ومشاهدة المواقع الأثرية المحيطة بالمدينة والتّمتع بالمناظر الطّبيعية الجميلة.

مناخها لطيف؛ وهو مناخ البحر المتوسط المُتميّز بحرارته وجفافه صيفاً؛ ودفئه وهطول أمطاره شتاءً. وتسقط الثلوج على الجبال المحيطة بها.

استمدّت النّاصرة مكانتها في التاريخ لأنّها مدينة السّيد المسيح ومريم العذراء. فقد استوطنتها السّيدة مريم العذراء ويوسف النّجار؛ وفيها بشّر جبرائيل مريم العذراء بميلاد السّيد المسيح؛ وفيها قضى المسيح ثلاثين عام من عمره.

وفي الناصرة ٢٤ كنيسة وديراً وعدد من المتاحف الدّينية. وتضم كذلك بعض المساجد وأضرحة الشهداء والصّالحين من المُسلمين. وأبرز معالم المدينة الدينية التاريخية كنيسة البشارة التي تقوم على الموضع الذي بُشّرت فيه مريم بأنها ستلد المسيح. وفيها كذلك كنيسة القديس يوسف التي أُقيمت مكان بيت يوسف النجار وحانوته؛ وكنيسة

البلاطة أو مائدة المسيح وغيرها.

يزور آلاف الحجّاج المسيحيين والسّياح النّاصرة سنوياً؛ الأمر الذي يبعث الحياة ويزيد من الحركة والنشاط فيها.

تُستَخدَم الأراضي حول الناصرة في زراعة الأشجار المُثمرة؛ كالعنب والزيتون والتفاح والمشمش والتين والرّمان واللّوز وغيرها. كما أنّ السفوح الجبلية شديدة الانحدار تكسوها الأشجار الحرجيّة. وفي أراضي النّاصرة تُزرَع المحاصيل الحقليّة من قمحٍ وشعيرٍ وعدسٍ وفول وحمص وغيرها؛ علاوةً على مختلف أنواع الخضر. وتعتمد الزراعة على مياه الأمطار والمياه الجوفيّة من الينابيع والآبار.

اشتهرت الناصرة في القديم بصناعة النسيج؛ وكان فيها أنوال كثيرة لحياكة المفارش والجوارب. وتُصنع في المدينة المناجل والمحاريث. والمصنوعات الخشبية أقدم ما عرفته الناصرة من الصناعات. ومن صناعات الناصرة كذلك: دباغة الجلود وتفصيلها وخياطة الفراء وصناعة الفخار والهدايا التذكارية من سجّاد ونحاس وخشب محفور. واشتهرت نساء النّاصرة بصنع المطرّزات الحريرية؛ وفيها معاصر للزيتون والسّمسم؛ وفيها أيضاً مصانع للصّابون.

* * * * *

# جنين

تقوم مدينة جنين الفلسطينية على البقعة التّي كانت تقوم عليها مدينة عين جنيم العربية الكنعانية. وهي تعني (عين الجنائن)؛ لذلك سُمّيت بهذا الاسم بسبب الجنائن التي تُحيط بها.

في عهد الرومان كان في بقعتها قرية (جيناي) من قُرى سبسطيّة؛ فتحها العرب في القرن السابع الميلادي؛ وعُرِفَت بهذا الاسم؛ (جنين)؛ حتّى يومنا هذا.

مدينة جنين هي مركز قضاء جنين؛ وتُعتَبر حلقة وصلٍ بين طرق المواصلات القادمة من نابلس؛ العفولة؛ وبيسان؛ ونقطة مواصلات الطّرق المتجهة إلى حيفا والناصرة ونابلس والقدس.

تقع جنين إلى الشّمال من مدينة نابلس؛ وتبعد عنها ٤١كم؛ وترتفع ٢٥٠م عن سطح البحر. بلغ عدد سكّانها عام ١٩٦٧: ١٣٣٦٥ نسمةٍ؛ بمَن فيهم سكّان مُخيّم جنين. وارتفع العدد عام ١٩٩٧ إلى ٢٠٣,٠٢٨ نسمة؛ بينما بلغ عدد سكّان مخيم جنين

١٢٠٦٦ نسمة حسب إحصائيات وكالة الغوث الدولية عام ١٩٩٧.

كانت جنين تضمّ قبل نكبة ١٩٤٨؛ حوالى ٧٠ قرية كبيرة وصغيرة. وبعد النكبة؛ اقتصرت على ١٩ قرية؛ حيث استولت المنظّمات الصهيونية على عددٍ من القرى عام ١٩٤٨؛ وسُلِّم لها عدد آخر من دون قتال؛ بموجب اتفاقية رودوس. ويتبع مدينة جنين ٤ بلديات: يعبد؛ سيلة الضهر؛ عرابة، وقباطِية.

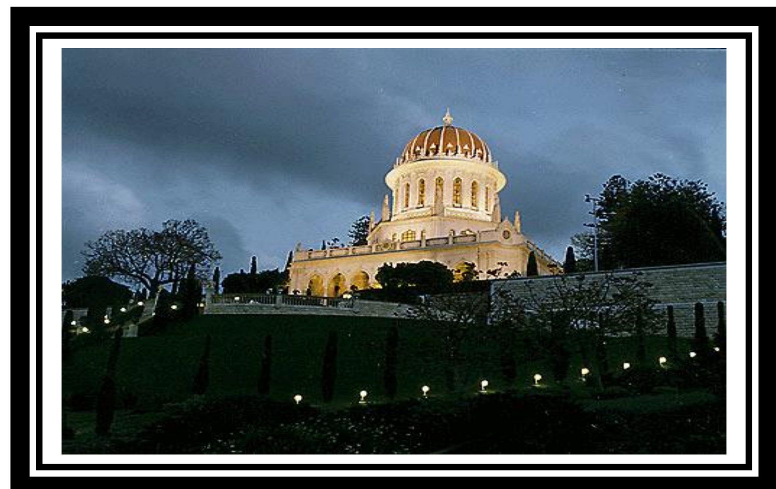
يوجد فيها سبع مدارس حكوميّة: أربع للبنين وثلاث للبنات؛ بالإضافة إلى المدارس الأهلية ومدارس وكالة الغوث. كما تضمّ مُستشفيين و٢٣ عيادة صحية.

خاضت جنين بمدنها وقراها معركة الدّفاع عن الوجود ضدّ المنظمات الصهيونية المسلحة التي استولت في أواخر أيار ١٩٤٨ على قرى زرعين والمزار ونورس وصندلة والجملة والمقبلية وفقوعة وعرانة. وتمكنت الإفلات من الوقوع بيد المُهاجمين الصّهاينة بفضل نجدة قوامها ٥٠٠ جندي عراقي وحوالي ١٠٠ مجاهد فلسطينيّ من القُرى المجاورة. لمدينة جنين وجوارها معالم أثرية منها: المسجد الكبير الذي أقامته السيدة فاطمة خاتون؛ ابنة محمّد بك السّلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري؛ والجامع الصغير؛ وخربة غابة شرق جنين؛ وخربة خروبة شمال جنين. ومن أراضي جنين وقراها صادرت سلطات الاحتلال مساحات شاسعة وأقامت عدد من المُستعمرات في حدود عشر مستعمرات.

* * * * *

# حيفا

(حيفا) كلمةٌ عربيّة من (ألحيفة) بمعنى (النّاحية)؛ و(حف) بمعنى (شاطئ). وقد سُكِنَت حيفا ومنطقتها منذ ما قبل التاريخ المُدوّن؛ حيث اكتُشِفَت في مغارات جبل الكرمل وكهوفه هياكلُ بشريةٌ تعود إلى العصر الحجري القديم. والعرب الكنعانيون هُم أوّل مَن سَكَن حيفا وديارها وبنوا وعمّروا الكثير من مُدُنها وقراها.



مدينة حيفا هي مركزٌ لقضاءٍ يحمل اسمها. وهي وجه فلسطين البحري ومنفذها الرّئيسي

للعالم الخارجي. وثالث كبرى مدنها بعد القدس ويافا. وهي ذات موقع جغرافيّ مهمّ؛ حيث تقع على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط وبالقرب من رأس خليج عكّا الجنوبي. وتتكوّن من أراضٍ سهليةٍ منبسطةٍ وإلى جانبها أراض مرتفعة. فأراضيها ترتفع عن مستوى سطح البحر بين ٥٠م و٥٤٦م. يحدّ حيفا وقضاؤها من الشّمال قضاء عكا؛ ومن الجنوب قضاء طولكرم؛ ومن الشرق قضاءا جنين والناصرة؛ ومن الغرب البحر الأبيض المتوسّط. وقد انتقلت حيفا في أوائل القرن العشرين من قريةٍ متواضعةٍ لصيّادي الأسماك إلى مرفأٍ مُهم حيث أصبح ميناؤها الحديث الذي افتُتِح عام ١٩٣٣ من أكبر موانئ البحر الأبيض المتوسّط.

ارتبطت حيفا بشبكة طرق مُعبّدة وخطّ حديد القنطرة - غزة - اللّد - حيفا. وفي حيفا تمّ بناء مصفاة لتكرير البترول عام ١٩٣٣. وعلى ساحلها ينتهي خط أنابيب بترول العراق؛ كركوك؛ المتوقّف حالياً. كلّ ذلك ساهم في تطوّر ونمو حيفا واتّساع التجارة والصناعة فيها. ومن الصناعات التي قامت في المدينة: صناعة الأسمنت والسّجائر والمغازل والأنسجة. وحيفا كانت مركزاً نشيطاً للحركة الثّقافية والسّياسية والعُمّالية؛ وعلى أرضها قامت المنظمة الثّورية التي أسسها الشيخ عز الدين القسام.

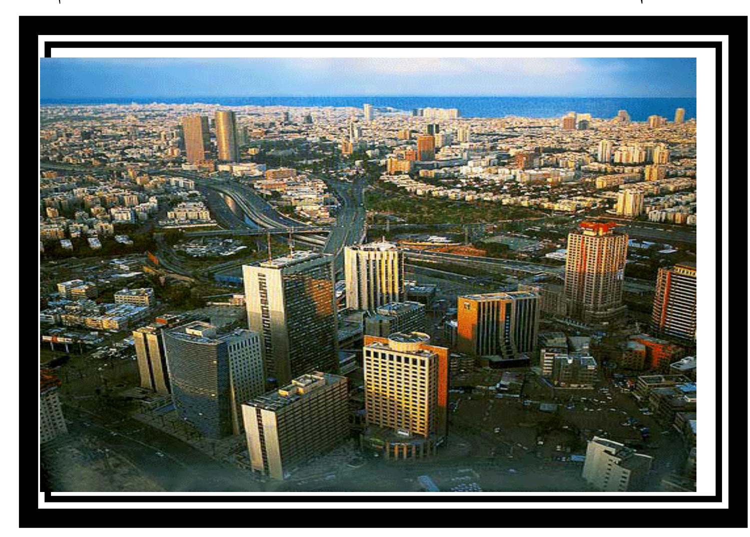


وفي حيفا صدر خلال فترة ١٩٤٦ و١٩٨٠ حوالي ١٩ صحيفة ومجلّة؛ وانتشرت فيها المطابع والجمعيات والأندية والفِرَق المسرحية. في أواخر عهد الانتداب كان في حيفا ٢٠ مدرسةٍ ما بين إسلامية ومسيحية. كما تضمّ حيفا العديد من المناطق والمواقع الأثرية التي تحتوي على آثارٍ من العهود الكنعانية والرومانية والمسيحية والإسلامية؛ مثل مدرسة الأنبياء وكنيسة مار إليّاس المنحوتة في الصّخر. وفيها قلعةٌ بناها الفرنجة وخربة السّمك؛ وتضمّ فسيفساء ومنحوتات صخرية رومانية؛ ومقام عباس أفندي؛ وهو معبد للمذهب البهائي. وعلى سفح جبل الكرمل تقع كنيسة مريم العذراء.

* * * * *

# يافا

تقع مدينة يافا الفلسطينية على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط. وهي إحدى نوافذ فلسطين على البحر؛ وعبرها يتمّ اتّصال فلسطين بدول حوض البحر المتوسط؛ والعالم.



كانت يافا منذ القدم محطّةً رئيسةً تتلاقى فيها تجارة الشّرق والغرب كما كانت جسر عبور للقوافل التّجارية بين مصر وبلاد الشّام لأنها في منتصف السهل الساحلي الفلسطيني الذي يُعَد من أكثر الطّرق التّجارية يُسراً وسهولةً وأماناً. وكان السهل الساحلي معبراً مُفضّلاً للجيوش المُتّجهة نحو مصر جنوباً أو نحو بلاد الشام شمالاً وشرقاً. وافتُتِحَ ميناء يافا عام ١٩٣٦ وأدّى إلى ازدهار المدينة ونشاطها الاقتصادي؛ فشهدت حركةً تجاريةً مُنقطعة النظير. وبه صارت عقدة مواصلاتٍ بحريةٍ إضافةً إلى البرية.

يمتازُ السهل الساحلي الذي تقوم يافا في وسطه بانبساط أرضه وخصب تربته وتوافر مياهه واعتدال مناخه واستقامة ساحله. وتُعتَبر تربتها من أخصب التّرب في فلسطين. وهي صالحة لزراعة جميع أنواع المحاصيل الزراعية بصفةٍ عامةٍ؛ والحمضيات بصفةٍ خاصةٍ. ويجري في أراضي يافا الشمالية نهر العوجا؛ وتمتدّ على جانبي النّهر بساتين الحمضيات التي جعلت من هذه البقعة متنزّهاً محلياً لسكّان يافا؛ يؤمونه في عطلات نهاية الأسبوع وفي المناسبات والأعياد.

مُناخ يافا مناخ حوض البحر المتوسط. ويندر أن يحدث الصّقيع أو ينزل الثلج فيها؛ الأمر الذي يُساعد أشجار الحمضيات على النّمو.

موقع يافا الجغرافي أكسبها أهمية حربية وتجارية وزراعية؛ فكانت على مرّ التّاريخ معبراً للغزاة والتُّجار والحجّاج. وكانت باباً لفلسطين ومدخلاً إلى القدس. وقد تطلّعت إليها دولٌ وأقوامٌ كثيرةٌ؛ وحُوصِرَت وفُتِحَت وخُرِّبَت وأعيد بناؤها مراراً.

اسم مدينة يافا تحريف لكلمة (يافي) الكنعانية؛ ومعناها الجميلة. وكان سكّانها يعملون قديماً في الصيد والزراعة. وإلى جانب ذلك؛ ظهرت فيها بعض الصّناعات المُبكرة؛ كالغزل والنسيج وعصر الزيتون والخمور وصناعة الفخّار.

ومع تقدّم بناء السفن بدأت تظهر علاقات التّجارة مع مصر وسواحل آسيا الصّغرى وجُزُر بحر إيجة. فظهرت تأثيرات الفن المصري والإيجي في يافا ومدن الساحل الفلسطيني الأخرى.

وقد شهدت يافا في القرن الثامن عشر حركةً عمرانيةً؛ وزادت فيها حركة المُسافرين. وبدأ إحياء بعض الصّناعات فيها؛ كصناعة الصابون وغزل القطن. وورد أوّل ذكر برتقال يافا عام ١٧٥١ م. وأخذت المدينة تنمو بخطواتٍ سريعةٍ في النّصف الثاني من القرن التاسع عشر؛ فزاد عمرانها وكبرت مساحتها؛ وافتُتِحَ بها أوّل خط سكة حديدٍ في فلسطين؛ يربط يافا بالقدس عام ١٨٩٢.

ظلّت يافا حتّى الحرب العالمية الأولى ميناء فلسطين الأول؛ وكانت السّفن تنقل إليها البضائع وتحمل منها البرتقال والصّابون والحبوب وغيرها. واتُّصِفَ بحّارتها بالجرأة والمهارة في الملاحة في مرفأ معرّض للأنواء.

وللصناعة دور في اقتصاديات يافا؛ لكنه لا يصل إلى مرتبة دورَيّ التجارة والزراعة. ففيها معامل للتبغ والبلاط والقرميد وسكب الحديد والنسيج والبسط والورق والزجاج وعدّة مصابن ومدابغ ومطابع. كما إنّ صناعة طحن الغلال من بين أهم الصناعات الغذائية في يافا.

وتُعتَبر شواطئها من أهمّ مراكز صيد الأسماك في فلسطين.

ازدهرت السّياحة فيها؛ فكانت محط أنظار السُّياح الذين يؤمّونها من داخل فلسطين وخارجها لمشاهدة الأماكن الأثرية والتاريخية وللاستجمام فوق شواطئها الجميلة وفي البساتين المحاذية لنهر العوجا. كما كانت يافا مركز النّشاط الثقافي والأدبي في فلسطين.

* * * * *

# طبريا

طبريا مدينةٌ من مدن الغور الفلسطيني. بناها الإمبراطور هيرودوس انتيباس عام ٢٠م؛ فوق موقع قرية رقة الكنعانية؛ ثم زوّدها بالمياه من خلال قناةٍ طولها ٩ أميال؛ وتقع إلى الشّمال الشّرقي من فلسطين. وهي مركزٌ لقضاءٍ يحمل اسم قضاء طبريا؛ والّذي يضمّ إضافةً إليها ٢٦ قريةٍ وبعض القبائل.

تمتدّ مدينةُ طبريا من الشّمال إلى الجنوب حيث تقعُ بين السّاحل الغربي لبحيرة طبريا والسّفوح الشّرقية لجبل اللّوزات. وتنخفض عن مستوى سطح البحر أكثر من ٢٠٠م. يحدّها شمالاً مدينة صفد وجنوباً مدينة بيسان وغرباً مدينة النّاصرة وشرقاً الحدود السّورية والأردنية؛ وتقع أيضاً على طريق القوافل التّجارية؛ بين دمشق ومصر. وتتميّز بهوائها الجاف الصّحي ووفرة مياهها المعدنية التّي تنبع من جهاتٍ مختلفةٍ قرب ساحل البُحيرة؛ حيث تُعتبر من أهمّ مناطق الاستشفاء.

وهي مثل المُدن الفلسطينيّة الأخرى؛ شهدت كلّ الغزاة الذين غزوا فلسطين وقاومتهم؛ وكان آخر المُحتلّين لها البريطانيين بتاريخ ١٥/ ٩/ ١٩١٨؛ ثمّ احتلّها الصّهاينة في ١٩/ ٤/ ١٩٤٨.

شارك الطّبرانيون إخوانهم في المُدن الفلسطينيّة الأخرى في كلّ المظاهرات والاضطرابات والثّورات التي قامت في فلسطين لمقاومة الاحتلال البريطاني والصّهيوني: من ثورة البراق عام ١٩١٩ إلى ثورة القسام عام ١٩٣٥ والثّورة الكبرى عام ١٩٣٦؛ ثم الاشتباكات والمعارك التّي دارت بعد قرار التّقسيم في ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧.

في عام ١٩٤٨ وفي شهر آذار؛ كانت الغَلَبة للمُناضلين العرب؛ إلاّ أنّ قائد الجيش في طبريا تدخّل لتهدئة الأوضاع. ثم ما لبث أنّ شنّ الصّهاينة هجوماً مُفاجئاً على المدينة؛ في مُنتصف نيسان عام ١٩٤٨. فتصدّى لهم المُقاومون الطّبرانيون والعرب. إلاّ أنّ المدينة سقطت بأيدي المُنظّمات الصّهيونية المُسلّحة بتاريخ ١٩/ ٤/ ١٩٤٨؛ وذلك تحت سمع وبصر قوّات الاحتلال البريطاني. وبذلك تكون مدينة طبريا هي أوّل مدينةٍ فلسطينيةٍ تسقط بأيدي الصّهاينة الذين نقلوا سكّانها العرب إلى النّاصرة ثم أخذوا ينهبون البيوت.

دمّر الصّهاينة المدينة وأقاموا في مسجدها؛ جامع الجسر؛ مُتحفاً محلياً؛ ووسّعوا مستعمرة قريات شموئيل وأحاطوا المدينة بالمُستعمرات؛ أهمّها: كنيرت بفنيئيل؛ روش بينا؛ جسر بنات يعقوب.

تُعتَبر طبريا ذات موقعٍ أثري حيث تحتوي على العديد من المعالم الأثريّة التّاريخية لعصورٍ مختلفةٍ وحيث يوجد فيها أسوار مدينة وآثار بلدةٍ رومانيّةٍ ومدافن رومانية وقلعة الحمامٍ وحصن معون وحمّامات طبريا.

*****

## بيسان

بيسان مدينة عربية كنعانية من المُدن الفلسطينية القديمة. ترجع نشأتها إلى ٦٠٠٠ عام ق. م. وعُرِفَت قديماً باسم (بيت شان) وتعني (بيت الإله شان) أو (بيت السّكون).

نشأت بيسان فوق أقدام الحافة الغربية للغور؛ وفي سهل بيسان الذي يُعتَبر حلقة وصل بين وادي الأردن شرقاً وسهل مرج بن عامر غرباً. وتشرف على الأجزاء الشّمالية من وادي الأردن؛ وتقع على الطّريق الذي يصلها بشرق الأردن وحوران ودمشق والطريق التجاري بين مصر والشام. كلّ ذلك جعل منها ذات أهمية تجارية وعسكرية وزراعية تنخفض عن سطح البحر حوالى ١٥٠ م.

شهدت بيسان مراحل الغزو المُتعاقبة على فلسطين منذ فجر التاريخ لدُول عديدةٍ؛ كان آخرها الاحتلال البريطاني بتاريخ ٢٠/٩/١٩١٨؛ والذي رحل عنها بعدً أن سلّم المدينة للمنظّمات الصهيونية المُسلّحة.

مدينة بيسان هي مركز قضاء بيسان الذي يقع بين قضاء طبرية والناصرة شمالاً وقضاء نابلس جنوباً ونهر الأردن شرقاً وقضاء جنين غرباً. وهي مدينة زراعية إذ أنها تقع في قلب سهلٍ خصبٍ وافر المياه. وأهمّ محاصيلها: الحبوب والبقوليات والسمسم والزيتون والحمضيات والخضروات. أمّا في مجال الصناعة؛ فقد اقتصرت على الصّناعات التقليدية مثل منتجات الألبان؛ طحن الحبوب؛ عصر الزيتون وتجفيف الفواكه.

في مدينة بيسان مواقع أثرية مهمّة تدلّ على مكانتها وعظمتها عبر التاريخ؛ منها: تل الجسر؛ تل المصطبة؛ الحصن؛ موقع بيسان القديم البيزنطي. وكشفت التّنقيبات عن أربعة معابد كنعانية مُعاصرة لحكم أمينوفس الثّالث وسيتي الأول ورعميس الثّاني والثالث؛ وعلى كنيسةٍ بيزنطيّةٍ وختمٍ بابليّ أسطوانيّ عليه كتابات مسمارية وتوابيت ومدافن وجسور من كل العصور. وعُثِرَ على آثارٍ مصريّةٍ فرعونيةٍ.

شاركت بيسان شقيقاتها المُدُن الفلسطينية كلّ وقائع المظاهرات والثورات والمؤتمرات ضد الاحتلال البريطاني والصهيوني منذ عشرينيات القرن العشرين. احتلّت المُنظّمات

الصهيونية المُسلّحة المدينة بتاريخ ١٢/ ٥/ ١٩٤٨ بعد مقاومةٍ عنيفةٍ من أهالي بيسان. لكن الغلبة العسكرية كانت للصّهاينة؛ وأجبَرت المنظمات الصهيونية أهالي مدينة بيسان على الرحيل بالقوّة؛ حيث أُلقِيَ بهم على الحدود السّورية واللّبنانية وهُدِّدَ مَن يعود بالذّبح. ثم هَدمت إسرائيل المدينة وأعادت بناءها عام ١٩٤٩؛ تحت اسم (بيت شان)؛ وأحاطتها بالعديد من المُستعمرات.

* * * * *

## عين كارم

تبعد عين كارم مسافة سبعة كيلو متراتٍ عن مدينة القدس إلى الجنوب الغربي منها؛ وتبعد كيلومتراً واحداً عن قُرى المالحة والجورة والولجة.

وعين كارم هي كُبرى قرى القدس مساحةً وأكثرها سكّاناً؛ وحدودها واسعة وتتماس وتتداخل مع حدود قُرى مُتعدّدة في لواء القدس. وهي إحدى أربع عشرة قريةٍ؛ تلك التّي تُسمّى بقُرى بني حَسَن؛ وفي رواياتٍ؛ عشر قرى؛ ورواية تقول: إنّها إحدى عشرة قريةٍ؛ ورواية أخرى تقول إنّها إحدى تسع قرى؛ ويغلب الظّن أنّها إحدى أربع عشرة.



أمّا أصل هذه التّسمية (قرى بني حسن)؛ كما تُرجِّحُ التّقاليد الموروثة؛ فإنّها نسبة إلى بني حسن (أيّ السّلطان حسن سيّد بني هلال)؛ كما ورد ذلك في (تغريبة بني هلال) المشهورة. وأمّا القرى الأربع عشرة؛ فهي: عين كارم؛ بيت جالا؛ المالحة؛ حوسان؛ بيت صفافا؛ بَتير القبو؛ رأس أبو عمّار؛ شرفات؛ الجورة؛ خربة اللّوز؛ الولجة؛ دير ياسين؛ الخضر.

تقع عين كارم جغرافياً ضمن إقليم جوديا؛ على قمّة المُرتفعات الغربيّة العالية المكسوّة بأنواعٍ كثيرةٍ من الأشجار الباسقة؛ كأشجار السّرو والصنوبر؛ كذلك بأشجار الفاكهة المتنوّعة من اللّوزيات والتّفحيّات وغيرها؛ لاسيّما في المناطق التّي تقوم فيها الأديرة والأبنية الخاصّة الموغّلة في القدم؛ وهي مواقع أثريّة تحتوي على قبورٍ قديمةٍ منقورةٍ

ومحفورةٍ بالصّخر على شكل فُسيفَساء جميلةٍ. وهذه السّلسلة من الجبال متّصلة؛ بدايةً؛ بجبال نابلس؛ امتداداً بجبال القدس وانتهاءً بجبال الخليل التّي تتوازى معها وتتساوى بالارتفاع؛ باستثناء جبل الزّيتون (الطّور).

موقع عين كارم الصّحي أكسبه اهتماماً من قِبَل الغُزاة. فقد اهتمّ بها الإفرنج أيّام الحروب الصّليبية قُبيل الحرب العالميّة الثّانية؛ وأقامت فيه إسرائيل مُستشفى (هداسا).



وتبلغ مساحة عين كارم (القصبة والأراضي التّابعة لها) ٣٠ كيلو متراً مربّعاً تقريباً؛ وهي كُبرى قُرى القضاء إذ تبلغ مساحة قصبة البلد والمناطق الزّراعية والمُثمرة بالدّونمات والمُشجرة والمُخضرَّة ١٥٠٢٩ دونماً؛ وتقوم القرية (المَساكن) على مساحة١٠٣٤ دونماً. وضمّت القريةُ مواقع كثيرةً ومتنوّعةً من خِرَبٍ وأطلال وأديرةٍ وأمكنةٍ قديمةٍ. ومن هذه الخِرَب خربةٌ تُسمّى الحريش أو حاراش؛ وتعود تلك التّسمية إلى أيّام الرّومان؛ وهي في أقصى الغرب. وكذلك خربة الجبيعة وبيت مزميل وتسمى ببيت مدميل (خربة الحمامة) في أقصى الشّرق؛ بالقُرب من المالحة. وقَطَنَ (عين كارم) العديد من الأنبياء؛ كزكريا ويحيى. وكذلك مريم وعيسى قضيا بعضاً من سنوات عُمريهما فيها... وتبعاً لذلك؛ فقد حَظيت باهتمامٍ كبيرٍ من قِبَل المسيحيّين؛ فأُقيمت فيها الكنائس والأديرة؛ كدير الفرنسيسكان وكنيسة القدّيس يوحنا.

* * * * *

# لبــنان

الاسم الرسمي لها جمهورية لبنان وعاصمتها بيروت. وهي دولةٌ عربيةٌ مستقلّةٌ ذات نظامٍ برلمانيّ حرّ. يحدّه من الشّمال والشّرق سوريا؛ ومن الجنوب فلسطين المحتلّة؛ ومن الغرب البحر الأبيض المتوسّط. يبلغ طول شاطئه ٢٢٠ كم. مساحة لبنان ١٠٤٥٠ كيلو متراً مربّعاً؛ وعددُ سكّانه ٤ ملايين نسمةٍ؛ اللغة الرسمية هي العربية؛ أما اللغات المحلية فهي العربية والإنجليزية والفرنسية والأرمينية؛ تتميز تضاريسها بأن خفض نقطة هي البحر الأبيض المتوسط؛ وأعلى نقطة هي قرنة السوداء ٣٠٨٨م.

وهي تُقسَمُ إلى ستّ محافظاتٍ: محافظة بيروت وقاعدتها بيروت؛ محافظة الشّمال وقاعدتها طرابلس؛ محافظة جبل لبنان وقاعدتها بعبدا؛ محافظة البقاع وقاعدتها زحلة؛ محافظةُ الجنوب وقاعدتها صيدا؛ مُحافظة النّبطية وقاعدتها النّبطية. ولبنان عضوٌ مؤسّسٌ في جامعة الدّول العربية.




تقع لبنان على السّاحل الشّرقي للبحر الأبيض المتوسّط؛ وسط قارّات العالم الثّلاث: آسيا؛ وإفريقيا وأوروبّا. وقد أعطاه هذا الموقع أهميّةً ممتازةً مُنذُ القِدَم؛ فكان وما يزال نافذة الشّرق الأوسط على البحر الأبيض المتوسّط والباب الذي تدخلُ منه حضارات المتوسّط إلى الشّرق العربي. فهو بذلك ميدان التّفاعل الاقتصادي والحضاري بين الشّرق وعالم المتوسّط؛ ويضّطلع بدور الوسيط بينهما. لذلك فقد ازدهرت فيه العلوم والحضارات منذ القِدَم؛ ومنه انتشرت إلى أرجاء المنطقة المُمتدّة على طول السّواحل المتوسّطيّة. ويثبتُ التّاريخ أنّ لبنان كانت منذ أقدم العصور مُلتقى شعوبٍ كثيرةٍ من المناطق المجاورة ومن حوض البحر المتوسّط؛ هذه الشّعوب التي استقرّت فيه أو مرّت فيه تركت لها في أرجائه آثاراً أو حضاراتٍ دلّت على وجودها. وأهمّ المناطق الأثريّة التي تدلّ على ذلك: مدينة بعلبك التّي تُعتَبر كلّها منطقة أثريّة مليئة

بالكنوز والآثار الرّومانية والإسلاميّة القديمة. وعلى السّاحل؛ نجدُ مدينة صور التّاريخية التي تُعدّ عاصمة الفينيقيّين القُدماء؛ منها انطلقوا نحو أرجاء البحر المتوسط كافّةً؛ وكذلك مدينة جبيل (بيبلوس) السّاحلية في الشّمال.

أرض لبنان عبارة عن سهلٍ ساحليٍّ على البحر؛ ضيّق في الوسط ومُتّسعٌ في الشّمال والجنوب وتُحيط به الجبال من الشّرق. وهي تؤلّف ما يُعرَف بسلسلة جبال لبنان الغربية؛ وأعلى قممها؛ في الشّمال؛ قمّة القرنة السّوداء في جبل المُكمّل وارتفاعها ٣٠٢٨ م؛ وهي مُكلّلة بالثّلوج مُعظم أيّام السّنة؛ تليها قمّة (فمّ الميزاب) فـ(ظَهْر القضيب). تنحدر هذه السلسلة من الجبال باتّجاه الشّرق نحو سهل البقاع الواسع الذي يفصل السّلسلة الجبلية الشّرقية عن السّلسلة الجبلية الغربية. ويتميّز سهل البقاع باتّساعه في الشّمال إلى أن يضيق في الوسط ثم يتّسع باتجاه الجنوب؛ مُشكّلاً سهل مرجعيون. وفي لبنان عدّة أنهار؛ أشهرها نهر اللّيطاني الذي ينبع من جنوبي سهل البقاع باتّجاه الجنوب؛ بطول ١٦٠ كم (وتعمل الدّولة الصّهيونية اليوم على استغلال مياهه)؛ وكذلك نهر العاصي الذي ينبع في شمالي سهل البقاع من هضبة بعلبك في مغارة الرّاهب ثم يتّجه شمالاً فيخترق سوريا ويصبّ في البحر المتوسّط إلى الشّمال من أنطاكيا؛ وطوله ٥٧٠ كم. ومن الأنهار الأخرى في لبنان: نهر الزّهراني ونهر الأوّلي ونهر الدّامور ونهر





إبراهيم ونهر قاديشا (أبو علي)؛ وهي بمعظمها صغيرة؛ تصبّ على السّاحل المتوسّطي.

يُعتبر مناخ لبنان جميلاً؛ إذ إنه مُعتدل لطيف صيفاً فوق الجبال وحارّ على السّواحل. وهو غزير الأمطار التّي لا تهطلُ إلاّ في الشّتاء؛ وتُغطّي الثلوج غالبية الجبال اللّبنانية بالإضافة إلى المناطق الدّاخلية في سهل البقاع. فهو يمتازُ بموسمٍ سياحيٍ شتَويّ مُميّز لهُواة الثّلج والتّزلج في الشّتاء؛ وللسّباحة والتّمتع بالجو الرّائع صيفاً.

تعتبر لبنان مَدرَسة الشّرق الأوسط وجامعته؛ فقد قدّم إلى البلدان العربيّة الكثير من الأساتذة والأطبّاء والمُهندسين والمحاميّن والشّعراء... لذلك حافظ لبنان على قوّة جامعاته مدّةً طويلةً؛ وكانت بمثابة دعامةٍ اقتصاديّةٍ ولا تزال. وإذا ما أدركنا أنّ قسماً مِنَ الأشخاص المُثقّفين والمُتعلّمين يعملُ خارج لبنان ويُحوّل جزءاً من دخله من العملة الصّعبة إلى أهله ووطنه؛ نُدرك أنّ هذا الدخل إحدى دعائم الاقتصاد. صحيحٌ أنّ قطاع التّعليم شهد تدهوراً نوعياً واضحاً بفعل الحرب الأهلية؛ وذلك لعدم وجود الرّقابة ولأن بعض المُؤسّسات التّربوية اعتمدت كتباً غير منهجيّةٍ؛ إلاّ أنّ المسئولين اليوم يُولون المركز العلمي للبحوث الأولويّة؛ وقد منحوه الصّلاحيات اللاّزمة لإطلاق مناهج تعليميّةٍ جديدةٍ تُساعد في رفع المُستوى العلمي والتّربوي؛ أسوةً بالدّول المُتقدّمة. واختار لبنان نظام المُنافسة الحرّة والمُبادرة الفرديّة منذ أوائل الخمسينيات من القرن العشرين. وقد أقرّت السُّلطات اللّبنانية النّقاط الآتية: حريّة الصّرف والتّحويل؛ السّرية المصرفيّة؛ الحساب المُشترك وضمان الودائع.

وقد أدّى الانفتاح الاقتصادي إلى تطوّر الجهاز المصرفي وازدياد حجم موارده وتوظيفاته في الدّاخل والخارج؛ كما اتّخذ لبنان دور الوسيط بين البلدان الصّناعية والأسواق المالية من جهةٍ والمنطقة العربية من جهةٍ أخرى.

الأحداث الدّموية التي شهدتها البلاد خلال الحرب الأهلية لم تُغيّر في الخصائص الأساسيّة؛ التّي تتميّز بها مُختلف المجالات الاقتصادية؛ بل على العكس. فإنّ التّشريعات التّي أقرّت والمؤسّسات التي أنشئت؛ شدّدت على أهمّية تطوير السّوق النّقدية والمالية وتنميتها؛ كما يظهرُ ذلك في الدّعم المُقدّم إلى القطاع المصرفي وتقوية مجموعة المصارف المتخصّصة وضمان الأموال المُوظّفة ضدّ أخطار الحرب.

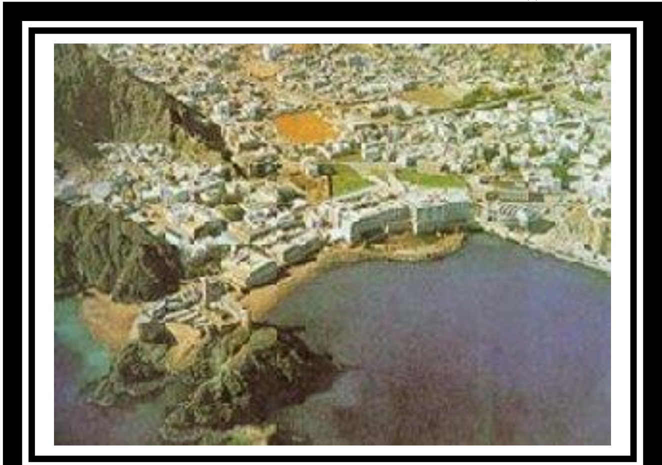
السّياحةُ: هي القطاع الأسرع نمواً في لبنان وذلك بفضل نشاط المجلس الوطنيّ للسّياحة وفاعليته؛ وهو مُنظّمةٌ خاصّةٌ انتقلت إلى سُلطة الدّولة. وشجّعت الحكومة

اللّبنانية إلى حدٍ بعيدٍ تطوّر هذا النّشاط من طريق تشجيع قيام شبكةٍ من الفنادق الرّاقية الرّفيعة المُستوى. يُضاف إلى هذا كلّه المُناخ الطّبيعي المُمتاز التّي تتميّزُ به المناطق اللّبنانية كافّةً؛ ساحلاً وسهلاً وجبلاً. وأهم مُدنه: -

- [بيروت] [طرابلس] [صيدا] [النبطية] [بعلبك] [زحلة] [صور] [بيت الدين] [راشيا الفخار] [تبنين] [شبعا] [جبيل].

* * * * *

## بيروت





عاصمة لبنان وكبرى مدنها؛ تقع في المنطقة المعتدلة الدافئة (ثلاثين - أربعين درجة مئوية شمال خط الاستواء) على الساحل الشرقي للبحر المتوسط. ويتميز ميناؤها بخصائص طبيعية مميزة بسبب وقوعها في خليج سان جورج المحمي من الرياح الجنوبية الغربية؛ وامتداد رصيفها على مسافة تتراوح ما بين خمسة وعشرة كيلو مترات نحو الشمال والجنوب الشرقي؛ بحيث صارت بيروت - قبل الحرب الأهلية - العاصمة التجارية والمالية للشرق الأوسط كله. تقوم المدينة على نتوء أرض مثلث الشكل؛ يرتفع عن مستوى

سطح البحر بنحو تسعة وسبعين قدماً (أربعة وعشرين متراً) فقط. وتتمتع بيروت بمناخ معتدل ينتمي إلى نمط مناخ البحر المتوسط؛ فدرجة الحرارة في يناير (الشتاء) لا تنخفض عن ثلاث عشرة درجة مئوية؛ ولا تزيد على سبع وعشرين درجة مئوية في يوليو (الصيف). وتتلقى بيروت كمية كبيرة من الأمطار تبلغ ثمانمائة وثلاثة وتسعين ملليمتراً في السنة. وتتمثل أهمية بيروت في أنها عاصمة لبنان؛ وأكبر مدنها وأشهرها؛ وأهم موانيها البحرية والجوية؛ وهي المركز التجاري والثقافي الرئيسي للدولة؛ وهي أكبر ميناء عربي على ساحل البحر المتوسط الشرقي. وتتميز بيروت بتعدد أنشطتها الاقتصادية؛ وبخاصة التجارة والنقل والاتصالات والصناعة والأعمال المصرفية. وتُعَدُّ أهم المراكز الاقتصادية للشرق العربي كله. ويفسر ذلك بوقوع المدينة في قلب الدولة؛ وامتلاكها شبكة جيدة من طرق النقل والاتصالات تجعلها محطة مهمة ليس للبنان وحدها وإنما للدول الأخرى المجاورة وبخاصة سوريا والعراق والأردن؛ ويؤدي ميناؤها دوراً مهمّا في تجارة الترانزيت بالنسبة لهذه الدول كما حدث عند إغلاق قناة السويس عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين ميلادية؛ إلى جانب أهميته بالنسبة لمنطقة جنوب غربي سوريا. وبالنسبة لبيروت فهي عاصمة لبنان وأكبر مدينةٍ فيها. تقع في منتصف السّاحل اللبناني على لسان صخري يمتدّ إلى داخل البحر الأبيض المتوسط؛ وفي سهلٍ تقلّصت مساحته شيئاً فشيئاً بسبب العمران واكتظاظ السّكان. بيروت اليوم مركزٌ للنّشاطات الثقافية والسّياسية والتجارية والمالية؛ فيها منطقة تجارية حرّة وسوق مالية متطوّرة؛ وبورصة وبنوك ضخمة تستقطب رؤوس الأموال العربية والأجنبيّة.

وبيروت عاصمة العلم منذ زمنٍ بعيدٍ؛ وهي محطّ أنظار الطّلاب الذين يَفِدون إليها من مختلف الدّول؛ وذلك للتّخصص بمختلف أنواع العلوم. ففي بيروت جامعاتٌ عديدةٌ تُخرّج كل عامٍ المزيد من منارات العلم المُشرقة. وأشهر جامعاتها: الجامعة الأمريكية؛ جامعة القدّيس يوسف؛ جامعة بيروت العربية وكلّية بيروت الجامعية. ونذكر أيضاً الجامعة اللبنانية التي تُدرّس الاختصاصات كافةً والتي عانت من الإهمال طيلة سنوات الحرب ثم عادت لتضمّ اليوم حوالي ٧٠ ألف طالب في جميع الاختصاصات. تشتهر بيروت بمرفئها الكبير ذي الأحواض الخمسة الممتدّة على ساحلها الشمالي؛ وهو مركزٌ للنّشاطات التجارية ولتجارة التّرانزيت بفضل كونها وسيطاً بين الدول الصناعية المُنتجة وسائر الأسواق العربية المُستهلكة. كما تشتهر بمطارها الدولي؛ وهو على بُعدِ بضعة كيلو متراتٍ منها وقد جُهّز بأحسن التّجهيزات مؤخراً ليستقبل أحدث الطّائرات وليوفّر

الراحة للوافدين إليه من أقطار العالم كافةً. تبلغ مساحته الإجمالية حوالي ٣,٥ مليون متر مربّع؛ وفيه مدرجان اثنان للإقلاع والهبوط؛ طول الأول٣٢٥٠ م وطول الآخر٣١٧٠ م.



في بيروت عددٌ من المعامل والمصانع ولا سيّما في ضاحيتها الشرقية والأخرى الجنوبية؛ حيث تقوم العشرات منها بإنتاج مختلف السّلع وسائر المواد الغذائية؛ والصناعات المعدنية والبلاستيكية؛ الدهانات؛ الأدوية؛ العطارات والمُبيدات؛ الأدوات الصحية؛ خيوط الغزل الصوفية؛ الخيوط الاصطناعية؛ صناعة النسيج ومواد البناء؛ الكيميائيّات؛ المدابغ والمصابن والخزف والمجوهرات. وفضلاً عن ذلك كلّه؛ فإنَّ بيروت عاصمة الكتاب العربي؛ إذ فيها مئات المطابع ودُور الكتب والنّشر. وتصدُرُ فيها عشرات الصّحف اليومية والمجلاّت الأسبوعية والشّهرية.

تعرّضت بيروت للدّمار في الأحداث التي تلت سنة١٩٧٦؛ وفي عام ١٩٨٢ تعرّضت للغزو الإسرائيلي؛ لكنّها سرعان ما استعادت عافيتها. فهي اليوم تعيد بناء ما تهدّم بالأمس حيث تُقام وُرَش الإنماء والعمار في جميع أنحاء العاصمة لإقامة الأنفاق الكبيرة والشوارع الواسعة؛ بالإضافة إلى إعادة ترميم مدينة بيروت الرّياضية التي استقبلت دورة الألعاب العربية عام ١٩٩٧. بيروت مدينةٌ قديمة العهد؛ اشتهرت بمدرسة الحقوق الشّهيرة في أيّام الرّومان وهي اليوم مطمورة يقوم عليها مبنى البرلمان. فُتِحَت بيروت أمام العرب بقيادة معاوية بن أبي سفيان وظلّت على هذه الحال حتّى وقعت في أيدي



الصّليبيين إذ أخذها عنوةً بغدوين الإفرنجي سنة٥٠٣ هـ. ثمّ استنقذها منه القائد صلاح الدين الأيوبي سنة٥٨٣ هـ. خرج من بيروت الكثير من أهل العلم والفكر والدّين وأشهرهم الإمام عبد الرحمن الأوزاعي الذي أقام فيها حقبةً طويلةً وقبره فيها معروف. مات سنة١٥٩ هـ تاركاً مجموعةً كبيرةً من كُتب السُّنن في الفقه والدّين. ومن علماء بيروت الوليد بن فريد العذري البيروتي المتوفى سنة٢٠٣ هـ والذي روى عن الإمام الأوزاعي. وكان هذا الأخير يقول: (ما عرفتُ فيما حمل عنّي أصح من كتب الوليد بن فريد). ومنهم ولده أبو الفضل العباس بن الوليد المُتوفّى سنة٢٧٠ هـ؛ ومحمد بن عبد الله بن عبد السلام بن أبي أيوب أبو عبد الرحمن البيروتي المعروف المكحول الحافظ؛ مات عام ٣٢١ هـ. وبيروت أيضاً مسقط رأس بشارة الخوري الشّاعر المُلقّب بالأخطل الصغير؛ وهو ذائع الصّيت مات عام ١٩٦٨. وأهم ما يميز بيروت هو وجود الصخرة الشهيرة (الروشة).

* * * * *

## طرابلس





طرابلس هي ثاني أكبر المدن اللّبنانية بعد العاصمة بيروت؛ وتبعد عنها مسافة ٨٣ كم. تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسّط. هي مركز محافظة لبنان الشمالي. تتفرّع من طرابلس عدّة طرقٍ رئيسيةٍ مُعّدةٍ؛ أهمّها: -

١ـ طريق طرابلس - بيروت.

٢ - طريق طرابلس - الأرز.

٣ - طريق طرابلس - اللاّذقية في الجمهورية العربية السّورية.

وبها كانت تمرّ سكة الحديد المُتّجهة من فلسطين جنوباً إلى سوريا شمالاً.

تقع أمام طرابلس جزيرتا الأرانب والنّخيل؛ وهي تشتهر بموقعها السّاحلي الشمالي المُهم. ومن أهم الزراعات فيها زراعة الحمضيات وسائر أنواع الخضر والفواكه. مرفأها التّجاري متوسّط الحجم ويُسمّى الميناء. كما تشتهر طرابلس بصناعتها التّقليدية والأخرى الحديثة؛ وأهمها: صناعة المواد الغذائية والسكاكر والحلويات؛ والمفروشات؛ وصناعة الصابون والمُنظّفات والمُبيدات. وفيها مرافق سياحية ومعالم أثرية؛ أهمّها قلعة طرابلس؛ بالإضافة إلى نشاطاتٍ مصرفيّةٍ وثقافيةٍ مُختلفةٍ؛ وأهمّها مشروع معرض طرابلس الدّولي؛ وقلعة ريمون دي تولوز الصّليبية؛ ومساجد عديدة تعود إلى أيّام المماليك. وكان في طرابلس مصفاة نفط مشهورة.



طرابلس مدينةٌ عريقة في القِدَم. كان يُطلَق عليها اسم (طرابلس الشّام) تمييزاً لها من (طرابلس الغرب). وأُطلِقَ عليها اسم (الفيحاء) لكثرة بساتينها وتنوّع أشجارها وورودها ورياحينها. أسّسها الفينيقيون عام ٨٠٠ ق. م؛ وفتحها العرب عام ٦٣٨ م. ازدهرت أيّام حكم بني عمّار لها؛ في القرن الحادي عشر للميلاد. حكمها الصّليبيّون ثم استرجعها منهم السّلطان قلاوون. خرجت من طرابلس جماعةٌ من أهل الفضل والعلم منهم: - معاوية بن يحيى الطّرابلسي؛ ويُكنّى أبا مطيع؛ حدّث عن مكحول والزّهري - سعيد بن عجلان الطّرابلسي - إسماعيل بن الحارث الطرابلسي - عبد الله بن إسحاق الطّرابلسي - خيثمة بن سليمان بن حيدرة الطرابلسي؛ أحد أهمّ حاكمي الشّام - محمد بن سليمان الطرابلسي - حمزة بن عبد الله.

* * * * *

# بـعلبـك

بعلبك مدينةٌ لبنانيةٌ تقع في قلب سهل البقاع الذي اشتهر بغناه ووفرة محاصيله الزّراعية لامتداد أراضيه. تحيط بها من الشّرق والغرب سلسلتا جبال لبنان الشرقية والغربية. وهي مركز قضاء بعلبك بمحافظة البقاع. تعلو بعلبك عن سطح البحر١١٥٠ م؛ وتبعد عن العاصمة بيروت حوالي ٩٠ كم. تشتهر بالزراعة وخصوصاً زراعة الخضار والفواكه والحبوب وأشجار المشمش التي تملأ أرجاءها؛ كما أنّها تشتهر بالتّجارة. الصّناعة فيها تقليديّة؛ ونذكر من أهمّ صناعاتها صناعة السكاكر والحلويات والحياكة والنسيج؛ وهي ذات شهرةٍ واسعةٍ بـ(صفيحتها البعلبكيّة).



تعود بعلبك إلى زمن الفينيقيين. عُرِفَت في العهد السّلوقي باسم (هليوبوليس) أو (مدينة الشّمس). احتلّها الرومان في القرن الأول الميلادي وكانت عبارة عن مركز عبادة جوبيتير. وقد شيّد الرومان فيها هياكل شتى؛ وكانت تُقام فيها المهرجانات الدولية التي غابت طيلة أعوام الحرب؛ ثم عادت من جديدٍ في صيف العام ١٩٩٨. أشهر ما في بعلبك قلعتها الأثرية التّاريخية التي تُعتَبر مجداً حضارياً لن نعطيه حقّه حتى لو بالغنا



في الوصف. أشهر آثارها: الهياكل الرومانية ومعبد باخوس خاصّةً. وهي مقصدٌ سياحيٌ مُهمٌ يفده الزّائرون من كافة أنحاء العالم؛ حسبها أنّها بُنِيَت على أساطين الرّخام التي لم يكن لها نظير. (قيل إنّ بعلبك كانت من صنع بلقيس).

فُتِحَت بعلبك زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ على يد أبي عبُيدة بن الجرّاح. ونذكر من أهمّ مساجدها المسجد الأموي الذي يعاد ترميمه حالياً ومسجد الظاهر بيبرس.

أما عن عُلماؤها فيُنسَب إلى بعلبك جماعة من أهل العلم منهم (قسطا بن لوقا) البعلبكي الذي كان بارعاً في علوم كثيرةٍ؛ منها الفلسفة والطّب والهندسة والإعداد والموسيقى. وكان فصيحاً باللّغة اليونانية؛ وله من الكتب كتاب (الدم والبلغم والصفراء والسوداء) وكتاب (المرايا المحرِقة) وكتاب (الأوزان والمكاييل) وكتاب (السياسة) وكتاب (الفصل بين النفس والروح) وكتاب (المدخل إلى المنطق).

والإمام عبد الرحمن الأوزاعي الذي نزل من بعلبك وقطن في بيروت. ومحمد بن علي بن الحسن بن محمد بن أبي المضاء البعلبكي؛ المعروف بالشيخ الديّن. وأبو جعفر الفارسي الورّاق.



وعبد الرحمن بن الضّحاك بن مسلم البعلبكي؛ المعروف بابن كسرى. والشاعر اللبناني خليل مطران؛ المُلقّب بشاعر القطرين مصر ولبنان؛ له (ديوان الخليل). وأشهر قصائده (الأسد الباكي) و(آثار بعلبك). وتوفّي عام ١٩٤٩م[1].

* * * * *

(١) وصنفتها مُنظمة اليونسكو مدينة تُراثية عالمية عام ١٩٨٤.

## صــور

مـرّ علـى صـور المدينـة السـاحلية اللبنانيـة عـدد كـبير مـن الملـوك والحكـام؛ مـن الملـك أحـيرام مـروراً بأليســار أو أليسـا الأمـيرة الفينيقيـة الـتي بنـت مدينـة قرطـاج في تـونس؛ والملـك البـابلي نبوخـذ نصّـر الـذي حاصـر المدينـة لمـدة ١٣ عامـاً وصـولاً إلى الإسـكندر الكـبير الـذي فـتح صـور بعـد أن صـمدت في وجهـه حتـى نجـح في ردم البحـر وبنـاء معـبر إليهـا أشـبه بالجسـر... وغيرهـم كـثيرون. اشـتهرت صـور في أيـام الفينيقـيين؛ بصـناعة الأنسـجة المصـبوغة بـاللون الأرجـواني النـادر والمسـتخرج مـن أصـداف بحريـة. وقـد أصـبح هـذا اللـون بفضـل تميّـزه ونُدرتـه؛ اللـون الملكـي بامتيـاز للأباطرة والملـوك ومـن ثـم لكبـار رجـال الـدين. هـذا الصـدف البحـري معنـاه باللغـة الإغريقيـة (فونيـق) ومـن هنـا أطلقـت التسـمية بدايـة علـى سـكان صـور ومـن ثـم علــى الكنعــانيين في تلــك المنــاطق. عرفــت صــور شــعوباً متنوعــة كالمصــريين والآشــوريين والفينيقــيين والإغريــق والبيــزنطيين والعــرب والعثمــانيين؛ إلا أن الرومـان كـانوا مـن تركـوا بصـماتهم الواضـحة علـى معالمهـا؛ منهـا أكـبر مضـمار رومـاني في العـالم لسـباق العربـات الـتي تجرهـا الخيـول وقـوس نصـر ضـخم ومقـبرة رومانية جماعية وغيرها.

تنتشـر آثـار صـور التراثيـة والتاريخيـة في ثلاثـة مواقـع رئيسـة؛ هـي: موقـع المينـاء. فيـه طريـق معمّـدة طويلـة تصـل السـوق بالمينـاء. أمـا الأرصـفة فبعضـها مصـنوع مـن الفسيفسـاء البيزنطيـة. في الموقـع أيضـاً حـوض سـباحة رومـاني مسـتطيل وحمّامـات رومانيـة ومبـان سـكنية أرضـياتها مصـنوعة مـن الفسيفسـاء وأحجـار كـبيرة هـي بقايـا لحائل الأمـواج ومحطّـات السـفن الفينيقيـة. قسّـم هـذا الموقـع مدينـة صـور إلى مـدينتين ربــط بينهمــا الملــك أحــيرام في القــرن العاشــر قبــل المــيلاد. موقــع الكاتدرائيــة الصـليبية. فيـه أساسـات الكنيسـة الـتي تعـود إلى القـرن الثـاني عشـر إضـافة الى أعمـدة مـن الصـوّان. وتقـول الأسـطورة أنـه تمّ تتـويج ملـك القـدس في هـذا الموقـع؛ وكـذلك دُفـن فيـه الملـك الألمـاني فريـدريك بربـاروسـا. ويلاحـظ الزائـر أنّ الكاتدرائيـة محاطـة بشـبكة طرقـات ومبـان رومانيـة وبيزنطيـة. موقـع الـبصّ الـذي يبعـد سـيراً علـى الأقـدام حـولي ٣٠ دقيقـة عـن المـوقعين آنفـي الـذكر. نعـبر خلالـه حـيّ الرمـل وهـو حـيّ صـور السـكني الـذي بنـاه الإسـكندر الكـبير خـلال حصـاره للمدينـة في العـام

٣٣٢ ق. م. ونجد في هذا الموقع بقايا لقنوات جرِ المياه إلى المدينة ومقبرة كبيرة فيها حجارة مزخرفة أو منقوشة ورخام نواويس تعود إلى عهد الرومانيين والبيزنطيين. إضافة إلى بقايا أكبر مضمار روماني في العالم حيث كانت تُقام سباقات المعجلاّت في تحدٍّ رهيب للموت. لكن روعة صور لا تقتصر على آثارها ومواقعها التاريخيّة فحسب؛ بل في أنها أيضاً محطّة مهمة لعشاق رياضة الغطس؛ أو لاستكشاف الأطلال الرومانية والفينيقية القابعة في قاع البحر؛ أو لمشاهدة حلزون الصدف الأرجواني الشهير. كل هذا دون أن ننسى الأسواق العثمانية القديمة والمطاعم الواقعة على طول الميناء والتي تقدّم المأكولات البحريّة وثمار البحر الطازجة. نجد بالقرب من صور أيضاً عدّة مواقع دينية مهمّة؛ منها: قبر الملك أحيرام الذي عاصر الملك داود والملك سليمان وضيعة قانا حيث حوّل السيد المسيح الماء إلى خمر.

*****

# زحلة

مدينة زحلة اللبنانية معلقةٌ على جانبيّ مضيقٍ من سفح قاعدة جبل صنّين؛ شَقَّته السيول فيما مضى من العصور وأبقته مجرى نهرٍ؛ هو نهر البردوني الشهير النّابع من مغارةٍ في سفح صنّين. وما إن تدخل المياه زحلة حتى تستقبلها أشجار الحور والزيزفون والصفصاف والشربين والجوز والسنديان النابتة على جنبات مقاهي وفنادق هي الأولى في الجودة والرّوعة في لبنان.

سُمّيَت زحلة (عروس البقاع) و(مدينة الشّعر والخمر) و(عرين الأسود) وكلّها صفات تميّزت بها مدينة زحلة؛ عاصمة البقاع؛ حيث القرميد سيّد المظاهر فيها وحيث الأبنية القديمة تتمازج مع الحديثة منها برونق لا مثيل له. أمّا إذا شئت النظر من علٍ؛ فمن أعالي برج سيدة زحلة والبقاعَ سوف تكتشف قلعة راشيا المُطمئنّة في أحضان جبل حرمون (جبل الشيخ) وقلعة عنجر الأثرية وأطلال بعلبك؛ وينبسط السّهل أمامك كسجادة تشريف لك؛ ممّا يزيد الشعور لديك أنّك في حضرة (عروس لبنان). وقد أبدع أمير الشّعراء (أحمد شوقي) في وصف زحلة برائعته (جارة الوادي) التي غنّتها فيروز وقبلها محمّد عبد الوهاب.

يعود تاريخ مدينة زحلة إلى أكثر من ثلاثمائة عام خلت في منطقةٍ يعود

تاريخها إلى أكثر من خمسة آلاف عام تقريباً. ففي أوائل القرن الثامن عشر أتاها الكثير من المُهاجرين القادمين من مناطق عدةٍ من لبنان حيث أقاموا ثلاثة أحياء؛ وكان على كلّ حيٍ حاكمٌ.

تمّتعت زحلة ولفترةٍ وجيزةٍ عام ١٨٥٨ بحكمٍ ذاتيٍ فأضحت (الجمهورية الأولى في الشرق) حيث كان لها نشيدها وعلمها الخاص. وكانت البلدة قد احترقت عاميّ ١٧٧٧ و١٧٩١؛ كما دُمِّرَت عام ١٨٦٠ أثناء الأحداث الطائفية آنذاك. ثم نهضت من جديد وأصبحت صلة الوصل في التّجارة والزّراعة ما بين بيروت ودمشق وبغداد والموصل؛ خصوصاً بعد إقامة الخط الحديديّ عام ١٨٨٥.

علاقة زحلة بالعَرَق والنّبيذ هي علاقة قديمة ووطيدة؛ ولقد ورثها الأبناء عن الآباء حيث أقاموا تمثالاً على مدخل المدينة يرمز إلى الخمرة والشّعر؛ وقاموا بزرع دوالي العنب على الرّوابي المُحيطة بالمدينة كتلال: تل شيحا؛ تل زينة؛ وادي حادي؛ أعالي دير الطوق؛ بجوشا؛ حرقات وبئر غزور؛ وأيضاً (كسارة) حيث النّفَق الشّهير وطوله حوالي الألفي متر؛ و(علين) حيث دوالي العنب تختلط مع بقايا آثارٍ تعود إلى آلاف السّنين.

تحتفل زحلة في كلّ عام وخلال شهر أيلول بمهرجان (الكرمة والزّهور) حيث يُقام العديد من النّشاطات؛ ومنها عرض سياراتٍ من الزهور تُمثّل رموزاً وطنيّةً وسياحيةً؛ إلى جانب انتخاب ملكة جمال الكرمة.

إنّ فنّ البناء والهندسة المعمارية في زحلة جميل جداً وهو يعود إلى عدّة مئاتٍ من السّنين؛ جمع فيه الزّحليون الكثير من الفنون المعمارية المُلائمة لطبيعة أرضهم. ومن البيوت الخاصّة الجميلة والقديمة نجد دار الشّيخ خليل جحا حيث العقود الجميلة يعلوها بهو كبير تتشابك فيه القناطر بشكلٍ رائع؛ حاميةً نفق مقفل اليوم بطول ألفيّ مترٍ يصل هذه الدار بدير مار إلياس الطّوق؛ السّراي القديم الذي يعود بناءه إلى عام ١٨٨٥؛ أيّام الحكم العثماني. ولقد شيّد بطريقةٍ تلحظ تصريف المياه عند إقامة الأساسات بأساليب نادرةٍ؛ أبرزها المزج ما بين الخشب الصّلب والصخور القاسية. إلى جانب ذلك؛ نجد طرازاً جميلاً من القناطر داخل بهو السّراي؛ فيه الكثير من الفنون المعمارية الرائعة. إنّ السراي اليوم هو مركز لبلدية زحلة المعلقة. وفي مطلع القرن العشرين بدأت زحلة بإشادة الفنادق لاستقبال المُهاجرين والسّياح؛ فكان (أوتيل الصّحة) الذّي أنشئ

على مدخل وادي زحلة عام ١٨٧٨ ثم (أوتيل أميركا) ذو الواجهة الرّائعة والفن العريق و(أوتيل عقل) و(أوتيل قادري) الذي شُيّد عام ١٩٠٦ وهو جزء من تاريخ زحلة. ففي عام ١٩١٤ وأثناء الحرب العالمية الأولى؛ حوّل جمال باشا العثماني هذا الفندق إلى قيادةٍ ومستشفى لجيشه. ومن هذا الفندق أعلن الحاكم العسكري الفرنسي الجنرال غورو عام ١٩٢٠ قيام لبنان الكبير بحدوده الحالية. من أسواقها: سوق البلاط وهو السوق القديم لزحلة؛ وكان مركزاً للتجارة والتواصل ما بين القادمين من سوريا وبيروت وبغداد وفلسطين؛ وسُمّي هكذا نظراً لرصفه بالبلاط عام ١٨٨٨. وهناك سوق (حوش الزّراعنة) الذي أنشئت فيه عدة خاناتٍ؛ وكان مركزاً للصّناعات والأواني النّحاسية والحرفية؛ وفيه الكثير من الأبنية والجدرانيات الجميلة التي تجمع ما بين الفنّ العربي والغربي بأسلوبٍ مميّز. بنى الزّحليون أولى كنائسهم حوالي عام ١٧٠٠؛ فكانت (سيدة الزلزلة) ومن ثم بُنِيَت كنيسة (مار الياس المخلصية) وهي ثاني أقدم الكنائس. وحوالي عام ١٧٢٠ بُنِيَ دير (سيدة النّجاة) ذو الفن الهندسي المعماريّ الجميل والبرج العالي. داخل هذا الدير أيقونةٌ رائعةٌ للعذراء قدّمها ملك بفاريا لزحلة. وحوالي عام ١٧٤٨ بُنِيَت كنيسة (مار ميخائيل) ذات القناطر الداخلية الرائعة. ومن بعدها بَنَت الرّهبنة الشويرية دير (مار الياس الطوق) عام ١٧٥٥ بعقوده الرائعة وهندسته البديعة؛ إلى جانب العديد من الكنائس والمزارات؛ أبرزها: تمثال سيدة زحلة والبقاع البرونزي الذي وصفه الفنّان الإيطالي (بيروتي) عام ١٩٦٨. والتّمثال يجلس فوق أعلى برجٍ في البقاع (يعلو ٥٤ متراً)؛ يستطيع النّاظر من خلاله مشاهدة المناطق المحيطة بكاملها.

* * * * *

# اليمن

اليمن دولة عربيّةٌ مستقلّةٌ وعضوٌ في جامعة الدّول العربية. واليمن يعني (اليمين) لأن البلاد واقعةٌ إلى يمين الكعبة المُقدّسة الموجودة في مكّة المكرّمة.




تقع اليمن في الطّرف الجنوبي والجنوبي الغربي من شبه جزيرة العرب؛ على البحر الأحمر وخليج عدن وبحر العرب؛ بين خطّي عرض ١٣ و ١٧ شمال خطّ الاستواء؛ يحدّها من الغرب البحر الأحمر؛ ومن الشّرق عُمان؛ ومن الشّمال المملكة العربية السّعودية؛ ومن الجنوب خليج عدن وبحر العرب.

أهمّ مواقعها الاستراتيجيّة: الموقع الذّي فيه باب المَندب؛ في الطّرف الجنوبي الغربي؛ ويفصلها عن أثيوبيا وجيبوتي. وأمام السّاحل اليَمَني على البحر الأحمر؛ عدّة جزر؛ فيها جزر كمران وجزر زفر وسقطري والحنش الكبير وجزيرة فاطمة وجزيرة هلب. عاصمتها صنعاء؛ وعدن هي العاصمة الاقتصادية. أهمّ مُدُنها: تعز والحديدة وصعدة وإبّ وزبيد ومأرب وعدن والمكلاّ والشيخ عُثمان. ومساحتها ٥٢٧,٩٦٨ كيلو متراً مربّعاً؛ لغتها الرّسمية: هي العربية؛ عملتها: الرّيال اليَمَني؛ وتتميز تضاريسها بأن أخفض نُقطة هي خليج عدن ٠ م؛ وأعلى نقطة هي جبل النبي شعيب ٣٧٦٠ م.

اشتهرت اليَمَن مُنذ القرن السّابع ق. م. في عهد ملوك سبأ؛ ودخلها الأحباش والفرس قبل الإسلام؛ ثم فتحها العرب عام ٨ هـ / ٦٣٠ م؛ فعُرِفَت ببلاد العرب السعيدة. وتوالى على حُكمها عدّة سلالاتٍ؛ منها: الزّيديّون؛ والمُهديّون؛ والرّسوليّون؛ والصّليحيّون.

استقلّ القسم الشّمالي منها سنة ١٩٦٢م؛ أمّا القسم الجنوبي؛ وهو عدن؛ فكان محميةً بريطانيّةً مُنذ سنة ١٨٣٩ م؛ واستقلّت عام ١٩٦٧م بعد أن ضمّت إليها السّلطنات التّي كانت تُؤلّف الجنوب العربي وهي: لحج؛ وحضرموت؛ والمكلاّ؛ وبيحان؛ والشّحر.

وقد تمّ توحيد اليمن شمالاً وجنوباً في الثّمانينيات من القرن العشرين.

وأرض اليمن عبارة عن جبال عاليةٍ بُركانيّةٍ وكلسيّةٍ؛ وتُشرف على ساحل البحر الأحمر لجهة الغرب؛ وتنحدر في الشّرق نحو الصّحراء السّعودية؛ وتتخلّلها الأودية؛ وأهمّها وادي زبيد. وأعلى قمم جبال اليمن: قمّة جبل النّبي شُعيب وارتفاعها ٣٧٦٠ متراً؛ وقمّة جبل تامر وارتفاعها ٢٥١٣ متراً.

أمّا ما بَقِيَ من أرض اليَمَن فهو عبارة عن سهلٍ ساحليٍ قاحلٍ على البحر الأحمر عرضه حوالي ٧٠ كم؛ وسهل ساحلي آخر على بحر العرب وخليج عدن - وهو ضيّق جداً - وتتخلّله بعض الواحات. مُناخ اليمن صحراوي حار ورطب بمحاذاة الشاطئ الغربي؛ مُعتدل في الجبال الغربية؛ ثم صحراء حارّة جافّة وقاسية إلى حدٍ بعيدٍ في الشّرق.

تُعاني الزّراعة اليمنيّة عجزاً مُزمناً. ويفوق الإنتاج الحيواني في البلاد الإنتاج الزّراعي أهميّةً. وتُعتَبر نبتة القات عنصراً أساسياً في حياة البلاد اليوميّة. وأهمّ الزّراعات في اليَمَن هي: زراعة البن والتّبغ والسُّمسُم والقطن والحبوب والبطاطا والبطّيخ والعنب؛ وتُربّى بها قطعان الماشية (أغنام؛ ماعز؛ أبقار) والخيل والإبل. أمّا الصّناعة فهي حرفية وتقليديّة إجمالاً؛ وأشهرها صناعة الخزف والسّيوف والنّسيج والجلد؛ وفيها مصايد للأسماك واللّؤلؤ.

أصبحت البلاد بلداً مُنتجاً للنّفط؛ وسوف يُصبح الغاز الطّبيعي؛ في المُستقبل مورداً غنياً ثانياً؛ وفي عام ١٩٨٦م افتُتِحَت في مأرب مصفاةٌ للنّفط؛ تستطيع إنتاج ٦٠٠ ألف طنٍّ يومياً من المواد المُكرّرة. ويجري في الوقت الحاضر إنشاءُ مصفاةً أخرى قرب مرفأ الصّليف.

وفي اليمن السلاح زينة الرجال؛ وكانت العبارة تُنسب إلى الإمام موسى الصدر؛ أطلقها في بداية الحرب الأهلية في مُنتصف السبعينيات في لبنان ولكن العبارة يمنية؛ كما يُؤكد شيخ مشايخ (حاشد) عبد الله بن حسين الأحمر رئيس البرلمان اليمني.

واليمن عبارة عن قبائل؛ والقبائل في اليمن ثلاثة أقسام: -

١ - الحميدية وهي أكبر القبائل اليمنية.

٢ - مُذحج.

٣ - قبائل همدان بن زيد وتضم حاشد وبكيل.

وكُل القبائل اليمنية تنتمي إلى الأقسام الثلاثة السابقة ما عدا قِلة؛ وهُم الهاشميون

المُنتمون إلى علي بن أبي طالب وهُم مُوزعون في اليمن ولهم منزلتهم. والقبائل في اليمن حضارية ولا تقاس بالعشائرية كما في البلاد الأخرى. وعندما قامت ثورة ١٩٦٢م نزل ضُباط الجيش ومشايخ القبائل بالدبابات جنباً إلى جنب يدكون قصور الإمام؛ وكانت كل دبابة تحمل عدداً من الضباط وعدداً من المشايخ وكان كُل يُؤدي دوره.

وحتي يومنا هذا هناك عقبة كبيرة أمام اليمن وأهله؛ ألا وهي القات؛ والقات في اليمن ارتبط أساساً بالصوفيين الذين استعانوا به لقيام الليل والتعبد لما يحتويه من مواد مُنشطة؛ ويُضيف الباحث التونسي عبد الله على الزلب في دراسة عن (ثقافة القات) فيقول:

- وقد ساهم استهلاك القات من قبل النخب السياسية والدينية والاجتماعية في انتشاره وإضفاء دلالات دينية على استهلاكه؛ فيُقال إنه (قوت الصالحين) فهو يُساعد المُخزن (الشخص الذي يتعاطاه) على التأمل والسهر والتعبد.

واليمنيون يتداولون يومياً مبلغ ٤٠٠ مليون ريال في تجارة القات؛ والدكتور علي صالح الزُبيدي رئس قسم الاقتصاد في كُلية التجارة جامعة صنعاء يكشف في دراسة ميدانية موثقة وممتعة الأرقام التالية - وفق إحصائيات عام ١٩٩٥ - تبلغ المساحة المزروعة من البُن - وهو من المحاصيل النقدية - ٢٤ ألفاً و ٨٠٤ هكتارات؛ أما المساحة المزروعة من القات فهي تصل إلى ٩٧ ألفاً و٢٠ هكتاراً؛ أي ثلاثة أضعاف البُن تقريباً.

تُوضح الدراسة أن كُل شجرة قات تُنتج ربطة واحدة في السنة؛ وأن الهكتار الواحد ينتج ٢٣٢٢ ربطة سنوياً؛ وأن سعر الربطة هو ٢٠٠ ريال؛ وأن قيمة الإنتاج الإجمالي من محصول القات بسعر المُنتج تصل إلى ٣٣ مليارا و٣٨٦ مليون ريال سنوياً. وتستنتج الدراسة: أن الدخل المحلي من القات يُشكل ثُلث الناتج الزراعي تقريباً؛ وواحداً إلى عشرة من مجموع الناتج المحلي كُله. وأن اليمن يفقد بين ٤ إلى ٦ ساعات يومياً من ساعات الإنتاج في شراء وتخزين القات؛ وأن مجموع الفاقد من ساعات العمل يزيد على ١٤ مليون ساعة عمل يومياً.

السلاح في اليمن ليس زينة الرجال فحسب ولكنه حلي النساء وحليب الأطفال أيضاً؛ ففي اليمن اليوم - ومن أكثر التقديرات اعتدالاً - ما يزيد على ٦٠ مليون قطعة سلاح تتوزع على ١٦ مليون مُواطن؛ بمُعدل ٤ قطع للمُواطن الواحد. المدفعية المتوسطة المدى في القاموس اليمني تدخل في باب (الأسلحة الفردية) ويتناقل اليمنيون فيما بينهم طرفة تقول:

- إن دبابة اقتربت من أحد الحواجز العسكرية؛ وقُرب صنعاء؛ فأمر الضابط على

الحاجز سائق الدبابة بالوقوف؛ وعندما توقف السائق سأله الضابط: هل تحمل أية أسلحة ؟ فقال السائق: لا. فرد الضابط: تستطيع مُتابعة سيرك إذاً.

وتقول دراسة اقتصادية: إن زراعة القات أدت إلى طفرة اقتصادية لدى المزارعين انعكست في سلوك تفاخري ومظهري؛ ولم يعد اليمني يقبل بأن يمتلك أقل من خمس قطع من السلاح؛ على أن يكون بينها قطعة على الأقل من نوع (أبو مقعد)؛ أي رشاش ثقيل من النوع الذي يستند إلى مقعد.

ويقول الشيخ حسين بن عبد الله الأحمر رئيس البرلمان: الشعب اليمني مسلح باستمرار ولم يُنزع منه السلاح حتى في عصر الإمام؛ حيث كان الفقر موجوداً والسلاح معدوماً وممنوع دخوله. القبيلي كان يشتري البندقية من الدولة؛ كان الأمير الحسن بن يحيى حميد الدين يبيع السلاح بنفسه؛ يأتي به من الخارج؛ وكذلك الأمير علي بن يحيى حميد الدين كان يأتي بسلاح (حرمن) من ألمانيا؛ وكانوا يبيعون البندقية بألف ريال فرنسي في ذلك الوقت؛ فاشترت منه القبائل.. إن القبلي يعتبر السلاح جزءاً منه وإلى جانب ذلك فهو زينة.

الرئيس اليمني علي عبد الله صالح؛ سئل عشية الانتخابات؛ عن هذه الظاهرة فقال:

- إن السلاح الناري ظاهرة غير حضارية وغير مُستحبة؛ وبخاصة أنها تأتي بنتائج سلبية داخل الأسرة على الأطفال والعائلة.

ولكن الرئيس وجد أيضاً في هذه الظاهرة إيجابيات: - فعندما جاءت حرب الانفصال دعونا المواطنين وحركنا ملايين مُسلحة حسمت الموقف.

ومع ذلك؛ ورُبما بسبب ذلك الانتشار الواسع للسلاح؛ فإن نائب رئيس الجمهورية عبد ربه منصور هادي صرح بعد تشكيل الحكومة الجديدة في اليمن أن من أولويات الحكومة تقليص عدد أفراد الجيش النظامي إلى النصف؛ وفي مواجهة غابات القبلية والقات والسلاح فإن اليمن لا تختار تعزيز الجيش بل الديمقراطية؛ وهي ديمقراطية تُقاتل على خطوط التماس. وأهم مُدنها: -

- [صنعاء] [تعز] [ثعبات] [إب] [ثلا] [تريم] [عدن] [مغنية].

وأهم مُدنها الأثرية: - [أسناف] [براقش] [البيضاء] [الجول] [تمنع].

* * * * *

# صنعاء

مدينة صنعاء القديمة التي ضمت مملكة سبأ وعرش بلقيس ترتفع عن سطح البحر أكثر من ٢٠٠٠ متر؛ ومرت عليها حضارات مُتعاقبة يُونانية ورومانية وفينيقية وغيرها لا تزال بصماتها واضحة في تلك المدينة المُتحفية؛ والجبال المُحيطة بصنعاء تُعتبر هي الأعلى في منطقة الجزيرة العربية مما يفسر ولع غُزاتها ببناء حصونهم على قممها لدرء الأخطار عنهم؛ والقادم الجديد لصنعاء وغيرها من مدن اليمن لا بد أن يلاحظ أن الجميع لا يأبه بالصعود إلى الأعلى.. جبال.. مُرتفعات.. سطوح المنازل.. ومُرد تلك المُعاناة المقصودة هو أن متعة مضغ القات وتخزينه لا تكتمل سوى بالجلوس في مقيل مُرتفع بعد تجفيف الجسد صعوداً وهبوطاً من السوائل وحتى يمكن لرحيق القات أن يُؤتي مفعوله... فالقات هو المفسر الوحيد لحركة المجتمع في اليمن.



صنعاء هي عاصمة اليمن. وتقع في منطقةٍ جبليةٍ عاليةٍ وسط شمال البلاد. تتفرع منها عدّة طرقٍ رئيسةٍ؛ أهمها: -

١ - طريق صنعاء - صعدة باتّجاه الشمال.

٢ - طريق صنعاء - الحديدة باتّجاه الجنوب الغربي.

٣ - طريق صنعاء - تعز؛ فعدن على ساحل خليج عدن باتّجاه الجنوب.

صنعاء مدينة تجارية وصناعية تُصنَع فيها البرود اليمانية المشهورة. فيها العديد من الصناعات اليدوية التقليدية المُتمثّلة بصنع الأسلحة والخناجر والسّيوف؛ والأخرى الحديثة المُتمثّلة بصنع المواد البلاستيكية والأدوات المنزلية. وفيها مصنع الغزل والنسيج الكبير. وفيها جامعة علميّة وطنية ناشئة؛ ويُقدَّر عدد طُلاّبها بخمسة وعشرين ألف طالب وما يزيد على هذا العدد؛ وهي أنشئت عام ١٩٧٠م.

وفي صنعاء مطار دولي لاستقبال الطّائرات العاملة على الخطوط الجوية الدّولية

والأخرى الداخلية. فيها سور ضخم من عهد الأيّوبيّن؛ وعشرات المساجد. وهي قاعدة محافظة صنعاء. من أقضيتها عمران والجوف وكوكبان.

تُعَدّ صنعاء من أقدم المُدُن التاريخية؛ وكان اسمها (أزال). فلّما دخلت الحبشة اليمن قالوا: (نعم؛ نعم)؛ فسُمّي الجبل (نعم)؛ أي (انظر!). فلمّا رأوا مدينتها؛ وجدوها مبنيةً بالحجارة؛ حصينة؛ فقالوا: -



– هذه صنعة ومعناه حصينة؛ فسُمّيَت صنعاء بذلك. وقيل: إنّما سُمّيَت (صنعاء) باسم بانيها (صنعاء بن أزال بن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح).

ولم يكن باليمن أكبر ولا أكثر مرافق وأهلاً من صنعاء. وهي مُعتدلة المُناخ رغم علوّها الشاهق فوق سطح البحر.

كان في صنعاء بناء قديم قد خُرِّب؛ وهو على تل عالٍ يُعرَف بغمدان. وكان لها تسعة أبوابٍ؛ لا يدخلها غريب إلاّ بإذن. وكان أهلها يعتقدونً أنّ صنعاء لا تخرب إلاّ من رجلٍ يدخل من بابها المُسمّى ببابً حقل. فكانت عليه الأجراس متى حُرّكت سمع صوتها من بعيد؛ وكانت مرتبة صاحبة الملك؛ أي إقامته؛ على ميل من هذا الباب. وكان من دونه إلى الباب حاجبان بين كل واحد منهما إلى صاحبه رمية سهم؛ وكانت له سلسلة من ذهب محدودة؛ وفيها أجراس متى قدم على الملك شريف أو رسول أو بريد من بعض العمال؛ حركت السلسلة فيعلم الملك بذلك.

وتشتهر صنعاء القديمة بالأسواق؛ حيث المهن الرائجة كصناعة المشغولات الفضية والعقيق والجنابي والمهن الصامدة كالعطارة ومهن اندثرت وغاب صيتها مثل: الكوافي.

وسوق الملح؛ يعتبر قلب المدينة التاريخي مستعص عن التغيير؛ الأبنية الحجرية راسخة كالجبال التي تحيط بالمدينة؛ أما الأرض قد تم رصفها بأحجار بيضاء بدلاً من

الحصى القديم المدبب؛ والسيارات تزاحم الناس في الأزقة الضيقة؛ ولكن الوجوه اليمنية بملامحها التي تبدو كما لو تم نحتها بإزميل دقيق بدت على حالها؛ العمامة على الرأس والخنجر حول الوسط والقات في زاوية الفم؛ تختلف الوجوه والأعمار والأحجام والمراكز الاجتماعية وتبقى هذه السمات الثلاث؛ في تلك الساعة من ظهيرة اليوم؛ السوق ما زال يحمل السمة الأساسية لكل الأسواق الإسلامية القديمة؛ دوائر متصلة من الحوانيت والبيوت مركزها المسجد؛ أو الجامع الكبير وهو من أوائل المساجد التي بنيت في الإسلام؛ ثم يقسم السوق حسب البضائع المعروضة؛ كل جزء من السوق يختص ببيع سلعة معينة حتى يسهل للزبون المقارنة بين أنواع البضائع المختلفة.

تكاد تكون جميع المنازل في صنعاء القديمة متشابهة إلى حدٍ كبير في مكوناتها الخارجية والداخلية؛ مساكن مبنية بصخور البازلت والطوب الطيني وخطوط عريضة من الجص الأبيض مسحت على أطراف النوافذ والبيوت وكأنها وضعت لتحديد وإبراز معالم كل بيت؛ كل منزل لا يتجاوز ارتفاعه خمسة طوابق والتقسيم المتعارف لسكان تلك البيوت هو الأدوار العليا للرجال وبخاصة الدور الأخير والأدوار السفلية مخازن للحبوب وحوش لتربية بعض أنواع الحيوانات المفيدة لاحتياجات المنزل؛ أما الأدوار الوسطي فهي للنساء والمطبخ عادة ما يكون بجانبهم.

هذه البيوت التي تتشابه تماماً محرم على أصحابها إدخال أي تعديلات أو ترميمات عليها دون إذن من الهيئة العامة للحفاظ على المدن التاريخية؛ فهي الجهة المخولة بالقيام بتلك المهمة خوفاً من تشويه النسق العمراني القديم والموحد للمدينة؛ وبالرغم من ذلك الحرص تسببت بعض عمليات الترميم العشوائي لبعض البيوت في تدخل مجلس التراث العالمي التابع لمنظمة اليونسكو في منتصف العام الماضي ٢٠٠٢ الذي لوح بإسقاط مدينة صنعاء القديمة من قائمة التراث الإنساني إذا لم تتخذ إجراءات مشددة للإبقاء على الطابع المعماري للمدينة ووقف كل عمليات البناء والترميم فيها.

والجامع الكبير من معالم صنعاء؛ والذي يعد من أقدم المساجد في الإسلام حيث بني في السنة الثامنة للهجرة بأمر من الرسول عليه الصلاة والسلام على أنقاض كنيسة أبرهة الأشرم الذي سعى لهدم الكعبة المشرفة وتحويل الناس إلى كنيسته فخاب مسعاه بعد أن أرسل الله له طيراً أبابيل رمته وجنوده بحجارة من نار فأهلكهم جميعاً؛ وقد اتخذ هذا الجامع الواسع نفس الطابع المعماري للحرم.

يُنسَب إلى صنعاء خلق كثير من أهل العلم؛ منهم عبد الرزاق بن همام بن نافع أبو بكر الحميري الصنعاني؛ أحد الثقات المشهورين. وروى عنه سفيان بن عيينة؛ ومعتمر ابن سليمان؛ وأبو أسامة حماد بن أسامة؛ وأحمد بن حنبل؛ ويحيى بن معين؛ وإسحاق بن راهويه؛ ومحمد بن يحيى الذهلي؛ وعلي بن المديني؛ وأحمد بن منصور الرمادي؛ والشاذكوني. مات عام ٢١١ هـ[١].

* * * * *

## عدن

تقع مدينة عدن اليمنية على ساحل بحر العرب في خليج عدن بالقرب من باب المندب؛ المدخل الرئيس للبحر الأحمر. وهي ثغر اليمن وبوابته الجنوبية. يقع ميناءها وسط خور اليمن المحاط بحواجز طبيعية من الجبال تحمي السفن من العواصف والتيارات البحرية. مدخل الميناء طبيعي بعمق ٢٠ إلى ٤٠ متراً وتتبعه قنوات قابلة للتعميق بسهولة.

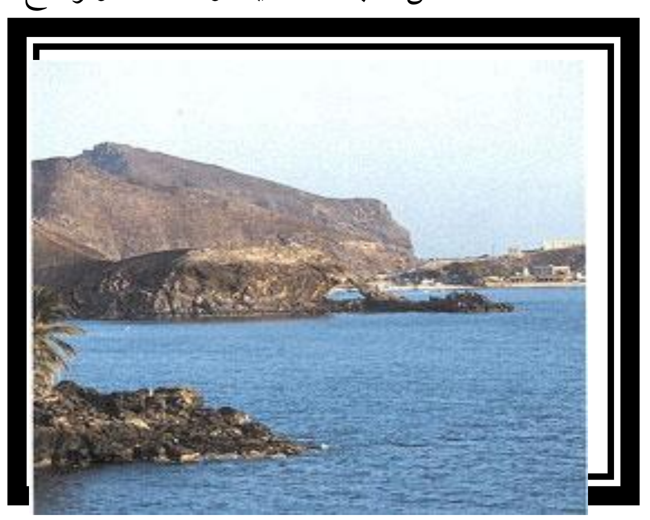


تعتبر عدن من أجمل المدن اليمنية الساحلية التي تمتاز بشواطئها البديعة المتنوعة ومبانيها العريقة وقلاعها وحصونها المنيعة وأسواقها العديدة. وقد حازت هذه المدينة على شهرة دولية كمركز للتجارة البحرية منذ قرون عديدة قبل الميلاد وكانت محطة لتجارة البخور والتوابل وممراً للقوافل. دعاها الفينيقيون (أيدن) وسماها اليونانيون (أيود يمون أرابيا) أي العربية السعيدة. ووصفها المؤرخ العربي الهمداني بقوله: عدن جنوبية تهامية وهي أقدم أسواق العرب.

---

(١) صنفتها منظمة اليونسكو مدينة تراثية عالمية عام ١٩٨٦م.

استعادت عدن في العهد الإسلامي دورها التجاري والتاريخي عندما قام ابن زياد والي الخليفة العباسي بتحويلها في القرن التاسع ميلادي إلى ميناء ومدينة تجارية. وبلغت أوج مجدها وازدهارها في عصر الدولة الرسولية (١٢٢٨ــ١٤٣٥م). وفي العصر الحديث كانت عدن أول مدينة عربية تقيم نظام التجارة الحرة من عام ١٨٥٠ إلى ١٩٦٩م واستطاعت أن تحتل المكانة الرابعة بين موانئ العالم من حيث الأهمية التجارية وتموين السفن في عدن عدد كبير من (العدنات) ما بين قرى عامرة وأخرى مندثرة منها: عدن حمادة؛ عدن أهور؛ عدن غير؛ عدن أرود؛ عدن جعشان؛ عدن الشهي؛ عدن الراحة؛ إلخ... وأكثر هذه (العدنات) منتجعات اتخذها الناس طلباً للحماية والأمان؛ وتوسع بعضها حتى شمل أغلب الجبل الذي تربض تحته مدينة عدن.



احتل البرتغاليون عدن عام ١٥١٣ وجاءها الإنجليز عام ١٨٣٩ وجعلوها قاعدة عسكرية بحرية لحماية طريق الهند وجعلوها مركزاً للتموين والتجارة؛ وأقاموا فيها مصفاة نفط كبيرة. أصبحت عدن عاصمة الجمهورية اليمنية الديمقراطية الشعبية بين ١٩٧٠ و ١٩٩٠ بعد خروج الإنكليز واستقلال اليمن وانفصال الجنوب اليمني عن شماله. وعادت عدن كما الجنوب المنفصل إلى حضن اليمن بعد حرب بين الشمال والجنوب انتهت بانتصار حكومة صنعاء وتوحيد البلاد.

وأشهر وآخر مُحتليها كانوا هم الإنجليز الذين انتزعوها في عام ١٨٣٩ م من أيدي البرتغاليين لتكون واحدة من أهم الموانئ في طريق مستعمرتهم في الهند؛ كانت ضحية التخلف والتنازع المستمر بين مجموعة مشايخ المحميات؛ أشبه بنسخة مزيفة من ملوك الطوائف الذين أضاعوا الأندلس؛ وأضاعونا فيما بعد؛ كان الاستيلاء على عدن حدثاً مهماً في تاريخ الاستعمار البريطاني لأنها كانت أول قطعة من الأرض يستعمرها في عصر الملكة (فيكتوريا)؛ ومثلت منذ ذلك الحين واحدة من أربع نقاط كانت تتولى حماية الطريق البحري الرئيسي للأسطول البري الذي كان سيد البحار؛ هي جبل طارق ومالطة

وقبرص وعدن؛ لذا فقد قاومت بريطانيا طويلاً حتى قبلت التخلي عن عدن ومنحها استقلالها في عام ١٩٦٨؛ وهي تعتبر بذلك آخر الدول العربية التي نالت هذا الاستقلال.

ولكن الطريق إلى هذا الاستقلال لم يكن سهلاً؛ وكذلك الطريق إلى الوحدة مع الشطر الشمالي؛ الطرق اليمنية دائماً ما تكون وعرة وصعبة؛ ولم يدخل الإنجليز إلى عدن إلا على جثث الذين قاوموهم من أهل اليمن؛ وما زالت قبورهم تطل على ساحل (صبرة) حتى الآن؛ لقد استخدم الإنجليز مدافع الأسطول من أجل الاحتلال؛ ثم استخدموا الطائرات بعد ذلك لدك قرى اليمن؛ وكانت هذه هي المرة الأولى التي يرى فيها أهل اليمن هذه الطيور القاتلة؛ لقد وضعوا أول خطوط التقسيم بين الشمال والجنوب؛ وجعلوا الشمال يغرق في ظلمة الأئمة؛ بينما ظللنا نحن في الجنوب نصارع دون جدوى أقوى إمبراطورية في العالم في ذلك الوقت.

وعدن هي البلد الثاني الذي دخله التلفزيون في أوائل الستينيات بعد العراق الذي عرفه منذ الخمسينيات؛ حيث المبنى المتواضع الذي يشهد تجديدات شاملة؛ حيث أُحيلت أخيراً أجهزة البث السوفيتية إلى التقاعد وحل بدلاً منها أجهزة يابانية حديثة؛ والجميع متفائلون بهذه الخطوة التي سوف تنقلهم من قناة محلية صغيرة؛ إلى فضائية تلتقطها الأقمار الحائمة في الفضاء.

عدن حافلة؛ فيها بصمة العالمية التي تجدها في كل الموانئ؛ خليط من العرب والهنود والأحباش وأهالي جزر الملايو البعيدة؛ يتعايشون في نفس البقعة من الأرض الراقدة على فوهة البركان؛ حيث الفندق القديم وفيه نزلت ملكة بريطانيا في إحدى غرفه عندما كانت في طريقها للهند؛ ولكن في المقابل كان هناك فندق آخر في العراء وسط (كرتير) الحي التجاري في المدينة؛ مجموعة من الأسرة الحديدية تحتل أحد شوارع المدينة وتنتظر روادها عندما يحل المساء؛ وفي جو المدينة الجاف لا يحتاج المرء إلى غطاء أو سقف يكفيهم أن سعرها زهيد لا يتجاوز النصف دولار لليلة الواحدة؛ وفي مكان آخر وعلى الرغم من السحر الذي تتمتع به شواطئ جولد مور؛ فإنه يوجد فوق تلالها واحد من أسوأ السجون في العالم هو (رأس مرباط) وهو السجن الذي قام الرئيس علي عبد الله صالح بنفسه بالمشاركة في هدمه بواسطة (البلدوزر)؛ وغير بعيد يمتد شاطئ (رامبو) الشاعر الفرنسي الذي كان عاشقا للشرق ورست سفينته في عدن وهو في طريقه إلى إفريقيا بحثاً عن الثروة والموت. لم يكن هناك مجال للرومانسية؛ فأمام الشاطئ توجد بقايا سفينة غارقة؛ حطام

قاس من أيام الصراع على السلطة بين أعضاء النظام الماركسي الذي كان يحكم الجنوب عام ١٩٨٦؛ الأمر الذي أطلقت عليه وسائل الإعلام في وقتها (صراع القطط التي تأكل أبناءها) وفي وسط الجبال التي تحيط بالمدينة توجد معجزة عدن الحقيقية؛ المعجزة التي جعلتها تتغلب على الجدب وشح الأمطار وسنوات الجفاف الطويلة؛ صهاريج طويلة محفورة في أعماق الصخر؛ لا أحد يعرف من بناها على وجه التحديد؛ هل هي بلقيس ملكة سبأ التي ينسب إليها كل ما في اليمن من أساطير حية؛ أم أنهم ملوك الفرس؛ أم البحارة الأشداء الذين يعرفون قيمة كل قطرة من الماء العذب؟ فالصهاريج تنظم جمع كل قطرة من المطر تسقط فوق الجبال؛ وتحولها عبر مجموعة من المسارات والسدود إلى أن تتجمع كلها في خزانات ضخمة تقع أسفل هذه الجبال وتحفظها لوقت الحاجة إليها؛ وهي تسع حوالي ٢٠ جالوناً إمبراطورياً من المياه؛ فقد عرف الصهاريج كل الرحالة العرب؛ ولكن الإنجليز أعادوا اكتشافها في عام ١٨٥٣ على يد سير لامبرت الذي أزال ما فيها من أوساخ ومخلفات وقام بترميمها وإعادة فتحها.

ولا تقف ميناء عدن طويلاً عند حافة الماضي؛ فهي تحلم بإعادة أمجادها عندما كانت في الستينيات تستقبل ٦٠% من الحركة التجارية في المنطقة؛ ثم تضاءل دورها عندما أغلقت قناة السويس بعد حرب يونيو ٦٧ وانصرفت السفن العملاقة بعيداً عنها؛ وهي تطمح الآن في إعادة اجتذاب هذه السفن عن طريق المنطقة الحرة التي تقوم بإنشائها عند سفوح جبل (شمسان) وقد قامت بالتجهيزات الأولية بالفعل عن طريق إعداد رصيف للحاويات طاقته التشغيلية نصف مليون حاوية وأراض مزودة بمرافق تسع ٣٠٠ مصنع.

لقد انتهز الإنجليز فرصة ضعف العثمانيين وتغلغلوا إلى الداخل ما بعد عدن؛ وعقدوا اتفاقيات للحماية مع شيوخ القبائل المرتعدين؛ وعلى إثر ذلك قاموا برسم الحدود التي فصلت بين الشمال والجنوب في عام ١٨٧٣؛ ولم يوافق أحد على هذا التقسيم في ذلك الوقت على الأقل؛ وحاول الإمام يحيى أن يحرك قواته؛ فكشرت بريطانيا عن أنيابها وحركت طائراتها الحربية التي قامت بقصف القرى اليمنية؛ وكانت هذه هي المرة الأولى التي يشاهد فيها اليمنيون ذلك السلاح المرعب التي لا تطوله يد؛ واستسلم الإمام وأذعن في النهاية للأمر الواقع ووقع مع بريطانيا معاهدة للصداقة والتعاون مدتها أربعون عاماً؛ ونلاحظ هنا أن الإمام المهزوم لم يستسلم كلية؛ لقد قام فقط بتأجيل المشكلة لعدد من السنوات؛ ولكن الأمور اختلفت في كلا الشطرين؛ فبينما غرق الشطر الشمالي في أسر سنوات طويلة من ظلام التخلف تحت حكم الأئمة؛ حفل

الشطر الجنوبي بحركة سياسية صاخبة؛ فقد تكونت الجمعيات السياسية وصدرت الصحف الأهلية؛ ومن الغريب أن عدن كانت هي المتنفس الأول لكل حركات المعارضة ضد الحكم الجائر في الشمال.

وقد كانت ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ تحولاً جذرياً في طريق الوحدة والمصير اليمني كله؛ ففي اللحظة التي نسف فيها الضباط الأحرار في الجيش اليمني قصر الإمام البدر بدار البشائر أضاءت طلقات المدافع أضواء فجر جديد طال انتظاره؛ ولكن تضاريس اليمن لا تدع طرقا سهلة؛ فالثورة ولدت ومعها تحدياتها؛ وجاء الجيش المصري للمساعدة فتورط هو أيضا في حرب طويلة الأمد؛ وهي حرب دفع هذا الجيش ثمنها غاليا عندما تلقى هزيمته النكراء في ٦٧ على أرض سيناء؛ ولكن تأثير وجود هذا الجيش وقيام الجمهورية في الشطر الشمالي أحدث انقلابا في المنطقة كلها وجعلت الاستعمار البريطاني في عدن يبدأ في العد التنازلي لزوال نفوذه؛ فقد بدأ الكفاح المسلح ضده ولم يصل إلى نهايته إلا بعد أربع سنوات حصل بعدها اليمن الجنوبي على استقلاله يوم ٣٥ نوفمبر ١٩٦٧ وفق حدود دولية فرضتها إنجلترا وأرغمت الآخرين على الموافقة عليها.

* * * * *

# مغنية

تعود أصول مدينة مغنية اليمنية إلى العصور الغابرة في التاريخ. تدل على ذلك الآثار الباقية والشاهدة على قدم المدينة؛ حيث ثم العثور على كمية من الكوارتز والبزالت والحثّ والسيليكس المنقوش الذي يدل بصفة عامة على غنى أراضيها التي تمتد إلى عصور ما قبل التاريخ. إضافة إلى أن المساكن التي سكنها الإنسان القديم دليل مهم جدا على إثبات أهمية المدينة من الناحية التاريخية.

وخير دليل على ذلك؛ أنه على بعد ٥ كيلو مترات من المدينة؛ وعلى الطريق المؤدية إلى مدينة الغزوات؛ كشف عام ١٩٠٨على آثار من الأهمية بمكان؛ ينسب إلى الحقبة ما قبل التاريخ. ويعرف هذا الأخير بمغارات المويلح التي عثر بداخلها على هياكل عظمية لبقايا الإنسان.

وهذا المكان سكنه الإنسان في الحقبة الصناعية للعصر البليولتيكي؛ وبجوار المكان تحت مداخل المغارات وجدت محطات صناعية تعود إلى العصر الصناعي النيولتيكي. أما في الحقبة النيولتيكية فيعتقد أن ورشات ما قبل التاريخ نشطت وازدهرت بين وادي

المويلح ووادي واردفو.

في أيام الإمبراطورية الرومانية كانت مغنية محطة عسكرية وكان اسمها طبقـا لأعمـدة ميلارية؛ نوميروس سيروروم. وبُني هذا المعسكر علـى صـورة المعسـكر الرومـاني المثـالي بمستطيل واسع ٤٠٠ م٢ على ٤٢٠ م٢ـ أو ربما ٢٥٧ م٢؛ وأحيط بخندق واسع وعميق.

* * * * *

# ثعبات

ثعبـات؛ بفتح الثاء والباء وبينهما عـين سـاكنة؛ هـي مدينـةٌ مـن المُـدُن اليمنيّـة الـتي ظهرت في الإسلام؛ وكانت مدينة مسورة بُنِيَت عند سفح جبل صـبر؛ علـى بُعـد ٣٥٠٠م تقريباً جنوب شرق مدينة تعز.

زارها الرّحالة الأوروبي كارستن نيبور؛ وشاهد بقايا بعض مُنشآتها المعمارية كالسّور وجدران مسجد كبير وقبة صغيرة وجدران مسجد بُنِيَـت مـن الأحجـار الحمـراء. يرجـع تاريخ بناء هذه المدينة إلى القرن السابع الهجري / الثالـث عشـر المـيلادي. سـكنها الملـك الرسولي المظفر عمر عام ١٢٩٥م وحاشيته وأرباب دولته. ويظهر اسم هذه المدينـة لأوّل مرّةٍ مقترناً باسم هذا الملك.

لم تكن المدينة مسورة محصنّة منذ إنشائها؛ ويذكر الخزرجي أنّ السّـلطان المجاهـد مَـدّن ثعبات وسوّرها وبوّبها وعمّر جامعهـا وأجـرى إليـه المـاء؛ وبنـى فيهـا المسـاكن العجيبـة والقصور الغريبة؛ واخترع فيها المُخترعات الفائقة والبساتين الرائقة؛ وكان الفراغ من بنـاء سورها وتركيب أبوابها عام ١٣٣٢م.

من أشهر القصور التي بُنِيَت فيها دار السّلام عام ١٢٩٧. وقـد أسـهب المؤرخـون في وصف هذا القصر الذي استمرّت عمارته سبع سنوات إسهاباً شديداً.

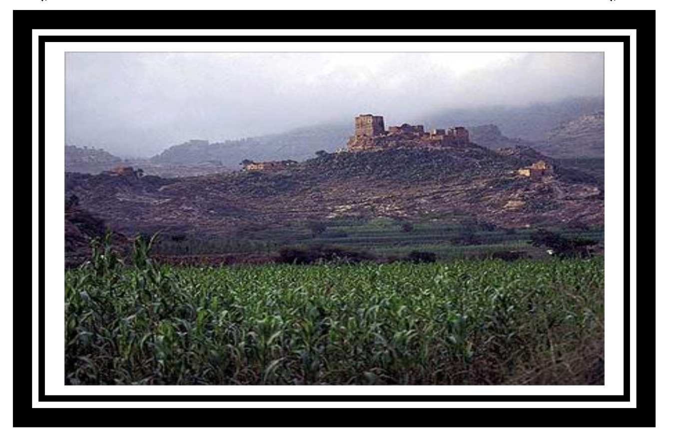
* * * * *

# تعـز

هي مدينةٌ في مرتفعات اليمن الجنوبية؛ تقع في سفح جبل صَبر الذي يبلغ ارتفاعه نحو ٣٠٠٠ متر. وقد ظهرت بهذا الاسم في المصادر؛ في أواخر القرن السّادس الهجري/ الثـاني عشر الميلادي؛ مقترناً ذكرها بوصول توران شاه الأيّوبي إلى اليمن عام ١١٧٣م. علـى أنّ (تعز) كانت موجودةً قبل ذلك؛ بدليل أن توران شاه نصّب فيها أميراً ينوبه مثلما صنع مع

زبيد وعدن؛ وأنّ أخاه طغتكين قد أعاد بناء حصنها واتُخِذَت قاعدة بلاد المعافر.

قيل عن تعز: إنّها هي القلعة التي تُسمّى بالقاهرة؛ وأمّا ما تُسمّى بـ(تعز)؛ والتي يضمّها السّور وفيها جامع الظّفر؛ فكانت تُسمّى (عدينة). وكذلك فإن حصن (تعز) ذو مُكنةٍ؛ بُنِيَ بالجصّ والحجر بأبوابٍ وأسوارٍ وثيقةٍ عامرةٍ؛ وليس في جميع اليمن أسعد منه حصناً؛ لأنّه سرير الملك وحصن الملوك؛ وهو قلعة وُضِعَت بين مدينتين: إحداهما المغربة والثانية تعز والثالثة سمّاها مدينة عدينة؛ وتقع في لحف جبل صبر.



كان الملك المُظفر الرّسولي أوّل مَن مدّنها ومصَّرها عام ١٢٥٥م؛ وأصبحت عاصمة الدولة الرّسولية التي امتدّ حكمها إلى شتى بقاع اليمن. ومنذ ذلك الحين؛ عُرِفَت تعز بعاصمة اليمن الثانية؛ وقد زارها ابن بطوطة (١٣٧٧م) في عهد الملك المُجاهد الرسولي ووصفها بأنّها من أحسن مُدُن اليمن وأعظمها..

كانت تعز مزدهرةً إبان العصر الرّسولي والعهد العثماني الأوّل. وكانت تفيدُ من موقعها على طريق التّجارة الذي يربطها بالمخاء غربا وعدن جنوباً وصنعاء شمالاً. لكن المدينة ظلّت منذ ظهورها صغيرةً نسبياً؛ في إطار سورها المعهود؛ رغم ازدهارها في فتراتٍ عدةٍ؛ ولم تتمكّن من الامتداد خارج السور إلاّ منذ أن اتّخذها الإمام أحمد في عام ١٩٤٨ مقراً لإقامته وقاعدةً لحكمه؛ بحيثُ أصبحت في مجال علاقاتها الخارجية في وضعٍ أفضل ممّا كان للعاصمة صنعاء؛ خاصّةً أنّها كانت أقرب من صنعاء إلى عدن الميناء الدولي.

وعندما قامت الثورة في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م؛ لم تتأثّر تعز كثيراً نتيجة تحوّل قاعدة البلاد منها إلى صنعاء؛ بل بَقِيَت تحفل بالنّشاط. ورغم توسّع تعز اليوم وامتدادها على التّلال المجاورة؛ خاصّةً في الجهة الشمالية؛ إلاّ أنّها لم تتمكّن من منافسة صنعاء العاصمة في سرعة التّحول والتوسع بحكم كونها قاعدة البلاد ومركز النّشاط الحكومي. ومع ذلك فإن تعز بقيت عامرةً محتفظةً بحيويّتها الدائمة.

ونرى المأساة التي تعيشها تعز؛ فجبل صبر الذي كان دائماً متوهجاً بالخضرة والنضارة يبدو عطشاً وجافاً؛ فاليمن كلها ومدنها الكبرى بوجه خاص تعاني من استنزاف مخزون مياهها الجوفية؛ وقد وضعت الحكومة خطة طموحاً للتوسع في الزراعة من أجل الاكتفاء الذاتي من الخضراوات والفواكه واللحوم؛ ولكن ذلك لم يتحقق لأن أشجار القات قد التهمت معظم هذه الزيادات وشربت غالبية الماء؛ وفي الجانب الغربي من اليمن يتم استهلاك حوالي ١,٨ مليار متر مكعب من الماء سنويا بينما لا تبلغ التغذية السنوية له إلا ١,١ مليار متر مُكعب؛ والمُتهم الأول في هذا الأمر هو شجرة القات.

لا أحد يعرف على وجه الدقة كيف سادت هذه الشجرة الشيطانية؛ ولكنها قديمة كالتاريخ؛ وقد كنا نتوهم ونحن صغار أن اليمن هي موطن أجود أشجار البن؛ ولكن القات استطاع أن يزيح من أمامه شجرة البن الرهيفة؛ وأن تأخذ الأرض منها؛ فهي تحتل أكثر من ربع الأراضي الخصبة المزروعة في اليمن؛ ويمثل جبل صبر واحداً من أجود أنواع القات؛ وتستهلك هذه الشجرة أكثر من ٤٨٥ مليون متر سنوياً أي حوالي ربع الماء المتوفر للزراعة.

وللقات عمق غائر في الثقافة الاجتماعية اليمنية؛ وهو يشكل الحياة اليومية فيها؛ وقد قال مسئول كبير مؤكداً: (إنني أتناول القات منذ ثلاثين عاماً ولم يصب جسدي بأي شيء وكذا قواي العقلية؛ إن القات قد حمى شبابنا من إدمان المواد الخطرة كالحشيش والهروين؛ كما أن دورة القات دورة داخلية فهو يزرع في اليمن ويوزع داخلها وبذلك لا يبدد ثروتها في الخارج؛ كما أن له آثاراً اجتماعية جيدة؛ فمجلسه يساوي بين الغني والفقير وهذا شيء لا تجده في أي مكان آخر).

ولم يعد النقاش حول القات من المحرمات؛ وقد كان يعتبر إلى وقت قريب شيئاً من مقدسات الحياة اليمنية ومفتاحاً لفهمها؛ بل إن العديد من الدبلوماسيين لم يجدوا بداً من أن يحمل كل واحد منهم تحت إبطه تلك الحزمة الخضراء ويتوجه بها إلى مجالس الظهيرة؛ فالحياة منذورة لمجلس القات منذ الثانية ظهراً حتى الثامنة مساء أو نحو ذلك؛ ويتساوى في تناوله الجميع؛ يمضغه الأطفال؛ وتعقد النساء المجالس من أجله؛ وينتقده الجميع ولا يكفون عن التهامه؛ والنتيجة هي ضياع ١٤ مليون ساعة يومياً؛ وإنفاق ما يوازي ١؛ ٥ مليار دولار أمريكي أي ما يوازي ربع هذا الناتج المحلي.

ولعل أول ثورة ضد تسلط هذه العادة هي المحاولة التي قام بها الإمام المتوكل في بداية القرن الماضي عندما أمر بإحراق كل أشجار القات الموجودة فوق جبل (صبر) حتى

الجذور؛ وظل تناوله محرما حتى تراجعت سلطة الإمام وعادت براعم القات المختبئة للتفتح من جديد؛ وكان النظام الماركسي الحاكم في اليمن الجنوبية يحرم تناوله إلا مرة واحدة في الأسبوع؛ ولكن أبرز نتائج الوحدة كانت أن أصبح القات جزءاً يومياً في الجزء الجنوبي أيضاً؛ وزاد من تفاقم أضرار القات تلك المبيدات الحشرية والمخصبات التي أصبحت تضاف إليه حتى يبقى مزدهراً وجاهزا للقطاف أطول فترة ممكنة؛ وترتب على ذلك ظهور أمراض السرطان وخاصة سرطان الفم؛ وازدادت أعراض التسمم بنسب مرتفعة؛ كما أهمل الفلاح اليمني حيواناته التقليدية ولم يعد يهتم بتربيتها بعد أن لا حظ أنها تنافس الإنسان في نهمها لأوراق القات.

وأخيراً بدأت السلطات حربها ضد القات؛ وأصدر الرئيس أوامره بمنع تعاطي القات بين جميع أفراد القوات المسلحة بمختلف الرتب؛ وقد تلقفت الصحف والجمعيات الأهلية هذه المبادرة وبدأت حملة واسعة هي الأولى من نوعها من أجل (يمن بلا قات)؛ ولكن الكثيرين يشككون في نجاح مثل هذه الحملات؛ فعلى مدى هذه السنوات اكتسب القات اقتصاديات موازية للاقتصاد العام؛ ويقدر أن الذين يعملون فيه ويستفيدون من زراعته ونقله و توزيعه حوالي ٦٥٠ ألف شخص؛ أي حوالي ١٧% من مجموع العمالة في اليمن؛ كما أن هناك العديد من كبار تجاره من شيوخ القبائل الحريصين على مكاسبهم حتى آخر مدى.

* * * * *

# تَريم

تريم واحدة من ثلاث مدن في وادي حضرموت في اليمن تمتد شهرتها حتى هذا اليوم. وهذه المدن هي شبام وسيئون وتريم. تقع تريم شمال شرق شبام في وادي حضرموت؛ حيث يبدأ وادي المسيلة. وقيل سميت باسم تريم بن السكون بن الأشرس ابن كندة. ويقال: إن أول من عمرها تريم بن حضرموت بن سبأ الأصغر. وقد جاء ذكرها في النقوش اليمنية القديمة ترم (في نقش إرياني ٣٢)؛ وتريم بالياء (نقش جام ٥٤٧).

أصبحت تريم في العصر الإسلامي مركزا من مراكز العلم والمعرفة في اليمن. ووصفها الهمداني بأنها مدينة عظيمة. وكان جامعها المشهور المؤسس في القرن الرابع الهجري من أشهر تلك المراكز؛ حيث كان طلاب العلم من اليمن ومناطق شرق أفريقيا المجاورة يرتادونها ويرتدون أربطتها (جمع رباط) المنتشرة بها. ومن أهم هذه الأربطة

والمساجد والزوايا: رباط تريم؛ رباط مسجد الفتح الذي وصفه بعضهم في ذروة نشاطه العلمي بأنه الأزهر الصغير؛ مدرسة أبي مريم؛ مدرسة الشيخ سالم با فضل الواقعة بإزاء مسجده وهي من أقدم مدارس تريم؛ مدرسة الشيخ حسين بن عبد الله الحاج وهي الواقعة في غربي جبانة تريم وتسمى اليوم بمسجد شكره؛ مدرسة باغريب؛ مدرسة آل باجمعان.

أما أشهر مساجد المدينة فنذكر منها: المسجد الجامع الذي أسس في الفترة ما بين ٩٨٥ - ١٠١١ م؛ مسجد الوعل الذي أسسه أحمد عباد بن بشر الأنصاري؛ مسجد عاشق المعروف بمسجد أبي حاتم سابقا؛ مسجد بالعوي المعروف بجامع قسم؛ مسجد الفتح الذي بناه الغمام عبد الله بن علوي بن محمد الحداد؛ وهو مسجد تم إعادة تجديده وتوسيعه في السنوات الأخيرة؛ مسجد المحضار الذي اشتهر بمئذنته التي ترتفع أكثر من خمسين مترا. وتعتبر هذه المنارة من أشهر المعالم الإسلامية والمعمارية البارزة على مستوى اليمن.

وفي تريم علماء وعبّاد وزهاد كثيرون. ومقبرتها مشهورة البركة؛ ويقال إنه مدفون في جبانة تريم أبرعون من أهل بدر.

* * * * *

# ثلا

سُميت بثلا بن لباخة بن أقيان بن حمير الأصغر. وهي مدينة يمنية جميلة ومشهورة؛ وحالياً عاصمة لمديرية تحمل الاسم نفسه؛ تتبع محافظة صنعاء.

تقع مدينة ثلا على ربوة مربعة الشكل في الشمال الغربي لمدينة صنعاء؛ بأسفل السلسلة الجبلية الممتدة شرقا باتجاه جبال كوكبان وحضور الشيخ وذيبين؛ التي تشكل الحدود الجنوبية الغربية لقاع البون. وتقع مدينة عمران شمالها ومدينتا شبام وكوكبان جنوبها.

كانت ثلا خلال فترات العصور التاريخية المختلفة وحتى بداية القرن العشرين؛ إحدى أهم المواقع الحصينة. ففي العصر الإسلامي؛ كانت المدينة؛ بسبب موقعها الحصين بالقرب من مدينة صنعاء تقدم ملجأ حصينا عند الحاجة. وقد حرص الملوك والأئمة الزيدية؛ الذين تولوا الحكم في اليمن على إخضاع هذه المدينة لسيطرتهم. وفي العصر العثماني انطلقت منها الجيوش اليمنية لمحاربة الاحتلال التركي لليمن. ويوجد في ثلا آثار

حميرية قديمة؛ منها حصنها المنيع المعروف بحصن الغراب الذي يسيطر على المدينة ويرتفع عن سطح البحر ٢٩٦٠ متراً. وفي فترة الاحتلال التركي؛ تعرضت أجزاء الحصن الخارجية للتدمير؛ ويوجد في الجزء الشرقي من الحصن مسجد جميل ومنشأة سكنية؛ وبالقرب من ذلك يوجد برج عال. كان المقيمون في هذا الحصن يتزودون بالمياه من البرك الموجودة بداخل الحصن. وفي الحصن حوالى عشرين مدفنا تستعمل اليوم لحفظ المحاصيل. والمدفن عبارة عن حفرة في الصخر بعمق سبعة أمتار تقريبا؛ قطره لا يزيد على متر؛ بينما يبلغ قطر القاعدة نحو أربعة أمتار تقريبا. وهي محفورة على الصخرة التي أقيم عليها الحصن. وعلى بعض الصخور القريبة من السور يلاحظ وجود العديد من الجروف التي نحتها الإنسان اليمني في الصخر واتخذ منها مسكنا له في العصور القديمة.

هذه الجروف لها مواصفات المساكن الحقيقية؛ إذ إنها تتكون من خمس أو ست غرف ذات أبعاد مختلفة؛ وتفتح في جدرانها دخلات أو خزانات جدارية ونوافذ وأبواب. وقد اتخذ الجند من هذه الجروف مكانا لإقامتهم.

تشغل المدينة الحالية مساحة تقدر بعشرين هكتاراً؛ وهي محاطة بسور من الحجر يبلغ طوله ١١٦٢ م تقريبا. يتخلل السور ستة وعشرون برجا؛ بعضها دائري والبعض الآخر نصف دائري. ويتم الدخول إلى البرج بواسطة سلم يؤدي إلى ممر ينتهي بغرفة مزودة بعدد من المزاغل لرمي السهام.

للمدينة الحالية تسعة مداخل تفتح في السور هي: باب المشرق وباب الفرضة وباب السلام وباب الهادي وباب الحامد وباب المياه والباب الجديد وباب إبراهيم وباب الفرضة الجديد وباب الحصن. يكتنف كل باب برجان منيعان يجعلان اقتحامه مستحيلا. خمسة من هذه المداخل التسعة استحدثت على ما يبدو في القرن العشرين؛ وهذا يعني أن عدد الأبواب الأصلية للمدينة كانت أربعة أبواب فقط.

المدينة مقسّمة إلى عدد من الأحياء منها: رأس المدهان في الغرب؛ قرية المحامد في الشمال الشرقي؛ قرية اللؤلؤة وقرية الطلح التي يحتمل أنها أقدم أحياء المدينة. يبلغ عدد المنشآت الدينية من مساجد ومدارس وأضرحة ومصلى في مدينة ثلا خمسا وعشرين منشأة. يقع الجامع الكبير في الطرف الجنوبي للسوق الذي يتوسط المدينة ويتكون من ١٤٢ حانوتا متقاربة في أحجامها وأشكالها. يقع حي اليهود القديم في الجنوب الشرقي للمدينة على بعد ٥٠٠ متر تقريباً من الباب الجديد. وكان يسكنه حوالى ثلاثين شخصا

هاجروا جميعا إلى فلسطين المحتلة.

تقدم مدينة ثلا نموذجاً من نماذج المدينة اليمنية الإسلامية من حيث التخطيط العام وطرق ومواد البناء. ومنشآت ثلا المعمارية دينية كالمساجد والقباب ومدنية كالسوق والمنازل والحمامات العامة وحربية كالحصن والخندق والسور والأبراج. وهي العناصر الرئيسة التي توجد في المدينة العربية الإسلامية بشكل عام. لكنها في اليمن تختلف خصوصاً في المباني السكنية والحربية عن غيرها من حيث التخطيط ومواد البناء والمكونات المعمارية. فلكل منشأة أسسها وتقسيماتها من الداخل والخارج؛ وحتى في بعض العناصر الزخرفية المستخدمة في تزيين هذه المنشآت التي تقدم طرازاً معمارياً يمنياً متميزاً مستمداً من تراث معماري تتوارثه الأجيال منذ أكثر من أربعة آلاف عام.

* * * * *

# سلطنة عُمان

سلطنة عُمان دولة عربيّةٌ مستقلّةٌ؛ وعضوٌ في الجامعة العربية؛ مجلس التعاون الخليجي؛ وهي تقع في الجنوب الشّرقي من شبه جزيرة العرب على خليج عمان؛ وهو بحر العرب في المحيط الهندي؛ ويمتدّ بين الجزيرة العربية وإيران وباكستان والهند. أخذت اسمها من اسم الزّعيم عمان بن قحطان (القرن الثاني الميلادي) الذي هاجر إلى عُمان بعد انهيارِ سدّ مأرب. وعُرِفَت البلاد حتّىً عام ١٩٧٠ باسم مسقط وعمان. يحدّ عمان من الشّرق خليج عُمان؛ ومن الشّمال خليج عُمان والإمارات العربية المتّحدة؛ ومن الغرب المملكة العربية السّعودية واليمن؛ ومن الجنوب بحر العرب. مساحتها ٣٠٠,٠٠٠ كيلو متر مربع؛ تتميز التضاريس بأن أخفض نقطة هي البحر العربي. م. وأعلى نقطة هي جبل شمس ٢٩٨٠م؛ اللغة الرسمية هي العربية.




عاصمتها: مسقط؛ وأهم مدنها: ظفار؛ نزوى؛ صلالة وصحار. لغتها الرّسمية هي العربية وعملتها هي الرّيال العماني. عدد سكانها حوالي مليون وسبعمائة ألف نسمةٍ. تتناثر أمامها؛ لهجة الجنوب؛ عدّة جزرٍ صغيرةٍ في بحر العرب؛ أهمّها جزيرة مصيرة؛ وجزر خوريا موريا. كانت عمان خاضعةً للاحتلال البُرتغالي منذ سنة١٥٠٨؛ ونالت استقلالاً ذاتياً عام ١٧٤١ على يد مؤسّسها أحمد بن سعيد.

عُمان عبارة عن سهولٍ ساحليةٍ؛ تُشرف عليها سلسلة من الجبال في الغرب والشّمال؛ وأهمها الجبل الأخضر وجبال الحجر؛ وأعلى قمّة هي قمة جبل الشمس الواقع إلى الشّمال من نزوي؛ وارتفاعها ٣٠٣٥ متراً. وهي بلدٌ شبه صحراوي؛ يتمتّع بواجهةٍ عريضةٍ. وتفصل أراضي الإمارات العربيّة المُتّحدة جزءاً من البلاد عن الباقي؛ وتقع هذه المنطقة عند طرف الرأس الذي يغلق مضيق هرمز؛ الأمر الذي يكسبها موقعاً استراتيجياً أساسياً؛ وذلك منذ القرون الوسطى. وتضمّ البلاد عدداً كبيراً من القصور والقلاع التّي تمتاز بقيمةٍ معماريّةٍ مهمّةٍ. مناخ عمان؛ إجمالاً؛ حار وجاف ودرجات الحرارة متفاوتة جداً؛ والأمطار في معظمها موسميّة. لا وجود لزراعةٍ ناشطةٍ في عُمان إلاّ في منطقة ظفّار؛ في جنوب البلاد. وتتناول الزّراعات المروية أشجار الفاكهة والخضر. أمّا اختصاص البلاد فنبتة البخورية العطرية. أشهر زراعتها زراعة القمح والحبوب والنخيل والزيتون وجوز الهند والبصل واللّيمون الحامض والموز والمانجو والتّبغ والذّرة والبطاطا. تربية الماشية مهمّةٌ في عُمان (أبقار)؛ وتُصطَاد الأسماك بحجمٍ كبيرٍ جداً ويُستخرج اللّؤلؤ من أعماقِ البحرِ.



تقوم ثروة البلاد على النّفط والغاز الطّبيعي؛ وقد ازداد إنتاج البترول بشكلٍ مُنتظمٍ لأنّ عُمان ليست عضواً في الأوبك؛ وهي بالتّالي حرةٌ في تحديد حجم إنتاجها. ويُشكّل الغاز الطّبيعي

ثاني مورد للبلاد بعد النّفط؛ وإنتاجه في تزايدٍ مستمر. وتنتج عُمان أيضاً النّحاس وتصدّر كامل إنتاجه. وأهمّ الموارد المنجمية هي: بترول؛ غازٌ طبيعي؛ نحاس؛ ذهب وفضّة. تستمر سلطنة عمان بالاستثمار في مشاريع كبيرةٍ ذات فائدةٍ عامّةٍ؛ مثل توسيع محطّة مانا الكهربائية ومحطة غُبرا لتحلية مياه البحر. وفي١٩٩٢؛ أُطلِقَ مشروعٌ ضخم لتسييل الغاز الطّبيعي؛ ينتج ٥ ملايين طن من الغاز الطبيعي المسيّل في السّنة. وأهمّ الصناعات في سلطنة عُمان هي صناعة المواد الغذائية والمنسوجات والتعدين والكيمياء والأسمنت. ومن مُدنها: [البليد] [مدحاء] [مطرح] [مسقط] [نزوى] [خصب] [صور] [صحار] [صلالة] [طاقة] [بوشر] [عبري] [قريات].

* * * * *

# مسقط

مسقط هي عاصمة سلطنة عُمان؛ وتُعتَبَر أكبر مدينة فيها. تقع على ساحل خليج عُمان وتُحيط بها الجبال من جميع الجهات؛ ما عدا جهة البحر؛ يمرّ بها مدار السّرطان وهي الوسط بين منطقتين: الحجر الغربي والحجر الشّرقي. كما تتفرّع من مسقط مختلف الطّرق السّاحلية المُعبّدة؛ وهذه الطُّرق تصل إلى صحار شمالاً وإلى صور؛ فالمرباط في أقصى الجنوب الغربي.

كما تتفرّع منها الطّرق الرّئيسة المعبّدة التي تصلها بمختلف المناطق والمدن الدّاخلية. وأشهر تلك المدن: نزوى إلى الجنوب الغربي من المدينة.

في مسقط مرفأ تجاريٌّ مهمٌّ هو مرفأ الفحل؛ ومطارٌ دوليٌّ يستقبل جميع الطّائرات من كافّة أنحاء العالم. بالإضافة إلى أنّها تُعدّ مركزاً تجارياً وصناعياً مهماً. وتشتهر مسقط بمعالمها لا سيّما قلاعها التّاريخية؛ ومنها اثنتان بَناهُما البرتغاليون؛ وهما قلعة: ميراني، وقلعة: الجلالي. وقد تمّ بناء قلعة ميراني عام١٥٨٧م؛ ثمّ أُضيف إليها برجٌ كبيرٌ وبها يُضرب المثل بالمنعة والقوة. كما أنّ في مسقط عدّة أسواقٍ تحافظ على طابعها التّاريخي القديم؛ أهمّها سوق مطرح الواقع على بعد مَيلَين اثنين منها؛ وهو أوّل سوقٍ بُنِيَ في عُمان.

أبرز مباني العاصمة مبنى البلدية؛ وبرج الصّحوة القائم على الطّريق المُؤديّة إلى مطار السّيب. وهو مزدان بالرّسوم التي تمثّل صوراً من تاريخ عُمان. وفوق البرج ساعته المشهورة. وثمّة في مسقط حيّ القرم الرّاقي؛ ويغلب على عماراته اللّون الأبيض؛ وفيه الكثير من الجنائن والقصور.

في مسقط جامعة السّلطان قابوس وهي صرحٌ علميّ يضمّ كليّات تُدرّسُ الاختصاصات المُختلفة كالطّب؛ والهندسة؛ والعلوم والزراعة؛ والتربية؛ والآداب؛ والعلوم الإسلامية؛ ومركز اللّغات والكومبيوتر؛ إضافةً إلى مكتبةٍ تتّسع لـ ٢٥٠ألف كتابٍ.

* * * * *

## مطـرح

تُعدُّ مطرح من أهمّ المدن في مُحافظة مسقط؛ وذلك بحُكم مكانتها التّاريخية والحضاريّة القديمة؛ حيث كانت تمثّل الميناء التّجاري العريق لعُمان. كما أنّ سوقها كان بمثابة المَصدَر الرّئيسي لتصدير البضائع بأصنافها المختلفة إلى الأسواق العُمانيّة المُختلفة. وتشتهرُ بشاطئها حيث ترسو قوارب الصّيد؛ ويشتهر سوقها بتجارة الحُلي الذّهبيّة والفضّيات التّقليدية والمنسوجات والأزياء العُمانية التّقليدية والبخّور.

ومن معالمها الأخرى: المباني القديمة؛ سوق السّمك؛ حديقة ريام ومتنزه كلبوه. وتُعَد قلعة مطرح - وتُسمّى (كوت مطرح)- من أبرز القلاع الثّلاث عشرة الموجودة بالمدينة. ولها ستّة أبراجٍ متفرّقةٍ؛ بُنيَت في عهد البُرتغاليّين أثناء احتلالهم لمسقط عام ١٥٧٨م. وكانت مقراً للحُكم أثناء ولاية السّيد سعيد بن سُلطان البوسعيدي؛ وهي تقع على الجبل المُحاذي لشاطئ مطرح.

ومن القلاع الأخرى: الرّوجة؛ مطيرح الفناتيف؛ جبل كلبوه؛ لزم؛ حكم؛ الرّيح؛ سنجوري؛ الغريفة؛ بجوار؛ بيت الفلج والشّجيعيّة.

من أهمّ الأسوار الموجودة في مطرح ذلك السّور؛ المُمتدّ من الجبل الجنوبي إلى الجبل الشّمالي؛ ويُسمّى(سور روي)؛ تتوسّطه بوابةٌ تُعتَبَرُ - في الحقيقةـ بوّابة مسقط الأولى من جهة شمال الدّاخل. وكان الغرض من بنائه: هو تنظيم الدّخول للعاصمة التّي اتّخذها السّيد سلطان بن أحمد البوسعيدي مقراً للحكم. كما توجد أسوار أخرى هي: سور اللّواتيا الذّي تتميّز أبنيته بروعة تصميمها الهندسي؛ وتتّسم شرفاتها المُطلّة على الطريق البحري بالطابع الإسلامي الجميل؛ وسور مطرح القديم؛ وسور جبروه.

وفي مطرح فلجان؛ أحدهما: ينبعُ من (وادي عدي)؛ ولا يـزال موجـوداً حتّـى الآن؛ ويُسمّى (فلج الوطيّة)؛ والآخر ينبع من (الوادي الكبير) ويمـرّ تحـت قلعـة (بيـت الفلـج) ويُسمّى بالاسم نفسه (فلج الفلج). وهناك ستّة عشـر واديـاً؛ أهمّهـا: الحـرث؛ الأصـيل؛ النّاقة؛ الوجاء؛ الحمرية؛ دارسيت؛ ميسح العود والوادي الكبير.

كما يوجد فيها عدد من الحدائق العامّة ومُتحف القـوّات المُسـلّحة والمُتحـف الـوطني وكذلك المكتبة الإسلاميّة.

## مدحـاء

مدينةٌ عُمانيّةٌ؛ تكثر بها النّقوش الصّخرية القديمة. فهي بمثابة المُتحف الطّبيعي المفتوح لتلك النّقوش التّي تحمل رسـوماتٍ تعـود إلى مـا قبـل الإسـلام؛ كمـا تحمـل (رسـومات وكتابات) ترجع إلى القرون الهجريّة الأولى.

إضافةً إلى ذلك؛ توجد بها عدّةُ مواقع أثريّة ترجع إلى العصر الحديـدي والأعـوام مـا بين ١٠٠٠ إلى ١٥٠٠ قبل الميلاد. وهي تشتهر بوجود العديد مـن المخـازن السّـريّة تحـت الأرض والتي يعرّفها الأهالي هناك باسم (مخازن الجهل). وبها مقابر كثيرة تنفرد من بينهـا مقبرة (حجر بني حميـد) بوجـود النّقـوش علـى شـواهدها الجنائزيـة؛ مـن حجـر الرّخـام الأبيض لأسماء الموتى.

وفي مدحاء أيضاً عدّة حصون وأبراج في كلٍّ مِن: مدحاء؛ الغونـة؛ حجـر بـني حميـد؛ وهي تنتشر فوق قمم الجبال ومبنيّةٌ من الحُصى وتتّخـذ شـكل المجمّعـات المؤهّلـة لتكـون أبراجاً للمراقبة.

تتميّز المدينة بطبيعتها الجبليّة فضلاً عن كونها من بين الولايات العُمانية التّي يتمّ فيها الرّي بالأفلاج والعيون. ويتّسم أبرز أفلاجها ببرودة مياهه صـيفاً وحرارتهـا شـتاءً. وهـو الفلج الذي يحمل اسم (الشّيخ محمّد بن سالم المدحاني). إضافةً إلى مجموعـةٍ مـن الأفـلاج الأخـرى؛ أهمّهـا: الـدّائر؛ العاضـد؛ الشّـريكي؛ المُعـترض؛ العقبـة؛ الرّمـان؛ الصّـودق؛ الصّاروج. وهناك عيون: الشّريكي؛ اليشمة؛ حجر بني حميد وعين الصّماي المُتميّزة بمياهها الكبريتيّة؛ الحارة شتاءً والباردة صيفاً؛ والتي يستخدمها الأهالي في الاستشـفاء مـن بعـض الأمـراض الجلديّـة؛ مُعتقـدين بـدورها الفاعـل في ذلـك. وتنتشـر في مـدحاء الكهـوف والمغارات الجبليّة والشجرة المعروفة باسم (الرّولة) والتي تتميّز بكبر حجمها وقدمها.

* * * * *

# صحار

تزخر صحار؛ المدينة العمانية؛ بالعديد من المعالم الأثريّة المُنتشرة في ربوعها؛ إلاّ أنّ أبرزها على الإطلاق: هي (قلعة صحار) التي تُعدّ من أهمّ القلاع والحصون في منطقة الباطنة العُمانية كافّةً؛ نظراً لموقعها المُتميّز ودورها الكبير الذي لعبته طوال القرون الماضية. ويرجع تاريخ بناء القلعة إلى نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرّابع عشر الميلادي؛ حيث تُوضح الحفريات الأثرية المُكتشَفَة حول القلعة؛ في عام ١٩٨٠؛ بأنّ بِناءها يرجع إلى القرن الرّابع عشر الميلادي في الطّرف الجنوبي من المدينة؛ وأنّ (أمراء هرمز) هُم الذّين قاموا ببنائها في عهد ملوك بني نبهان.

تتميّز قلعة صحار في داخلها بوجود نفق يمتدّ إلى مسافة عشرة كيلو متراتٍ إلى جهة الغرب حيث واحة البريمي. وكان يجري استخدام هذا النّفق (كخط للإمداد والتّموين) بواسطة الخيول؛ عندما تكون القلعة في حالة حصار في زمن الحرب. وفي داخل قلعة صحار توجد عدّة آبار للمياه الصّالحة للشّرب؛ كما تنتشر بها عدّة أبراجٍ كانت تُستَخدم للرّصد والمراقبة والدّفاع عن المدينة عند اللّزوم. وفي الطّبقة الأرضيّة منها؛ يوجد قبر السّيد ثُوَينِي بن سعيد بن سلطان. وتتميّز صحار بانتشار الأودية التّي تنساب فيها المياه. ومن أبرزها: وادي (حيبي) الذي يبعد عن مركز المدينة بحوالي ٦٠ كيلو متراً؛ إضافةً إلى كلّ مِن وادي (عاهن) ووادي(الجزي)؛ وكذلك المناطق الجبلية الصّغيرة الواقعة على السّفوح وضفاف الأودية. كما يوجد بها مجموعة من الحدائق الطّبيعية التّي أضافت إليها منجزات النّهضة الحديثة على مدى السّنوات الخمس والعشرين الماضية؛ تطويراً يتكاثرُ عاماً بعد عامٍ نظراً لأهميّتها ومكانتها التّاريخيّة؛ الأمر الذي جعل من صحار (واحة خضراء). كما انتشرت المجسّمات الفنّية الرّاقية



المُستوحاة من التّاريخ العماني العريق وعطاءات البعث النّهوضي الشّامل؛ ممّا جعل (صحار) العامرة بالفنادق والاستراحات؛ والمشهورة بتعدّد نافورات المياه في شوارعها الحديثة المُتّسعة؛ التّي تمتدّ بين النّخيل والأشجار... كل ذلك جعلها مؤهّلة لاجتذاب

السّائحين القادمين من داخل السّلطنة وخارجها على حدّ سواء.

تشتهر صحار بوجود عددٍ من الحِرَف والصّناعات التّقليدية. فمن الحرف والصّناعات: صيد الأسماك وما يتعلّق بها من صناعةٍ؛ صناعة الحلوى العمانية؛ صياغة الفضّيات؛ الحدادة؛ السّعفيات والرّعي والزّراعة.

* * * * *

# خصب

تُعتبر مدينة خصب العُمانيّة مركزاً إقليمياً لمحافظة مسندم؛ وتبعد عن مسقط العاصمة نحو ٤٨١ كم. تقع في أقصى شمال المحافظة وتستمدّ اسمها من خصوبة تربتها؛ ويوجد فيها ميناء خصب.

من معالمها الأثرية: عدد من القلاع والحصون والأبراج. فهناك (قلعة خصب) التي يرجع تاريخها إلى بداية عهد آل بوسعيد. وقد قامت وزارة التّراث القومي والثقافة بترميمها في مطلع العام ١٩٩٠م. أمّا (حصن الكمازرة) فليس معروفاً تاريخ تشييده على وجه الدّقة. وهو يقع في حلة (الكمازرة).

إضافةً إلى ذلك؛ يوجد ثلاثة أبراجٍ؛ هي: برج (السيبة) الذي يقع في المنطقة الحاملة الاسم نفسه؛ وبرج (كبس القصر) الذي لم يبق منه غير الأطلال؛ وبرج سعيد بن أحمد ابن سليمان آل مالك الواقع في حلّة (بني سند) وهو من بقايا حصنٍ كبيرٍ تعرّض للاندثار بمرور الزّمن؛ ولم يبق منه إلاّ هذا البُرج.

من المساجد القديمة في ولاية (خصب) جامع (السّيبة) والمُسمّى بالجامع الغربي؛ وقد أُعيد بناؤه في عام ١٩٨٠م. وكذلك مسجدا السّوق والكمازرة اللّذان أعيد بناؤهما أيضاً. وفيما يتعلّق بالمعالم السّياحية فهي تتمثّل بالمتنزّهات الطّبيعية في الروضة والسّي والخالديّة. إضافةً إلى وادي خن؛ مسيفة حيوت؛ وخور نجد. وكذلك عدد من الأخوار والخُلجان والجزر؛ أهمّها: خليج خصب؛ خليج كمزار؛ خليج شيصة؛ خور شم؛ خور النيد؛ خور حبلين؛ خور قبل؛ خور غب؛ خور قدي.

من أهم الجُزُر بمدينة خصب: جزيرة الغنم؛ مسندم؛ أمّ الطير؛ جزيرة سلامة وبناتها؛ أم الفيارين؛ الخيل؛ مخبوق؛ أبو مخالف وجزيرة ساويك (السّوداء).

* * * * *

# آدم

في مدينة آدم العُمانية عدد من المعالم الأثرية أهمها المساجد الجامعية: المهلب ابن أبي صفرة؛ الرحبة؛ الهواشم؛ الشيابنه؛ الروغة. أما القلاع والحصون؛ فأبرزها قلعتا فلج العين؛ وقلعتا فلج المالح؛ وحصن آدم. يقدر عدد الأبراج في الولاية بحوالي ثلاثين برجاً. وإضافة إلى المعالم الأثرية من قلاع وحصون وأبراج ومساجد قديمة؛ هناك أيضاً مواقع متعددة في مدينة آدم يمكن وضعها في عداد المعالم الأثرية؛ من بينها أحد المساجد التي ينسجون حولها رواية تاريخية هي أقرب إلى الأسطورة؛ حيث يقولون: إن أهالي المنطقة اختلفوا فيما بينهم أثناء إنشاء هذا المسجد وتعميره؛ وباتوا عند هذا الخلاف. وما إن حل الصباح حتى فوجئ الجميع بأن المسجد قد اكتمل بناؤه (دون وجود أي آثار لمواد البناء على سقفه). وإن كانت تلك الرواية الأسطورية قديمة إلا أن الاسم الحالي للمسجد يجعلها متداعية في الذهن باستمرار؛ حيث يسمونه مسجد (باني روحه) أي المسجد الذي بنى نفسه. وفي آدم أيضاً حارات قديمة أنجبت رجالاً توسعت شهرتهم وذاع صيتهم وساهموا بفاعلية في صياغة التاريخ العُماني وصنعه؛ أبرزها حارة (جامع البوسعيد) التي تتخذ شكلاً بيضاوياً وفيها كان مولد مؤسس الأسرة المالكة الذي لا يزال منزله قائماً حتى الآن. وحارة (الشيابنة) التي تشير المصادر التاريخية للمنطقة بأنها كانت ملتقى للقوافل التجارية في زمن الجاهلية. وحارة (العين) التي شهدت مولد العالم درويش بن جمعة المحروقي؛ مؤلف كتاب الدلائل في اللوازم والوسائل. إضافة إلى هذه المعالم السياحية؛ هناك ثلاث عيون للمياه الجارية هي: عينا الرخيم والجندلي؛ وهما تقعان على سفح جبل (صلخ)؛ وعين (نامة) الواقعة على ضفاف وادي حلفين. أما الأفلاج؛ فقد كانت ٢٤ فلجا؛ إلا أن عشرين من بينها تعرضت للجفاف والاندثار بمرور الزمن ولم يبق سوى (أربعة أفلاج فقط). من الحرف والصناعات التقليدية: صياغة الذهب والفضيات؛ الخوصيات؛ النسيج؛ الحدادة؛ الحلوى العمانية.

* * * * *

# الكــرك

تقع مدينة الكرك على بعد مائة وثلاثين كيلو متراً جنوبي العاصـمة عمـان. وترتفـع المدينة عن سطح البحر بحوالي تسعمائة وثلاثين مـتراً؛ وتطـل علـى البحـر الميـت ووادي الأردن. والكرك مدينة قديمة؛ وقـد ذكـر اسمهـا في التـوراة. وتعتـبر مدينة الكرك من المناطق السياحية؛ حيـث يوجـد بهـا مقـابر القـادة المسلمين الذين استشهدوا في غزوة مؤتة. كمـا تشـتهر بالرياضـة مثـل تسـلق الجبـال وصـيد الغـزلان.



وتتميز المدينة بنقاء جوها؛ واسـتخدام الميـاه المعدنيـة الموجـودة في عيونهـا لمعالجـة بعـض الأمراض. ومن أشهر المناطق الأثرية قلعة الكرك؛ ورباح؛ والقصر؛ ومؤتة.

* * * * *

# بوشــر

تضمّ بوشر العُمانية عدداً من المعالم التّاريخية؛ مثل: البيت الكبير أو بيت السّـيدة ثريّـا وحصن وقلعـة (الفـتح) وأبـراج الحمـام وُصـنب وحـارة العـوراء وسـور السّـيد بـرغش والحجـرة القديمـة وسـوق بوشـر القـديم ومقصـورة الخـب. وعلـى رأس المساجد القديمة؛ يـأتي مسـجد (النّجـار) في بلدة بوشر بـن عمـران الـذي بُنِـيَ في القـرن الثّالـث عشـر الهجـري؛ وكـذلك مسجد العوينة في البلـدة نفسـها وجـامع صنب ومسجد النصب.



* * * * *

# صلالة

صلالة مدينةٌ عمانيةٌ تقع ضمن محافظة الظّفار. وتبرز كواحدةٍ من أهمّ المعالم الأثريّة الشّاهدة على مكانتها التّاريخية؛ حيث الحصن الشّهير؛ الذي تهدّم بفعل عوامل التّعرية؛ وبقايا أرصفة الميناء والمساجد والمباني والمقابر المُنتشرة على مساحةٍ واسعةٍ.

ومواقع الآثار القديمة تتعدّد في مدينة صلالة بصورةٍ لافتةٍ؛ حيث توجد ثلاثة مواقع أثريّةٍ في المغسيل وآثار جدرانٍ قديمةٍ ومقابر ما قبل الإسلام في رزات؛ وآثار مدينة الرّباط القديمة؛ وبقايا قلعةٍ قديمةٍ؛ ومقابر ما قبل الإسلام في (عين حمران) و(دحقة ناقة صالح) في الحصيلة؛ وجدران؛ وتقسيمات سواقي؛ وبئر مياه في مدخل وادي نحيز. كما يوجد ثلاثة مساجد أحدها لعبد العزيز بن أحمد في الدّهاريز؛ والآخر مسجد عقيل في صلالة الشّرقية؛ ومسجد عبد الله اليماني في عوقد.

هناك خمسة أضرحةٍ دينيّةٍ لكلٍّ من النّبي أيّوب في نيابة غدوى؛ وسالم بن أحمد بن عربية في ريسوت؛ وهود بن عامر في قيرون حيرتي؛ وضريح النّبي عمران في القوف؛ وضريح جنيد في الحصن.

وإلى جانب الآثار القديمة وسحرها الخاص يبقى للطّبيعة مكانتها أيضاً في صلالة؛ حيث شواطئ ريسوت والدّهاريز والمغسيل وصلالة؛ وعيون ماء رزات وحمران وجرزير وإيشنت وصحنوت؛ وأودية رزات ونحيز وعربوت وجرزير وعدونب وعشوق. كذلك مُرتفعات وادي نحيز وجبل حمرير وجبل أتين.

بالإضافة إلى الحدائق والمُتنزّهات الحديثة التي تزيد من روعة المكان ورونقه؛ فهناك حدائق: صلالة العامّة؛ السّعادة العامة؛ الدّهاريز؛ عين رزات؛ ومتنزّهات صلالة الجديدة؛ القوف؛ المعتزة.

في صلالة تتنوّع الحِرَف والصّناعات والفنون التّقليدية. فمن بين هذه الحِرَف: النّجارة والحِدادة؛ الخياطة والتطريز؛ وهناك الرّعي وتربية الماشية والزّراعة والتجارة. ومن الصّناعات: صناعة القوارب والسنابيق؛ صناعة الفخّار؛ السعفيات؛ الحبال؛ مُشتقّات الألبان؛ شباك الصيد؛ الحلويات؛ صناعة الحُلي من الذّهب والفضّة والصّناعات الخشبيّة والجلديّة.

استقبلت محافظة ظفار العمانية - فلكياً - موسم الخريف الذي تسعى السلطنة من خلاله إلى موسم سياحي متميز يتخذ من شجرة اللبان الشهيرة في المنطقة شعاراً له

وتحت شعار ملتقى الأسرة واستقطاب السياح من مختلف مناطق السلطنة ودول مجلس التعاون الخليجي؛ ما تعتبره عمان سياحة نخبوية تراعي عادات البلاد وتقاليدها؛ علماً أن خريف صلالة استقطب العام الماضي أكثر من مائتي ألف سائح.

ويبدأ موسم الخريف وتساقط الأمطار في ظفار عادة في حزيران (يونيو) ويستمر إلى ٢١ أيلول (سبتمبر)؛ ويمنح الطقس الاستثنائي الطبيعة حلة خضراء تتدنى فيها درجة الحرارة إلى ما دون العشرين. تمتلك محافظة ظفار مقومات سياحية فريدة وأرضاً سياحية خصبة تضم في جنباتها كل البيئات الطبيعية؛ إضافة إلى غناها بالمنتجات الزراعية المتنوعة ذات الطابع الاستوائي ومن اشهرها النارجيل (جوز الهند) والموز والفافاي وقصب السكر إلى جانب المحميات الطبيعية وثروة حيوانية وبحرية غنية. و تقدم مراكز المعلومات السياحية بصلالة مع بدء موسم الخريف خدماتها للسياح المقبلين إلى محافظة ظفار للاستمتاع بموسم خريف هذا العام؛ و هذه الخدمات تشمل تزويدهم بالكتيبات والنشرات والخرائط الإرشادية؛ التي تتضمن كافة المعلومات السياحية والبيانات التعريفية للفنادق والشقق الفندقية والأسواق والمطاعم؛ إلى جانب معلومات عن أهم المعالم السياحية كالجبال والعيون والشواطئ والمواقع الأثرية والترفيهية في صلالة وباقي ولايات محافظة ظفار. وذلك من خلال مركز معلومات «حريط» بوابة الوصول إلى مدينة صلالة عن طريق البر ومركز معلومات مطار صلالة إضافة إلى مركز المعلومات في سوق الحصن الشعبي. وستقوم وزارة السياحة بافتتاح مركز آخر للمعلومات السياحية بمقر مركز البلدية الترفيهي ليقدم خدماته لزوار مهرجان خريف صلالة ٢٠٠٥؛ وذلك مع انطلاقة فعاليات المهرجان في ١٥ يوليو (تموز).

* * * * *

## مهرجان خريف صلالة

يعتبر موسم الخريف علامة بارزة و يستمر لثلاثة أشهر؛ ويتميز بعروضه الموسيقية والثقافية التي تقام ضمن الاحتفالات التي تقام ضمن مهرجان خريف صلالة؛ الذي يتميز بنكهته الطبيعية الخاصة؛ ويعرض فيه فنون وثقافة وتراث المحافظة؛ ويشتمل على عروض حية من الفنانين العمانيين والرقصات الشعبية المحلية والفنون التراثية؛ ومعارض الحرف اليدوية العمانية؛ بالإضافة إلى الحفلات الفنية والعروض الرياضية؛ كل هذه الفعاليات تجعل المهرجان لحظات لا تنسى.

* * * * *

# المناطق السياحية المهمة

**قبر النبي أيوب**: يمكن مشاهدة ضريح النبي أيوب عليه السلام على أحد التلال الجبلية التي تبعد ٤٠ كيلو متراً من صلالة وعلى مقربة من هذا الضريح يُوجد مسجد أثري صغير.

**عين إرازات**: مصدر لعدد من الينابيع الطبيعية وهو مكان يتصف بالجمال الرائع وموقع يرتاده الجميع للتنزه وقضاء الأوقات الجميلة.

**عين حمران**: يقع على بعد ٢٢ كيلو متراً من عين إرازات وهو موقع آخر للينابيع ذات المنظر الخلاب تطوقه حديقة كما أنه يعتبر منطقة مثالية لمشاهدة الطيور.

**الشصر**: كشفت أعمال الحفر والتنقيب في موقع شصر عن وجود مدينة أثرية قديمة وما زالت أعمال الحفر مستمرة للكشف عن هذا الموقع الأثري الهام.

**طاقة**: قرية تطل على الجبال المرتفعة شديدة الانحدار وهي أكثر المناطق انخفاضاً في المحافظة وإن وجود عدد من الطيور المغردة يملأ المكان بموسيقى ساحرة تشبه جمال وسحر الطبيعة

**طوي اعتير – ملتقى الطيور**: قرية تطل على الجبال المرتفعة شديدة الانحدار وهي أكثر المناطق انخفاضاً في المنطقة ووجود عدد من الطيور المُغردة يخلق منها سيمفونية متفردة تفرد المكان نفسه.

**وادي دربات**: حديقة طبيعية ومناظر رائعة لشلالات المياه والبحيرات والجبال والكهوف والحيوانات البرية والمناطق الخضراء الخصبة؛ ولابد أن تضع في اعتبارك زيارة الشلال الموسمي والذي يبلغ ارتفاعه ١٠٠ متر.

**خور روري**: يقع على بعد ٣٧ كيلو متراً من صلالة وشاطئ خور روري منطقة ذات جمال طبيعي تجذب الزوار كما أن الطيور المهاجرة مثل طائر الفلامنجو والنورس تزور كثيراً هذه البحيرات.

**مرباط**: تقع على بعد ٦٦ كيلو متراً شرق صلالة وهي مشهورة بخلجانها وكهوفها

وسكانها ذوي المهارات التي لا تضاهى في أداء الفنون الشعبية وعزف الموسيقى كما أن حصن مرباط هي أيضاً موقع لجذب السياح.

**المغسيل**: تقع على بعد ٤٠ كيلو متراً إلى الغرب من صلالة وتحاط الشواطئ الرملية بالصخور المنحوتة وثقوب زرقاء مشكلة صخورا جيرية ويعتبر منظر التقاء الجبال مع البحر على طول الشاطئ منظرا رائعاً وساحراً.

**ريخيوت**: عبر تسلق ثمانية تعرجات دبوسية للوصول إلى القمة تعتبر ريخيوت منطقة جميلة تغري بزيارتها على القمة وقد تم بناء موقف للسيارات بعناية لتأمل المنطقة وجمالها الأخاذ.

**سمهرم**: تقع بجوار شاطئ خور روري؛ وسمهرم عبارة عن ممر مائي يمثل لوحة طبيعية رائعة تخلب الأنظار. كما أنها قلعة لمدينة موشا القديمة؛ والتي تؤكد آثارها ذلك؛ ويعود تاريخها إلى عام ١٠٠ قبل الميلاد.

**شواطئ ظفار**: تزخر محافظة ظفار بشريط ساحلي ممتد بطول أكثر من ٥٠٠ كم من ظلكوت غرباً حتى الشويمية وشربثات شرقاً وتتميز شواطئ المحافظة بتنوع ما تزخر به من مقومات سياحية وموارد طبيعية هامة كالخلنجان والرؤوس البحرية الجميلة والخيرات المائية التي تُعتبر في حد ذاتها بيئات مستقلة تتكاثر فيها الأحياء الفطرية النادرة. لدى الزائر للشواطئ في محافظة ظفار خيارات كثيرة للاستمتاع بما فيها من مقومات فهناك من يستمتع برياضة الغوص والصيد الترفيهي وركوب القوارب وتعتبر المنطقة الواقعة بين ولايتي مرباط وسدح أنسب المناطق لممارسة هذه الهوايات

كما أن تنوع طقوس صيد الأسماك هذه الحرفة التي يمتهنها عدد من سكان المنطقة وتدر عليهم رزقاً وفيراً يتيح للزائر التعرف على مدلولات هذه الطقوس التي تعكس بعضاً من العادات والتقاليد المتأصلة لدى الإنسان عند ممارسة صيد الساردين والشارخة والصفيلح مثلاً. كما أن نزهة القوارب من شأنها أن تتيح للزائر الاستمتاع برؤية الدلافين وهي تستعرض بعضاً من مهاراتها في البحر خصوصاً في منطقة المغسيل وريسوت أما بالنسبة لرؤية تعشيش السلاحف فإنها متعه أخرى تضاف إلى رصيد المشاهد بين سدح ومرباط ويُمكن الوصول إلى هذه الأماكن عبر طريق ولاية مرباط

والاتجاه نحو الشرق وعبر طريق المغسيل بالنسبة للشواطئ الغربية. ولعبت موانئ ظفار دوراً تُجارياً نشطاً مُنذ أقدم العصور؛ وهذه الموانئ هي موانئ خور روري وريسوت ومرباط وسدح والمحلة وحاسك وجزر الحلانيات والبليد ورخيوت وضلكوت. ولم يقتصر نشاط هذه الموانئ على المناطق الإقليمية المجاورة فحسب بل كانت تقصدها وتُبحر منها سُفن من وإلى مختلف بقاع العالم لتحمل اللبان المر والعطور وأصناف أخرى من تجارة ظفار؛ كما وتشير سجلات التاريخ إلى أن تاريخ أول رحلة إلى ظفار كان عام ٢٥٩٠ ق. م في عهد الملك الفرعوني خوفو.

كما تُسجل كتب التاريخ أيضاً رحلات أخرى جاءت إلى ظفار مثل رحلة رمسيس الثالث عام ١١٦٠ ق. م. ورحلة عام ١٨٤٠ ق. م. في عهد الملكة حتشبسوت. وقد عثر على رسومات في معبد الدير البحري بوادي الملوك بمدينة الأقصر في مصر تُخلد رحلة مشهورة إلى ميناء سمهرخور روري.

* * * * *

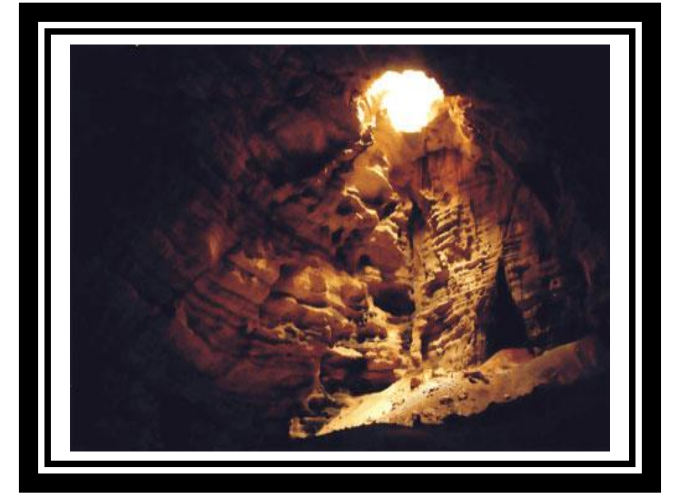
# صور العُمانية

تقع صور العُمانية؛ ميناء منطقة الجعلان؛ على ساحل رملي منخفض يخلو تماماً من النباتات والأشجار. وتبدو البلدة وكأنها مجمّع كبير من الأكواخ المتراصة على جانبي بحيرة. وتسكن كل جانب من هذه الجانبين قبائل شتى؛ لكل قبيلة منطقة سكن معلومة قائمة بذاتها. وقد بنيت هذه الأكواخ الرحبة الفسيحة ذات الهواء المتجدد من جريد النخل المحزوم بقوة بعضه إلى بعض.

يلاحظ أن شوارع صور نظيفة تماماً. ولا توجد فيها أي محال تجارية؛ إلا البازار الواقع على بعد نحو ميل ونصف ميل من الساحل؛ ويسكن عنده عدد كبير من السكان. كما يُعقد في هذه المنطقة سوق يومي تعرض فيه صنوف من الحبوب والبقوليات وأنواع من الفواكه والخضروات. أما المنازل فصغيرة ولكنها قوية. فقد بنيت من الحجارة وملاطها من الإسمنت.

تقع في الجزء الغربي من هذه المنطقة؛ قلعة كبيرة فيها مدافع قديمة. ولكن القلعة شأنها شأن مدافعها؛ لم تعد صالحة للقيام بمهامها؛ فقد داخلها البلى، وتجاور هذا المكان أرض زراعية مترامية الأطراف زرعت بحدائق النخيل الممتدة على مرمى البصر.

تعتبر صور واحدة من أقدم الموانئ والمدن البحرية في العالم. وهي تقع على الساحل الشرقي على بعد ٣١٠ كم من العاصمة مسقط ويبلغ عدد سكانها حوالي ٧٠ ألف نسمة لتشكل بذلك أكبر المدن في المنطقة الشرقية. وقد احتل البرتغاليون صور في القرن السادس عشر حتى تم استعادتها في عهد اليعاربة بفضل الإمام ناصر بن مرشد في القرن السابع عشر الميلادي. وقد لعبت مدينة صور دوراً حيوياً في المبادلات التجارية بين عُمان وشرق أفريقيا والهند عبر مينائها الذي كان محطة استيراد وتصدير لمختلف البضائع. وكانت مركزاً مهما لصناعة القوارب والسفن العابرة للمحيطات؛ مثل البغلة والقنجة.



من أبرز القلاع في الولاية قلعة الرفصة التي كانت مستخدمة قديما لحراسة البوابة الرئيسة لمدخل المدينة من الطريق البري؛ حتى إن سلسلة حديدية وضعت عليها لتوقف الداخل إليها أو الخارج منها لأغراض الأمن والحراسة. وهناك حصون أخرى؛ منها حصن رأس الحد وحصن ابن مقرب. وتمثل العيون والأفلاج والكهوف معالم سياحية لمدينة صور حيث توجد فيها بعض العيون الصغيرة في المناطق الجبلية. كما يوجد ١٠٢ فلج تجري مياهها؛ ويستخدمها أهالي الولاية لمختلف أغراضهم المعيشية. ومن أهم الكهوف التي تشتهر بها ولاية صور: (كهف مجلس

الجن) الموجود في وادي بني جابر والذي يتردد بأنه يتسع لسبع طائرات؛ وقد تم اكتشافه بواسطة الأقمار الصناعية؛ إضافة إلى كهفي مغمارة العيص وجرف منخرق. ومن معالمها: وادي الشاب (بنيابة طوي) وهو مركز جذب سياحي. وفي صور عدد من المستشفيات والبنوك والكليات التعليمية.

كما يُمثل صيد الأسماك؛ النسيج؛ الحدادة؛ الصياغة؛ السعفيات؛ النجارة؛ صناعة الحلوى جانباً من الحرف التقليدية الهامة في صور. ومن صناعاتها التقليدية: السفن الشراعية؛ وهناك أيضا صناعة الأبواب التقليدية العُمانية بزخارفها؛ وكذلك النوافذ الخشبية وصياغة الخناجر والحلي النسائية القديمة والحديثة وصناعة النسيج مثل: الإزار والسباعية والحصر العمانية.

ومن صناعاتها التقليدية أيضاً: السُفن الشراعية بأحجامها وأنواعها كافة؛ ومن أبرزها: سفينة (الغنجة) التي تتخذ منها ولاية (صور) شعاراً لها. وللحفاظ على هذه الصناعة المتوارثة أنشأت وزارة التراث القومي والثقافة بالولاية ورشة تقوم بصنع نماذج للسفن العمانية القديمة بمختلف أنواعها.

* * * * *

# الفهــرس

* * * * *